

سمط الجوهر الفاخر
من مفاخر النبي الأول والآخر

تأليف

محمد المهدي بن أحمد بن علي الفاسي الفهري

دراسة وتحقيق

دة. سعاد رحائم

الجزء الأول

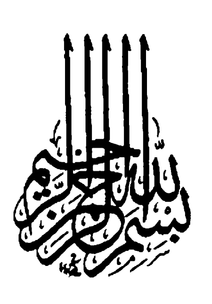
منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الطبعة الأولى 1431 - 2010

سمط الجوهر الفاخر
من مفاخر النبي الأول والآخر

تأليف

محمد المهدي بن أحمد بن علي الفاسي الفهري


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق كله، فجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وجعل فيه الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد : فهذا كتاب مبارك في سيرة خير البشر، لمؤلفه محمد المهدي الفاسي (ت : 1109هـ)، وهو جوهرة نفيسة، جمع فيها صاحبها درر السيرة العطرة، فسماه «سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر». فكان الكتاب بحق نصرة علمية للسراج المنير لبنة التمام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. نصرة تبرز مقام حامل لواء الشريعة الإسلامية الغراء، صاحب المقام المحمود والدرجة الرفيعة، وخاتم النبيئين وإمام المرسلين، وحجة الله على الخلق أجمعين.فجعل الله العزة والنصرة والولاية والتمكين لمن اتبع هداه وترسم خطاه إلى يوم الدين.

ومن واجب العلماء اليوم أكثر من أي وقت مضى نصرة هذا الدين من خلال تمثل سيرته صلى الله عليه وسلم. والتعريف بدقائق تفاصيلها لأجيال الأمم، وذلك بالتأليف فيها بما يقرب الناس من ملامح التشريع الإسلامي وروح العقيدة الإسلامية، والتعريف بيسر الإسلام وسماحته وعالميته، وكذلك نصرة حامل لواء الحق نبي الأمة ونبي الرحمة والعدل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا النبي الكريم الذي اجتمع له صلى الله عليه وسلم ما لم يجتمع لغيره من خصال الكمال وأوصاف الجلال، ونعوت الجمال الباطنة والظاهرة. فقد تميز

صلى الله عليه وسلم بوفور العقل، وصحة الفهم، وحباه الله بسعة الحلم وبسطة العلم، وعلو الهمة في الافتقار إلى الله والغنى به والتوكل عليه، والإخبات له والخشوع بين يديه والخضوع لعظمته.

فقد كان صلى الله عليه وسلم مع الخلق يتصف بسعة الصدر والرأفة والرحمة واللين وخفض الجناح، والأمانة والثقة والصدق والصفح والإحسان. إنه صاحب السيرة البديعة والخصال الحميدة، والأخلاق الكريمة.

ففي اتباع منهجه تحل المشكلات وتتجاوز المعضلات، وبتمثل سيرته تتآلف القلوب، وبمحبته تندثر العيوب، وتنيب إلى علام الغيوب. فهو الرحمة المهداة إلى كافة الناس بل إلى عامة الثقلين. من سار على خطاه ثبت ممشاه ومن حاد عنها، ضل سعيه ومثواه.

فلما كان انشغال المؤلف بهذه الدرر النفيسة من حياة أنفس الناس، وقع حظي واختياري على أنفس الجواهر من حياة خير البشر في كتاب «سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر». فوجهت عنايتي واهتمامي لتحقيق الكتاب المبارك، بخدمة نصه وتوثيقه. فكانت دوافع الاهتمام والاختيارتتمثل في أمرين :

أحدهما : قيمة الكتاب الذي استمد شرفه ومكانته من قيمته العلمية التي اهتمت بسيرة خير البشرسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كما قال الإمام الزهري : «علم الدنيا والآخرة». استوعب فيه المؤلف تفاصيل حياته صلى الله عليه وسلم أو كما قال : «هو كتاب في السيرة والشمائل والمعجزات والخصائص والفضائل». وتأتي أهمية الكتاب أيضا في اهتمام المؤلف بالكثير من العلوم الشرعية، وكيف تفاعل المجتمع الإسلامي الأول معها، في ظل المنهج النبوي الفريد، في التدقيق والتحرير والاستنباط. مما جعل محمد المهدي الفاسي يقف عندها مليا. فجاء الكتاب -بالإضافة إلى سيرته العطرة- مستوعبا للكثير من القضايا العلمية المفيدة ونذكرمنها تمثيلا لا حصرا :

- **الأقضية والفتاوى** : فاهتم بمنزلة الإفتاء على عهده صلى الله عليه وسلم، فذكر الصحابة الكرام الذين تصدوا للإفتاء والقضاء بإذن من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، معلما إياهم المنهج السديد في تدبيرالقضايا والنوازل. كما عقد المؤلف فصولا هامة في بعض القضايا الفقهية، معتمدا في ذلك على أقوال العلماء من أهل الشأن.

- **مسألة جمع القرآن الكريم** : وقصد به ذلك الجمع الذي كان على عهده صلى الله عليه وسلم من لدن الصحابة الكرام، حفظا في الصدور وكتابة في السطور.

- **طبقات الصحابة** : وفيه عرف المؤلف بالصحابة ومنزلتهم عند الله، وكذلك تطرق لطبقاتهم ومراتبهم، فهم رضوان الله عليهم شهود الوحي والتنزيل.

- **الوحي القرآني** : عرف فيه بالوحي وذكر أنواعه وصفاته ومراتبه، وكيف كان الوحي يتنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- **علم الرجال** : وفيه ذكر المؤلف انشغالات الصحابة واخصاصاتهم على عهده صلى الله عليه وسلم، فذكر أهل الصفة والنجباء والنقباء والمشهود لهم بالجنة، وكذلك خدامه صلى الله عليه وسلم، وكتاب الوحي وشعراؤه صلى الله عليه وسلم وهكذا.

- **ذكر أحداث السيرةالنبوية عبر السنين** : فسار على نهج المؤرخين في سرد الأحداث عبر سنوات الهجرة المباركة ابتداء من السنة الأولى إلى سنة وفاته صلى الله عليه وسلم.

كما شغل الكتاب مواضيع أخرى ذات أهمية كبرى، جد المؤلف في طلبها من مظانها، حتى اكتملت فصوله، فجمع وأوعى ما تفرق في كتب السير والمغازي والتفسيروالتاريخ والفقه واللغة من الدرر اللامعة والنكت البديعة في سيرة سيد الخلق السراج المضيء للأمة على نهج رب العالمين.

ثانيها : أن الكتاب من تأليف عالم من كبار علماء المغرب وهو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي الحافظ الحجة الضابط المتقن العلامة الصوفي الذي ينتمي إلى أعرق بيوتات العلم بمدينة فاس بالمغرب. فكان حقا عالما كبيرا ينتفع بعلمه، فهو صاحب زهد وتربية وعبادة تربى على يد شيوخ كبار، ونهل من علمهم وتحلى بحلمهم.

وبهذا فإن العلماء المغاربة هم أيضا نفعوا الأمة بعلمهم الغزير، وفهمهم الوفير في خدمة العلوم الإسلامية بحثا وتدقيقا، واختصارا وتحقيقا، وشرحا وتنقيحا، فعدوا بحق في طليعة رواد الفكر الإسلامي.

ومكتباتنا المغربية الخاصة والعامة تزخر بذخائر المطبوعات والمخطوطات في شتى العلوم الإسلامية والإنسانية على حد سواء. تشهد للعطاء العلمي الذي تميز به علماء المغرب.

أما في مجال السيرة النبوية فقد ألفت التآليف العديدة وصنفت التصانيف المفيدة. وشكر الله عمل أستاذنا الكبيرفضيلة الدكتورمحمد يسف على مصنفه الجليل الذي ألفه في «المصنفات المغربية في السيرة النبوية» فقد أجلى حفظه الله جهد المغاربة في علم السيرة النبوية، فذكر ثبتا مهما بأهم المؤلفات في الموضوع.

والاهتمام بعلم السيرة النبوية له خصوصيته يتفرد بها عن باقي العلوم والفنون الأخرى فهي، وكما قال عميد السيرة النبوية بالمغرب الدكتور محمد يسف : «هي محور حركة المسلم ونشاطه، وقاعدة أساسية تمثل السلوكية الإسلامية في أسمى مظاهرها، فعندما يعكف المسلم على دراسة السيرة النبوية، فإنما يبحث عن القيم الإسلامية الأصيلة من خلال أحداث ووقائع، ومواقف في عصر التكوين الحقيقي لمعالم الشخصية الإسلامية».

أما عملي في الكتاب : فبداية وضعت تقديما لازما عرفت فيه بالمؤلف، وشيوخه وتلامذته، وإنتاجه العلمي الغزير الذي تنوعت علومه وفوائده.وكذلك قمت بدراسة مختصرة عن الكتاب وتوثيق نسبته إلى مؤلفه.

أما نص الكتاب فحققته وفق المنهج العلمي المتعارف عليه عند أهل التحقيق.وذلك بتنظيم مادته العلمية، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وتوثيق النصوص والأقوال والأحداث، ثم الترجمة لجل الأعلام الواردة في النص، والتعريف بالبلدان والقبائل، وشرح الغريب من الألفاظ، ووضع تعاليق وشروح وإضافات تفيد في ضبط النص وفهمه.

وأخيرا ختمت البحث بفهارس فنية تفصيلية، افتتحتها بالآيات القرآنية ثم الحديث النبوي الشريف ثم القبائل، والأماكن والبلدان، ثم الأعلام وبعدها الأشعار، ثم ثبت المصادر والمراجع، وأخيرا وضعت فهرسا لموضوعات التقديم والتحقيق.

فأسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إغناء هذاالعمل الكبير بضبط نصه وتوثيقه، ويبقى جهدي فيه جهد المقل، الذي كد فيه و لم يمل، لأنه في سيرة سيد الخلق المجل.

وختاما : فلله الحمد والمنة على أن وافاني بوفور النعمة، وتولني بالعناية والرحمة، حتى استكملت فصول هذا الكتاب، الذ ي عشت في تحقيقه وتوثيقه جزءا غير يسير من عمري، فاللهم يارب اجعل لي ولقارئه بكل حرف حسنة،وحفظا وسترا،كما نسألك يارب العزة أن تنفع به أجيال هذه الأمة.

﴿ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمِل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفرلنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

وبالله التوفيق.

سعاد رحائم

الفصل الأول

التعريف بمحمد المهدي الفاسي (ت 1109)
ومنزلته العلمية واهتمامه بعلم التصوف

المبحث الأول : اسمه ونسبه وولادته ونشأته :

*** اسمه ونسبه :**

هو أبو عبد الله المهدي بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري.

ولد بمدينة القصر الكبير في آخر رجب سنة ثلاث وثلاثين وألف (1033هـ). وكانت نشأته وعلمه بمدينة فاس، ولذلك سمي بالفاسي.

وسمي أيضا بالفهري لأن نسبه العريق يرجع إلى قريش من بني فهر بن مالك، يقول المولى سليمان في هذا النسب : «ثم هم من بني عدي، وكلاهما ابن لكعب ابن لؤي»[1].

وتنتسب هذه العائلة الفهرية إلى جدهم الأعلى ابن أبي الجد الذين كانوا يستوطنون جزيرة الأندلس[2]، وكان هذا النسب ثابتا لهم من تلك الطريق المذكورة. و أهل الأندلس عموما وخصوصا لا يعرفونهم إلا بهذا النسب الفهري، ويذكر صاحب العناية[3] : أنهم من أعظم بيوت الأندلس علما ومروءة ووجاهة ورياسة، وكانوا يستوطنون اشبيلية، إذ حوصرت من طرف النصارى، ومنها انتقلوا إلى مالقة، ومنها إلى فاس سنة 880هـ.

(1) عناية أولي المجد : ص. 3.

(2) مؤرخو الشرفاء : ص. 168.

(3) عناية أولي المجد : ص. 4، 5، 6.

ورحلت بيوت مالقة بسبب تلك الفتن، واستوطن منهم مدينة فاس الأخوان أبو زيد عبد الرحمن، وأبو العباس أحمد ابنا أبي بكر ابن الجد.

وتوفي الأخوان معا في طاعون 880 هـ، و لم يخلف عبد الرحمن إلا ابنه يوسف صبيا صغيرا، وأما أخوه أحمد فلم يخلف عقبا.

فمن أعقاب هذا الجد- أبو زيد عبد الرحمان- الذي خلف ولدا واحدا هو يوسف الكناني[1] ومنه تناسلت العائلة الفهرية[2]، وإليها ينتسب محمد المهدي الفاسي مترجمنا.

هذا هو نسبه وهو نسب عريق وشريف يلتقي بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم. ومحمد المهدي اسم مركب للمؤلف وبه عرف، كنيته أبو عبد الله وهو الغالب عليه.

*** ولادته ونشأته :**

اتفقت كتب التراجم[3] على أن محمد المهدي الفاسي ولد بالقصر الكبير وزاد

---

(1) عناية أولي المجد : الصفحات : 11 -12 -13.

(2) اهتم المولى سليمان بالترجمة لأعيان هذه العائلة الفاسية الفهرية في كتابه المسمى عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، ويذكر المولى سليمان أن هذه العائلة كانت تتردد بين القصر الكبير ومدينة فاس، إذ أن يوسف بن عبد الرحمان كان يرحل من مدينة فاس إلى القصر الكبير قصد التجارة حتى تزوج هناك، وتوفي بالقصر في حدود 920هـ، ومن أبنائه من استقر بالقصر الكبير ومنهم من ارتحل إلى فاس من جديد.
ويذكر بروفنصال في كتابه مؤرخو الشرفاء : ص. 170 : أن مدينة القصر الكبير كانت عهدئذ مركزا هاما للتبادل التجاري نظرا لكونها من ثغور المغرب الإسلامي ولقربها من البلدان الساحلية التي كانت بيد النصارى.

(3) أما كتب التراجم التي ترجمت لمحمد المهدي الفاسي :
- عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد للمولى سليمان.
- سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني.
- فهرس الفهارس والإثبات لعبد الحي الكتاني.
- نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري .
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر لمحمد الطيب القادري.
- مؤرخو الشرفاء : ليفي بروفنصال. =

صاحب السلوة[1] بالقطانين منه آخر ليلة السبت آخر يوم من رجب سنة ثلاث وثلاثين وألف (1033هـ).

نشأ في حجر أبيه الشيخ أحمد بن علي بن يوسف الفاسي في عفاف وصيانة ودار علم ومشيخة.

تعود إليه الإمامة في العلم والعمل والورع والزهد على قدم أهل التجريد شديد التحري في أموره كلها، متبعا لأهل السنة في أقواله وأفعاله، مجتهدا في العبادة، كثير الأذكار، يقول صاحب السلوة[2] واصفا عبادته : «يقوم من الليل فيصلي بعشرة أحزاب، ذلك دأبه أبدا إلى أن كبرت سنه وضعفت قوته، فصار يصلي بخمسة أحزاب، وإذا كان في الصلاة استغرق فيها، فيسمع وشيجه من بعيد».

ومن جميل سيرته رحمه الله، أنه كان رفيع الأخلاق عالي الهمة متواضعا كريما يحب الخير للناس، وكان لا يأكل إلا من عمل يده بنسخ التصانيف، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة.

واشتهر بالورع والعفاف والعبادة وبترفعه عن قبول الهدايا. ومن ورعه أن السلطان مولاي الرشيد بعث له بخمسين دينارا لما ذكر له من صلاحه وفضله، فأبى أن يقبضها، وطالما حاوله الذي جاءه بها أن يمسها بيده فما فعل[3].

= - الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية لمحمد الأخضر.
- معجم المطبوعات العربية : سركيس.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى : ابن سودة.
- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين لابن المجذوب الفاسي : مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم : 2235.
- أزهار البستان في طبقات الأعيان : لأحمد بن عجيبة الحسني مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم : 417.

(1) سلوة الأنفاس : 316/2.

(2) المصدر نفسه : 316/2.

(3) انظر سلوة الأنفاس : 316/2.
- ومؤرخو الشرفاء : ص. 192.

ويصف زهده وورعه صاحب نشر المثاني[1] ناقلا عن صاحب المقصد[2] قائلا : «صاحبنا ومفيدنا السيد الفقيه النبيل المشارك العالم المحدث الصوفي الجليل الداركة الواعية الجليل المصنف المفيد، المتقي المجيد، ذو الفكر الصائب، والذهن الثاقب، الفاضل المبارك المنيف المنور والأعرف الزاهد العفيف الخير البركة أبو عبد الله المهدي».

واتباعا لنهج السلف الصالح، وسيرا على مذهب ونهج المغاربة، واقتداء كذلك بالعائلة الفاسية الفهرية وجهه والده أحمد بن علي الفاسي إلى حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة حتى أتقن حفظه وأحكم أداءه ورسمه[3].

وتحفيظ القرآن الكريم في سن مبكرة هو دأب المغاربة وديدنهم هذا وإن دل على شيء، فإنما يدل على الأصالة في الدين والحفاظ على معالمه، وأولى معالمه القرآن الكريم.

وللعلامة ابن خلدون في تحفيظ القرآن الكريم كلام طويل يقول فيه : «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الايمان، وعقائده، من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه»[4].

وعن طريق المغاربة في تحفيظ أولادهم القرآن الكريم، يقول ابن خلدون أيضا في مقدمة تاريخه : «فأما أهل المغرب، فمذهبهم في الولدان الاقتصار على القرآن

---

(1) نشر المثاني : 80/2.

(2) صاحب «المقصد» هو أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري ولد بفاس سنة 1058هـ، اهتم بدراسة أنساب الشرفاء المستقرين بفاس مهما كان الفرع الذي يربطهم بالشجرة النبوية في كتاب المسمى «بالمقصد الأحمد في التعريف بسيدنا عبد الله أحمد».
– مؤرخو الشرفاء : ص. 196.

(3) عناية أولي المجد : 44. :

(4) مقدمة ابن خلدون : ص. 470.

فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه، لا من شعر، ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل الأمصار في المغرب، ومن تبعهم من قرى البربر إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة ...»[1].

ولما أتقن محمد المهدي الفاسي حفظ القرآن الكريم بموطن مولده القصر الكبير ارتحل إلى مدينة فاس[2] لينهل من علمها الفياض ويأخذ عن شيوخها الكبار.

ومدينة فاس كما وصفها المؤرخون -وكما هو معروف- مدينة لم تزل يوم أسست مأوى للغرباء، من دخلها استوطنها وصلح حاله بها، وقد نزلها كثير من الفقهاء والعلماء، والصلحاء والأدباء، فهي في القديم والحديث دار علم وفقه وصلاح ودين وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها.

ففي ربوع هذه المدينة العريضة اكتملت نشأة محمد المهدي الفاسي موطن عائلته الفاسية الفهرية واشتغل بقراءة العلم حتى صار عالما كبيرا يرجع إليه في كثير من العلوم والفنون.

ووصفه صاحب التقاط الدرر[3] قائلا : «أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن رأس في العلم والعمل والزهد والورع».

وكانت وفاته رحمه الله بمدينة فاس في يوم السبت تاسع شعبان سنة تسع ومائة وألف (1109 هـ)، ودفن بداخل قبة جده الشيخ أبي المحاسن يوسف قريبا منه.

---

(1) المصدر نفسه : ص. 470.

(2) مدينة فاس تعد من أعظم مدن المغرب الأقصى، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس، وأسست عدوة الأندلسيين في سنة 192 هـ، وعدوة القرويين في سنة 193 هـ في ولاية ادريس بن ادريس الفاطمي الذي قام بتأسيسها.
– انظر : الروض المعطار : 434. والأنيس المطرب : 38.

(3) التقاط الدرر : 272.

ويذكر صاحب السلوة[1] أن ترجمة محمد المهدي الفاسي واسعة جدا وأخباره كثيرة، وقد ألف فيها بالخصوص الفقيه المؤرخ أبو العباس بن عبد الوهاب الوزير الغساني[2] وسماه : «جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي»[3].

المبحث الثاني :

*** منزلته العلمية واهتمامه بعلم التصوف :**

مما لا شك فيه أن محمدا المهدي الفاسي استطاع بهمته العالية ونبوغه الفكري العميق، وقوة حفظه واستنباطه، بالإضافة إلى صلاحه أن يكون عالما متفقها، متضلعا في مختلف العلوم، راسخ الملكة في أكثر الفنون.

ويصف المولى سلميان[4] رسوخه في كثير من العلوم قائلا : «صار رأسا في العربية والفقه والعقائد، وأما التفسير والحديث والسير والتاريخ والأنساب فلا يدرك له فيها شأو في وقته مع الضبط والإتقان وجودة الخط بما أربى على الأقران، فتجرد عاكفا على التدريس والتأليف والتقييد والعبادة والإضافة والاستفادة».

وعنه قال صاحب السلوة[5] «فكان الإمام الكبير الشأن الجامع بين العلم والعرفان، متضلعا بالشريعة والحقيقة سالكا بهما على مثلى الطريقة، واسع العارضة في الحفظ والتحصيل لا يجاريه في التحقيق محقق ولا نبيل. وكان متجردا دائما لتدريس العلم والتأليف والتقييد والإفادة والاستفادة».

ونظرا لهذه المكانة العلمية التي تبوأها محمد المهدي الفاسي، كان يفد عليه الناس والطلبة من كل صوب وحدب يأخذون عنه، ويستفتونه فيما غمض عليهم، إذ كان

---

(1) سلوة الأنفاس : 317/2.

(2) هو أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني أخو سفير السلطان المولى إسماعيل إلى إسبانيا محمد الوزير. ولد بفاس سنة 1063هـ، كان من الملازمين للشيخ أحمد بن عبد الله معن، ولي التوثيق والإمامة بضريح محمد بن عبد الله بن معن من مؤلفاته : «جلاء القلب القاسي».
– مؤرخو الشرفاء : ص. 215.

(3) لعل الكتاب من أهم الكتب التي ترجمت لمحمد الفاسي غير أني لم أقف عليه في المكتبات العامة. ويذكر محمد الأخضر في فهرسة كتابه «الحياة الأدبية في المغرب». أن كتاب «جلاء القلب القاسي» مخطوط خاص بمكتبة العابد الفاسي».

(4) عناية أولي المجد : ص. 45.

(5) سلوة الأنفاس : 317/2.

قوي الاستنباط فائقا على غيره في المناظرات العلمية، متجليا في كل ذلك بسمة التواضع العلمي.

ومؤلفاته العديدة في مختلف العلوم خير شاهد على هذه المنزلة العلمية المتألقة.

*** اهتمامه بعلم التصوف :**

كان محمد المهدي الفاسي محبا لأخبار الصالحين، بهجا بذكر كراماتهم، معتنيا بجمع محاسنهم، غواصا على دقائق علم التصوف، مبينا لما أشكل منه.

أخذ علم الطريقة عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الأندلسي، الذي كان مفرطا في إطرائه، شديد المحبة له ملازما لزاويته، مواظبا على قراءة الأحزاب بها[1]، إذ لازمه بقصد الاقتداء والاتباع والتبرك والانتفاع، فانتفع به نفعا ظاهرا وباطنا، ونال منه بركة وخيرا وافرا، وحصل له فتح في الطريق، وذوق في التحقيق، وبقي معه إلى أن توفي حيث امتدت صحبته له سبع سنين[2].

ومن اهتمام محمد المهدي الفاسي بعلم التصوف عنايته على الخصوص بالحركة الصوفية بالمغرب حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري.

واهتم أيضا بتاريخ المدرسة الشاذلية وما تفرع عنها من الطريقة الجزولية[3] والزروقية. حيث عرفت الطريقة الشاذلية– التي زرع بذورها الإمام أبو الحسن الشاذلي[4] تلميذ القطب الشهير مولاي عبد السلام بن مشيش منذ ظهورها في

---

(1) سلوة الأنفاس : 317/2.

(2) نشر المثاني : 18/2.

(3) يذكر بروفنصال في كتابه مؤرخو الشرفاء : ص. 163 أن ابن عسكر يعد المؤرخ الأول للحركة الجزولية بالمغرب في كتابه المسمى «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر».

(4) ترجمته في – شرح الحزب الكبير لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي، وهو مخطوط بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا رقم : 200 الورقة : 3 أ.
– شجرة النور الزكية : ص. 186.
وللإمام الشاذلي عدة أحزاب بها اشتهر منها الحزب الكبير، وحزب اللطف، وحزب الفتح، وحزب الوسيلة، وحزب البحر، وحزب النجاة، وهي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم المخطوط : 3352 د ضمن مجموع من الورقة : 218 أ إلى الورقة : 288ب.

المغرب حوالي القرن الثامن الهجري- تطورا سريعا لتصل أوج ازدهارها، ولتحقق بعد ذلك السيادة المطلقة من لدن مجدديها على الطريقة الجزولية والزروقية.

وعن الطريقة الشاذلية يقول محمد المهدي الفاسي : «ثم الشيخ القطب شيخ الطريقة : أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه له طريقان : طريق الإرادة وطريق التبرك : فأما طريق الإرادة والتحكم فليس له فيهما إلا الشيخ القطب أبو محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني الإدريسي المحمدي صاحب جبل العلم رضي الله عنه»[1].

ويرى محمد المهدي الفاسي أنه لما كان غالب طرق «أهل الله» بالمغرب في هاتين المائتين العاشرة والحادية عشر، ترجع إلى شيخين جليلين الشيخ الإمام العالم الكامل القطب الجامع أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الجزولي[2] ثم السملالي الشريف الحسني. والشيخ الإمام العلامة العارف الرباني شيخ وقته أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بالشيخ زروق[3].

اهتم محمد المهدي بطريقتيهما في العديد من مؤلفاته، وذكر طرق أسانيدهما إلى الطريقة الشاذلية خاصة في كتابه : «ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع ومن لهما من الأتباع» فالكتاب عبارة عن تاريخ للحركة الجزولية بالمغرب في شكل سلسلة من التراجم لأشهر رجالاتها، وفي مقدمتهم أبو عبد الله الجزولي، وأبو فارس عبد العزيز التباع، أجمل فيها أخبارهم، وما كان لهم في شأن ميادين الورع والإحسان.

وأتبع هذا الكتاب بمؤلف آخر في الموضوع نفسه سماه : «الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع وتحفة أهل الصديقية بأسانيد أهل الطائفة الجزولية والزروقية» وفيه تحدث عن أحمد زروق مؤسس الطائفة الصوفية المتفرعة عن المدرسة الجزولية.

---

(1) ذكره في مطلع كتابه «تحفة أهل الصديقية»، وهو مخطوط الخزانة العامة بالرباط : رقم : 2990 ك.

(2) ترجمته في الضوء اللامع : 258/7.
- وسلوة الأنفاس : 339/3.

(3) ترجم له ابن عسكر في الدوحة : 38.
- وابن القاضي في الجذوة : 64.
- وأحمد بابا في نيل الابتهاج : 71.
- ومحمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن : 192.
- والكتاني في السلوة : 183/3.

أما عن طريقة محمد المهدي الفاسي فهي بدون شك طريقة فاسية مجذوبية يرجع أصلها إلى جده أبي المحاسن[1] الشيخ العارف القطب يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمان بن أبي بكر الحفيد بن الجد الفهري، يعرف بالفاسي، ولد سنة 937هـ بالقصر الكبير، وبه نشأ، قرأ القرآن العظيم في صباه وأحكم قراءته بحرف نافع على الشيخ الصالح أبي الحسن العربي، وقرأ على بعض شيوخه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وألفية ابن مالك ولاميته ... سافر مع أبيه إلى مدينة فاس بقصد القراءة، فأخذ بها عن جماعة من أكابر الشيوخ، كان يعقد مجالس لإقراء أنواع العلوم، تنافس الناس في حضورها والإكباب عليها، قال فيه المولى سليمان : «كان فصيح اللسان متمكنا من الإيضاح والبيان، أعطي بسطة في التعبير، وإيراد المعنى الغامض باللفظ السهل القصير، وتنزيل المعقول منزلة المحسوس ... وكان يطرز ما يلقيه من أنواع العلوم بنكث ربانية، وإشارات عرفانية وإشادات رقيقة، وحكايات رشيقة، لا يصدر ذلك إلا عن قلب معمور ولسان مأمور، وحال غالب وقلب طالب...».

أخذ أبو المحاسن يوسف طريقته الصوفية عن والده وعن جده أبي الحجاج بن عبد الرحمان، إذ كان والده محمد بن يوسف من كبار أصحاب مؤسسي الطريقة الزروقية[2]، بينما انتسب جده إلى الطريقة الجزولية[3].

وانعكس هذا التراث الروحي على حياة أبي المحاسن، إذ انخرط في سلك الطريقة منذ صباه[4]، وكان له رحلات علمية صوفية متكررة لمؤسسات العلم والتصوف في مختلف نواحي المغرب.

---

(1) ترجمته في : عناية أولي المجد : ص. 16-17-18.
- مرآة المحاسن : 8.
- ابتهاج القلوب : 181.
- ممتع الأسماع : 121.
- مؤرخو الشرفاء : 168.

(2) مرآة المحاسن : 135.

(3) المصدر نفسه : 135.

(4) عناية أولي المجد : 17.
- مرآة المحاسن : 8.
- ممتع الأسماع : 119.
- سلوة الأنفاس : 307/2.

وتنتسب الطريقة المجذوبية إلى الشيخ أبي زيد عبد الرحمان المجذوب[1]، الذي صحبه أبو المحاسن يوسف، وأخذ عنه الطريقة وشب عليها.

وكان عبد الرحمان المجذوب يقول في أبي المحاسن بأنه يكون إماما في العلمين الظاهر والباطن، ويقول إنه لا بد أن يكون في مقام الغزالي[2].

وعن هذا الإرث الصوفي الفاسي الذي سمي بالطريقة المجذوبية يقول صاحب أزهار البستان «أحاط بميراثه وذهب بأسبابه الشيخ الكامل الموصل الواصل القطب الإلهي المتمكن أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي ... ثم أحاط بميراثه بفضله أخوه الأكبر المقدم في كل فن من علوم الشرع سلطان العشاق أبو محمد عبد الرحمان العارف بن محمد ثم أحاط بميراثها الشيخ الكامل سيدي محمد بن محمد بن عبد الله ويعرف بمعن[3]...»[4].

ثم انتقل هذا الإرث الصوفي إلى الشيخ قاسم الخصاصي، والشيخ أحمد بن عبد الله بن معن، وعن هؤلاء الشيوخ الأعلام أخذ محمد المهدي الفاسي الطريقة الصوفية المسماة بالفاسية انتسابا إلى أبي المحاسن يوسف الفاسي، أو المجذوبية انتسابا إلى شيخ أبي المحاسن عبد الرحمن المجذوب[5].

هذه الطريقة التي امتزجت بكمالات روحية للشيخين الفاسي أبي المحاسن يوسف، والمجذوب أبي زيد عبد الرحمان، ويصف صاحب المقصد الأحمد هذا المزج بقوله: «اعلم أن الطريقة المجذوبية ذاهبة على سنن العرفان والمحبوبية من معرفة الله وكماله وجلاله وصفاته العلا وأساميه الحسنى، دائرة على الجذب والفنا، وخلوص التوحيد وكمال التجريد والعيان والشهود والغيبة في المعبود، ومشاهدة

---

(1) الشيخ العارف الكامل قطب الأحوال أبو زيد عبد الرحمان المجذوب بن عبد القادر الدكالي الفرجي:
- عناية أولي المجد: 18.

(2) عناية أولي المجد: 19.

(3) هو أحد شيوخ محمد المهدي الفاسي سوف نتعرض لترجمته في الفصل المخصص لشيوخه.

(4) أزهار البستان في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمن، لعبد الرحمن الفاسي: وهو مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم: 583: ص. 7.

(5) المصدر نفسه: 289.

أن الحب وكل خير مزيد من مالك الملوك لا من العبيد، وهذه الطريقة هي طريق الولادة الروحانية ومنبع أسرارها. وقد زادها الشيخ أبو المحاسن الفاسي كمال تربية وتهذيب ورياضة معنوية».

وكانت تعتمد هذه الطريقة ملازمة قراءة الأحزاب الشاذلية كحزب البحر، وحزب الفلاح، والحزب الكبير، والوظيفة الزروقية والصلاة المشيشية، ثم حلقات الذكر من هيللة وتصلية وحمدلة.

هذا أهم ما يميز مكانة محمد الفاسي المهدي العلمية، واهتمامه بحركة التصوف ورجالاتها.

الفصل الثاني

الشيوخ والتلاميذ

المبحث الأول : شيوخــه :

أخذ محمد المهدي الفاسي عن كثير من الشيوخ حتى أصبح حافظا جامعا راسخ الملكة في أكثر العلوم والفنون، في العربية والفقه والعقائد والتفسير والحديث والسير والتاريخ والأنساب، واعتمد في ذلك جماعة من العلماء والشيوخ المبرزين في شتى العلوم حتى أصبح عالما وشيخا كبيرا يفد عليه طلبة العلم من كل فج عميق.

وفي هذا الفصل سأحاول التعريف بشيوخه وبمنزلتهم العلمية، ممن وقفت عليهم في كتب التراجم .

*** والده أبو العباس أحمد الفاسي[1] :**

هو أبو العباس أحمد بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف، ولد بالقصر الكبير في الرابع من صفر سنة سبع وتسعين وتسعمائة (997هـ)، ونشأ به في كفالة أبيه، قرأ القرآن وحفظه رسما وأداء، وحفظ المتون.

رحل إلى مدينة فاس، فأخذ عن مشايخها كعمه الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي المحاسن يوسف، وعم أبيه العلامة العارف أبي زيد عبد الرحمان بن محمد

(1) مصادر ترجمته :
- عناية أولي المجد : 32، 33.
- سلوة الأنفاس : 315/2.
- نشر المثاني : 58/2.
- موزخو الشرفاء : ص. 170.

الفاسي... وغيرهم من مشايخ عصره، ورجع إلى القصر بعلم غزير فدرس به وأفاد، وصار أحد الأئمة المعتبرين والأعلام المشهورين، شارك في عدة علوم، واشتهر بحسن الإلقاء والتدريس، كان متسع العارضة في الحفظ والفهم. واتصف بالصلاح فكان خيرا دينا ناصحا، محببا إلى العامة، وكان لهم فيه اعتقاد عظيم، أدرك جده أبا المحاسن ونال من بركته.

أخذ عنه ولده محمد المهدي الفاسي، وفي ذلك يقول المولى سليمان : «اشتغل بقراءة العلم على أبيه حتى ظهرت نجابته وعلت على الأقران مكانته»[1].

استوطن أبو العباس أحمد الفاسي مكناسة الزيتون مدة، ثم استوطن بفاس آخر عمره إلى أن سافر إلى القصر الكبير، فأدركته منيته يوم الجمعة ثاني عشر شوال سنة 1062هـ، وحمل جثمانه إلى فاس فدفن قريبا من قبر جده أبي المحاسن يوسف.

*** عمه الشيخ أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي[2] :**

هو أبو محمد عبد القادر بن علي بن الشيخ يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمان القصري أصلا الفاسي دارا وشهرة. ولد بمدينة القصر الكبير ثاني رمضان سنة سبع وألف (1007هـ). نشأ في حجر أبيه، وقرأ عليه عدة من العلوم كالنحو والفقه والحديث وغيره، ثم ارتحل إلى فاس في حياة أبيه سنة خمس وعشرين وألف (1025هـ)، فاتصل بعم أبيه الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي اتصال الفرع بالأصل، وأخذ عنه علوما كثيرة من تفسير وحديث وفقه وعقائد وبيان ونحو وأصول، ومنطق ولغة وتفسير وتصوف، وسائر الفنون.

أما عن منزلته العلمية فيصفه حفيده وتلميذه العلامة أبو محمد الطيب بن الإمام سيدي محمد بن صاحب الترجمة في فهرسته قائلا : «هو الفقيه الإمام المحدث الحافظ المفسر الأصولي المتكلم النحوي، اللغوي المنطقي الأديب، الجدلي الحكيم

---

(1) عناية أولي المجد : ص. 45.

(2) مصادر ترجمته :

- عناية أولي المجد : ص. 37.
- نشر المثاني : 2/271.
- مؤرخو الشرفاء : ص.187.

النظار الصوفي، فريد الدهر، ووحيد العصر، جامع أشتات فنون العلم، والمبرز في سائر أنواع المعقول والمفهوم إمام الأئمة، وشمس الأمة، وشيخ المشايخ، وصدر الأكابر، ذو القدم الراسخ، ركن الإسلام وعلم الأعلام، وكهف الأنام، المحلى بحلية الأولياء الكرام الداعي إلى الله في السر والإعلان، والمناضل عن الحنفية السمحاء بالقلم واللسان... أستاذ الأستاذين وعماد الدين تاج العارفين أبو محمد عبد القادر بن علي بن الشيخ يوسف بن محمد...»[1].

كان مع اتساع علمه وعظمة جاهه يأكل من عمل يده، ينسخ صحيح البخاري كثيرا ويبيعه.

له «أجوبة»[2] كثيرة نحو السفرين، وله «العقيدة المشهورة»، وله كراسة في الفرائض والسنن، وكانت له فهرسة سجل فيها إسناده في رواية الحديث وعلم التصوف. وكان أكثر دروسه في التفسير والصحيحين والشمائل والرسالة لابن أبي زيد والإحياء للغزالي، وتنافس في الأخذ عنه مشايخ العلماء المشاهير بالمشرق والمغرب[3].

وأما عن ابن أخيه محمد المهدي الفاسي فلزمه إلى أن صار رأسا في العربية والفقه والعقائد، وأخذ عنه أيضا علم الباطن والتصوف.

توفي هذا الشيخ الكبير أبو محمد عبد القادر الفاسي في رمضان 1091 هـ.

*** خاله : الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي[4] :**

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي المحاسن يوسف، ويكنى أيضا أبا القاسم، ولد بفاس سنة ثمان وألف وبها نشأ في حجر أبيه وجده ن فقرأ القرآن، ثم اشتغل

(1) نشر المثاني : 270/2.

(2) أجوبة وفتاوى الشيخ عبد القادر متعددة، وقد طبعت منها الفتاوى الكبرى والصغرى مرات عديدة بفاس وإليها المرجع في الأحكام.
– انظر الهامش(1) من عناية أولي المجد : ص. 39.

(3) عناية أولي المجد : ص. 39.

(4) مصادر ترجمته : عناية أولي المجد : ص. 35.
– سلوة الأنفاس : 316/2.
– نشر المثاني : 205/2.

بخدمة العلم على طريقة التحصيل، ملازما لعم أبيه الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد، يغترف من بحر علمه وعرفانه، وأخذ أيضا عن عمه الشيخ أبي حامد العربي بن أبي المحاسن فتضلع في جميع العلوم إلى أن صار إماما حجة، وسالكا واضح المحجة، قائما بتدريس الفنون كان آية من آيات الله في الحفظ لا يجارى في ذلك في سائر العلوم مع قوة الفهم وحسن العبادة، ولين الجانب ومكارم الأخلاق.

ولي القضاء بمكناسة الزيتون مدة طويلة واستوطن بفاس فولي بها الفتوى، وخطابة جامع القرويين، ثم أخر عنها فلزم التدريس والتقييد والإفادة للخاص والعام، فأخذ عنه خلق كثير، وانتفع به جمع غفير. منهم محمد المهدي الفاسي، فقرأ عليه «تسهيل الفوائد لابن مالك» في النحو، و«تلخيص البقوري لقواعد العراقي» وغير ذلك.

توفي أبو عبد الله محمد بن أحمد عند غروب ليلة المولد النبوي، ودفن يوم المولد سنة أربع وثمانين وألف (1084هـ).

*** الشيخ محمد بن عبد الله معن الأندلسي[1] :**

هو أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله معن به دعي الأندلسي من أكابر الصوفية الأعلام، ومن مشايخ الطريقة في البدء والتمام، تخرج به الأولياء والمشاهير. وممن اهتموا به وبعلمه وترجمته محمد المهدي الفاسي في كتابه «ممتع الأسماع في الشيخ الجزولي والتباع ومن لهما من الأتباع».

وجرد ترجمته أيضا في جزء سماه «عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة»[2].

---

(1) مصادر ترجمته :

- عناية أولي المجد : ص. 37.
- سلوة الأنفاس : 202/1.
- نشر المثاني : 2/55-56-58.
- المقصد الأحمد : ص. 290.
- ممتع الأسماع.
- مؤرخو الشرفاء : ص. 192.

(2) قال صاحب نشر المثاني : 55/2 «وقد رأيته بخطه».

حفظ محمد بن عبد الله معن القرآن في صباه وجوده بحرف نافع على الأستاذ أحمد بن عثمان اللمطي. وتصدى لطلب العلم، ثم أولع بالعبادة والاعتكاف في المساجد، وكان دائم الزيارة للشيخ سيدي أبي عبد الله التاودي، ومولاي عبد السلام بن مشيش.

يذكر صاحب «الممتع» محمد المهدي أن محمدا بن عبد الله معن ورث من والده مالا كثيرا، فصرفه في الفقراء والمساكين حتى لم يبق بيده دينار ولا درهم. وجعل يأكل من عمل يده، وما يتناوله من الأسباب.

تتلمذ عليه محمد المهدي الفاسي وتضلع في التصوف على يده.

ولد صاحب الترجمة في حدود ثمان وسبعين وتسعمائة 978هـ وتوفي في يوم الأحد الثالث من جمادى الثانية سنة اثنين وستين وألف 1062هـ.

*** قاسم الخصاصي[1] :**

هو أبو الفضل قاسم الخصاصي الأندلسي، والخصاصي نسبة لخصاصة مدينة على شاطئ البحر بجبل القليعة لا عمارة فيها الآن. كان بها سلفه، ثم انتقلوا إلى فاس، وحكي عنه أنه قال نحن من الأندلس[2].

قال العلامة المحقق سيدي محمد المهدي الفاسي في كتابه «الإلماع» «كان أي صاحب الترجمة من شأنه الغالب عليه في التوحيد الاستغراق في بحر التحقيق».

وله كرامات كثيرة، وأفرد له صاحب كتاب نشر المثاني ترجمة في تقييد له سماه «بالزهر الباسم في مناقب سيدي قاسم»[3].

ولد الشيخ قاسم الخصاصي في حدود اثنين وألف 1002 هـ، وتوفي في يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وألف : 1083هـ.

---

(1) مصادر ترجمته :
- نشر المثاني : 199/2.
- الصفوة : ص. 171.
- الروض العاطر : الأنفاس : 46.
- مؤرخو الشرفاء : ص. 192.

(2) نشر المثاني : 199/2.

(3) ذكره صاحب مؤرخو الشرفاء : ص. 228، وقال «ترجم فيه للشيخ الصالح قاسم الخصاصي».

*** الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن معن[1] :**

هو سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي، أخذ عنه محمد المهدي الفاسي الطريقة وقال فيه في كتابه «الإلماع» يصف فضائله : «فهو الفتى ا لذي ما مثله فتى، والرجل الذي ما مثله في وقته أتى، ففي الغيبة في الله وعلو الهمة والشغل به عما سواه غاية، وقد رفع عنه حجاب النهاية، وكشف بالحقيقة كشفا، وصارت له لباسا ووصفا، وفي البقاء بعد الفناء والقيام بحالة الجمع والفرق، وفي اتباع السنة والبحث عنها قد حصل من ذلك على الحظ الأوفر، وفي الالتحاق بحزب السلف الصالح في ذلك ما ونى[2] ولا قصر، وفي الفتوة والأخلاق الزكية الكريمة، والشيم المرضية المستقيمة آية الزمان، والمعجزة التي جعلت عن مباراة الأقران وفي الفرار من الدعاوى غاية الإمكان، وفي الفقر إلى الله والغنى والتعزز به سابح مطلقة له اليدان».

وكان من الأعلام المنفردين في زمنه برسوخ القدم في الطريقة، واتباع السنة على قدم السلف الصالح، آية في السخاء وبذل المعروف بنفسه وماله مع توضيح العبارة ولطيف الإشارة، قيلت فيه قصائد كثيرة، وألف فيه القادري مؤلفا خاصا سماه : «بالمقصد الأحمد في التعريف بسيدنا عبد الله أحمد». جعله اثني عشر بابا، في نسبه وأبويه وعشيرته وفي نشأته، وفي مواجده وأحواله وفي سيرته السنية، في كرمه وسخائه في زهده ودلالته على الله، في أسانيد طريقته...

وألف فيه أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير[3] كتابا سماه «المقباس في فضائل سيدنا العباس»[4].

---

(1) مصادر ترجمته :
- المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا عبد الله أحمد.
- نشر المثاني : 182/3.
- سلوة الأنفاس : 288/2.
- ممتع الأسماع.

(2) الونى : الفتور في الأعمال والأمور، والونى : ضعف البدن، فهو وان، ونيت : ضعفت.
- اللسان : 4928/6. مادة : وني.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) ذكره صاحب نشر المثاني : 183/2 .
- ومؤرخو الشرفاء : 216.

* **الشيخ محمد بن أبي القاسم بن سودة[1] :**

الفقيه الكبير الفاضل العلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن سودة المري، أحد الأعلام آخر قضاة العدل بفاس. اتصف بالعدل في ولايته، وبالدين وكمال المروءة والإنصاف، أخذ عنه أبو زيد بن عبد القادر الفاسي وغيره. وقال الحافظ أبو زيد «سمعت منه جملة من التفسير والرسالة، والحكم لابن عطاء الله، وتحفة ابن عاصم بشرحها لسيدي محمد ميارة، وهي آخر ما قرئ عليه، وذلك سنة اثنين وستين وألف 1062هـ»[2].

ولد صاحب الترجمة سنة 1003 هـ، وولي قضاء فاس في شعبان عام 1057هـ. وتوفي يوم الأحد 25 من ذي القعدة الحرام سنة 1076هـ.

هؤلاء أهم الشيوخ الذين أخذ عنهم محمد المهدي الفاسي، ولازمهم في مجمل العلوم ومختلف الفنون. وممن ذكر له أيضا من الشيوخ[3]، الشيخ حمدون المزوار، ومحمد بن أحمد الزموري، وأبو العباس بن جلال.

المبحث الثاني : تلاميـذه :

نظرا للمكانة العلمية التي تبوأها محمد المهدي الفاسي ورسوخه في كثير من العلوم تتلمذ عليه كثير من العلماء الجهابذة انتفاعا بعلمه نذكر منهم :

* **محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي[4] :**

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شيخ الإسلام عبد القادر بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف، ولد بفاس في حجر أبيه وجده، وقرأ القرآن بالسبعة،

---

(1) مصادر ترجمته – : نشر المثاني : 2/150.
– سلوة الأنفاس : 112/1. – التقاط الدرر : 272.
(2) سلوة الأنفاس : 112/1.
(3) ذكرهم الكتاني في السلوة : 316/2. – والقادري في التقاط الدرر : 272.
(4) مصادر ترجمته :
– عناية أولي المجد : 51. – نشر المثاني : 256/3.
– سلوة الأنفاس : 319/1. – مؤرخو الشرفاء : 210.

ثم اشتغل بقراءة العلوم اشتغال مشاركة، أخذ عن أبيه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر، وعمه أبي عبد الله محمد بن عبد القادر وغيرهم ولازمهم إلى أن كان علامة مشاركا في العلوم العربية والبيان، والمنطق والفقه والحديث والتفسير، لا يجارى في التصوف والتاريخ والأنساب، منفردا بعلم الحساب والفرائض والميقات والجدول وغيرها من تعاليم الحكماء. كان متسع الرواية عن مشايخ المغرب والمشرق، فأجازه من لا يحصى كثرة حسبما تضمنته فهرسته الجامعة النافعة المسماة «بالمنح البادية في الأسانيد العالية»[1].

أخذ عنه جماعة من العلماء المعتبرين كالشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني[2].

كانت ولادته بفاس يوم 19 جمادى الثانية سنة 1058هـ. أصيب في آخر عمره بالشلل، وكانت وفاته في خامس جمادى الثانية سنة أربعة وثلاثين ومائة وألف : 1134، ودفن مع والده وجده بزاويتهم بالقلقليين من فاس القرويين.

*** أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي[3] :**

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم محمد بن الشيخ أبي المحاسن يوسف، ولد بفاس وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن.

---

(1) أورد في فهرسته «المنح البادية والأسانيد العالية» معلومات غزيرة تتعلق بأشياخه وأقاربه، استفاد منها الإفرايني فيما أورده في النزهة والصفوة.
– انظر مؤرخو الشرفاء : ص. 210.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الفاسي الفقيه العالم الصوفي الجليل، ولد بفاس وبها نشأ له مؤلفات عديدة منها : فهرسته في ذكر أشياخه، وشرح على الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرح على لامية الزقاق في الأحكام... توفي سنة 1163 هـ.
* ترجمته في :
– أزهار البستان : الورقة 217 أ.
– تذكرة المحسنين : ص. 6.
– الفكر الإسلامي في تاريخ الفقه الإسلامي : 289/2.
– سلوة الأنفاس : 141/1.
– عناية أولي المجد : ص. 72.

(3) مصادر ترجمته :
– عناية أولي المجد : 52.
– نشر المثاني : 330/3.

اشتهر بالحفظ والإتقان، وكان عذب العبارة، حسن الإشارة، ممن له عارضة اللسان في التدريس والخطبة والفتوى، ولي قضاء فاس الجديد، ثم انتقل إلى زرهون فولي الإمامة والخطابة بجامعة الإدريسي، ثم إلى مكناسة الزيتون، فولي الخطابة والتدريس بجامع القصبة السلطانية.

وكل ذلك على عهد أمير المؤمنين اسماعيل، أخذ عن كثير من الشيوخ الأفذاذ كالشيخ محمد المهدي الفاسي، وتتلمذ عليه كثير من طلبة العلم من العلماء الجهابذة كالشيخ عبد المجيد الزبادي[1] الذي رثاه بأبيات طويلة مطلعها :

نار الفراق أخي أبت أن تنطفي والموت للأخيار حقا يصطفي[2]

توفي في جمادى الأولى عام اثنين وأربعين ومائة وألف 1142هـ.

*** أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي[3] :**

أبو عبد الله محمد -بالفتح- بن عبد القادر بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف، ولد بفاس في النصف من ربيع الأول عام اثنين وأربعين وألف 1042 هـ، وبها نشأ في حجر أبيه شيخ الإسلام عبد القادر، وقرأ القرآن وأحكم تجويده، ثم أخذ في قراءة العلوم على كثير من الشيوخ الجهابذة كالشيخ محمد المهدي الفاسي، والشيخ أحمد الزموري.

وأجازه أيضا جمع من أشياخ المشارقة كالشيخ أبي عبد الله الخرشي، وغيرهم ممن تضمنته فهرسته التي جمعها ابنه الشيخ أبو عبد الله الطيب.

برع في كثير من العلوم كالعربية والأصلين والمنطق، والفقه والحديث والتفسير والتصوف، وصار إماما في المعقول والمنقول.

---

(1) هو أبو السعد عبد المجيد بن علي الزبادي الحسني العلامة الصوفي اللغوي العروضي، برع في علم العربية وفي الطب، رحل إلى المشرق قصد الحج، وألف في ذلك رحلة، توفي سنة 1163 هـ.
- ترجمته في : نشر المثاني : 78/4. - شجرة النور : 353.
- اليواقيت الثمينة : 177. -الأعلام للزركلي : 149/4.

(2) نشر المثاني : 330/3.

(3) مصادر ترجمته :
- عناية أولي المجد : 48. - نشر المثاني : 151/3.

اشتهرت فضائله وضرب به المثل في الورع، وعلو الهمة والتسليم للأقدار والتوجه إلى الله الملك القهار، والاجتهاد في نشر العلم ولزوم العبادة والتحري عن الشبه وإخماد البدع التي جرت بها العادة والقيام بالحق وبذل النصيحة للخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ ما أمكن بالنسبة وصحيح الأثر[1]، توفي سنة 1120هـ.

* **أبو عبد الله محمد الطيب الفاسي[2] :**

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد -بالفتح- بن شيخ الإسلام عبد القادر. ولد بفاس سنة أربع وستين وألف 1046هـ، وبها نشأ في حجر أبيه وجده، وقرأ القرآن وجوده تجويد أهل الضبط والإتقان، واشتغل بقراءة العلم بذهن ثاقب، وفهم صائب، حتى صار علامة حافظا متبحرا متقنا ماهرا في العربية، متضلعا في الفقه والحديث والأصول والبيان، والمنطق والتصوف، بصيرا بالتاريخ.

جمع بين التأليف والتديس والإفتاء، أدرك جده الشيخ عبد القادر بن علي وأخذ عنه، وانتفع به ظاهرا وباطنا، وأخذ عن الشيخ محمد المهدي الفاسي، وأجاز له الشيخ أبو عبد الله محمد الخرشي المصري.

له مؤلفات كثيرة منها : شرحه على «مقدمة جده في الأصول»، وفهرسة أشياخ أبيه سماه : «أسهل المقصد لحلية الأشياخ ورفع الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد». وله تقاييد وأجوبة في غاية الإجادة.

اختاره السلطان المولى إسماعيل للسفارة في عقد الصلح مع عظيم الأتراك. توفي سنة 1113هـ.

---

(1) عناية أولي المجد : 48.

(2) مصادر ترجمته : عناية أولي المجد : 46.
- الحياة الأدبية : 138.
- نشر المثاني : 2/167.
- التقاط الدرر : ص. 50.
- سلوة الأنفاس : 1/318.

* **محمد العربي القادري[1] :**

هو أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب بن محمد الحسن القادري. ولد بفاس في رجب 1056هـ. أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، والشيخ محمد المهدي الفاسي، وأبي علي الحسن اليوسي.

تعاطى للعلوم الصوفية بين يدي عدة أشياخ، منهم أحمد بن عبد الله معن السابق الذكر، وقاسم الخصاصي.

اهتم محمد العربي القادري بتاريخ الشرفاء القادريين، فخصص فيهم تأليفا صغيرا. اختصر كتاب «تحفة أهل الصديقية»، ثم ذيله بإضافات جديدة اعتمد فيها الشيخ محمد المهدي الفاسي عن أتباع الجزولي وأحمد زروق، وسَمّى هذا المختصر «بالطرفة في اختصار التحفة»[2].

توفي بفاس في آخر شهر محرم 1106 هـ، ودفن خارج باب الفتوح بجانب قبر أبي المحاسن الفاسي.

هذا أهم ما يمكن ذكره من شيوخ وتلاميذ العلامة محمد المهدي الفاسي، وعددهم يفوق ماذكر، وخاصة شيوخه الذين اهتم بترجمتهم في كتابيه «ممتع الأسماع» و«الإلماع»، وجلهم أو كلهم على الطريقة الشاذلية التي عليها الجزولي، واتخذها المهدي الفاسي عن أشياخه وعنه تلامذته وطلبته.

---

(1) مصادر ترجمته : نشر المثاني : 158/2.
- سلوة الأنفاس : 354/2.
- موزخو الشرفاء : ص. 194.

(2) منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 407.

الفصل الثالث

آثـــاره العلميـــة[1]

خلف محمد المهدي الفاسي آثارا علمية كثيرة تدل على قيمته العلمية وعلى موهبته وقدرته على التأليف ويمكن ترتيب هذه المؤلفات كما يلي :

*** في القراءات :**

– الدرة الغراء في وقف القراء.

*** في السيرة :**

– سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر.
– العقد المنضد من جواهر ومفاخر مولانا محمد.
– كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج.

*** في الفقه والتوحيد :**

– النبذة اليسيرة، واللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة.
– شفاء الغلة وانقشاع السحابة عن حكم السكر أول الملة وتنزيه الصحابة.
– معونة الناسك بالضرورة من المناسك.
– تحفة الناسك بالمهم من المناسك.

---

(1) ذكرت هذه المصادر العلمية في :
– عناية أولي المجد : ص. 45.
– سلوة الأنفاس : 317/2.
– الحياة الأدبية في المغرب : ص. 139.
– مؤرخو الشرفاء.
– نشر المثاني : 80/2.
– التقاط الدرر : ص. 272.
– فهرس الفهارس : 205/1.

*** في التصوف :**

– ثلاثة شروح لدلائل الخيرات : كبير، ومتوسط، وصغير.
– ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع ومن لهما من الأتباع.
– الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع.
– تحفة أهل الصديقية في الطريقة الجزولية والزروقية.
– عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة.
– الرصاصة المطفية في الذب عن أهل الخفية.

*** في الأنساب :**

– داعي الطرب في أنساب العرب.

*** في التراجم :**

– الجواهر الصافية في المحاسن اليوسفية.
– روض المحاسن الزاهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن الباهية.

ومؤلفات أخرى : «كأوقات العام»، و«إجازة لمحمد بن زاكور» و«العرف الآسي في العرف الفاسي».

بعد استعراض هذه القائمة المهمة من مؤلفات محمد المهدي الفاسي في مختلف العلوم، سوف أتطرق للتعريف بالبعض منها مما وقفت عليه مطبوعا أو مخطوطا، دونما الإشارة إلى المؤلفات الأخرى لعدم الوقوف عليها في المكتبات، إلا ما وردت الإشارة إليه بذكرها في المصادر التي أوردتها في الهامش.

ومن هذه المؤلفات :

1- ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع[1] :

اهتم محمد المهدي الفاسي في هذا الكتاب بدراسة الحركة الصوفية في المغرب

(1) الكتاب مطبوع بمطبعة محمد الخامس بفاس سنة 1989 م الطبعة الأولى وهي بتحقيق : عبد الحي العمراوي، وعبد الكريم مراد.

منذ الجزولي وتلميذه التباع حتى نهاية القرن الحادي عشر. وبالجملة فالكتاب يسجل تاريخ المدرسة الشاذلية.

وأول الكتاب «الحمد لله رب العالمين وبه أستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وإمام المرسلين، ونخبة الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد فهذا ما تيسر من بعض البعض من التعريفات بمؤلف دلائل الخيرات للشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنهم : فهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي»[1].

بعد هذا التقديم استهل محمد المهدي الفاسي كتابه للتعريف بالإمام الجزولي وبفضائله قائلا فيه : «كان رضي الله عنه من العلماء العاملين والأئمة المهتدين، وممن جمع بين شرف الطين والدين، وشرف العلم والعمل، والأحوال الربانية الشريفة والمقامات العالية المنيفة»[2].

ثم استرسل في ذكر مقاماته الجليلة في التصوف، وكيف انتهج أتباعه نهجه في سائر نواحيه فقال : «ولقد ذكر بعضهم أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون، كلهم ممن نال خيرا جزيلا على قدر مراتبهم، وقربهم منه. هؤلاء أصحابه الذين أخذوا عنه ثم تفرقوا في البلاد، فأخذ الناس عنهم، وانتشرت أتباعهم واشتبكت فروعهم وامتدت، وحصل بهم نفع كثير عظيم ما لا يوصف، ولا يحاط به. وكان كثيرا من أصحابه أيضا تصحبه الآلاف من المريدين، وترد عليهم من الزوار والوافدين رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين»[3].

ونهج محمد المهدي الفاسي الطريقة الشاذلية الجزولية عن أتباع الجزولي، ويوضح ذلك بنص طويل ذكره في هذا الكتاب «ممتع الأسماع» هذا النص الذي بين فيه أصول هذه الطريقة وانتشارها خلفا عن سلف إلى أن وصلت إليه وفيه يقول :

(1) ممتع الأسماع : ص .1.
(2) ممتع الأسماع : ص .3.
(3) المصدر نفسه : ص. 3.

«وفي دوحة الناشر لأبي عبد الله محمد بن عسكر الشريف الشفشاوني عن شيخه سيدي أبي محمد بن عبد الله بن محمد الهبطي كان الشيخ القطب أبو عبد الله محمد الجزولي يربي أصحابه بقصيدة الشيخ أبي الحجاج الضرير في أصول الدين. وكان الشيخ أبو فارس عبد العزيز التباع، يربي أصحابه بالمباحث الأصيلة للشيخ العارف ابن البنا السرقسطي. وكان سيدي أبو محمد الغزواني يربي أصحابه بقصيدة الشيخ الشريسي، وكنت أنا أقرأها عليه وكان يصورها لي»[1].

ثم بعد ذلك بين أصول الطريقة الجزولية قائلا : بأن طريقة الشيخ صاحب الترجمة شاذلية – كما أشار إليه الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده – شأن عامة متأخري الشاذلية، ومن ذلك الإشارة إلى القطابة والخلافة والوراثة ونحو ذلك، وقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي في تأليف له : «ليس في الوجود أعلى من طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلالي، وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي تداركنا الله رضاهم، ثم قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ مولانا علي ومولانا علي شيخ الطريقة الشاذلية، وهي طريقة سيدي بن سليمان الجزولي. فاتصلت إليه بصحة التواتر خلفا عن سلف إلى زمانه، ومنه إلى سيدي، ومن سيدي إلينا، ومنا إلى من شاء الله إلى قيام الساعة»[2].

ثم ذكر سند هذه الطريقة أي سند الشيخ الجزولي إلى الشيخ الشاذلي، ويذكر أنه هدي إلى هذه السلسلة النورانية من الديار المصرية. ولعل هذه الطريقة هي طريقة متبصرة اهتدى إليها أصحابها عن هدي رباني وصوفية صحيحة المسار، ولا أدل على ذلك تلك النصوص والأقوال الكثيرة التي نقلها محمد المهدي الفاسي عن الجزولي استدلالا على صحة المسار والاتباع والاعتقاد من ذلك قوله : «ليس كل داع وجب اتباعه، والداعي على الحقيقة هو الذي يدعو إلى الله على بصيرة قال الله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾[3] أي معاينة»[4].

(1) ممتع الأسماع : ص. 21.
(2) المصدر نفسه : 21.
(3) جزء من الآية 108 من السورة 12 يوسف.
(4) ممتع الأسماع : ص. 26.

وختم محمد المهدي الفاسي التعريف بالجزولي بطريقته بما يلي : «وهذا ما تيسر لي من التعريف بالشيخ الجزولي رضي الله عنه، وما يتعلق به، ولم أر من ألف في ذلك أو قيد فأوعب فاستغنى وأستعين به، وسمعت أن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني التادلي الصومعي -رحمه الله- له تعريف بالشيخ وأتباعه، لكنني لم أره، فلي العذر في الاقتصار والقصور عن الإمتاع والإكثار»[1].

ثم بعد ذلك بدأ في سرد ما حضره من أتباع الجزولي من أصحابه، وأصحاب إخوته، وأصحاب أعمامه، وحفدته، وحفدة إخوته، ثم أبناء حفدة أعمامه.

فكان أول من اهتم بترجمته بعد الجزولي أبو عبد الله محمد الصغير ثم عبد العزيز التباع، وآخرهم كان مبارك المراكشي وبه ختم هذا المؤلف المبارك، وبهذا يكون عدد المترجمين من أتباع الجزولي مائة وثمانية وستون وارثا للطريقة الجزولية. ترجم لهم المؤلف بترجمة قصيرة ذكر فيها مولده ونشأته ووفاته وعلمه وعبادته، وكيف اتبع الطريقة الشاذلية عن الإمام الجزولي.

2- تحفة أهل الصديقية في الطريقة الجزولية والزروقية[2] :

اهتم المؤلف محمد المهدي الفاسي في هذا الكتاب بذكر أسانيد طرق اتصال الأتباع بالشيخين الجزولي وأحمد زروق.

وأول الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه. الحمد لله الذي أعز أولياءه المتقين، وحلاهم لعباده بأحلاهم به من حلية اليقين، وارتضى سيرتهم لعبادته، فمن رغب عنهم وسم بسمة الفاسقين، وجعل منهم سالكين ومجذوبين، وعارفين وصالحين وشهداء وصديقين، وصلى الله وسلم على رسوله المصطفى الكريم، عنصر مددهم الجسيم، ومنهل موردهم العظيم، وإنسان عينهم السليم، وقطب عوالمهم الفخيم وبرهان أمرهم القديم، الجامع لما افترق في أهل الخصوص في الحديث والقديم... وإمام جامع حضرة الربوبية لكافتهم على الشمول والتعميم المختص منهم بالرواية كفاحا والمشافهة بالتكليم،

(1) المصدر نفسه : ص. 34.
(2) الكتاب مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2990 ك.

وعلى آله وأصحابه أولياء الإجلال له والتعظيم، الذين مهدوا الدين وأوضحوا سبيله للمهتدين...»[1].

بعد هذا التقديم وضح مسلكه في هذا الكتاب وموضوعه الذي رام الحديث عنه وبسط عناصره، ثم ذكر أنه لما كان غالب طرق أهل الله بقطرنا هذا في هاتين المائتين العاشرة والحادية عشر، ترجع إلى شيخين : الشيخ الإمام العالم الكامل القطب الجامع الكبير أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن سليمان الجزولي، والشيخ الإمام العلامة المحقق الفهامة العارف الرباني شيخ وقته أبي العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي المؤذن عرف بزروق رضي الله عنهما، ذكر أنه أراد أن يجمع أسانيد اتباعهم وطرق اتصالهم بالشيخين المذكورين من محب لهم ومتصرف بطريقتهم ومريد عنهم ...

بعد توضيح منهجه وموضوع الكتاب ساق حديثه عن الطريقة الصوفية المتعبة الشاذلية، ثم تحدث عن أقطاب هذه الطريقة، بادئا كلامه بالحديث عن الشيخ الجزولي وعن صحة طريقته قائلا : «فأما الشيخ الجزولي رضي الله عنه، فيشهد بصحة الطريق وشرفها، وعلو مرتبته وكبر شأنه أمور منها : ما تواتر من علمه وفضله واستقامته، ومنها شدة محبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وكثرة صلاته عليه، إن من أحب شيئا أكثر من ذكره، وإذا ثبت الحب ثبت الإتباع من المحب. ومنها ما قيل له في جلالته الربانية الصادقة الصحيحة : فضلتك على أهل عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم»[2].

ثم جاء حديثه بعد ذلك عن الشيخ زروق، حيث يرى أن شواهده هي شواهد الشيخ الجزولي. أما علمه وفضله، واستقامته فأجلى من أن يذكر. وأما شدة محبته للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنه يكفي شهادة عليها خدمته لشريعته، وكثرة ما ألف فيها وترداده لزيارته وخدمته لأهل محبته. وأما ما تخرج عليه من الرجال فكثرتهم مما لا تخفى فقد انتشروا في المشرق والمغرب.

(1) تحفة أهل الصديقية : الورقة : 4 أ.
(2) المصدر نفسه : الورقة 5 أ.

وبعد ذكر الشيخين وتوضيح صحة طريقيهما والاستدلال على ذلك، أعقب الحديث عن أتباعهما بتصنيفهم عبر طبقات، فجعل الطبقة الأولى من أتباع الجزولي أصحابه، والطبقة الثانية أصحاب أصحابه والطبقة الثالثة أصحاب الشيخ أبي عبد الله الغزواني، والرابعة أصحاب سيدي عبد الله بن حسين دفين «تامصلوحت» إلى ذكر الطبقة الخامسة من أتباع الجزولي.

ثم بعد ذلك جاء حديثه عن أتباع سيدي أحمد زروق. وحينما سرد جميع طبقاتهم تطرق للحديث عن اتصال الجزولي الشاذلي، وذكر سنده إليه وكذلك الشيخ زروق واتصاله به -أي بالشاذلي-.

وقال في ثنايا حديثه عن أشياخ الجزولي «وقد سميت هذا تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية، وإن شئت فسميه تحفة أهل الصديق بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية من أهل الطريق»[1].

وعن الطريقة الشاذلية يقول : ثم الشيخ القطب الكبير شيخ الطريقة أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه له طريقان : طريق الإرادة وطريق التبرك.

فأما طريق الإرادة والتحكيم، فليس له فيها إلا الشيخ قطب الأقطاب أبو محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني الإدريسي المحمدي صاحب جبل العلم رضي الله عنهس ثم ذكر سند أشياخه إلى الشاذلي.

وجاء في آخر هذا المخطوط المبارك «هذا آخر ما قصدت جمعه من أسانيد الطريقة الجزولية والزروقية والحمد لله كما يجب، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد قال المؤلف رضي الله عنه كمل عند الزوال أو قربه يوم الخميس خامس المحرم الحرام فاتح سنة خمسة وثمانين وألف. وكان ابتداء تأليفه عند أذان صبح يوم الخميس ثالث عشر من رجب اثنين وثمانين وألف. وكان الفراغ منه صبيحة يوم الخميس الموفي من ربيع الثاني من سنة ستة وتسعين وألف على يد عبد القادر بن محمد حماموش الصغير كان الله له وليا ونصيرا، وكان قد نسخه من خط المؤلف رضي الله عنه وأدام النفع به آمين وصلى الله عليه وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه كثيرا أثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين».

(1) تحفة أهل الصديقية : الورقة : 36.

عدد ورقاته 67 ورقة من الحجم المتوسط. خطه بمداد أسود متوسط مغربي، مسطرته 28 وحوالي : 15 كلمة في السطر. رقمه : 2990 ك.

3- الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية[1] :

هذا المؤلف جعله المهدي الفاسي في مناقب جد أبيه الشيخ أبي المحاسن يوسف. وهو عبارة عن مخطوط متوسط الحجم.

وأوله «بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، يقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، كان الله له، ورحمه آمين.

الحمد لله الولي الحميد الذي خص من شاء بما شاء من العبيد، وفضل بني آدم على كثير من خلقه، فكانوا بيت القصيد، فمنهم نبي وصديق وصالح وشهيد، والسالك والمجذوب والعارف والقطب الفريد، وجعل طائفة منهم ظاهرة على الحق لا تزول ولا تحيد...

وبعد فهذا بعون الله بعض ما تيسر من التعريف بجدي أبي الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي رضي الله عنه لمن رغب في ذلك من بني العم بما كتب إليه فيه بعض العجم، من ساكنة مكة والحرم...»[2].

ثم ساق حديثه عن الشيخ يوسف أبي المحاسن وعن مناقبه، فذكر أنه كان عارفا بالله، غلبت عليه المعرفة والتوحيد ... واسع الدائرة، بالغ التمكين، متحققا بالكمال، قوي النور، وكان قد سبق له الجذب على السلوك، فعبر المقامات، وتحقق بها على بصيرة وسنة من ربه، مصحوبا بالنور الكاشف عن حقائق الأمور.

ثم تطرق للحديث عن أشياخه، ومنهم والده أبو عبد الله محمد بن يوسف، ومؤدبه الشيخ أبو الحسن علي العربي[3]. وكانا خيرين صالحين، ثم شيخه المجذوب، الذي خدمه خدمة عظيمة تجل عن الوصف بنفسه وماله.

(1) الكتاب مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1419 د.

(2) الجواهر الصفية : الورقة : 118 ب.

(3) ترجمته في عناية أولي المجد : ص. 24.

ثم أشار بعد ذلك إلى بعض المصادر التي اهتمت بمناقب الشيخ أبي المحاسن وأجوبته ومجالسه وأحواله ومنها على الخصوص : «مرآت المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن» لولده العلامة أبي عبد الله محمد العربي.

وجاء في آخر هذا المخطوط : «فهذا ما أمكن وتيسر من التعريف بالشيخ أبي المحاسن، ولن نستطيع استيفاء وصفه، وكمال التعريف به، وإذا كان ظاهره لا نستوفي وصفه، فكيف بباطنه، وإذا كان هو لا يقدر على التعبير عن حقيقته، وكنه ما عنده، فكيف بغيره. والله الموفق بمنه للصواب وإليه المرجع والمآب، ولمن شاء أن يسمي هذا التقييد بالجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد قطب دائرة الكمال، ومجمع الحسن والجمال... كتبه الراجي عفو ربه ورحمته لنفسه محمد بن قاسم بن عبد السلام».

المخطوط ضمن مجموع رقمه : 1419 د من الورقة 119 إلى الورقة 126 بخط لا بأس به، فيه حوالي 20 سطرا و12 كلمة في السطر.

4- الشرح الأوسط على دلائل الخيرات[1] :

وهو مخطوط، وموضوعه كما هو معلوم من اسم الكتاب شرح على كتاب دلائل الخيرات للإمام الجزولي.

وسماه محمد المهدي «بالشرح الأوسط» لأنه كان قد كتب شرحين آخرين فجمع في هذا الكتاب ما بسطه في الشرحين المذكورين.

وأول الكتاب : «بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

يقول عبد الله الراجي عفوه ورحماه محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي أصلح الله حاله، وزكى أعماله وألان قلبه القاسي بمنه وفضله وجوده وطوله. الحمد لله رب العالمين، وبه أستعين، وهو القوي المعين، ولا حول ولا قوة

(1) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 144 ك.
أما كتاب دلائل الخيرات فهو للإمام الجزولي وهو مطبوع.

إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين ... وقد أردت أن أجود هنا ما في شرحي الكبير، وقد كنت أدخلت على دلائل الخيرات من الزيادات على الصغير ليضيفهما إليه من شاء ويكتفي بذلك عن الكبير، وقد كنت أدخلت فيه جميع ما حضرني مما قيدت عليه من الطرر والتقاييد ما يناسب الشرح، وما لا يناسبه، كما ذكرت ذلك في أوله ...»[1].

وسبب تأليفه هذا «الشرح الأوسط» خشية ضياع ما كان قد كتبه فيما سلف، وفي ذلك يقول : «فإني لما خفت عليها الدثور والضياع، فيذهب ما عملت باطلا من غير جدوى ولا انتفاع، فانتدبت لجمعها في هذا التأليف، وزدت ما يسر الله تعالى مما حضرني من التصانيف».

وقبل أن يشرع في شرحه لدلائل الخيرات أشار إلى ذكر بعض من اهتم بالتأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من المتقدمين والمتأخرين ممن اهتموا بذكر فضلها وكيفيتها... كالمؤلف القاضي إسماعيل المالكي، وأبو بكر أبي عاصم النبيل، وأبو الحسن بن فارس اللغوي.

ثم استهل الشرح المبارك بالكلام في البسملة، وأطال الشرح فيها، ثم بعدها الحمدلة، ثم شرع في ذكر معاني أسماء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر أنها مائتان وواحدة. وسردها كلها مرتبة على حروف المعجم على نحو ما ذكرها في كتابه «سمط الجوهر الفاخر». وفي ذكر معانيها أيضا سار على نهج «سمط الجوهر الفاخر» في الفصل المخصص لأسمائه صلى الله عليه وسلم.

وجاء في آخر هذا المخطوط : «وهذا تمام التجريد لما في الشرح الكبير على الصغير من المزيد، والحمد لله الولي الحميد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات».

يقع هذا المخطوط في 200 ورقة من الحجم الكبير، خطه مغربي متوسط، في مسطرته حوالي 28 سطرا وحوالي : 15 كلمة في السطر.

---

(1) الشرح الأوسط : الورقة : 12 أ.

5- مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات[1] :

هذا المؤلف أيضا هو شرح لدلائل الخيرات للإمام الجزولي، ولعله هو شرحه الكبير الذي أشار إليه في الشرح الأوسط.

وجاء في أول الكتاب «يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي لقبا ودارا، ومحتدا القصري مولدا، كان الله له بمنه.

الحمد لله الذي اختص رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بخالص حبه، فكان أولى الخليقة وأحقهم بربه، وجعل الصلاة عليه سببا لنيل رضائه وقربه، ومن أكثر الصلاة عليه كان أولى الناس وأخصهم به وأحقهم...

وبعد فقد كنت وضعت على كتاب دلائل الخيرات تقييدا كالشرح لمبانيه والتفسير لمعانيه، جمعت فيه ما لدي من التقاييد والطرر، ونسقت ما حضرني من النصوص والفوائد. وسميته مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات».

واستهل هذا الشرح المبارك بالتعريف بالإمام الجزولي : حيث قال : «ولنقدم بعض لتعريف لمؤلف الكتاب إذ لا شك أن ذلك حق وصواب».

وكان منهج محمد المهدي الفاسي في هذا العمل سيره على الخطوات الآتية :

- الاهتمام باللغة : نحوها وإعرابها ولغتها.
- المعنى اللغوي للكلمة، وذكر أقوال بعض اللغويين فيها.
- المعنى الاصطلاحي، مع إيراد أقوال العلماء في ذلك.
- إيراد أرائه وبسط أفكاره في ذكر المعاني.

ومن أهم ما وقف عنده في هذا الكتاب أسماؤه صلى الله عليه وسلم فقال : «ثم هذه الأسماء المذكورة كثير منها متفرق في الكتاب في كيفيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ... ليكون المصلي القارئ قد تقدم له العلم بتلك الأوصاف التي

(1) كتاب : «مطالع المسرات» مطبوع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة 1306 هـ.

تذكر في النبي صلى الله عليه وسلم، وعرف أنها أسماؤه عليه الصلاة والسلام...»[1].

وذكر أن الله قد سمى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأسماء كثيرة في القرآن العظيم، وغيره من الكتب السماوية، وعلى ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيما أطلقته عليه أمته، مما اشتهر وتلقي بالقبول. وذكر أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

وأما منهجه في ذكر أسمائه صلى الله عليه وسلم فمخالف لمنهجه في شرحه الأوسط، بحيث رتبها في «الأوسط على حروف المعجم وفي مطالع المسرات» سار على نهج الجزولي في أصل الكتاب «دلائل الخيرات».

(1) مطالع المسرات : ص .50.

الفصل الرابع

الأسباب والدواعي الموجبة لتأليف كتاب «سمط جوهر الفاخر» وتوثيق نسبته إلى صاحبه

1- دواعي التأليف :

أدرك محمد المهدي بن أحمد الفاسي أهمية التأليف في موضوع السيرة النبوية لما لهذا الموضوع من أهيمة بالغة في جوانب متعددة.

فليس الغرض من دراسة السيرة النبوية وفقهها مجرد الوقوف على الأحداث التاريخية، أو المفاخرة بالأمجاد والأنساب. ولا سرد أو عرض ما طرف أو جمل من القصص والوقائع. وإنما الغرض منها أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية الواضحة، والمتجسدة في حياة خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، بعد أن فهمها مبادئ وتصورات، وقواعد وأحكام ضابطة.

فهذا هو السبب الباعث لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي لتصنيف هذا المؤلف العظيم الفائدة الجليل القدر.

فمن باب وجوب الإجلال والإعظام لصاحب الرسالة المحمدية صلى الله عليه وسلم. وكذلك فرضية محبته وطاعته ولزوم الاقتداء والائتمام به من جهة سيرته الكريمة العطرة وشمائله القويمة الزكية. وكذلك معرفة حقوق الجهاد في إبادة أهل الكفر والإلحاد صنف المؤلف هذا الكتاب المسمى «بسمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر».

ولعله لخص كل ذلك في كلمة جامعة مانعة شافية كافية عند مستهل الكتاب قال : «فالحمد لله مرسل الرسل لتبليغ الأحكام، وموضع السبل لدار السلام وخاتمهم

محمد نبيه خيرة الأنام، وواسطة العقد ولبنة التمام، وخلاصة المجد وزين المرسلين الكرام، أول صادر من حضرة الله، ومتلق من عين منة الله، ومتقدم من نور الحي القيوم، الخليفة الأكبر واليعسوب الأشهر، ونعم الخليفة الإمام حجاب الله الأعظم وسره الجامع الأفخم، القائم له بين يديه أتم قيام، الذي دل الخلق على الله، وعلمهم لا إله إلا الله، وفتح لهم باب الإجلال له والإعظام، ذو الرسالة التامة والدعوة العامة، الماحي بباهر شعاعه الظلام، الذي وجبت على العالم محبته، وفرضت على الكافة طاعته وخدمته، فلزم الكل الاقتداء به والائتمام، صاحب السيرة الكريمة، والشمائل القويمة، والأخلاق العظام المبعوث بالسيف والجهاد، ومبيد أهل الكفر والعناد، ومكسر الأصنام، المبين سبيل النجاح، وطريق الفلاح، وأحكم الحلال والحرام صلى الله عليه وعلى آله القادة الأعلام، وصحابته ضراغم الهيجاء الفخام، المجدين في تمهيد الدين ونصرة الإسلام، صلاة وتسليما يتعاقبان على الدوام، ويعتمدانه من حضرة الملك العلام».

ثم إنه ألف هذا الكتاب ليكون كما قال : «للقاصر تبصرة وللماهر تذكرة»، ثم ليعم به النفع عند الباحث والطالب والقارئ والكاتب والمستمع.

وموضوع الكتاب في السير والشمائل والمعجزات، والخصائص والفضائل، وعن ذلك يقول : «أما بعد فهذا إن شاء الله مختصر في السير والشمائل والمعجزات والخصائص والفضائل».

2- توثيق نسبة «سمط الجوهر الفاخر» إلى صاحبه :

أما عن نسبة الكتاب الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه المسمى : «بسمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر» فتشير إلى ذلك عدة مصادر :

منها نسخ الكتاب نفسها فعند مستهل النسخ التي اعتمدناها في تحقيق النص يذكر اسم الكتاب ونسبته لمحمد المهدي الفاسي.

فعند مدخل أو مستهل كل نسخة من النسخ الثلاث نجد الآتي : «يقول عبدا لله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه : محمد المهدي بن أحمد بن علي ابن يوسف الفاسي، أصلح الله قلبه وغفر ذنبه وستر عيبه» وبعد خطبة الكتاب يقول «... وسميته سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر».

ومما يشهد لهذه النسبة إلى صاحبها، كتب التراجم التي تطرقت لترجمة المؤلف.

ففي عناية أولي المجد للسلطان المولى سليمان قال : «فمن تآليفه ثلاثة كتب في السيرة النبوية»[1]. و لم يفصح المولى سليمان عنها، وإنما ذكرها هكذا بالجملة من دون التعريف بها.

ولعل هذه الكتب الثلاثة المبهمة في كلام المولى سليمان هي تلك الثلاثة التي ذكرها صاحب السلوة وصاحب نشر المثاني وغيرهما ممن ترجم له.

فصاحب «سلوة الأنفاس» في معرض حديثه عن مؤلفات محمد الفاسي قال : «والعقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد» و «سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر» و «كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج»[2].

أما صاحب نشر المثاني فقال : «وثلاثة تآليف في السيرة، فسمى أحدها «العقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد» وهو في سفر كبير.

والثاني سماه «كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج» وهو في سفر صغير. والثالث سماه : «سماط[3] الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر وهو في سفر كبير»[4].

وفي إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون قال : «سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر» تأليف محمد المهدي الفاسي[4].

(1) عناية أولي المجد : ص. 45.
(2) سلوة الأنفاس : 317/2.
(3) هكذا ذكره في نشر المثاني : 81/2.
(4) إيضاح المكنون : 27/2.

نماذج من المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

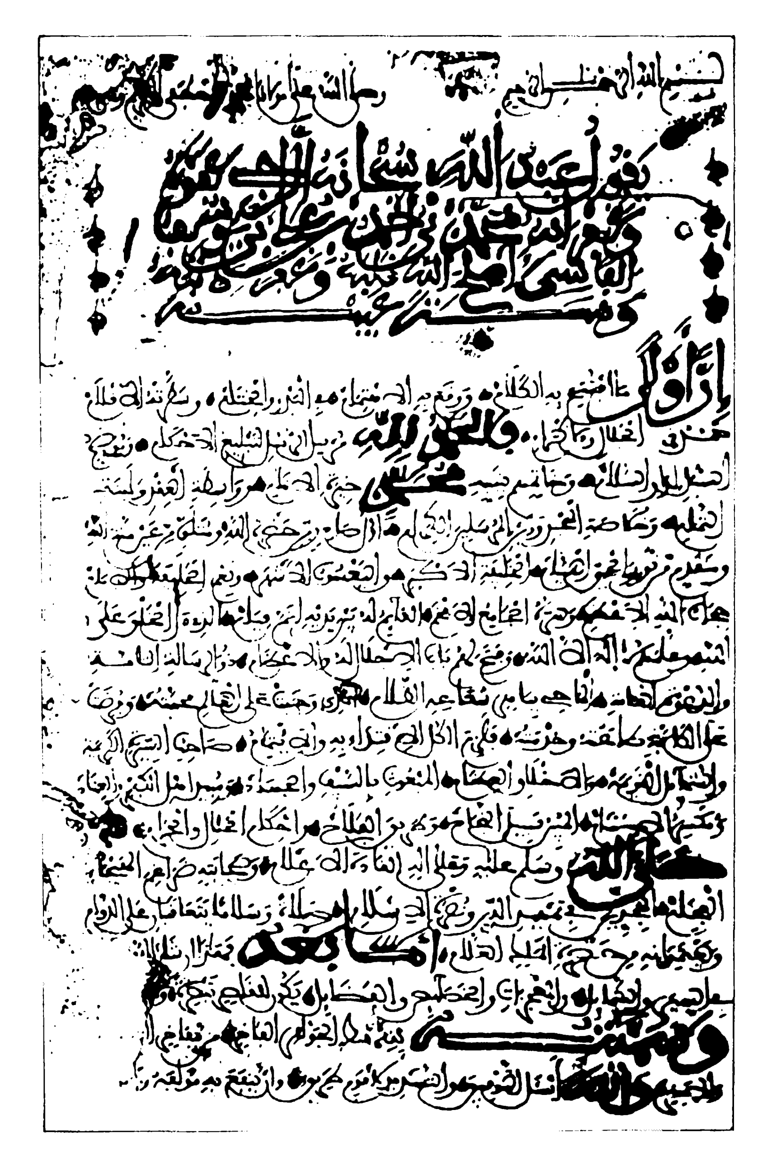
ذكر ابتداء خلقه صلى الله عليه وسلم وسبقيته

وأنه بركة الوجود والسبب في كل موجود

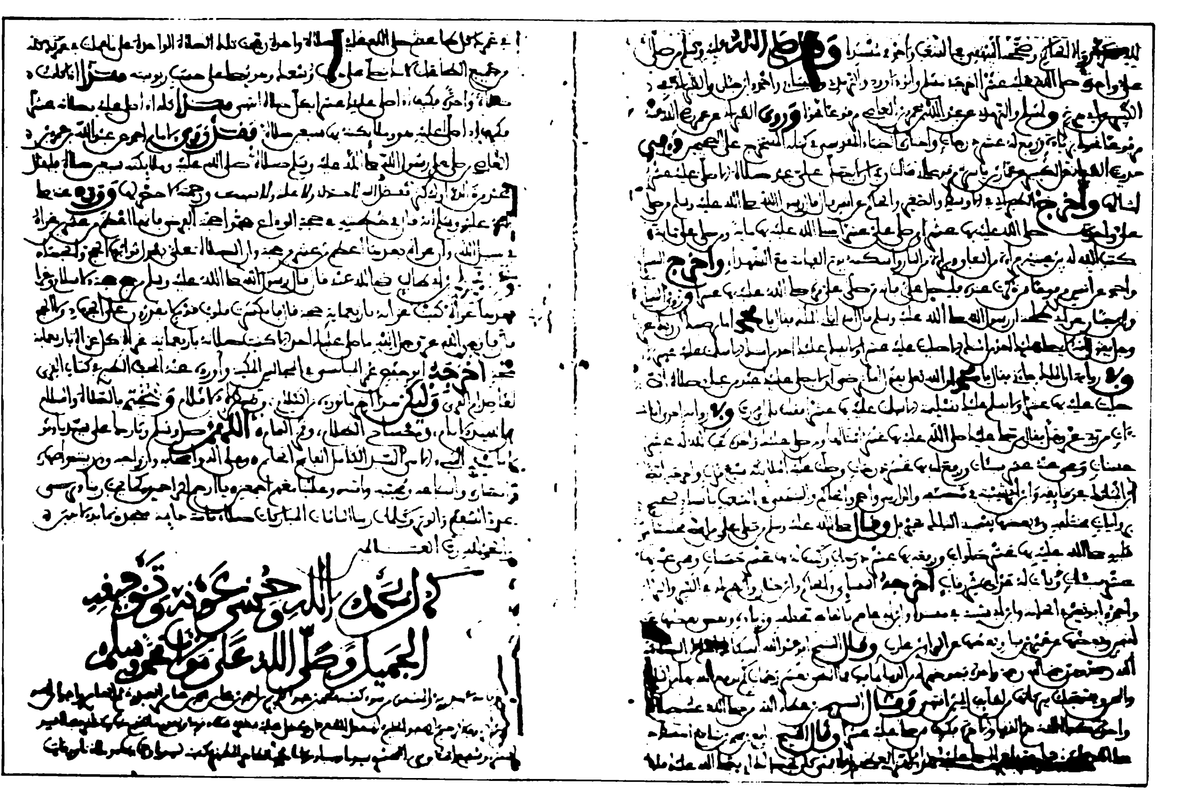
الورقة الأولى من نسخة الخزانة العامة رقم : 765 ق

وسلم عليك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشرا وقلت بلى أي رب، وفي رواية أخرى أتاني آت من ربي عز وجل
فقال من صلى عليك صلى الله عليه بها عشر أمثالها ومن صلى عليك واحدة كتب الله له عشر حسنات
ومحى عنه عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات وصلت عليه الملائكة سبع مرات، وأخرجه ابن أبي
التاريخ في رواية وابن أبي شيبة في مصنفه والدارمي وأحمد والحاكم والبيهقي في الشعب بإسناد صحيح
بروايات مختلفة وفي بعضها تسمية الآتي جبريل، وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي من أمتي مخلصا من قلبه
صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وكتب له بها عشر حسنات ومحى عنه بها عشر سيئات وكانت
له عدل عشر رقاب، أخرجه النسائي والحاكم وابن حبان والطبراني في الكبير والبزار وأحمد وأبو نعيم في الحلية
وابن أبي شيبة في مسنده وابن أبي عاصم بألفاظ مختلفة وزيادة ونقص، بعضها عن أنس وبعضها عن عمير
ابن ياسر وبعضها عن البراء بن عازب، وقال الشيخ أبو عبد الله السكتاني: اعلم أن الصلاة من الله رحمة
ومن رحمة الله رحمة واحدة خير له من الدنيا وما فيها، فما الظن بعشر رحمات، كم يرفع الله بها من البلايا
والمحن وتنشر له من أنواع الخير، وقال الشيخ ابن عطاء الله: من صلى الله عليه صلاة واحدة كفاه
هم الدنيا والآخرة، وكيف من صلى عليه عشرا، وقال الشيخ زروق ... صلى الله عليه وسلم
حتى لو أنه ... كل نفس إلى أن يصلي الله عليك، فلو عملت في عمرك كل
طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على ما عملت في عمرك كله من جميع
الطاعات لأنك تصلي على حسب وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته، هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف
إذا صلى عليك عشرا بكل صلاة، انتهى مختصرا. كيف إذا صلى عليه بصلاته عشرا فكيف إذا صلى عليه هو
وملائكته بها سبعين صلاة، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص: من صلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر، وفضل
الله لا حد له ولا علة ولا سبب ورحمته لا حصر لها، وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته في حجة الوداع
حجوا حجة الفرض فإنها أعظم من عشرين غزاة في سبيل الله، وإن غزاة بعدها أعظم من عشر حجج، وإن الصلاة
علي تعدل ثوابها الحج والجهاد، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتبت غزاته بأربعمائة حجة، قال فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون
على الجهاد والحج، قال فأوحى الله عز وجل إليه ما صلى عليك أحد إلا كتب صلاته بأربعمائة غزاة كل غزاة
بأربعمائة حجة، أخرجه أبو حفص عمر الميانشي في المجالس المكية، وأورده عنه المحب الطبري في
كتاب القرى لقاصد أم القرى، ولنكف من الآن عما نورده من الكلام ونقتصر من
الإفهام، ولنختم بالصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام ومسك الختام
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي السيد الكامل
الفاتح الخاتم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه
وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين كما يحب ربنا ويرضى عدد الشفع والوتر

الورقة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة رقم : 765 ق

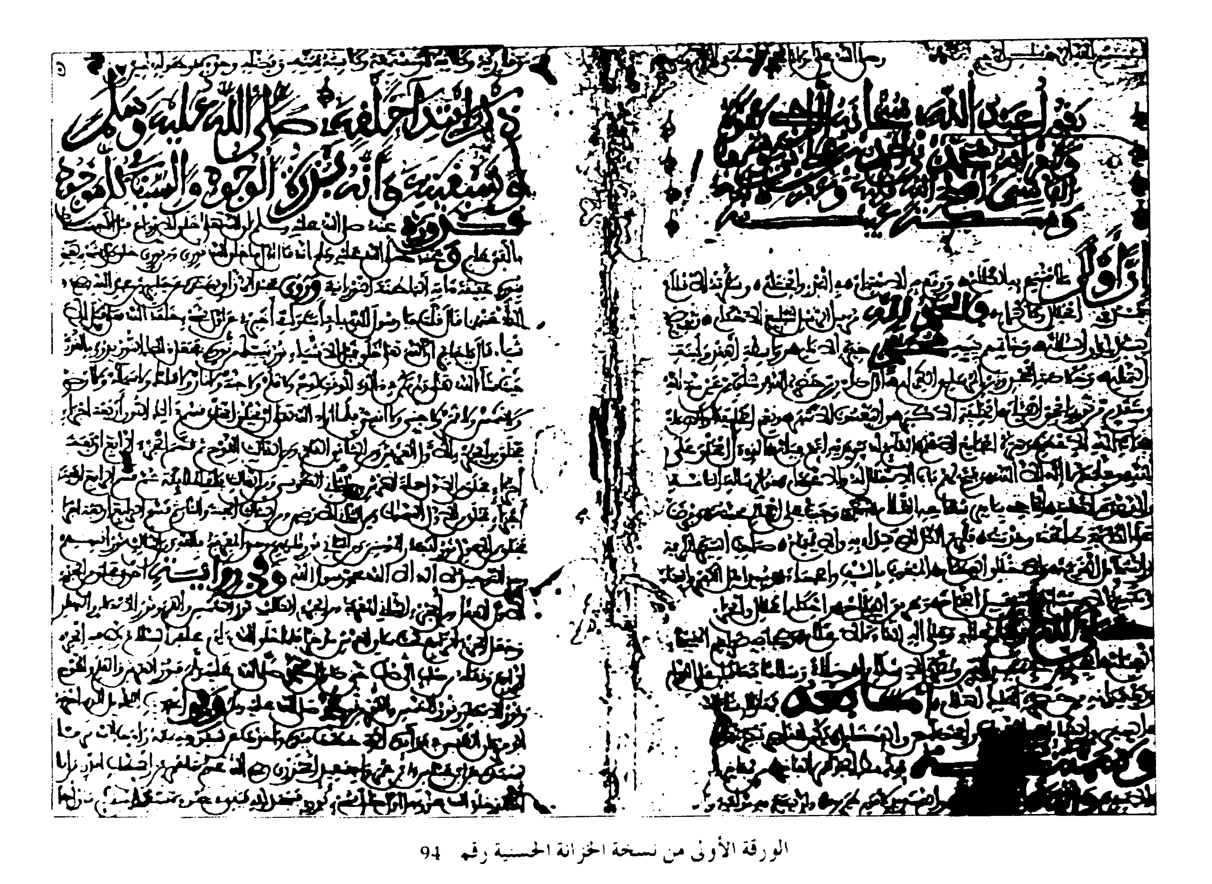


الورقة الأولى من نسخة الخزانة العامة رقم : 1401 ك



كمل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل وصلى الله على مولانا محمد وسلم

الورقة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة رقم : 1401 ك



الورقة الأولى من نسخة الخزانة الحسنية رقم 94

قسم التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم (وبه أستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[1] وصلى الله عليه وسلم على سيدنا (ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم)[2].

يقول عبد الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه، محمد المهدي بن أحمد بن علي ابن يوسف الفاسي -أصلح الله قلبه وغفر ذنبه وستر عيبه- [3] :

إن أولى ما افتتح به الكلام ووقع به الاهتمام في البدء والختام، وسطرته الأقلام، حمد ذي الجلال والإكرام.

فالحمد لله مرسل الرسل لتبليغ الأحكام، وموضح السبل لدار السلام، وخاتمهم محمد نبيه خيرة الأنام، وواسطة العقد ولبنة التمام، وخلاصة المجد وزين المرسلين الكرام، أول صادر من حضرة الله ومتلق من عين منة الله، ومتقدم من نور الحي القيوم، الخليفة الأكبر واليعسوب[4] الأشهر ونعم الخليفة الإمام، (حجاب الله الأعظم، وسره الجامع الأفخم[5] القائم له بين يديه أتم قيام الذي دل الخلق على الله، وعلمهم لا إله إلا الله، وفتح لهم باب الإجلال والإعظام، ذو الرسالة التامة والدعوة العامة، الماحي بباهر شعاعه الظلام، الذي وجبت على العالم محبته، وفرضت على الكافة طاعته وخدمته، فلزم الكل الاقتداء به والإئتمام، صاحب السيرة الكريمة، والشمائل القويمة، والأخلاق العظام، المبعوث بالسيف والجهاد، ومبيد أهل الكفر والعناد، ومكسر الأصنام، المبين سبيل النجاح، وطريق الفلاح، وأحكام الحلال والحرام صلى الله وسلم عليه وعلى آله القادة الأعلام وصحابته

---

(1) ما بين القوسين : ساقط من (ع) و(ح) .
(2) ما بين القوسين : ساقط من (ع) و(ح).
(3) في (ع) و(ح) : وستر عيبه بمنه وكرمه آمين.
(4) اليعسوب في اللغة أمير النحل وذكرها، ثم كثر ذلك حتى سموا كل رئيس يعسوبا.
- اللسان : ج 2936/4 مادة عسب.
(5) ما بين القوسين سقط من (ح).

ضراغم الهيجاء الفخام، المجدين في تمهيد الدين ونصرة الإسلام، صلاة وسلاما يتعاقبان على الدوام ويعتمدانه من حضرة الملك العلام.

أما بعد فهذا إن شاء الله مختصر في السير والشمائل والمعجزات والخصائص والفضائل، يكون للقاصر تبصرة وللماهر تذكرة ،وسميته سمط[1] الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر. والله أسأل التوفيق والتسديد لأقوم طريق، وأن ينفع به مؤلفه وطالبه وقارئه وكاتبه ومستمعه وكاسبه بمنه وفضله وجوده وطوله آمين.

ذكر ابتداء خلقه صلى الله عليه وسلم وسبقيته وأنه بذرة الوجود والسبب في كل موجود

قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أول ما خلق الله نوري وخلق من نوري كل شيء»[2] : يعني بنوره حقيقة ذاته الباطنة النورانية. وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله[3] رضي الله عنهما «قال قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال يا جابر : إن الله تعال خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل / ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله (1ب) تعالى، و لم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا جني، ولا إنسي. فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول العرش، ومن الجزء الثاني القلم، ومن الجزء الثالث اللوح. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة

---

(1) السمط : خيط النظم، لأنه يعلق، وقيل هي قلادة، وجمعه سموط، والمسمط من الشعر، أبيات مشطورة يجمعها قافية واحدة :
– اللسان : ج 2093/3 مادة : سمط.

(2) لم أقف على هذا الحديث لكن ذكرت كتب السنن والسير الكثير من الروايات التي تثبت بداية خلقه وأصل خلقه صلى الله عليه وسلم انظر الروض الأنف : 5/1.

(3) جابر بن عبد الله الصحابي كثيرون ذكر ترجمتهم ابن عبد البر في الاستيعاب 292/1 وصاحب الأسد : 350/1.

والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنفسهم وهو التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله»[1].

وفي رواية أخرى : فخلق من الجزء الأول العقل، ومن الجزء الثاني المعرفة، ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر، ونور الأبصار والنهار وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرض مدخرا، فلما خلق الله آدم[2] عليه السلام ركب فيه الجزء الرابع، ونقله من صلب إلى صلب حتى صار إلى محمد صلى الله عليه وسلم[3] فنور العرش والقلم واللوح ونور الأبصار ونور الشمس والقمر من نور محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث الطويل[4] الذي أخرجه أبو مروان الطنبي في فوائده –التي خطها بيده، وأخذها عن شيوخه بمكة زادها الله شرفا– بسنده عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم : «يا عمر بن الخطاب أتدري من أنا، أنا الذي خلق الله عز وجل أول كل شيء نوري فسجد لله فبقوا في سجوده سبعمائة عام، فأول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر يا عمر. أتدري من أنا، أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري، والشمس والقلم من نوري ونور الأبصار من نوري والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري ونور المعرفة من قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر. ذكره بطوله العز في من الدر المنظم

(1) لم أقف على هذا الخبر.

(2) وبين آدم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم عدة قرون ذكرها ابن سعد في طبقاته فقال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى عشرة قرون، وبين موسى وعيسى بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة، و لم تكن بينهما فترة، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل، وكان بين ميلاد عيسى والنبي عليه الصلاة والسلام خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث من أولها ثلاثة أنبياء.
– طبقات ابن سعد : 53/1.

(3) وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تصف لنا آمنة بنت وهب هذا النور الذي انتقل إليه من صلب إلى صلب قالت : «... فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب...». وعنه صلى الله عليه وسلم قال : «رأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام».
– طبقات ابن سعد : 102/1.

(4) لم أقف على هذا الحديث.

وأبو محمد جبر بن محمد بن جبر بن هشام القرطبي في كتابه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم».

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «إن الله تعالى حين شاء تقدير الخليقة وذرء البريئة وإبداع المبدعات نصب الخلق في صور كالبهاء قبل دحو الأرض ورفع السماء ،وهو انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأشاع نورا من نوره، فلمع قبس من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور منه وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقال الله عز وجل: «أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي من أجلك أسطح البطحاء[1] وأمرج الماء / وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والنار». ثم أخفى الله الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوالم وبسط الزمان ومرج الماء، وأثار الزبد وهاج الريح فطفا عرشه على الماء فسطح الأرض على ظهر الماء ثم استجابها إلى الطاعة، فأدعنت بالاستجابة، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار ابتدعها وأنوار اخترعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت في السماء قبل مبعثه في الأرض» الأثر. وستأتي تتمته إن شاء الله.

فكان أول من ظهر بعد فتق العمى هو محمد صلى الله عليه وسلم كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي منصور فيما حكاه عنه الشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشعراني[2] / قال: فاستحق بذلك الأولوية للأولويات فهو أبو الروحانيات كما كان آدم عليه السلام أبا الجثمانيات[3] انتهى.

---

(1) البطحاء أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى. وقال بعضهم البطحاء كل موضع متسع. وقول عمر: «بطحوا المسجد» أي ألقوا فيه الحصى الصغار. وهو موضع بعينه قريب من ذي قار. وبطحاء مكة وأبطحها ممدود. وكذلك بطحاء ذي الحليفة.
-- معجم البلدان: 446/1.

(2) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد بن الحنيفة الشعراني أبو محمد من علماء الصوفية من مؤلفاته: «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» و«الأنوار القدسية إلى مراتب العلماء العاملين» توفي سنة 973 هـ.
- شذرات الذهب: 372/8. - الأعلام للزركلي: 332/4.

(3) الجثمانيات من الجثمان وهو الجسم بمنزلة الحسمان: جامع لكل شيء تريد به جسمه وألواحه وقال الأصمعي: الجثمان: الشخص. الجثمان: الجسم.
- اللسان: مادة جثم: ج 454/1.

وقال الشيخ سيدي أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي عرف بالقصري في شعب الايمان / أثناء كلامه على كلام علي المتقدم، فهو آدم (2أ) الأرواح ويعسوبها كما أن آدم أبو الأجساد وسببها، ولذلك ورد في الأخبار أن نور السماوات والعرش واللوح والقلم والعقل والمعرفة والشمس والقمر والنهار والأبصار من نور محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال سهل بن عبد الله التستري: «لما أراد الله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أظهر من نوره نورا أضاء به الملكوت فلما بلغ العظمة سجد فخلق الله من سجدته عمودا من نور صاف كالزجاجة يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره، فخلق الله عز وجل نور آدم عليه السلام من نور محمد صلى الله عليه وسلم»[1] إلى آخر كلامه.

وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾[2] ما وراء الدنيا والآخرة أي رأى ربه في عبادته له قبل بدء الخلق بألفي عام بطبائع الايمان ومكاشفة الغيب بالغيب في العمود النوري الكثيف، الذي خلق الله تعالى منه العرش والكرسي وجميع الأنوار. ألا تراه كيف أخبر عنه في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[3] ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾[4].

قال الشيخ[5] سيدي أبو محمد عبد الجليل فقد تبين أن نور الوجود وجماله وخيره في البواطن والظواهر إنما استمد ويستمد من نور ذاته الباطنة، ولقد سماه الله تبارك وتعالى سراجا منيرا في قوله عز وجل: ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾[6] كما قال تعالى في الشمس: ﴿وجعل الشمس سراجا﴾[7].

---

(1) انظر هذا الكلام مفصلا عند ابن العربي في الفتوحات: ج 1 ص. 148.
(2) الآية: 23 من السورة 81 التكوير.
(3) الآية: 13 من السورة 53 النجم.
(4) الآية: 7 من السورة 53 النجم.
(5) ما بين القوسين: سقط من ح.
(6) الآيتان «45 و46 من السورة 33 الأحزاب. وورد في تفسير هاتين الآيتين أقوال كثيرة نورد منها ما رواه الطبراني عن البزار» ... فإنه أنزل علي «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجا منيرا» بالقرآن.
– أخرجه ابن كثير في تفسيره 498/3 سورة الأحزاب.
(7) جزء من الآية 16 من السورة 71 نوح.

فذاته صلى الله عليه وسلم شمس الوجود منها يستمد جماله ونوره وحسنه كل موجود، فكما أن الأبصار تستمد من أشعة الشمس المنبثة من القرص إلى أقطار العالم فيرى بنورها ويظهر ويتبين كل شيء فكذلك تستمد العقول والبصائر والذوات من ذات المصطفى النورانية التي هي شمس الوجود وسراجه فافهم.

فأول من خلق الله تبارك وتعالى نوره صلى الله عليه وسلم في البدء فكان بذرة الوجود وأقرب موجود هو مقام الحبيب من الحبيب ثم نشأ عن الوجود كله كما تنشأ الشجرة عن البذرة حتى كملت الموجودات ثم خلق آدم عليه السلام وولده والنور يمد الكل من الأصل حتى ظهر جسده الظاهر في آخر الدنيا، وكمال الخلق كما تظهر ثمرة الشجرة بعدكمالها. فهو الأول والآخر وعليه تقوم الآخرة لأنه الآخر كما عنه نشأت الأوائل لأنه الأول. كما بظهور منزلته وعظيم شرفه ظهرت رتبته ومنزلته على المنازل، وظهر دينه على الدين كله، فكان هو الظاهر كما بطن بتوسله وخفي أسراره من مقامات شفاعته، فخفيت أسراره مع حبيبه في غيب الغيب بدخوله عليه وحده كما يدخل الوزير المقرب على الملك، فكان الشفيع للكل لا يقوم ذلك المقام غيره شفاعته الغيب ورحمة الكل، فكان هو الباطن في درجات الحب/ وغيب (القرب)[1] فكان صلى الله عليه وسلم أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، أولا في الخلقة[2] والتقدمة ،وآخرا في البعث ورجوع الكل إليه وانتظارهم ليومه وظاهر في المنزلة وباطن في الوسيلة (انتهى)[3].

وعن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كنت نورا بين يدي الله عز وجل من قبل أن يخلق الخلق».

أو قال آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور في صلبه فلم يزل ينتقل من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب/ (3ب)

---

(1) في ح : (غيب القلب).

(2) أراد المؤلف بذلك أنه صلى الله عليه وسلم أول في خلق ذلك النور معه وأن الله تعالى جعله عبر أصلاب متعددة إلى أن وصل إليه عبر والده عبد الله.

(3) ما بين قوسين سقط من ح.

عبد المطلب»[1] ومعنى الخلق في هذا الباب وخلقه صلى الله عليه وسلم قبل الأشياء : الإيجاد عند المحققين لا التقدير خلافا لمن زعمه.

وقال الشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشعراني: «فإن قلت فما معنى قولهم أنه صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله، هل المراد به خلق مخصوص أو المراد به الخلق على الإطلاق، فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي في الباب السادس من الفتوحات أن المراد به «خلق مخصوص»، وذلك أن أول ما خلق الله الهباء/، وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق، وإيضاح ذلك : أن الله تعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الإرادة المقدسة بضرب من تجليات إلى الحقيقة الكلية، فحدث الهباء، وهو بمنزلة ضرب البناء الجص ليفتح فيه من الأشكال والصور ما شاء. وهذا أول موجود في العالم ثم إنه تعالى تجلى بنوره إلى ذلك الهباء[2]، والعالم كله فيه بالقوة ،فقبل منه كل شيء في ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله، و لم يكن أحد أقرب قبولا إليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب قبولا إليه من جميع ما في ذلك الهباء، فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم، وأول

(1) لم أقف على هذه الرواية، إلا أننا نجد ابن سعد يفصل في انتقال ذلك النور من جده إلى أبيه عبد المطلب ثم إليه صلى الله عليه وسلم، قال ابن سعد أخبرنا هشام بن محمد بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي الفياض الخثعمي قال : مر عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر وكانت من أجمل الناس... وكانت قد قرأت الكتب فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت يا فتى من أنت ؟ فأخبرها، قالت : هل لك أن تقع علي وأعطيك مائة من الإبل فنظر إليها فقال :

أمــا الحــرام فالممــات دونــه والحــل لاحــل فأستبينــه

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب.
– الطبقات : 96/1.

(2) أصل استعمال الهباء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ الفرقان الآية : 23 . والهباء فيما روي عن علي رضي الله عنه هو شعاع الشمس إذا دخل الكوة، وقال الحسن البصري هو الشعاع من كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع.
– ابن كثير : 315/3.
– وفي اللغة : الهباء الشيء المنبث الذي تراه من البيت من ضوء الشمس.
– مختار الصحاح : مادة : هباء.

موجود، فعلم كما قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات[1] أن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو قطب الأقطاب، فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا، فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه موجودا في عالم الشهادة، وفي حال كونه منتقلا إلى الغيب الذي هو البرزخ[2] والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين، فإن قلت قد ورد في الحديث «أول ما خلق الله نوري». وفي رواية «أول ما خلق الله العقل»، فما الجمع بينهما، فالجواب : أن معناهما واحد لأن حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور.

فإن قلت فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الأنبياء السابقين في الظهور عليه من القرآن، فالجواب أن الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[3] أي أن هداهم هو هداك الذي سرى إليهم منك في الباطن، فإذا اهتديت بهداهم فإنما ذلك اهتداء بهداك إذ الأولية لك باطنا والأخروية لك ظاهرا. ولو أن المراد بهداهم غير ما قررنا لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم فيهم اقتده.

وتقدم حديث «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»[4] فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو ناب عنه في بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث «وضع الحق تعالى يده بين ثديي أي كما يليق بجلاله فعلمت علم الأولين والآخرين»، إذ المراد بالأولين هم الأنبياء الذين تقدموه في الظهور عند غيبه جسمه الشريف، وإيضاح ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أعطى العلم (مرتين)[5] مرة قبل خلق آدم ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم انتهى.

---

(1) الفتوحات المكية : ج 151/1.

(2) البرزخ في اللغة ما بين كل شيئين. والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، وفي حديث المبعث عن أبي سعيد : في «برزخ ما بين الدنيا والآخرة» وقال تعالى : ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ وأيضا قوله تعالى : ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ يعني حاجزا من قدرة الله تعالى.
— اللسان : ج 256/1 مادة برزخ.

(3) جزء من الآية 91 من السورة : 6 الأنعام.

(4) ذكره ابن العربي في الفتوحات ج 15/1.

(5) ما بين قوسين : سقط من ع.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما اقترف آدم الخطيئة : قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى : يا آدم وكيف عرفت محمدا و لم أخلقه قال : إنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول (4أ) الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولاه ما خلقتك» رواه البيهقي[1] في دلائله والحاكم وصححه. وذكره الطبراني[2] وزاد فيه : «وهو آخر الأنبياء من ذريتك».

وروي : «ولو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض لشفعناك».

ويروى[3] أنه لما خلق الله آدم عليه السلام ألقى عليه ريح العطاس فألهمه الله أن قال : «الحمد لله»، فقال الله تعالى له : يرحمك ربك يا آدم ثم عطس أخرى فحمد فقال له يرحمك ربك أبا محمد فألهمه أن قال يا رب : لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى: يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق[4] العرش فقال : يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد لولاه ما خلقت سماء ولا أرضا»[5].

---

(1) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الفقيه الشافعي الحافظ، غلب عليه الحديث واشتهر به من مصنفاته «السنن الكبرى» و«الصغرى» و«دلائل النبوة»، توفي سنة 458هـ .
- وفيات الأعيان : 75/1.
- إعجام الأعلام : 83.

(2) سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني الحافظ، إليه المنتهى في كثرة الحديث توفي سنة 360 هـ.
- غاية النهاية : 311/1.
- لسان الميزان : 73/3.

(3) في ع : وروي .

(4) السرادق : ما أحاط بالبناء، والجمع سرادقات وفي التنزيل : ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ والسرادق كل ما أحاط بشيء.
- اللسان : ج 1988/3 مادة سردق.

(5) أخرجه الترمذي في سننه --مع اختلاف يسير في اللفظ- في كتاب التفسير، باب : 94 ج 241/5 الحديث رقم 3379.
- وابن سعد في الطبقات 27/1.

وفي حديث سلمان عند ابن عساكر[1] قال : «هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن ربك يقول : إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا، وما خلقت خلقا أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا».

ذكر تركيب نوره صلى الله عليه وسلم في آدم عليه السلام واستيداعه عنده وانتقاله من صلب إلى صلب

تقدم أن نور آدم عليه السلام خلق من نوره صلى الله عليه وسلم، وأنه ركب فيه الجزء الرابع من النور، وجعل في صلبه فلم يزل ينتقل من صلب إلى صلب حتى صار إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد كلامه السابق : «فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفهم عند استنبائه إياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد إليها الأبرار الروحانيين والأنوار ثم نبيه آدم على مستودعه، وكشف له خطر ما ائتمنه عليه بعد أن سماه إماما عند الملائكة، فكان حظ آدم من الخير نبأ[2] ونطفة مستودع نورنا و لم يزل الله يخبأ النور تحت الزمان إلى أن فصل محمد صلى الله عليه وسلم طاهر القنوات» الأثر[3].

---

(1) هو علي بن الحسين بن هبة الله أبو القاسم بن عساكر، الدمشقي المؤرخ الحافظ، الرحالة كان محدث الشام، له كتاب تاريخ دمشق يعرف بتاريخ ابن عساكر، وله كتاب : «الأشراف على معرفة الأطراف».
- وفيات الأعيان : 335/1. - طبقات الشافعية : 273/4.

(2) في ع : بني.

(3) هناك روايات كثيرة تحقق أصل هذا النور وانتقاله من صلب إلى صلب حتى صار إلى محمد صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم أعجبه نور ما بين عينيه، فقال : أي رب من هذا ؟ قال : هذا رجل من ذريتك في آخر الأمم يقال له داود ... إلى آخر الرواية».
- أخرجها الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة الأعراف.
ج 53/5 الحديث رقم : 3087. وأخرجها أيضا ابن سعد : 28/1.

وروي : أن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أني مخرج منك نوري الذي أريد به السلوك في القنوات الطاهرة والأرومات[1] الشريفة، وأباهي به الأنوار وأجعله خاتم الأنبياء وأجعل خير الأئمة الخلفاء، أختم الزمان بمدتهم وأغص الأرض بدعوتهم وأثيرها بشيعتهم فتشمر وتطهر، وقدس وسبح ثم اغش زوجتك على طهارة منها، فإن وديعتي تنتقل منكما إلى الولد الكائن بينكما، فواقع آدم حواء فحملت لوقعتها، وأشرق جبينها وتلألأ النور في محاجرها حتى إذا انتهى حملها وضعت «شيتا» كأسرع ما يكون من الذكران، وأتمهم وقارا وأحسنهم صورة وأكملهم هيأة وأعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة، موشحا بالجلال والأبهة. فانتقل النور من حواء إليه ،حتى لمع في أسارير جبينه وبسق في غرة طلعته فسماه آدم شيتا[2] حتى إذا ترعرع وأيفع وكمل واستنصر، أوعز آدم إليه، وصيته وعرفه بمحل ما استودعه وأعلمه أنه حجة الله بعده، والخليفة في الأرض والمؤدي حق الله إلى أوصيائه وأنه ثاني انتقال الذروة الطاهرة والجرثومة/ الزاهرة، وأن آدم حين أدى (5ب) الوصية إلى شيت احتقنها واحتفظ بمكنونها. وتوفي آدم عليه السلام، وكان شيت عليه السلام وصيا على ولده، فحكم شيت في الناس واستشرع صحف أبيه، وما أنزل عليه من خاصته من الأسفار والأشراع. وواقع شيت امرأته فحملت فانتقل النور إليها حتى إذا وضعته ساح النور عليه، فلا بلغ الوصاة أوعز إليه شيت شأن الوديعة وأنها شرفهم، وأوعز إليه أن ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله، وأن ينبهوا أولادهم عليه، وجعل ذلك وصيته فيهم منتقلة ما

---

(1) الأرومة : الأصل. وفي حديث عمير بن أفصى : أنا من العرب في أرومة بنائها
قال زهير :

لهم في الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذي حسب أروم

– اللسان : 66/1 مادة أرم.

(2) بعد ولادة قابيل وهابيل، حملت حواء فولدت شيتا وأخته عزورا، فسمي هبة الله، اشتق له من اسم هابيل، فقال لها جبريل حين ولدته : هذا هبة الله لك بدل هابيل– الذي قتله أخوه قابيل– وهو بالعربية «شث»، وبالسريانية «شات»، والعبرانية «شيت» وإليه أوصى آدم. وكان آدم يوم ولد شيت ابن ثلاثين ومائة سنة. وكان حمل حواء بشيت حملا خفيفا لقوله تعالى : ﴿فلما تغشاها آدم فحملت حملا خفيفا﴾ حيث استجاب لهما ربهما حين دعيا دعوة فتقبل الله منهما، فذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿.... دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ ... وهكذا انتقل هذا الشرف وهذا النور منه إلى ولده.
– وتفصيل ذلك في كتب التفاسير والطبقات لابن سعد : 37/1.

دام النسل، فكانت الوصية جارية تنقل من قرن إلى قرن إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى. من شفاء الصدور لابن سبع[1].

ذكر طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم وكرم محتده وانتقاله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة

روى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لم يلتق أبواي قط على سفاح، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وروى عنه البيهقي في سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام».

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»[2] رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والآجري[3].

وروى البيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب إلى نزار وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسبا وخيركم أبا»[4].

---

(1) «شفاء الصدور» لابن سبع الإمام الخطيب أبي الربيع سليمان السبتي. قال صاحب مشارق الأنوار: وقفت عليه في نحو أربعة أسفار، يشتمل على أحاديث في فضائل الأعمال، وضع فيه مؤلفه من عجائب الغرائب أصولا وفروعا، جمع فيه أحاديث عرية عن الأسناد. انظر كشف الظنون: 1050/2.

(2) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر: 32/1.

(3) في: ع وح: الآجوري.

(4) دلائل النبوة للبيهقي: 136/1.

وروى عنه ابن مردويه[1] قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بفتح الفاء، وقال : «أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن سفاح كلها نكاح»[2].

وعن جعفر الصادق[3] عن أبيه محمد الباقر في هذه الآية قال : لم يصبني شيء من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجت من نكاح غير سفاح»[4].

والسفاح بكسر السين المهملة : الزنا، قال الشهاب القسطلاني في المواهب اللدنية، والمراد به هنا أن المرأة تسافح الرجل مرة ثم يتزوجها بعد ذلك.

وقال أبو بكر الآجري : كان النكاح في الجاهلية على أنواع غير محمودة ليس بنا الآن إلى ذكرها ضرورة، ولم يكن فيها نكاح صحيح إلا واحد وهو هذا الذي أقره الإسلام. وشرعه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بأن يخطب الرجل إلى الرجل وليته فيزوجه إياها على صداق معلوم وشهود، فرفع الله تعالى قدر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بهذا النكاح وصانه عن نكاح أهل الجاهلية الذي هو سفاح، ونقله من الأصلاب الطيبة بالنكاح الصحيح إلى الأرحام الطاهرة من لدن آدم عليه السلام بنقله من أصلاب الأنبياء وأولاد الأنبياء حتى أخرجه بذلك من صلب عبد

---

(1) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني أبو بكر، حافظ مؤرخ ومفسر من أهل أصبهان له كتاب التاريخ، وكتاب في تفسير القرآن.
والمستخرج في الحديث، توفي سنة 410 هـ.
– تذكرة الحفاظ : 238/3.
– شذرات الذهب : 190/3.

(2) قال القاضي في قراءة الآية : ﴿من أنفسكم﴾ قال السمرقندي المفسر : «وقرأ بعضهم» «من أنفسكم» بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم.
والخبر أخرجه أيضا القاضي في الشفا : 17/1.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 32/1.

(3) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، له كلام في صنعة الكمياء، وعدة رسائل، توفي سنة 148 هـ بالمدينة.
– وفيات الأعيان : 327/1.

(4) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 32/1.

الله إلى / بطن آمنة من غير سفاح وهو معنى قوله تعالى : ﴿وتقلبك في الساجدين﴾[1] انتهى. (6أ)

وقال الكلبي فيما رواه ابن سعد وابن عساكر : «كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيها سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية»[2].

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه»[3].

روى عنه أبو نعيم في الآية قال: «مازال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في أصلابه الأنبياء حتى ولدته أمه».

وأخرج الترمذي عن واثلة بن الأسقع[4] رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة[5] واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش[6] بني هاشم[7] واصطفاني من بني هاشم، قال هذا حديث حسن صحيح[8].

---

(1) الآية : 218 من السورة : 26 الشعراء .
وروى البزار عن ابن عباس : وتقلبك في الساجدين «قال من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا».
أخرجه القاضي عياض عن ابن عباس في الشفا : 18/1.

(2) أخرجه ابن سعد عن الكلبي في الطبقات 60/1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.
ج31/5 الحديث رقم : 87.

(4) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن سعد بن ليث الليثي، أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك، كان من أهل الصفة شهد المغازي بدمشق وحمص وتحول إلى بيت المقدس ومات بها.
– الاستيعاب : 124/4 رقم الترجمة 2767. – الأسد : 628/4 رقم الترجمة 5422.

(5) بنو كنانة فخذ من العوامر من بني شهر السراة بالسعودية.
– معجم قبائل العرب : 158/5. – الروض الأنف : 12/1.

(6) اعتمد جمهور النسابين أن أبا قريش هو النضر بن كنانة وإليه تنسب القبيلة وقريش لقب له واسمه فهر. وقريش قبيلتان : البطاح والظواهر.
– شرح المواهب اللدنية : 75/1. – معجم القبائل 948/3. – الروض الأنف : 13/1.

(7) بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف والد هاشم إليه انتهت رياسة قريش.
– معجم القبائل : 1207/3. – الروض الأنف : 14/1.

(8) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم 1423/4 الحديث رقم 15.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ج 350/5 الحديث رقم 3625.

وأخرجه عنه أيضا هو ومسلم بلفظ: إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من بني كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[1].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق فريقين، فجعلني من خير الفريقين ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا»، رواه الترمذي وقال حديث حسن[2].

وروى -أعني الترمذي- نحوه أيضا عن المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه ومعنى «خيرهم نفسا» أي: روحا وذاتا، وخيرهم بيتا: أي أصلا.

وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم فاختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب، فاختار منهم مضر، ثم اختار مضر[3] فاختار منهم قريشا، ثم اختار قريشا، فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خيارا من خيار، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»[4]. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال لي جبريل قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم» أخرجه الحاكم أبو أحمد في الكنى، وأبو نعيم في الدلائل، والطبراني في الأوسط وابن عساكر.

ونقل الحافظ جلال الدين السيوطي من كلام الإمام أبي الحسن الماوردي[5] في كتاب أعلام النبوة قوله: لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه، لما كلفهم

(1) أخرجه في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم 35/4 الحديث 1423.
(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم 351/5 الحديث رقم: 3628. وأخرجه أيضا القاضي عياض في الشفا: 107/1.
(3) قبيلة من العدنانية يجمعهم فخدان: خندق وقيس: معجم القبائل: 1107/3.
– العمدة: 193/2.
(4) أخرجه القاضي عياض عن ابن عمر وقال رواه الطبراني: الشفا: 107/1.
(5) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسين الماوردي قاضي القضاة في عصره، ولد بالبصرة وانتقل إلى بغداد، كان يميل إلى مذهب الاعتزال، من كتبه «الأحكام السلطانية».
– طبقات الشافعية: 303/3. – شذرات الذهب: 285/3.
– الوفيات: 326/1.

بالقيام بحقه والإرشاد لخلقه استخلصهم من أكرم العناصر، واجتباهم (بمحكم)[1] الأواصر، فلم يكن لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون القلوب لهم أصفى والنفوس لهم أرضى، فتكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع، وإن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وسلم من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة.

وقد قال ابن عباس في تأويل الله ﴿وتقلبك في الساجدين﴾[2] أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبيا[3] فكان نور النبوة / ظاهرا في (7ب) آبائه، ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه، وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية، ولتفرده نهاية فيزول عنه أن يشارك فيه ويماثل فيه فلذلك مات عنه أبواه في صغره. فأما أبوه فمات وهو حمل، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين. وإذا اختبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه[4] سلالة آباء كرام، ليس في آبائه مستر ذل[5] ولا مغمور مستذل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب، وطهارة المولد من شروط النبوءة (انتهى)[6].

وقد كان آباؤه صلى الله عليه وسلم ذوي أحلام فاخرة وألباب وافرة، وأخلاق زكية وهمم سنية[7] ونفوس أبية ومآثر مرضية.

وقد ألف الحافظ شيخ الحديث جلال الدين السيوطي رحمه الله ستة تآليف في إيمان أبويه، وأجداده صلى الله عليه وسلم، ونجاتهم، وإن كان كل واحد منهم خير أهل زمانه.

---

(1) في ع : بحكم.
(2) الآية 218 من السورة : 24 الشعراء.
(3) أخرجه القاضي عياض عن ابن عباس – الشفا : 81/1.
(4) في ح وع : (أنه من سلالة).
(5) في ح : رذل .
(6) سقط من ح.
(7) سنية : سقطت من ح وع .

ووردت أحاديث بالتنصيص على إيمان بعضهم، وأنهم كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام كخزيمة وإلياس ومضر[1] ومعد[2] وعدنان وأبيه.

وقال ابن إسحاق بعد ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم: «فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم»[3].

وقال ابن سبع في شفاء الصدور: «وهو النبي العربي الأبطحي الحرمي الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم المختار من سليل الحواضن وألباب خير المعادن، المطهر المنتخب من أطيب بطون العرب[4] وأعرفها في النسب، وأشرفها في الحسب، ومن أنضرها عودا وأطولها عمودا وأطيبها أرومة وأعزها جرثومة وأفحصها لسانا وأوضحها بيانا وأرجحها ميزانا وأصحها إيمانا وأعزها نفرا وأكرمها معشرا من قبل أبيه وأمه، ومن أكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده» انتهى.

ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم وأجداده وجداته

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كعب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا انتهى النسب[5]. الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع أهل العلم بالنسب عليه، و لم يختلفوا في شيء منه.

(1) قال ابن سعد اخبرنا خالد بن خداش، أخبرنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم». الطبقات: 58/1.

(2) قال ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال: ولد معد بن عدنان نزارا، وفي ولده النبوة والثروة والخلافة، وقنصا وقناصة... وأمهم معانة بنت جوشم ... وأخوهم لأمهم قضاعة.
وبعض النساب يقول قضاعة بن معد. وبه كان يكنى معد.
وذكر النبوة في خبر ابن سعد دليل على إيمان معد.
– الطبقات: 58/1.

(3) سيرة ابن هشام: 3/1.

(4) قال بن هشام: فالعرب كلهم من ولد إسماعيل وقحطان وبعض أهل اليمن. ابن هشام: 7/1.

(5) اتفقت كتب السنن والسير والأنساب على نسبه صلى الله عليه وسلم بهذا السياق: انظر ابن هشام: 1/1.
– ابن سعد في الطبقات: 55/1. – وابن سيد الناس في عيون الأثر: 29/1.

وأجمعوا أن عدنان[1] من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، والأحاديث شاهدة بذلك، فلا شك فيه ولا خلاف، واختلفوا في عدد الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل اختلافا كثيرا، واضطربت أقوالهم في ذلك اضطرابا شديدا.

قال الحافظ ابن حجر حتى أعرض الأكثر عن سياق النسب بين عدنان وإسماعيل، كما فيه من التخالف، وقد جمعت من ذلك عشرة أقوال[2]، ثم ذكرها من ثلاثة أباء إلى اثنين وأربعين .

فالذي ينبغي لنا كما قاله الشهاب القسطلاني في المواهب اللدنية : «الإعراض عما فوق عدنان اتباعا للأكثر في تركهم سياق ذلك»[3].

ولما في ذلك كما قال السهيلي[4] : «من التخليط والتغيير للألفاظ وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها، قال السهيلي : ولذلك والله أعلم أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل»[5].

---

(1) هو عدنان بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يغرب بن يشجب بن إسماعيل بن إبراهيم.
- ساقه ابن سعد : الطبقات : 57/1.

(2) من هذه الأقوال يروي بن سعد عن هشام بن محمد عن أبيه قال بين معد بن عدنان وإسماعيل نيف وثلاثين أبا، وكان لا يسميهم ولا ينفذهم، ولعله ترك ذلك حيث سمع حديث أبي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا بلغ معد بن عدنان أمسك.
- الطبقات : 56/1.

(3) اضطربت كلمة النسابين فيما بعد عدنان . وقد حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز في نسبه عدنان بن أدد، ثم يمسك ويقول كذب النسابون، وقال عمر بن الخطاب : إني لأنتسب إلى معد بن عدنان ولا أدري من هو. وعن سليمان بن أبي خيثمة قال : ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان ويعرب بن قحطان.
- انظر سيرة ابن هشام : 2/1.
- المواهب اللدنية .
- الروض الأنف : 13/1.

(4) هو عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير ولد في مالقة أقام بمراكش من مؤلفاته «الروض الأنف» والتعريف والأعلام، توفي سنة : 581 هـ.
- وفيات الأعيان : 280/1.
- تذكرة الحفاظ : 137/4.

(5) الروض الأنف : 11/1 و15.

وأما الآباء الذين بين إبراهيم ونوح وآدم عليهم السلام فقال العز في الدر المنظم/، أنهم اختلفوا فيما فوق إبراهيم الخليل إلى نوح عليهما السلام على ثلاث (8ب) روايات، ثم اختلفوا فيما فوق نوح إلى آدم عليهما السلام على خمس روايات مختلفة على أعداد متفاوتة والله أعلم بصحتها.

وقال ابن حجر بعد سياقه نسب إبراهيم إلى نوح[1] : «لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك إلا في النطق ببعض هذه الأسماء، نعم ساق ابن حبان في أول تاريخه خلاف ذلك وهو شاذ» انتهى.

قال ابن دريد في الاشتقاق : «نسب إبراهيم إلى آدم[2] صحيح لا خلاف فيه لأنه منزل في التوراة» انتهى.

وتلك الآباء مع الإتفاق عليها كثيرة التغيير لألفاظها ولاختلاف في النطق بها، فالأولى الإعراض عنها فلترجع إلى الكلام على الآباء السالفة.

فعبد المطلب[3] جده صلى الله عليه وسلم شيبة الحمد على الصحيح وقيل عامر، وكنيته أبو الحارث بابن له أكبر ولده، ولقب الفياض لجوده.

---

(1) عن سعيد بن السيب قال : ولد نوح ثلاثة : «سام وحام، ويافث. فولد سام العرب وفارس والروم، ومن كل هؤلاء خير، وولد حام السودان والبربر والقبط. ولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج».
– وفي رفع نسب إبراهيم إلى نوح يروي ابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال : كان أبو إبراهيم من أهل حران فأصابته سنة فأتى هرمز جرد ومعه امرأته أم إبراهيم واسمها نونا بنت كرنبا بن كوثى من بني أرفخشد بن سام بن نوح، وهناك روايات كثيرة في وصل نسب إبراهيم بنوح عليهما السلام.
– الطبقات : 43/1 و46 .

(2) وساقه أيضا ابن سعد في الطبقات 58/1.
وكذلك ابن هشام في سيرته 3/1. قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السندوسي، عن شيبان بن زهير عن قتادة بن دعامة أنه قال :
إسماعيل بن إبراهيم بن تارح وهو آزر ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح إلى أن قال : ابن شيث بن آدم عليه السلام.

(3) وممن ذكره باسم عامر صاحب المواهب اللدنية 71/1. والصحيح أن اسمه شيبه وهو قول جمهور أهل السير.
انظر الروض الأنف : 31/1 وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة على ما ذكره ابن هشام.

وهاشم اسمه عمرو بفتح فسكون، وعبد مناف بوزن سحاب اسمه المغيرة، وكان يقال له قمر البطحاء[1]، وقصي بضم القاف وفتح المهملة على التصغير اسمه زيد، وقيل مجمع بكسر الميم وتشديد الراء ولؤي بضم أوله وفتح ثانيه وقيل المشهور فيه الهمز، وقيل أن ترك الهمز فيه أكثر، وفهر بكسر فسكون، وقيل إنه قريش فما كان فوقه فكناني، وقيل إنما قريش النضر جده وهذا الثاني هو الأصح والأشهر (وقول الأكثر)[2] والنضر بفتح النون وسكون المعجمة واسمه قيس. وكنانة بكسر الكاف وتخفيف النون، وكنيته أبو الأسود وقيل أبو قيس. وخزيمة بضم المعجمة كجهينة. ومدركة بضم فسكون فكسر واسمه عمرو بوزن بدر وقيل عامر. وكنيته أبو الهذيل، وقيل أبو خزيمة، والياس بهمزة وصل واللام للتعريف ضد الرجا على الأصح[3].

وقال ابن الأنباري[4] بهمزة قطع مكسورة موافقا لاسم «إلياس» النبي عليه السلام واسمه حبيب، ومضر بضم الميم وفتح المعجمة، ونزار بوزن كتاب، ومعد بفتحتين وتشديد الدال. وعدنان كسكران. هذا الكلام على أجداده صلى الله عليه وسلم.

وأما جداته صلى الله عليه وسلم فأم أبيه عبد الله هي فاطمة بنت عمرو من بني مخزوم[5] من قريش. وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو من بني عدي[6] بن النجار

---

(1) موضع بعينه قريب من ذي قار، وكذلك بطحاء مكة : معجم البلدان 1/446.

(2) سقط من ح .

(3) في الروض الأنف تناول الإمام السهيلي نسب الرسول صلى الله عليه وسلم بالشرح ورد كل اسم إلى نسبه الأصلي مع الوقوف عند أصل الكلمة والتسمية.
– الروض الأنف : 1 / ص 4، 5، 6، 7 إلى الصفحة 12.

(4) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري النحوي اللغوي، أخذ عن أبيه وتغلب، توفي سنة 328 هـ .
– تذكرة الحفاظ : 842/3.
– شذرات الذهب : 315/2.

(5) بطن من لؤي بن غالب من قريش من العدنانية، وهم بنو يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.
– معجم القبائل : 1058/3.

(6) بطن من بني النجار من الخزرج، وهم بنو عدي بن مالك بن النجار.
– معجم القبائل : 766/2.

من الخزرج. وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح من بني سليم[1]. وأم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فلاح المذكور وقيل «حُبًا» - بضم المهملة وتشديد الموحدة، مقصورة- بنت حليل بالمهملة كهذيل من خزاعة[2]. وأم قصي فاطمة بنت سعد من أرض السراة[3]. وأم كلاب هند وقيل نعم كرمح بنت سرير كزبير من كنانة[4] وقيل إن أم كلاب ابن مرة امرأة من كندة[5]. وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب قيل من فهم وفهم بن عمرو بن قيس بن غيلان، وقيل محارب بن فهر بن مالك بن النضر. وأم كعب سلمى بنت محارب من فهم أو فهر على الشك، وقيل ماوية بتشديد التحتية بعد الواو بنت كعب بن القين من قضاعة[6].

وأم لؤي وحشية بنت مدلج من كنانة وقيل سلمى بنت عمرو الخزاعي. وقيل عاتكة بنت يخلد بن النضر. وأم غالب ليلى، وقيل سلمى بنت سعد بن هذيل بن مدركة وأم فهر جندلة كحنظلة بنت الحارث بن مضاض بمعجمتين ككتاب وغراب الجرهمي. أم مالك عاتكة، / وقيل هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس عيلان. وأم (9ب) النضر -وهو قريش- برة بنت مر بن أد بن طابخة (بن مضر)[7] والمرأة من كندة أم كلاب بن مرة، إليها يشير قول وفد كندة الأشعث بن قيس[8] وأصحابه لرسول الله

(1) قبيلة عظيمة من قيس عيلان من العدنانية تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة، من بطونها بنو ذكوان وبنو بهثة وبنو عصية، كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر.
- معجم القبائل: 543/2.

(2) قبيلة من الأزد من القحطانية وهم بنو عمرو بن ربيعة.
- معجم القبائل: 338/1.

(3) من أعظم القبائل تنتسب إلى الأزد بن الغوث من القحطانية، منازلهم السراة.
- معجم القبائل: 15/1.

(4) قبيلة عظيمة وهم كنانة بن خزيمة بن بطونها: قريش، بنو مناة.
- معجم القبائل: 996/3.
- الأغاني: 11/41 و74/19.

(5) قبيلة تنتسب إلى كندة بن عفير بن عدى، كانت بلادهم بجبال اليمن:
- معجم القبائل: 929/3.

(6) شعب عظيم اختلف النسابون فيه فقالوا: من جمير من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم قضاعة. وقال بعضهم هم العدنانية.
- معجم القبائل: 957/3.

(7) ما بين القوسين: سقط من ع.

(8) الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الأصغر الكندي، يكنى أبا محمد، مات سنة اثنين وأربعين.
- الاستيعاب: 220/1 رقم الترجمة 135. - الأسد: 137/1 رقم الترجمة 185.

صلى الله عليه وسلم : «يا رسول الله نحن بنو آكل المرار[1] وأنت ابن آكل المرار فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «نحن بنو النضر بن كنانة[2] لا نقفف أمنا ولا ننتفي من أبيها»[3] وآكل المرار الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن كندة. وقيل جده حجر بن عمرو، وآكل هو وأصحابه في غزوة شجرا[4] يقال له المرار بوزن غراب، أو سمي بذلك لكشر كان به، وحجر بضمتين وبضم فسكون، وبنت مُرا أم النضر المذكورة.

ذكر مصعب الزبيري[5] وغيره من أهل النسب أنها كانت زوج خزيمة بن مدركة، فخلف عليها كنانة بن خزيمة بعد موت أبيه، فولدت له النضر بن كنانة. وقال مصعب الزبيري : «وذلك نكاح كانت الجاهلية تنكحه إذا مات الرجل نكح أكبر ولده زوجته إذا لم تكن أمه وورث خيار ماله، وأنزل الله جل ثناؤه : ﴿لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف، إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾[6].

(1) المرار : شجر مر، ومنه بنو آكل المرار : قوم من العرب، وقيل المرار حمض: وقيل المرار شجر إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشارفها وذو المرار أرض كثيرة هذا النبات، فسميت بذلك.
- مقاييس اللغة : ج 270/5 مادةمر.
- اللسان : 4175/6 مادة مرر.

(2) حي من كنانة من العدنانية، وهم بنو النضر بن كنانة وهو قريش على المذهب الراجح.
- معجم قبائل العرب : 1183/3.

(3) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الحدود : باب من نفى رجلا من قبيلة،
- ج 255/3 الحديث رقم : 2612.
- ابن حنبل : 211/5.

(4) نظرت في بعض كتب المغازي- مغازي ابن عقبة، مغازي الواقدي، مغازي ابن شهاب الزهري...- فلم أقف على غزوة ذكرت بهذا الاسم ولعل محمد الفاسي المؤلف قصد بها الحديبية. لان الحموي صاحب معجم قبائل العرب 92/5. قرن كنية المرار بالحديبية.

(5) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله عالم بالأنساب والتاريخ كان ثقة في الحديث شاعرا، ولد بالمدينة، وسكن بغداد وتوفي بها سنة 236 هـ، له كتاب : نسب قريش.
- تهذيب التهذيب : 10 /162.
- الأعلام : 150/8.

(6) الآية 22 من السورة 3 : النساء. هذه الآية نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد الله ضمرة، وكانت تحت الأسلت أبيه. وفي الأسود بن خلف.

قال ابن حزم : «وكانت العرب تسمي هذا النكاح نكاح المقت». وهذا ربما أحدث لسامعه دهشا وحيرة وأوهمه معارضة لما تقرر من طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم ونزاهته وخلوصه.

فقال السهيلي[1] كان ذلك مباحا في الجاهلية بشرع متقدم، و لم يكن من الحرمات التي انتهكوها، ولا من العظائم التي ابتدعوها لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد قال عليه السلام : «أنا من نكاح لا من سفاح»[2]. ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ أي إلا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام. وفائدة هذا الاستثناء (ألا يعاب)[3] (نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية ولا من سفاح، ألا أنه لم يقل في شيء، نهى عنه في القرآن إلا ما قد سلف نحو قوله : ﴿ولا تقربوا الزنا﴾[4]، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه، وفي الجمع بين الأختين لأن الجمع بين الأختين[5] قد كان مباحا أيضا في شرع من قبلنا. وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها ليا فقوله ﴿إلا ما قد سلف﴾ التفاتة إلى هذا المعنى، وتنبيه على هذا المغزى.

---

(1) انتقد ابن كثير – في تفسيره – على السهيلي هذا القول فقال : وقد زعم السهيلي أن نكاح نساء الآباء كان معمولا به في الجاهلية، ولهذا قال «إلا ما قد سلف» قال : وقد فعل ذلك كنانة بن خزيمة، تزوج بامرأة أبيه فأولدها ابنه النضر ولكن فيما نقله السهيلي قصة كنانة نظر والله أعلم. وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة.
– تفسير ابن كثير : 469/1.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 61/1.
– وابن كثير : 469/1.

(3) في ع : ألا يشان.

(4) جزء من الآية 32 من السورة 17 الإسراء.
– وفي : ح : ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ و لم يقل إلا ما قد سلف. ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ و لم يقل إلا ما قد سلف.

(5) في قوله تعالى : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم، وعماتكم، وخالاتكم، وبنات الأخ، وبنات الأخت، وامهاتكم التي أرضعناكم، واخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم التي في حجوركم من نسائكم التي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن، فلا جناح عليكم، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف، إن الله كان غفورا رحيما﴾.
– الآية : 23 من السورة 3. النساء.

وهـذه النكتة لقنتها من شيخنـا الإمام الحافظ أبي بكر بن العربي[1] رحمه الله انتهى.

يشير بما ذكره عن عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما ذكرناه من أمر كنانة والنضر، وهذا على فرض صحة وقوع ما ذكر، وكيف وهو أمر يذكر من غير مستند، ولا رجوع إلى رواية صحيحة متصلة، ولا إلى كتاب يوثق بصاحبه، و لم يكن للعرب كتاب في نسب ولا تاريخ ولا شعر، وإنما بقي من أشعارها شعر من أدرك رواية الإسلام فقط، بل لم يكونوا يحسنون الكتابة. فما دخلت الكتابة أرض الحجاز إلا بعد زمان النضر.

وقد اختلف في أول من أدخلها إياه، فقيل حرب بن أمية، وقيل سفيان بن أمية[2] وعلى هذين يكون دخولها قريبا من الإسلام، وقيل أول من أدخلها إياه عبد بن قصي تعلموها بالحيرة[3] وتعلمها أهل الحيرة من أهل الأنبار. / (10ب) وعلى فرض اتصال الرواية بذلك، ووجدان كتاب به، فإنما ذلك بسند طويل من قوم جهال مجهولين كانوا قبل الإسلام، ليس لهم ضبط، ولا نقد، ولا إتقان، وهذه أنسابهم أكثرها مختلف فيه بالزيادة والنقص في الأجداد، وجهل النسب. فكثيرا ما تجد البطن والفخذ من هذه القبيلة ينسب إلى هذه.

وإذا كانت كتب تاريخ الإسلام فيها من الخطإ والكذب كثير، فما بالك بتاريخ أهل الجاهلية، وفرض صحة ما ذكر عن كنانة أيضا، فقد كانوا حينئذ في فترة. ولا تكليف قبل بعثة الرسل بالأصول فضلا عن الفروع.

---

(1) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي الإشبيلي، من مؤلفاته عارضة الأحوذي في شرح الترمذي «وأحكام القرآن» والمحصول في علم الأصول توفي بمدينة فاس سنة 543 هـ.
- البداية والنهاية : 245/2.
- الوافي بالوفيات : 330/3.
- شجرة النور الزكية : 136، رقم الترجمة 408.

(2) سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس القرشي الزهري، ذكره البلاذري. وقال هو الذي ذهب بموت علي إلى أهل الحجاز ولا عقب له.
- الإصابة : 104/3 رقم الترجمة 3297.

(3) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به. كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نضر من لخم النعمان وآبائه.
- معجم القبائل : 322/1.
- معجم البلدان : 328/2.

وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي[1] «وقد أطبقت أئمة الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات، و لم تبلغه الدعوة[2] يموت ناجيا، وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وأنه إذا قتل يضمن بالدية. والكفارة نص عليها الإمام الشافعي رضي الله عنه، وسائر الأصحاب.

ثم هذا خاص بمن لم تبلغه الدعوة أصلا، أما من بلغته دعوة أحد الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره في النار قطعا وهذا لا نزاع فيه.

وقال عز الدين بن عبد السلام[3] في أماليه : كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى الله عليه وسلم قال : فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق، فإنهم يخاطبون ببعثة السابق إلا أن تندرس شريعة السابق فيصير الكل من أهل الفترة هذا كلامه ز انتهى كلام السيوطي.

هذا حال بني عدنان[4] فإن شريعة أبويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اندرست عندهم، و لم يبق بأيديهم منها شيء لبعد العهد وطول الأمد، و لم يبعث إليهم أحد بعدهما إلا محمدا صلى الله عليه وسلم. وعلى تقدير عدم وقوع الفترة

---

(1) في : ع : في فتاويه .
(2) وتحقيق ذلك في كتب التفسير حيث تضاربت أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الإسراء الآية 15.
فقوله تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله تعالى : ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل النار أحدا إلا بعد إرسال الرسل.
(3) أبو محمد عز الدين بن عبد السلام شيخ لإسلام تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدي، وجمع بين التفسير والحديث والفقه، وتوفي سنة 660هـ.
- فوات الوفيات : 287/1.
- طبقات الشافعية : 80/5.
- شذرات الذهب : 301/5.
(4) شعب عظيم يتصل نسبهم بإسماعيل عليه السلام باتفاق من النسابين كانت مواطنهم مختصة بنجد وكلهم بادية رحالة إلا قريشا كانوا يقيمون بمكة.
- معجم القبائل : 761/2.

في التوحيد فهي واقعة في غيره من (الفروع)[1] والأصل في الأشياء الإباحة، فما تمنعه شريعة فهو على أصل الإباحة.

وقد كانت المحرمات المتفق عليها في سائر الملل مباحة في صدر الإسلام منها السكر، حتى نزل تحريمه على أنه قد قال بعض العلماء إنما خلف كنانة بن خزيمة[2] على زوجة أبيه برة بنت أد بن طابخة بن إلياس بن نضر، وهي أم النضر بن الهون بن خزيمة، و لم تلد لكنانة ولدا ذكرا ولا أنثى، ولكن كانت بنت أخيها برة بنت مر بن أد بن طابخة عند كنانة بن خزيمة، فولدت له النضر فاشتبهتا لاتفاق الإسم فغلط فيه كثيرون. قال بعضهم وهذا هو الصواب. هذا كله على فرض صحة ما ذكر كيف ولا وثوق به. فإذا كنا في ذكر الأنساب والتاريخ ونحو ذلك فلا علينا أن نذكر ما قيل وما تلقى ووجد، فإذا انتهينا إلى مثل هذا، فلا نلتفت إلى قولهم فيه ولا نعول عليه.

فهذه مسالك في الجواب عن ذلك وهي عدم صحة ما ذكر من تزوج كنانة زوجة أبيه[3] خزيمة وإنكار ذلك من أصله رجوعا إلى ما صح (وثبت)[4] من طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم.

وعملا على ذلك، وعلى فرض وقوع بعض ما ذكر، فالتي ولدت النضر غير التي كانت زوجة خزيمة، وعلى تقدير أنها التي ولدته فعلى أن ذلك كان مباحا إما بشرع سابق وإما بالأصل والفترة والله سبحانه الموفق بمنه للصواب.

ذكر أمه صلى الله عليه وسلم وأجداده وجداته من قبلها /

(11ب)

وأمه صلى الله عليه وسلم هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وأم أمنة برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد

(1) ما بين القوسين : سقط من ح.

(2) وهذا هو ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق من أن أم النضر هي برة. قال ابن إسحاق : فولد كنانة ابن خزيمة أربعة نفرا : النضر بن كنانة ومالك بن كنانة، وعبد مناة بن كنانة، وملكان بن كنانة، فأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. وسائر بنيه لامرأة أخرى.
– سيرة ابن هشام : 93/1.

(3) وهذا أيضا رد صريح على السهيلي الذي ساق الخبر في الروض الأنف : من تزوج كنانة زوجة أبيه والله أعلم.

(4) سقط من : ع.

الدار بن قصي بن كلاب بن مرة. وأم أبيها – وهب – عاتكة بنت الأوقس بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان من بني سليم، وقيل هي امرأة من بني غبشان[1] من خزاعة اسمها قيلة بنت أبي قيلة واسمه وجز بن غالب بن عامر بن الحارث وهو غبشان[2].

وأم برة أم حبيبة وقيل أم سفيان بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأم أم حبيبة برة بنت عوف من بني عدي بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر[3].

وأم برة قلابة بنت الحارث من بني لحيان[4] من هذيل. وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف[5]، وقيل هي من بني لحيان، واسمها هند بنت مالك وقيل أميمة كجهينة بنت مالك.

وأم أميمة دبة بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة بنت الحارث من بني لحيان وأمها بنت كهف الظلم من ثقيف. وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة قيلة الخزاعية المذكورة.

قال ابن عبد البر : «يعرف أبوها بأبي كبشة الذي كان ينسب إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فيقال ابن أبي كبشة، ونسب إليه، لأنه كان يعبد الشعرى[5]، و لم يكن أحد من العرب يعبدها غيره، خالف العرب في ذلك، فلما جاءهم صلى الله عليه وسلم بخلاف ما كانت عليه قالوا هذا ابن أبي كبشة» انتهى[6].

---

(1) بطن من غسان من الأزد من القحطانية وهم بنو غبشان بن ملكان بن أسلم بن قصي بن حارثة.
– معجم القبائل : 878/3.
(2) في (3) ج : غيشانس وهو تصحيف.
(3) بطن من غالب بن فهر من مضر من العدنانية
– معجم القبائل : 987/3.
(4) قبيلة منازلها من جبل الحجاز بين مكة والطائف منها بطون كثيرة : بطن النور، بطن ثمالة، بطن بني سالم، بطن عوف.
– معجم القبائل : 147/1.
(5) كوكب نير يقال له المرزم، يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، تقول العرب: إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النخل يرى.
– مقاييس اللغة : 194/3 مادة شعر.
– اللسان : 2278/4 مادة شعر.
(6) الاستيعاب : 506/4.

وقال مصعب الزبيري : «كانت قريش تنسبه إليه لأن العرب تظن أن أحدا لا يعمل شيئا إلا بعرق ينزعه شبهه، فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالت قريش : ينزعه أبو كبشة لأن أبا كبشة خالف الناس في عبادته الشعرى، وكان أبو كبشة سيدا في خزاعة، لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقصير كان فيهم، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبي كبشة فيقولون خالف كما خالف أبو كبشة» انتهى.

وقيل كانت عادة العرب إذا انتقصت تنسب[1] إلى جد غامض.

وقال ابن عبد البر : «وقيل بن نسب إلى وهب أبي أمه كان يدعى بها. وقيل عن عمرو بن زيد بن أسد النجاري من بني النجار[2] وهو أبو سلمى أم عبد المطلب كان يدعى أبا كبشة فنسب إليه، وكان يدعى بها أبوه من الرضاع الحارث بن عبد العزى[3] زوج حليمة فنسب إليه» انتهى[4].

وقيل أبو كبشة كنية غبشان بن عبد عمرو بن ملكان بن أقصى من خزاعة وهو المتقدم الذكر وقيل هي كنية عم ولد حليمة.

وقال السهيلي : إن الأشهر عند الناس أن أبا كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا والعرب في عبادة الأوثان، فعبد الشعرى وهي العبور، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ما كانوا عليه قالوا هذا ابن أبي كبشة فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة والله أعلم.

وعاتكة بنت الأوقص (المذكورة)[5] هنا أم لوهب بن عبد مناف بن زهرة هي ابنة أخي عاتكة بنت مرة المتقدمة أما لهاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت مرة أم هاشم ابنة أخي عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي.

---

(1) في : ح : (نسبت).

(2) بطن من الخزرج من الأزد منهم أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم :
– معجم : 1173/3.

(3) الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصر بن فصية بن نضر أبو الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.
– الأسد : 459/1 رقم الترجمة 920.
– الإصابة : 692/1 رقم الترجمة 1435.

(4) الاستيعاب : 159/1.

(5) سقط من ح و ع .

وهؤلاء العواتك الثلاث هن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن العواتك من سليم»[1] قاله يوم حنين. ورواه عنه سيابة بن عاصم السلمي[2]، أخرجه الطبراني في الكبير، وسعيد بن منصور في سننه، وقد قيل في تأويل هذا الحديث إن ثلاث نسوة من سليم أرضعنه كلهن تسمى عاتكة. قال السهيلي: «والأول أصح وقيل وبنو سليم تفخر بهذه الولادة»[3].

وفي الاستيعاب عن سيابة بن عاصم السلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : «أنا ابن العواتك» فسئل هشيم عن العواتك[4] فقال/: أمهات كن له من قيس»[5]. (12أ)

قال أبو عمر «يعني جدات لآبائه وأجداده» وقد روى عنه في هذا الحديث عن سيابة بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن العواتك من سليم»، ولا يصح ذكر سليم فيه، والعواتك جمع عاتكة.

قال أبو عمر في ذلك قولان أحدهما : «العواتك ثلاث من بني سليم» ثم ذكرهن وهن المتقدمات. والقول الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنسوة أبكار من بني سليم، فأخرجن ثديهن فوضعنها في في رسول الله صلى الله عليه وسلم فدرت»[6] انتهى.

---

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 61/1. والسهيلي في الروض الأنف : 129/1.
(2) هو ابن عاصم بن شيبان بن خزاعى بن محارب بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن سليم.
– الأسد : 362/2 : رقم الترجمة 2363.
– الإصابة : 155/3 : رقم الترجمة 3615.
(3) الروض الأنف : 129/1.
(4) العاتكة في كلام العرب الطاهرة، قاله ابن سعد في الطبقات : 61/1.
قال السهيلي والعواتك : 1) أم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن بالج بن ذكوان. 2) وأم هاشم : عاتكة بنت مرة فالأولى عمة الثانية. 3) وأم وهب جد النبي عليه السلام لأمه عاتكة بنت الأوقص. فهن عواتك ولدن النبي عليه السلام. ولذلك قال : «أنا ابن العواتك من سليم».
وقد قيل في تأويل هذا الحديث أن ثلاث نسوة من سليم أرضعنه كلهن تسمى عاتكة والأول أصح.
– الروض الأنف : 129/1.
وهو قول صاحب اللسان : ج 28014 مادة عتك.
(5) المصدر نفسه 249/2.
(6) الاستيعاب : 249/2.

وكان المراد أنه (مر)[1] به في حال رضاعه في صغره عليهن فأرضعنه وبذلك يكون (ابنا)[2] لهن، وهو ظاهر ما تقدم والله أعلم.

ذكر تزويج أبيه صلى الله عليه وسلم عبد الله بأمه آمنة وحملها به صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنه لما فدى عبد المطلب ابنه عبد الله من الذبح بمائة من الإبل ونحرها انصرف آخذا بيده، فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد[3] بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وهي أخت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة، فقالت حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي، قالت : «لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه»، فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

وهو يومئذ سيد بني زهرة[4] سنا[5] وشرفا فزوجه آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، هي لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر. وبرة لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر. وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر، فزعموا أنه دخل عليها حتى أملكها مكانه فوقع

---

(1) في ع وح (مروا به).
(2) في ح (ولدا).
(3) من قبائل قريش وهم بنو أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب من العدنانية، وبنو أسد هؤلاء يقولون أن العزى صنمهم.
– معجم القبائل : 24/1.
(4) بطن من بني مرة بن كلاب من قريش من العدنانية وهم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب.
– معجم القبائل : 482/2.
– الأغاني : 77/91.
(5) في ح : سناء.

عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج من عندها فأتى المرأة[1] التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها : «مالك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت بالأمس قالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك حاجة». وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر واتبع الكتب أنه كائن في هذه الأمة نبي»[2].

وحدثني أبو إسحاق بن يسار أنه حدث «أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامدا إلى آمنة فمر بها فدعته إلى نفسها فأبى عليها. وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مر بامرأته تلك فقال لها : «هل لك قالت لا مررت وبين عينيك غرة[3] فدعوتك فأبيت»، ودخلت على آمنة[4] فذهبت بها، فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه مثل غرة الفرس. قالت : «فدعوته رجاء أن تكون فيّ. فأبى علي ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم»[5].

(13ب)

(1) اختلف في المرأة التي عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب فمنهم قال هي قتيلة بنت نوفل ابن أسد أخت ورقة بن نوفل، ومنهم من قال هي فاطمة بنت مر الخثعمية. والمرأة هذه كانت لها دراية بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنها كانت على اطلاع بالتوراة والمبشرات التي بشرت به صلى الله عليه وسلم، وذلك النور الذي كان يحمله عبد المطلب بن عبد الله هو نور النبوة.
- انظر الطبقات : 95/1 و96 و 97.
- عيون الأثر : 31/1.

(2) سيرة ابن هشام : 151/1.

(3) غرة الأسنان : بياضها، وغرة الغلام أول أسنانه أي بياضها، وغرة المتاع خياره ورأسه، وغرة الشهر استهلال القمر وبياضه.
- لسان العرب : 3234/5 مادة غرر.
- مقاييس اللغة : 380/4 مادة غرر.

(4) أي أن آمنة أمه صلى الله عليه وسلم ذهبت بتلك الغرة أي ذلك النور، وهو نور النبوة.
وحين ذهبت آمنة بنور النبوة أنشأت الخثعمية أبياتا تحكي فيها ذلك منها هذا البيت :

ولما قضت منه أمينة ما قضت نبا عنه بصري وكل لساني

- الطبقات : 97/1.

(5) سيرة ابن هشام : 151/1.

ذكر مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم
وفي أي شهر ومكان حملت به أمه

اختلف في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة، وقيل ستة أشهر.

وعن سهل بن عبد الله: أن أمه حملت به صلى الله عليه وسلم في رجب ليلة جمعة، وقال الزبير بن بكار حملت به في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى.

وتقدم قول ابن اسحاق: «زعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه يعني في دار أبيها فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

قال ابن إسحاق: «ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام»[2].

وأخرج أبو نعيم عن بريدة عن مرضعته في بني سعد أن آمنة قالت: «رأيت انه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض حتى رأيت قصور الشام»[3].

ذكر مولده صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل على الصحيح المشهور. ومذهب الأكثر بعده بخمسين يوما على المشهور المرتضى[4].

وكان قدوم الفيل مكة في المحرم. والمشهور أنه ولد في شهر ربيع الأول[5] وهو قول الجمهور.

---

(1) سيرة ابن هشام: 157/1.
(2) سيرة ابن هشام: 158/1.
(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 102/1.
(4) انظر الطبقات لابن سعد: 100/1.
– سيرة ابن هشام: 158/1. – عيون الاثر: 34/1.
(5) تكاد تجمع كتب السيرة على أن مولده كان في ربيع الأول. وولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج يوم الإثنين لاثنتين عشرة ليلة خلت من رمضان. قال أبو عمر وقد قيل لثمان خلون منه. وقد قيل أنه ولد في شعب بن هاشم.
– سيرة ابن هشام: 158/1. – الطبقات: 100/1.
– عيون الأثر: 34/1. – الاستيعاب: 137/1.

وقال الزبير بن بكار «ولد في شهر رمضان، وأن أمه حملت به في أيام التشريق، وكانت ولادته يوم الإثنين»[1]، والصحيح المشهور أنه ثاني عشر ربيع الأول وعليه عمل أهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وهو قول ابن إسحاق[2] وغيره.

وقيل ثامن ربيع وهو اختيار أكثر أهل الحديث ومن له معرفة بهذا الشأن. (وحكي)[3] إجماع أهل الميقات عليه، وقيل غير ذلك.

واختلف[4] هل ولد ليلا أو نهارا والصحيح المشهور أنه ولد نهارا، ووفق بينه وبين القول بأنه ولد ليلا، بأن من أطلق الليل أراد ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجاز المحاورة. وصحح أيضا أنه ولد حين طلع الفجر ويحتمل أنه لما ولد حين طلع الفجر كأن من رأى أن الفجر طلع. قال : ولد نهارا، ومن رأى أنه لم يطلع قال : ولد ليلا. والأول يعني بقوله نهارا ما بعد الفجر بقريب. والثاني يعني بقوله ليلا ما قبله بقريب فيكون كلاهما متفقين على قرب الفجر، ومنه قال بمقارنته للفجر توسط وحقق الوقت فتتفق الأقوال والله أعلم.

ووافق مولده من الشهور الشمسية نيسان وهو أبريل، وكان لعشرين مضت منه. وولد بمكة في الدار التي كانت في الزقاق المعروف بزقاق[5] المولد، وقيل ولد في شعب بني هاشم بمنى[6] وقيل بالردم موضع بأعلى مكة وقيل بعسفان[7] قرية على نحو يومين من مكة. وكانت القابلة التي وقع على يديها «الشفاء» –بوزن كساء– أو العنقاء بنت عوف أم عبد الرحمن وقيل أخته.

---

(1) سيرة بن هشام : 158/1.

(2) المصدر نفسه : 158/1.

(3) في : ح (رووي).

(4) ذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله : أنها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت : فما شيء انظر إليه إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي.
– عيون الأثر : 35/1.

(5) ويسمى بزقاق النار بمكة بحاول لجبل زرزر.
– معجم البلدان : 145/3.

(6) في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق.
– معجم البلدان : 198/5.

(7) على وزن فعلان، وهو منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وقيل عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين.
– معجم البلدان : 121./4.

ذكر العجائب التي ظهرت عند مولده صلى الله عليه وسلم

منها ما خرج معه من النور، روى ابن سعد عن همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته: «خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام»[1] فولدته نظيفا ما به قذر ومنه طلوع نجمه الذي ولد به أخبر بذلك من عاينه من اليهود، ومنها تدلي النجوم[2] عند ولادته وتنكيس الأصنام، وارتجاس إيوان كسرى[3] وهو رجفه وتصدعه، وسقوط أربع عشرة شرفة (14أ) من شرفاته وهو مجلس الملك المعد لجلوسه مع أرباب دولته لتدبير أمر الملك، ويسمى الآن في المغرب المَشور.

ومنها غيض بحيرة ساوة[4] وبحيرة طبرية[5]. وساوة مدينة في طريق همدان. وطبرية بلدة بالشام. وغيض أو فيض وادي السماوة. والسماوة[6] موضع بناحية الشام.

ومنها خمود نار فارس، وكانت لم تخمد منذ ألف عام. وزيادة حراسة السماء بالشهب. وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع.

---

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته: 158/1. وابن سعد في الطبقات: 102/1.

(2) قالت فاطمة بنت عبد الله عند ولادته صلى الله عليه وسلم: وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي.
– ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر: 35/1.

(3) لما كانت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس، و لم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ... فلما أصبح كسرى أفرغه من ذلك.
– ذكره في عيون الأثر: 37/1.

(4) بحيرة ساوة ذكرها ابن سيد الناس في عيون الأثر: 37/1. وساوة مدينة بين الري وهمدان.
– معجم البلدان 179/3.

(5) قال الأزهري: هي نحو من عشرة أميال في ستة أميال، وهي كالبركة تحيط بها الجبال ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحيرة. وفي وسط هذه البحيرة حجر ناتئ يزعمون أنه قبر سليمان بن داود.

(6) السماوة: بادية بين الكوخة والشام، ومن حديث سطيع في أعلام النبوة: وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، فليس الشام لسطيح شاما...
– معجم البلدان: 179/1 و245.

وولد مقطوع السرة، مختونا على الصحيح المشهور، فلم ير أحد عورته، وقيل ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وجعل له مأدبة وسماه محمدا. وقيل ختنه جبريل عليه السلام حين طهر قلبه وهو عند حليمة، وولد نظيفا ما به قذر[1]. ووقع إلى الأرض ساجدا رافعا سبابته كالمتضرع المبتهل. وقيل ولد واضعا إحدى يديه على عينيه والأخرى على سوءته، وقيل ولد واضعا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء.

ذكر تسميته صلى الله عليه وسلم

روي «أن جده عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها، وذلك أنه رأى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء، وطرف في الأرض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، فإن أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتعلق به أهل المشرق والمغرب (ويحمده)[2] أهل السماء والأرض»[3].

وقال ابن إسحاق: «إن الناس يزعمون فيما يتحدثون أن آمنة بنت وهب أمه صلى الله عليه وسلم كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم، فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي أعيذه بالواحد من كل حاسد ثم سميه محمدا»[4] وذكر أنها «أمرت في رؤيا أخرى أيضا أن تسميه أحمدا»[5].

ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم ومنشئه وخبر شق صدره

لما ولد صلى الله عليه وسلم أرضعته أمه آمنة ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل تسعة ثم أرضعته ثويبة الأسلمية[6] عتيقة أبي لهب بعد مضي تلك الأيام أياما، وقيل أنها

(1) أخبره ابن سعد في الطبقات : 102/1.
(2) في : ح و ع : يحمده .
(3) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 40/1.
(4) سيرة ابن هشام : 158/1.
(5) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 105/1.
(6) ثويبة مولاة أبي لهب : أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم، اختلف في إسلامها. أخرجها ابن منده وأبو نعيم وقال ابن الأثير : لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير ابن منده.
– أسد الغابة : 48/6 رقم الترجمة : 6791. – الإصابة : 36/8 رقم الترجمة : 212.

أرضعته أربعة أشهر ثم قدمت حليمة بنت أبي ذؤيب امرأة من بني سعد[1] بن بكر ابن هوزان، فاسترضع له منها فكان عندها في بني سعد إلى أن فصل بعد سنتين اثنتين أحسن فنشأ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاما جفرا -وهو الغليظ الشديد-.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: «أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر»[2].

ورأوا له صلى الله عليه وسلم بركات[3] وظهرت له إرهاصات منها، رضاعه ثديه الأيمن دون ثدي رضيعه الأيسر. وكثرة لبن حليمة. وصلاح أتانها بعد جهدها وكثرة لبن ماشيتها من بين مواشي الحاضر، واتساع الحال عليها دونهم بعد ضيفه عليها، وأيضا مع شدة الجذب والبؤس وشهوبة السنة[4].

ومنها إظلال الغمام عليه إذا كان في الحر، وكلامه في صغره بذكر الله تعالى. ففي بعض كتب الواقدي: أن أول كلمة تكلم بها عند حليمة «الله أكبر». (15ب)

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال: «كانت حليمة تحدث بأنها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا. فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيتجنبهم»[5] الحديث.

---

(1) بطن من مضر بن نزار من العدنانية وهم بنو سعد بن هذيل بن مدركة واسمه عمرو بن إلياس
- معجم القبائل: 520/2.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر 41/1.

(3) أخبر بتلك البركات أو الإرهاصات ابن هشام في سيرته 167/1.
- وابن سعد: 11/1. - وعيون الأثر: 14/1.

(4) سنة شهباء إذا كانت مجدبة بيضاء من الجذب لا يرى فيها خضرة، وقيل الشهباء التي ليس فيها مطر وفي ذلك أنشد زهير بن أبي سلمى يقول:

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ... ونال كرام المال في الحجرة الأكل

- اللسان: ج 2346/4 مادة شهب.

(5) يروى أن من أرضعته صلى الله عليه وسلم ثوبية وكانت قد أرضعت قبله عبد الله بن جحش، ثم بعد ذلك أرضعته حليمة من بني سعد ابن بكر.
- سيرة ابن هشام: 161/1. - الروض الأنف:
- عيون الأثر: 42/1.

وفي سيرة الواقدي أنه تكلم في أول ما ولد، فلما فصلته قدمت به هي وزوجها الحارث بن عبد العزى، ومن كان معهما على أمه، وهم أحرص شيء على مكثه فيهم لما يرون من بركته، فكلموا أمه أن تتركه عندهم حتى يغلظ خوفا عليه من وباء مكة، و لم يزالوا بها حتى ردته معهم فبقي عندهم شهرين أو ثلاثة ثم جاءه ملكان في صورة رجلين، وفي حديث ثلاثة «وهو مع أتراب له من الصبيان فاختطفاه من بينهم وأضجعاه وشقا صدره وهم ينظرون، فلما علمت بذلك حليمة وزوجها رداه إلى أمه خشية أن يكون قد أصيب بلمس من الجن»[1].

وقال أبو الفرج بن الجوزي أرضعته وردته إلى أمه بعد سنتين وشهرين، وقال غيره لبث فيهم خمس سنين زاد في الاستيعاب، ويومين[2] وقيل أربع سنين ثم رد إلى أمه فكان عندها إلى أن توفيت.

ذكر تمام الخبر عن شق صدره صلى الله عليه وسلم

كان من خبر شق[3] صدره صلى الله عليه وسلم : أن الملائكة أتوه في صور رجال عليهم ثياب بيض، فأضجعوه فشقوا صدره، ثم أخرجوا أحشاء بطنه فأنعموا غسلها ثم أعادوها مكانها ثم أخرجوا قلبه فشقوه، و لم يجد لذلك كله مسا ثم استخرجوا منه علقة سوداء فرموا بها، وقالوا هذا حظ الشيطان منك ثم غسلوه بثلج كان معهم، ثم أعادوه مكانه قال «فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا».

(1) عيون الأثر : 43/1.

(2) الاستيعاب : 138/1.

(3) وفي الحديث الذي رواه ابن إسحاق عن خالد بن معدان الكلاعي بخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيقول : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها.
وزاد الطبري بعد هذا وقال : «ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب، لم ترع : إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك».
– سيرة ابن هشام : 167/1.

ثم أمر أحدهم يده على الشق فالتأم بإذن الله تعالى، ثم وزنوه بعشرة من أمته، فرجحهم، ثم بمائة فرجحهم فقالوا دعوه، فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضموه على صدورهم وقبلوا رأسه»[1].

قال السبكي : إنما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة، ثم استخرجت منه لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية. فخلقها تكملة الخلق الإنساني، فلا بد منها، ونزعها أمر رباني طرأ بعد ذلك. قالوا والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه وتطهيره وتقديسه، واستخراج العلقة من قلبه تنقية من مغمز[2] الشيطان، وتطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية وتقديسه من كل خلق ذميم، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال. ولذلك نشأ عليه الصلاة والسلام على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان حتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد.

وقد شق صدره صلى الله عليه وسلم أيضا عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء. قالوا : وحكمته زيادة الكرامة، وليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي على أكمل الأحوال من (التطهير)[3]. وشق مرة أخرى عند الإسراء. قالوا : وحكمته التهيؤ للترقي إلى الحضرة المقدسة والثبوت في المقام الأسنى، والتقوي لاستجلاء الأسماء الحسنى ورؤية الملكوت وليصلي بملائكة السماوات. ومن شأن / الصلاة الطهور، (16أ) فقدس باطنا وظاهرا وملئ قلبه حكمة وإيمانا، وقد كان مومنا. ولكن الله تعالى قال : «ليزداد الذين آمنوا إيمانا»[4].

(1) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 41/1.

(2) مغمز : مطمع، يقال ما في هذا الأمر مغمز أي مطمع، وعند ابن السكيت : اغمزني الحر أي فتر فاجترأت عليه، وركبت الطريق، واغمز في الرجل إغمازا: استضعفه وعابه، وصغر شأنه.
– اللسان : 3297/5 مادة غمز.
– مقاييس اللغة : 394/4 مادة غمز.

(3) سقط من ع.

(4) جزء من الآية 31 من السورة 74 : المدثر وورد في تفسير الآية : أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله. وقوله تعالى :س ويزداد الذين آمنوا إيمانا زأي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.
– تفسير ابن كثير : 445/4.

وقد روي شق صدره أيضا وهو ابن عشر سنين أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب. ورويت خامسة ولا تثبت.

ذكر موت والديه صلى الله عليه وسلم

أما أبوه فتوفي وأمه حامل به قد تم لها من حملها شهران هذا قول ابن إسحاق[1] وهو الصحيح المشهور، وصح به الحديث ونسب للجمهور.

وقال أبو بشر الدولابي[2] وغيره الأكثر على أنه كان في المهد، قيل ابن شهرين وقيل ابن سبعة أشهر، وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا[3].

وكان خرج إلى المدينة يمتار تمرا، وقيل بل خرج إلى أخواله بني عدي بن النجار زائرا.

والذي رجحه الواقدي[4] أنه كان خرج إلى غزة تاجرا، فلما فرغ من تجارته مر بالمدينة، وقيل إنه توفي بالأبواء[5] ودفن بها. وتوفي وله من العمر ثمان عشر سنة، وقيل خمس وعشرون سنة وقيل ثلاثون.

وأما أمه صلى الله عليه وسلم، فكانت خرجت به إلى المدينة (يزور)[6] أخواله من بني النجار، ومعها أم أيمن تحضنه، فنزلت به دار النابغة فأقامت به عندهم شهرا،

---

(1) سيرة ابن هشام : 722/1.

(2) هو محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم أبو بشر الدولابي الأنصاري، مؤرخ من حفاظ الحديث، كان وراقا من أهل الري، نسبته إلى الدولاب، استوطن مصر له كتاب «الكنى والأسماء» توفي سنة 310 هـ.

(3) ذكره ابن سعد في الطبقات 100/1.

(4) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني أبو عبد الله الواقدي من أقدم المؤرخين في الإسلام وهو من حفاظ الحديث من كتبه «المغازي النبوية» «فتوح العراق» «تفسير القرآن» توفي سنة 207 هـ.
- تذكرة الحفاظ : 317/1.
- وفيات الأعيان : 506/1.
- ميزان الاعتدال : 110/3.

(5) قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم والسبب في دفنها هناك أنها كانت تتردد على قبر زوجها عبد الله الذي كان مدفونا بها، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها. انظر معجم البلدان

(6) في : ع : (يزور).

ثم رجعت به إلى مكة – فلما كانت بالأبواء توفيت، وقيل توفيت بالحجون مقبرة أهل مكة.

قال بعضهم ومن الناس من يقول : إنها دفنت بأذاخر في دار رائعة بالمعلاة عند حائط حلمان انتهى[1].

وماتت ولها من العمر نحو العشرين سنة تقريبا، فرجعت به أم أيمن إلى مكة بعد خمسة أيام من موت أمه على البعيرين الذين قدما بهما المدينة.

واختلف كم كانت سنه صلى الله عليه وسلم يوم ماتت أمه من أربع سنين على اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام.

وأم أيمن[2] ورثها من أبيه وقيل من أمه هي وخمسة جمال وقطيع غنم، وأم أيمن هي كانت حاضنته صلى الله عليه وسلم، والمربية له، والقائمة عليه، وبقيت معه كذلك وهي في ملكه إلى أن تزوج خديجة فأعتقها عند ذلك. وكان يقول لها «أنت أمي بعد أمي»[3].

وما تقدم من كون بني عدي بن النجار أخواله[4] صلى الله عليه وسلم، إنما هو أخوال جده عبد المطلب، ولكن العرب يحافظون على أنسابهم وصهرهم ويجعلون خال الجد خالا وأمه أما.

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات 116/1.

(2) أم أيمن حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي خادمته صلى الله عليه وسلم اسمها بركة، تزوجها عبيد الحبشي فولدت له أيمن.
– الاستيعاب : 478/4 رقم الترجمة : 3557.
– الأسد : 309/6 رقم الترجمة : م 7363.

(3) أخرجه الحديث ابن الأثير في أسد الغابة : 309/6.
– سيرة ابن هشام : 168/1.

(4) قال ابن هشام سبب خؤولة بني عدي بن النجار لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم عبد المطلب ابن هاشم : سلمى بنت عمرو النجارية .
– سيرة ابن هشام : 168/1.

ذكر موت والديه وكفالة جده صلى الله عليه وسلم ثم عمه أبي طالب

قد كان من نعته عند أهل الكتاب أنه يتربى يتيما من ذلك خبر سيف ذي يزن[1] ومات أبوه وأمه، فكفله جده وعمه.

لما توفيت أمه صلى الله عليه وسلم قبضه جده عبد المطلب وضمه إليه وكفله. ورق له رقة لم يرقها لولد غيره، وكان يوثره على بنيه ويعجبه ما يراه منه، ويقربه ويدينه ويجلسه معه على فراشه تفضيلا له على بنيه، ويمسح على ظهره بيده.

وكان يوضع لعبد المطلب فراش في الحجر فلا يجلس على فراشه ذلك أحد من بنيه ولا غيرهم إجلالا له. فكان رسول اله صلى الله عليه وسلم يأتي ذلك الفراش فيقعد عليه فينتهره أعمامه فيقول لهم جده «دعوا ابني فوالله إن له لشأنا»[2] ثم يجلسه معه عليه.

ومما اتفق له معه أنه بعثه يوما في طلب إبل له فأبطأ عليه، فتفجع عليه فجعل يقول : (17ب)

يـا رب رد راكبـي محمـــدا   إلي ربي واصطنع عنـدي يـدا[3]

فلما أتاه قال : «والله لا أبعثك بعدها ولا تفارقني بعدها أبدا» ثم مات وخلفه ابن ثمانية أعوام أو عشرة.

ولما حضرته الوفاة أوصى به ابنه أبا طالب لأنه كان شقيقا لابنه عبد الله فكفله أبو طالب، وكان هو الذي يلي أمره، وكان إليه ومعه، وكان شفيقا عليه، وناصرا له وأحبه حبا عظيما، وكان لا ينام إلا بجانبه ويخصه بأنفس الطعام.

(1) سيف بن ذي يزن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبر جده عبد المطلب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وروى ثابت عن أنس بن مالك أن الملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله حلة قد أخذت بثلاثة وثلاثين بعيرا.
- الأسد : 363/2 : رقم الترجمة : 2367.
- الإصابة : 190/2 : رقم الترجمة : 3818.

(2) انظر سيرة ابن هشام 168/1.

(3) ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر : 49/1.

وروي أن عياله كانوا إذا أكلوا جميعا أو فرادا، و لم يحضرهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يشبعوا، و لم يكفهم الطعام. فإن أكل صلى الله عليه وسلم معهم شبعوا وفضل من الطعام. فيقول أبو طالب : إنه لمبارك، فكان يؤخر الغذاء والعشاء حتى يحضر.

فبقي مع أبي طالب حتى بلغ خمس عشرة سنة. ثم انفرد بنفسه، وكان مع ذلك مائلا إلى عمه أبي طالب لكونه شقيقا لأبيه وشفيقا عليه، ولوجاهته في بني هاشم وسنه.

ذكر سفرته صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة، وقيل تسع سنين. وفي رواية عشرين سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ مدينة بصرى[1] من أرض حوران[2] وهي من عمل دمشق الشام. وقد قيل نزل تيماء[3] بلدة بالشام من أمهات القرى على ثمان مراحل من المدينة فرآه راهب من رهبان النصارى، وقيل حبر من أحبار يهود تيماء.

وعند المسعودي[4] أنه كان من عبد القيس، يقال بحيرا الراهب وهو بفتح الموحدة وكسر المهملة، فعرفه بصفات النبوة، وذلك أنه رأى غمامة بيضاء تظله من بين القوم، و لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا، ولا تسجد إلا لنبي. ونزل الراكب في ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة، وتصهرت

(1) وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا . في دمشق.
– معجم البلدان 441/1.

(2) حوران بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع، وما زالت منازل العرب وقصبتها بصرى.
– معجم البلدان : 317/2.

(3) بليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى وكانت تسمى بتيماء اليهودي.
– معجم البلدان : 67/2.

(4) هو أبو علي بن الحسين بن علي أبو الحسن المسعودي مؤرخ رحالة من أهل بغداد أقام بمصر وتوفي بها، من مؤلفاته : «أخبار الأمم من العرب والعجمس زالمقالات في أصول الديانات» توفي سنة 346 هـ.
– فوات الوفيات : 45/2.
– طبقات الشافعية : 307/2.

أغصان الشجرة عليه صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ورأى خاتم النبوءة بين كتفيه ونظر أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، وسأل بحق اللات والعزى[1] إلا ما أخبره عما يسأله عنه لكونه سمع قومه يحلفون بهما فقال صلى الله عليه وسلم له «لا تسألني بالات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما» فسأله بالله إلا ما أخبره، فقال : «سل عما بدا لك»، فسأله عن أشياء من حاله فأخبره صلى الله عليه وسلم عنها فوافق ذلك ما يعلمه من نعته[2]، فسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من الروم، (وقيل من اليهود)[3]، وأقبل سبعة من الروم، وقيل من اليهود يريدون قتله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بنبوته صلى الله عليه وسلم، فاستقبلهم بحيرا[4] فردهم عما أرادوا فرده صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب.

ذكر سفرته صلى الله عليه وسلم بمال خديجة مع غلامها ميسرة

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلا الأمين، لما تكاملت فيه من خصال الخير خرج معه ميسرة غلام خديجة بنت خويلد ابن أسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى. وقيل سوق حُباشة[5]. وهي بوزن

---

(1) في قوله تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾. اللات صنم كان لثقيف، والعزى : سمرة كانت لغطفان يعبدونها، وكان بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد إليها فهدم البيت وأحرق السمرة. وقال ابن حبيب : العزى شجرة كانت بنخلة عندها وثن تعبده غطفان وسدنتها من بني صرمة بن مرة.
– معجم البلدان : 114/4.

(2) أخرجه ابن هشام في سيرته : 182/1.
– وابن سعد في الطبقات : 121/1.
– وابن سيدي الناس في عيون الأثر : 52/1.

(3) سقط من ح .

(4) في ع وح بحيرا الراهب.

(5) أصل الحباشة الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة. وحباشة سوق من أسواق العرب في الجاهلية . ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ أشده وليس له كثير من مال استأجرته خديجة إلى سوق حباشة وهو سوق بتهامة.
– معجم البلدان : 210/2.

حذافة. سوق للعرب معروفة بتهامة[1] في ديار بارق[2] على ست مراحل من مكة إلى جهة اليمن وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم في رجب وتستمر ثمانية أيام. (18أ)

وقيل إن خروجه ذلك كان لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، وعليه فيتعين سوق بصرى، فنزل تحت ظل شجرة وكان هنالك راهب يقال له نسطورا وهو بفتح النون وسكون المهملة وضم الثانية، فلما رآه نزل تحت ظل الشجرة وقال: «ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلا نبي». وفي رواية «بعد عيسى». وقال آخر لميسرة وخلا به هذا نبي، والذي نفسي بيده كأنه لهو الذي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم[3].

وكان قد استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى على شيء فقال صلى الله عليه وسلم: «ما حلفت بهما قط»[4] فقال لميسرة ما تقدم، وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس، ولما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها (وهي الغرفة)[5] رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه.

ذكر تزوجه[6] صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

ولما كان بعد قدومه من سفره المذكور بنحو ثلاثة أشهر تزوج صلى اله عليه وسلم خديجة وهي ثيب من زوجين وسنه خمسة وعشرون سنة على مذهب

(1) تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة، وقال المدائني: تهامة من اليمن وهو ما أصحر منها إلى حد في باديتها ومكة من تهامة.
- معجم البلدان: 36/2.

(2) بارق ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. وبارق أيضا في قول السندوسي جبل وهو بتهامة.
- معجم البلدان: 319/1.

(3) أخبر بهذه الرواية ابن سيد الناس في عيون الأثر: 61/1.

(4) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 121/1.

(5) ما بين قوسين: سقط من ح و ع.

(6) عن موسى بن عقبة قال: قال: حكيم بن حزام: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عمتي خديجة وهي ابنة الأربعين.
- مغازي ابن عقبة: 61.
- أنساب الأشراف للبلاذري: 98/1.
- الإصابة: 112/2.

الأكثر. وقيل إحدى وعشرون سنة، وقيل ثلاثون. ولها هي من العمر ثمان وعشرون سنة وقيل أربعون سنة، وكانت عرضت عليه نفسها لما رأت منه من محاسن الأخلاق وإظلال الملكين، ولما حدثها به عنه ميسرة، وكانت امرأة حازمة لبيبة شريفة، وهي يومئذ من أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا، كل من قومها قد كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك له صلى الله عليه وسلم ذكره لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة، وقيل أبو طالب حتى دخل على أبيها خويلد بن أسد، وقيل عمها عمرو بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم، وأصدقها عشرين بكرة وهي الفتية (من الإبل)[1] وقيل اثنتي عشرة اوقية ذهبا ونشا، والنش نصف أوقية، وحضر أبو طالب وغيره من عمومته وبنو هاشم ورؤساء مضر، وخطب أبو طالب خطبة النكاح، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت من غير خلاف في الأمرين.

ذكر بنيان قريش للكعبة وحضوره صلى الله عليه وسلم وما وقع له في ذلك وما يتصل به

اختلف في زمان بنيانهم للكعبة، فقال الزهري[2] : «أنه لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم[3].

وقال ابن إسحاق : ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة، وقيل قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وقيل سنة ثلاث وثلاثون سنة»[4].

واختلف في السبب الحامل لهم على بنيانها، فقال الزهري : «إن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شررة فأحرقت ثياب الكعبة فوهى البيت فنقضته قريش وبنته»[5].

---

(1) ما بين القوسين : سقط من ع.

(2) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري من بني زهرة بن كلاب من قريش، أول من دون الحديث أحد كبار الحفاظ والفقهاء تابعي من أهل المدينة، توفي سنة 124 هـ.
- تذكرة الحفاظ : 102/1. - وفيات الأعيان : 451/1.
- غاية النهاية : 262/2.

(3) في : ع : لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم «الحلم».

(4) سيرة ابن هشام : 192/1.

(5) المغازي النبوية للزهري 41. وكان الذي يهدم البيت هو الوليد بن المغيرة على ما حكاه الزهري في مغازيه.

وقال موسى بن عقبة[1] «وإنما حمل قريشا على بنيانها أن السيل كان أتى من فوق الرضم الذي صنعوا فأخر به، فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل سرق طيب الكعبة فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا»[2].

وقال ابن إسحاق /: «إنهم كانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما (19ب) كانت رضما فوق القامة. ثم إن نفرا سرقوا (كنز)[3] الكعبة، وإنما كان يكون في بير في جوف الكعبة فاجتمعوا لبنيانها». والرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط وهو الطين يجعل بين أحجار البناء، ويملط به الحائط.

وحضر النبي صلى الله عليه وسلم لبنيانها، وكان ينقل معهم الحجارة، وكانوا يضعون أزر على عواتقهم، ويحملون الحجارة، فأمرهم العباس بفعل ذلك، ففعله صلى الله عليه وسلم، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء. وقد نودي أشدد عليك إزارك يا محمد، وإنه لأول ما نودي، فضمه العباس إلى نفسه، فلما أفاق قال: «إزاري فشد عليه إزاره، فلما بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر الأسود اختلفوا فيمن يرفعه من القبائل، فاجتمع رأيهم على أن يتحاكموا إلى أول داخل من باب المسجد»[4]، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم قال الزهري: «وهو غلام فلما رأوه قالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به»[5] وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل الوحي الأمين فحكموه، فقال «هاتوا ثوبا» فأخذ

---

(1) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي أبو محمد عالم بالسيرة النبوية من ثقات رجال الحديث من أهل المدينة له كتاب المغازي النبوية، توفي سنة 141 هـ.
– تذكرة الحفاظ : 140/1. – التهذيب : 360/10.

(2) مغازي ابن عقبة : 57، ثم إن الناس هابوا هدمها وتفرقوا، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم تُرَعْ – لم تفزع – قال ابن هشام ويقال : لم نزغ اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام. أفضوا إلى حجارة خضر كالأسمنة أخذ بعضها بعضا.
– سيرة ابن هشام : 195/1.

(3) ما بين القوسين : سقط من : ح .

(4) سيرة ابن هشام : 192/1.

(5) المغازي النبوية للزهري : 41.

الركن فوضعه فيه بيده، ثم أمر سيد كل قبيلة أن يأخذ بناحية من الثوب ثم قال : «ارفعوا جميعا»، فلما رفعوه وبلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم بيده فيه ثم بنى عليه من كان يبني[1].

وعلى ذكر ما وقع له في التعري في بناء الكعبة[2] فلنذكر ما وقع له من ذلك ونحوه في غير البناء[3] مما أظهر الله فيه كرامته عليه وعنايته به، من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان وهو غلام مع غلمان من قريش هم أسنانه ينقلون حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، وقد جعلوا أزرهم على أعناقهم، قال : «فإني لأقبل وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال أشدد عليك إزارك».

وعن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد، ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى أكرمني الله برسالته، قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى بأعلى مكة : لو حفظت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت حتى أتيت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست أنظر إليهم، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس .ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمني الله برسالته».

---

(1) المغازي النبوية لابن شهاب : 41.

(2) وفي عدد المرات التي بنيت فيها الكعبة يقول ابن سيد الناس فيما رواه عن السهيلي : أن الكعبة كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل- يعني ارتفاعها-، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع فكانت ثماني عشرة ذرعا ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم، وأول من عمل لها غلقا تبع، ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع، فكانت سبعا وعشرين ذرعا، وعلى هذا هي الآن.
وكان بناؤها في الدهر خمس مرات، الأولى حين بناها شيث بن آدم عليه السلام والثانية حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى، والثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت.
- حكاه ابن سيدي الناس في عيون الأثر : 66/1.

(3) قال الحافظ ابن حجر في الفتح 442/3 «قال مجاهد كان ذلك (بناء الكعبة) قبل المبعث بخمس عشرة سنة. وهو ما رواه ابن عبد البر من طريق محمد بن جبير بن مطعم بإسناد له وبه جزم موسى بن عقبة في مغازيه : 59.

وعن الإمام أحمد بن حنبل «من قال إنه عليه الصلاة والسلام كان على دين قومه قبل النبوءة، فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب».

وذكر الواقدي عن أم أيمن قالت «كانت بوانة[1] -يعني بضم الموحدة وتخفيف الواو- صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك له وتحلف عنده وتعكف عليه يوما إلى الليل في كل سنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر تلك العيد معهم فيأبى قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن: إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ،ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا، ولا نكثر لهم جمعا، فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم عاد مرعوبا فزعا/، فقلن (20أ) ما دهاك قال: إني أخشى أن يكون بي لمم، فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت قال: إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت: فما عاد إلي عيد لهم حتى تنبأ صلوات الله عليه»[2].

وأخرج أبو نعيم عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «سمعت زيد بن عمرو بن نفيل[3] يعيب ما ذبح لغير الله، فما ذقت شيئا ذبح لغير الله حتى أكرمني الله برسالته»[4].

---

(1) بوانة هضبة وراء ينبع قرية من ساحل البحر، وقريب منها ماءة تسمى القصيبة وفي حديث ميمونة بنت كردم أن أباها قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني نذرت أن أذبح خمسين شاة على بوانة.
- معجم البلدان: 505/1.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 158/1.

(3) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله القرشي العدوي والد سعد بن زيد أحد العشرة. وابن عم عمر بن الخطاب، وتوفي زيد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فرثاه ورقة بن نوفل.
- الأسد: 157/2. رقم الترجمة: 1860.
- الإصابة: 31/3 رقم الترجمة: 2917.

(4) فكونه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لم يذق شيئا ذبح لغير الله فهي إرهاصات وتكهنات بنبوءته. وزيد بن عمرو هذا كان أيضا يبتعد عن كل ما يشوب عبادته لله الواحد الأحد، عن زيد بن عمرو قال: شامت النصرانية واليهودية فكرهتهما، فكنت بالشام وما والاه حين أتيت راهبا في صومعة، فوقفت عليه فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية فقال لي: أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة إنك لتطلب دينا ما يؤخذ اليوم به وهو دين أبيك إبراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا... فإن نبيا يبعث من قومك في بلدك يأتي بدين إبراهيم.
- انظر ابن سعد: 162/1.

وروى أبو نعيم أيضا وابن عساكر عن علي قيل للنبي صلى الله عليه وسلم، «هل عبدت وثنا قط قال : لا قيل : هل شربت خمرا قط قال لا. ومازلت أعرف الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان». وعن جبير بن مطعم[1] أنه رآه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية واقفا على بعيره بعرفة منفردا عن قومه حتى يدفع منه توفيقا من الله تعالى.

وفي حديث شداد بن أوس[2] عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر عنه صلى الله عليه وسلم يصف بعض شأنه ثم قال : «إن أمي ولدتني فنشأت وقد بغضت إلي أوثان قريش وبغض إلي الشعر»[3] الحديث.

وتقدم قوله لبحيرا : «لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما»[4]

وقوله للآخر الذي استحلفه بهما ما حلفت بهما قط فعلم من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان كما قالوا مجانبا للأصنام مبغضا لها من أول نشأته.

قالوا : وكان لهجا يذكر الله في جميع أحواله، فكان على الفطرة والتوحيد والملة الحنيفية والدين القيم من أول ما خلق، و لم يكن قط على ما سوى ذلك.

---

(1) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي يكنى أبا محمد أمه جميل بنت سعد. أسلم يوم الفتح، مات بالمدينة سنة سبع وخمسين.
- الاستيعاب : 303/1 رقم الترجمة 315.
- الأسد : 369/1.

(2) هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن أخي حسان بن ثابت يكنى أبا يعلى نزل الشام بناحية فلسطين، ومات بها سنة ثمان وخمسين.
- الاستيعاب : 251/2 : رقم الترجمة 1163.
- الأسد : 372/2 : رقم الترجمة 2392.

(3) لم أقف على هذه الرواية التي تدل على بغضه صلى الله عليه وسلم للشعر.
- «فعنه صلى الله عليه وسلم قال : إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :
ألا كـل شيء ما خـلا الله باطـل».
- وعن جندب بن سفيان البجلي قال : أصاب حجر أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
«هـل أنـت إلا أصبـع دميـت وفي سبيـل اللـه مـا لقيت»
- رواه الترمذي في سننه كتاب الشمائل باب ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر : ج : 546/5. الحديث رقم 241 و242.

(4) أخرجه ابن هشام في سيرته : 182/1.
- وابن سعد في الطبقات : 121/1.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 52/1.

وهذا واجب اعتقاده في حقه ولا يجوز عليه غيره. واختلف العلماء هل كان متعبدا قبل بعثته بشرع من قبله أم لا وعلى الإثبات اختلفوا في التعيين على أقوال.

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم «كان على دين قومه» فقال في القاموس: أي ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في حجهم ومناكحهم وبيوعهم وأساليبهم. وأما التوحيد فإنهم قد كانوا بدلوه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا عليه انتهى[1].

وقد كانت «قريش على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام من قرى الضيف، ورفد الحاج ،وتعظيم الحرم، ومنعه من البغي فيه والإلحاد وقمع الظالم ومنع المظلوم، وكانت لهم أحلام عظام، وكانوا أهل الله وسكان حرمه وحجاب بيته وأهل السقاية والرفادة والرياسة ومكارم مكة، إلا أنهم دخلت عليهم أحداث غيرت أحوال الحنيفية عندهم وطال الزمان وبعد عهدهم بالنبوءة حتى أفضى ذلك بهم إلى جهالات وضلالات فعبدوا الأصنام واتخذوا مع الله آلهة أخر، وذبحوا لغير الله وأحلوا وحرموا لأنفسهم وغيروا مناسك الحج، وكان مما ابتدعوا فيه أمر الحمس[2]. والحُمْس قريش وما ولدت غيرها، وقيل قريش ومن ولدت وأحلافها وتابعهم على ذلك بعض قبائل العرب ودانوا بدينهم ودخلوا معهم فيه، فقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقطان[3] مكة وسكانها فليس لأحد من العرب مثل

(1) القاموس المحيط : مادة الدين : 1546.

(2) حمس الأمر : اشتد وتحامس القوم تشادوا واقتتلوا، والأحمس : المتشدد، والحمس قريش، لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون وقيل كانوا لا يستظلون أيام منى، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون.
وقال أبو الهيثم : الحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس وغيلان، وبنو عامر بن صعصعة، هؤلاء الحمس سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا.
– اللسان : 3682/2 مادة حمس.

(3) القطان المقيمون، والقطين السكان في الدار ومجاوروا مكة قطانها، وفي حديث الإفاضة نحن قطين الله أي سكان حرمه.
– اللسان : 3682/5 مادة قطن.

حقنا و(لا مثل)[1] منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا نخرج من حرم الله تعالى ولا نعظم غيره تعظيمه فتستحق العرب بحرمتنا/ وتقول قد عظموا (21ب) من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ووقفوا بالمزدلفة ثم قالوا : لا ندخل البيوت من أبوابها ونحن محرمون ولا نلبس صوفا ولا شعرا ولا وبرا ولا نستظل أيام منى»[2].

وقيل أنهم قالوا : لا ندخل بيتا من شعر ولا نستظل إن استظللنا في بيوت الأدم[3] وقالوا لا نأتقط إلا قط[4] ولا نأتدم بالسمن، ثم رفعوا في ذلك فقالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إذا جاءوا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طواف في ثيابهم التي اقترفوا فيها الذنوب ولا يطوفوا إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة. فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة و لم يجد ثياب أحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاه إذا فرغ من طوافه ثم لم يحل له أن يلبسها ولا أن ينتفع بها هو ولا غير أبدا، فحملوا على ذلك العرب فدانت به وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف بها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف بها. فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت عريانا غير أن المرأة فيما روي تجعل عليها درعا مفرجا تطوف فيه، أو تتخذ نسائج من سيور فتعلقها على حقويها[5].

وروي أنهن مع ذلك كن يطفن ليلا والرجال نهارا، وكان ماعدا الحمس يسمون الحلة، وهناك صنف ثالث وهم الطلس[6] وهم قوم كانوا يأتون من أقصى

---

(1) ما بين القوسين : سقط من ع.

(2) سيرة ابن هشام : 199/1.

(3) الأدمة : القرابة والوسيلة إلى الشيء، وقيل الأدمة لأنها مشبهة بلون التراب ولذلك سمي آدم لأنه خلق من تراب، والأدمة السمرة.
- اللسان : 47/1 مادة أدم.

(4) شيء يتخذ من اللبن المخيض، والقطعة منه أقطة، قال ابن الأعرابي هو من ألبان الابل خاصة، وائتقطت : اتخذت الإقط.
- اللسان : 99/1 مادة أقط. - مقاييس اللغة : 99/1 مادة أقط.

(5) الحَقو والحِقو : الكشح وقيل معقد الازار وفي الصحاح الحِقو : الخصر ومشد الإزار من الجنب.
-اللسان : 849/2 : مادة حقا.

(6) الطلس : المحوز والطلس من الرجال الدنس الثياب، شبه بالذئب في غيرة ثيابه، والطيلسان : ليس بعربي أصله فارسي.
- اللسان : 9862/4 مادة طلس. - مقاييس اللغة : 418/3 مادة طلس.

اليمن طلسا من الغبار، ويطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس، فسموا بذلك فكانت العرب على ما ذكر حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخ ذلك (كله)[1] ووضعه عن الناس، وأحكم له دينه وأقام به دين الحنيفية.

وكانت قريش قبل قصي بن كلاب متفرقين في قومهم من بني كنانة حوالي مكة وكانت مكة وولاية البيت الحرام إلى غيرهم ممن غلبهم عليها، ونفاهم عنها من خزاعة بعد أن كانت لهم ولأخوالهم من جرهم. وكانت مع ذلك لا تسكن إنما يحج الناس ثم يتفرقون فتبقى خالية ليس فيها أحد. كانوا يهابون سكنى الحرم، ولا يجرؤون على ذلك حتى افتتح ذلك لهم قصي لما غلب على مكة ونفى خزاعة عنها فأنزل قومه بالحرم وأقطع مكة رباعا بينهم، وأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، فأخذ لنفسه وجه الكعبة فصاعدا وبنى دار الندوة فكانت مسكنه، وقد أدخل أكثرها في المسجد، وأعطى بني مخزوم أجيادا، ولبني جمح المسفلة، ولبني سهم الثنية، ولبني عدي أسفل الثنية فيما بين جمح وبني سهم، ولما كان وقت الحج نحر قصي الابل على طرقات الحجيج، ونحر بمكة الجزر وصنع الثريد فأوسع الحجيج إطعاما وسقيا ،وهو أول من أطعم الحجيج وسقاهم، ثم استمر على ذلك كل عام تعينه قريش بأموالها كل على قدره، وأورث ذلك عقبة، وكان أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه. وكانوا يتيمنون بأمره ويتشاورون فيما نزل بهم عنده ولا يقطعون أمرا دونه وكان أمره فيهم في حياته - ومن بعد مماته كالدين المتبع لا يعمل بغيره ثم كانت قريش على ثلاثة أقسام، فقسم دخلوا مع قصي الأبطح[2] ويقال له البطحاء وهو الحصب والحصبة وخيف[3] منى. وخيف بني كنانة/، ويقال لهم الأبطحيون وقريش البطحاء،وكان الذين دخلوا (22أ) البطحاء قبائل كعب بن لؤي[4].

(1) سقط من : ح.

(2) بطن من قريش من العدنانية وهو بنو قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر.
- معجم القبائل : 956/3.

(3) الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمي مسجد الخيف من منى.
- معجم البلدان : ج : 412/2.

(4) بطن من قريش من العدنانية وهم بنو عامر بن لؤي بن غالب بن فهر كانت فهيم كثرة.
- معجم القبائل :317/2.

وهم بنو حسل بن عامر بن لؤي[1] وبنو هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر[2] وبنو هلال بن مالك بن قصي بن الحارث بن فهر، وقسم لزموا مكة وضواحيها و لم يدخلوا الحرب ويقال لهم قريش الظواهر[3] وقريش الضواحي[4] فأقاموا ببادية مكة، و لم يدخلوا بطحاءها مع قصي وهم بنو معيص[5] بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. وبنو الأدرم[6] وبنو تميم[7] بن غالب بن فهر، وبنو محارب ابن فهر[8]، وبنو الحارث بن فهر.

وقسم ليسوا من الفريقين وهم بنو أسامة[9] وبنو خزيمة[10] وبنو سعد، وبنو

(1) هم بنو حسل العامري من بني عامر بن لؤي وحديثه (حسل) مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته على رجل قد فرغ من حجته، فقال له أسلم لك حجك قال : نعم قال انتنف العمل».
- أخرجه ابن منده وأبو نعيم قال ابن الأثير في الأسد : 556/1، رقم الترجمة : 1146.

(2) بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من قيس بن غيلان من العدنانية كانوا يقطنون الحجاز ونجد، وبطونهم ترجع إلى بني قرة وبني بعجة وبني حرب وبني رياح.
- معجم القبائل : 1221/3.

(3) قريش الظواهر : هم قبائل بنو عامر بن لؤي بن يخلد بن النضر ينزلون خارج الشعب.
- معجم القبائل: 948/3.

(4) قريش الضواحي : وهم قريش البطاح، هي قبائل كعب بن لؤي وهم بنو عبد مناف، وبنو عبد العزى، وبنو عبد الدار، بنو زهرة ... ينزلون الشعب بين أخشبي مكة.
- معجم القبائل : 948/3.

(5) بطن من عامر بن لؤي من العدنانية.
- معجم القبائل : 1125/3.

(6) حي من قريش الظواهر وهو بنو الأدرم بن لؤي بن غالب بن فهر كانوا قلة.
- معجم القبائل : 12/1.

(7) قبيلة أفرادها من حاضرة نجد بطونهم : بطن حنظلة بن مالك، بطن سعد بن زيد، بطن عمرو بن تميم.

(8) بطن من فهر بن مالك من العدنانية وهم بنو محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة.
- معجم القبائل : 1043/3.

(9) بطن من العدنانية ينتسب إلى أسامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك.
- معجم القبائل : 19/1.

(10) بطن من قريش من العدنانية وهم بنو خزيمة بن لؤي بن غالب بن فهر وهم أربعة نفر: كنانة بن خزيمة، أسد بن خزيمة، أسد بن خزيمة، والهون بن خزيمة.
- معجم القبائل : 343/1.

عوف[1] وبنو الحارث[2] وهم جشم بنو لؤي بن غالب بن فهر كانوا نائين عن قومهم مجانبين لهم متفرقين في قبائل العرب فليسوا من الفريقين كما أنهم ليسوا الحمس أيضا.

وأما رعيته صلى الله عليه وسلم للغنم التي تقدمت الإشارة إليها فقد سأله أصحابه عن رعيته لها فقال: «وهل من نبي إلا ورعاها كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[3] أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وفي حديث آخر «بعث موسى وهو راعي غنم وبعث داوود وهو راعي غنم وأنا راعي غنم أهلي بأجياد»[4] قالوا والحكمة في رعاية الأنبياء عليهم السلام الغنم أن يأخذوا أنفسهم بالتواضع ويعتادوا بالخلوة، ويحصل لهم (التمرن)[5] برعيها على ما سيكلفونه من القيام بأمر رعيتهم فيترقوا من سياسيتها إلى سياسة الأمم، وللإشارة إلى أن الله لم يضع النبوءة في أبناء الدنيا والمترفين.

ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وكيف كان الوحي إليه

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة على الصحيح بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا إلى كافة الثقلين[6] أجمعين، وذلك يوم الإثنين في شهر رمضان وقيل في ربيع الأول، وجمع بأنه نبئ برؤيا جبريل عليه السلام في النوم في شهر ربيع الأول. ثم كانت مدتها ستة أشهر، ثم لما كان في غار حراء في شهر رمضان أوحي إليه في اليقظة وظهرت على يديه الآيات البينات والمعجزات الباهرات، ونزل عليه القرآن وقامت حجته بواضح البرهان بعد أن بشرت به هواتف الجان، وأعلمت به

---

(1) بنو عوف: بطون كثيرة بطن من الخزرج وبطن من سليم وبطن من عامر بن صعصعة.
– معجم القبائل: 858/2.
(2) بطون كثيرة منها ثقيف وجذام وبنو النبيت.
– معجم القبائل: 188/1.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب رعي الغنم على قراريط: 189/3 الحديث رقم 499.
وأخرجه ابن ماجة: كتاب التجارات باب الصناعات: 12/3 الحديث رقم 2149.
(4) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 126/1.
(5) في: ح: التمرس.
(6) الإنس والجن.

الكهان، وصدعت به الأوثان وأشارت إليه رؤيا الموبذان[1] وشهدت به وبحضور وقته الأحبار والرهبان. وحجبت الشياطين عن استراق السمع[2] بالكلية، وحيل بينها وبين الأخبار السماوية، وبسط ذلك بطوله ومحله المطولات. وقد حماه الله سبحانه من القراءة والكتابة والشعر، فلم يعرف شيئا من ذلك، وإنما كان أميا لا يكتب ولا يحسب ولا يدارس علما، و لم يطالع كتابا، و لم يسافر قط في طلب علم، و لم يزل بين أظهر الجهال من العرب يتيما ضعيفا مستضعفا، وكان أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وحبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، وهو جبل على ثلاثة أميال من مكة على جانب المار لمنى يتحنث فيه، وهو تعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، وذلك في شهر (23ب) رمضان فجاءه الملك فيه، فقال : اقرأ فقال : ما أنا بقارئ فأوحى إليه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[3] إلى ﴿ما لم يعلم﴾[4] على الصحيح المشهور. ومذهب

---

(1) الموبذان : القاضي، في حديث سطيح : فأرسل كسرى إلى الموبذان . والموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين.
– اللسان : 4924/6 مادة موبذ.

(2) إن استراق السمع من الجن روته أحاديث كثيرة نذكر منها هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا كذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.
والحديث أخرجه البخاري في تفسير قوله تعالى ﴿إلا من استرق﴾ من سورة الحجر.
والجن لهم قدرة كبيرة على استراق السمع من السماء قال تعالى : ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين﴾.

(3) الآية 1 من السورة 96 : العلق.

(4) الحديث أخرجه البخاري من كتاب بدء الوحي باب بدء الوحي : 59/1.
الحديث رقم : 3.
– وأخرجه أيضا في كتاب التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة : 646/9. الحديث رقم : 1816.
– وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الايمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : 126/1 الحديث رقم : 252.

الجمهور يعد غطه أي ضمه وعصره حتى يبلغ منه الجهد، وأمره بالقراءة ثلاثا في كل ذلك يقول «ما أنا بقارئ» فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال «زملوني» أي لفوني[1] فلما ذهب عنه الروع أي الفزع أخبر خديجة خبر ما رأى فقالت له : أبشر، ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان يقرأ الإنجيل فقص عليه[2] فقال له هذا الناموس[3] الذي أنزل على موسى[4] والناموس صاحب السر أو سر الخبر أو سر الملك، ويفسر هنا بجبريل أو الناموس هو جبريل عليه السلام. وأعلمه بأن قومه سيعادونه ويخرجونه، فكان هذا مبدأ النبوة، ثم نزعه الوحي أي تأخر مدة من الزمان حتى شق عليه شديدا وأحزنه حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فيتبدى له جبريل فيقول : يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا المثل ذلك فتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك. وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين وقيل سنتين ونصف، وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما. وكان يأتيه في تلك المدة إسرافيل[5] عليه السلام فيعلمه

---

(1) أي من شدة الوحي وقوته عليه ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال : يا خديجة إني أسمع صوتا وأرى ضوءا وإني أخشى أن يكون في جُنَنٌ، فقالت لم يكن الله ليفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك فقال إن يك صادقا فهذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن يبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأومن به.
- رواه ابن سعد في الطبقات : 195/1.

(2) في : ع فقص عليه الخبر.

(3) الناموس في اللغة : ما ينمس به الرجل من الاحتيال والناموس المكر والخداع، والناموس وعاء العلم، والناموس : جبريل عليه السلام، قال أبو عبيد : الناموس صاحب سر الملك أو الرجل الذي يطلعه على سره وباطن أمره ويخصه بما يستره عن غيره. وقال ابن سيدة : ناموس الرجل صاحب سره.
- اللسان : 4547/6 مادة نمس.

(4) والخبر رواه البيهقي في دلائل النبوة : 141/2.
- وأبو نعيم في الدلائل : 279/1.
- والذهبي في تاريخ الإسلام : 76/1.
- والمغازي النبوية للزهري : 44.

(5) إسرافيل اسم أعجمي كأنه مضاف إلى إيل، قال الأخفش: ويقال في لغة : إسرافين بالنون كما قالوا جبرين وإسماعين.
- اللسان : 1997/3 مادة سرفن.

وتردد إسرافيل على النبي صلى الله عليه وسلم في تلك المدة لم تذكره كتب السيرة التي بين أيدنا وأشار إليه ابن سعد في طبقاته مستندا في ذلك إلى خبر يرويه عن أبي هند بن عامر قال :
«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن الأربعين سنة، وكان معه إسرافيل ثلاث سنين، ثم عزل عنه إسرافيل واقرن به جبريل عشر سنين بمكة وعشر سنين مهاجره بالمدينة، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة». =

الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه قرآن بواسطة، ثم حمي الوحي -أي كثر- نزوله وتتابع وأنزلت عليه سورة المدثر، أول ما نزل بعد فترة الوحي، وأمر فيها بالإنذار[1] وقرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن بواسطته عشرين سنة، فكانت نبوءته متقدمة على رسالته. وكان في نزول سورة اقرأ نبوءته وفي نزول سورة المدثر إرساله بالنذارة والبشارة والتشريع وقيل إنه جعل نبيا ورسولا من أول يوم أوحي إليه من غير تأخر للرسالة عن النبوءة والله أعلم.

والوحي[2] إلقاء معنى في خفاء بسرعة، ويكون مناما أو يقظة بواسطة ملك أو دونه والملك جبريل أو غيره إما ظاهرا مرئيا في صورته التي خلق عليها أو متمثلا في صورة بشر أو مسموعا كصلصلة الجرس، وإما بإلقائه في الروع أي القلب من غير رؤية. وكل هذه الأحوال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فكان يأتيه الوحي على مراتب عديدة منها الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح في الوضوح، وفلق الصبح ضياؤه.

ومنها ما كان يلقيه الملك في روعه من غير أن يراه، ومنها تمثل الملك فيه رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول، ومنها ما كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس أي صورته، والجرس : هو الجلجل الذي يعلق في أعناق الإبل وغيرها. وكان أشده عليه، فكان إذا نزل عليه أخذته برحاء[3] أي : شدة وعرق عرقا شديدا ،حتى إن

= قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم.

– انظر الطبقات : 191/1.

(1) في قوله تعالى : ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ الآيات 1 و2 من السورة 74 المدثر.

(2) تعددت الاستعمالات اللغوية لكلمة وحي ونطق بها القرآن الكريم على اختلاف معانيها : فمنه الإلهام الفطري للإنسان كقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضيعه﴾ ومنه الإلهام الغريزي للحيوان كالذي في قوله تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ ومنه الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء كما في قوله عن زكرياء ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشية﴾.

(3) البرحاء : الشدة والمشقة، وخص بعضهم به شدة الحمى، وفي الحديث : برحت بي الحمى أي أصابني منها البرحاء وهو شدتها، وحديث الإفك : فأخذه البرحاء : هو شده الكرب من ثقل الوحي.

– اللسان : 246/1 مادة : برح.

جبينه ليفصد عرقا مثل الجمان[1] في اليوم الشديد البرد، ويثقل لذلك حتى إن راحلته لتبرك به في الأرض، وحتى تكاد فخذ زيد بن ثابت أن تردها[2] فخذه صلى الله عليه وسلم حين إملائه عليه القرآن من شدة ثقلهن وفخذه على فخذه، ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة ومنها رؤية الملك في / صورته التي خلق عليها وهذا وقع له مرتين. ومنها كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ،كما كلم موسى عليه السلام. (24أ)

ومنها تكليم الله تعالى له كفاحا[3] بغير حجاب، وكان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي، ويسكن عن الحركة ويتغير لونه وينكس رأسه، وينكس أصحابه رؤوسهم، ويبقى كذلك ساعة كهيئة السكران فإذا أقلع عنه رفع رأسه.

ذكر السابقين إلى الإسلام وما تعبدوا به حينئذ واستخفاؤهم بدينهم

لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي بغار حراء فانقلب إلى أهله أخبر زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بما رأى فآمنت به من فورها وصدقت. فكانت أول من آمن بالله ورسوله إجماعا، ثم آمن به بناته[4] صلى الله عليه وسلم،

---

(1) الجمان تعمل من فضة كالدرة ن وسميت الدرة جمانة، وفي صفته صلى الله عليه وسلم يتحذر منه العرق مثل الجمان قال هو اللؤلؤ الصغار.
– اللسان 689/1 . مادة : جمن.
– مقاييس اللغة : 475/1 مادة جمن.

(2) في : ح : تردّها.

(3) المكافح : المباشر بنفسه، وفلان يكافح الأمور إذا باشرها بنفسه، وفي حديث جابر : إن الله كلم أباك كفاحا أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.
– اللسان : 3897/5 مادة كفح.
وظاهرة الوحي اهتمت بها كتب التفسير والمؤلفات في علوم القرآن وكذلك المؤلفات الحديثة التي تبحث في المجال العلمي لهذه الظاهرة الغيبية.

(4) وبناته صلى الله عليه وسلم ما أخبره به ابن عباس قال : كان أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى، ثم ولد له زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم – ثم ولد له في الإسلام عبد الله، فسمي الطيب والطاهر، وأمهم جميعا خديجة بنت خويلد.
– أخرجه ابن سعد في الطبقات : 133/1 .
وزاد ابن سيد الناس : «وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه.»
– عيون الأثر : 364/2.

وعلي بن أبي طالب وكان صغيرا لم يبلغ الحلم على الصحيح، وكان أبو طالب قد أسلمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتعثه الله برسالته ،ثم حتى زوجه ابنته فاطمة رضي الله عنها، ثم أسلم زيد بن حارثة[1] مولاه صلى الله عليه وسلم. ثم دعا أبا بكر الصديق[2] رضي الله عنه إلى الإسلام، فأسلم من غير تردد ولا توقف، فكان أول من آمن إجماعا بعد أهل داره صلى الله عليه وسلم وعياله ثم أظهر أبو بكر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله قال ابن إسحاق : «وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا فيهم سهلا. وكان أنسب قريش لقريش. وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه. فأسلم بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان، والزبير بن العوام وعبد الرحمان بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص. وطلحة بن عبيد الله[3] فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث استجابوا فأسلموا وصلوا. ثم ذكر إسلام جماعة كبيرة وافرة يأتي سردهم في محل غير هذا إن شاء الله تعالى[4] ثم قال : «ثم أدخل الله في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشى ذكر الإسلام بمكة وتحدث به، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك يخفي أمره وأصحابه

(1) هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى، وكان مولى لخديجة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خديجة استوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله وتبناه وذلك قبل أن يوحي إليه . فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، فلما أنزل الله عز وجل :

﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قال : أنا زيد بن حارثة.

(2) أبو بكر الصديق بن أبي قحافة واسمه عتيق وسمي عتيق لأنه حين أسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنت عتيق من النار» وقيل بل كان لأبيه ثلاثة من الولد معتق ومعيتق وعتيق وهو أبو بكر.

(3) طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي أمه الحضرمية شهد يوم الجمل وقتل بها.

- الاستيعاب : 316/2 : رقم الترجمة 1289.
- الأسد : 479/2 : رقم الترجمة 2626.

(4) سيرة ابن هشام : 250/1 و251.

رضوان الله عليهم يستخفون بدينهم»[1]، وكانوا إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم[2].

قال ابن إسحاق : «فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحيي بعير فشجه، فكان أول دم أهرق في الإسلام»[3]. وروى أن جبريل عليه السلام «جاء النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الإيحاء فعلمه الوضوء والصلاة[4]، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة فعلمها كما علمه جبريل عليه السلام. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء يصلي قطعا. ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أولا، فقيل : إن الفرض كان ركعتين بالغداة قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي قبل غروبها، وقيل أول ما فرض الله بعد الإنذار والدعاء إلى التوحيد قيام الليل المذكور في أول سورة المزمل[5] ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس

(1) سيرة ابن هشام : 253/1.

(2) في : ح (من قومهم).

(3) سيرة ابن هشام.

(4) قال السهيلي : وذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه : «وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار» وقال يحيى بن سلام مثله وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة «فزيد في صلاة الحضر» أي زيد فيها حيث أكملت خمسا- فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أي قبل الإسراء وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس، ويجوز أن يكون معنى قولها «فرضت الصلاة» أي ليلة الإسراء، حين فرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة، وقد رواه البخاري من رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت :
«فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ففرضت أربعا» :
– انظر سيرة ابن هشام 243/1.
– الروض الأنف .

(5) قوله تعالى : ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ الآيات : 1، 2، 3، من السورة 73 المزمل.

ليلة الإسراء، وقيل :/ أول أمر صلى الله عليه وسلم به قبل فرض الصلوات الخمس (25ب) صلاة الفجر »[1].

ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم الناس وصدعه بما جاءه منه ومباداته إياهم بأمره تعالى وما ردوا عليه وقابلوه به من الأذى

قال ابن إسحاق : «ثم إن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستسر به إلى أن أمره الله بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه، ثم قال الله له ﴿فاصدع بما تومر وأعرض عن المشركين﴾[2] وقال ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3] إلى قوله ﴿النذير المبين﴾[4] فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام، وصدع بها كما أمره الله، لم يبعد منه قومه و لم يردوا عليه فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها. وكان ذلك فيما قاله غيره سنة أربع. فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وهم قليلون مستخفون. وحدب[5] أي عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه، وقام دونه، فاشتد الأمر وتضارب القوم، وأظهر بعضهم لبعض العداوة، وتذامرت[6] قريش أي تحاضت على من أسلم منهم يعذبونهم

---

(1) حديث جبريل أخرجه ابن هشام في سيرته : 243/1.

(2) الآية 94 من السورة 15 الحجر.

(3) الآية : 213 من السورة 26 الشعراء.

(4) قوله تعالى : ﴿النذير المبين﴾ آية أخرى لا توجد ما بعد قوله تعالى : ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ التي توجد بسورة الشعراء الآية 213 ولعل الناسخ وقع له خلط حين أورد قوله ﴿النذير المبين﴾ لأننا حين نعود إلى النسخ الأخرى نجد «إلى قوله» ساقطة، وفي سيرة ابن هشام ذكرهما آيتين منفصلتين، فجاء بقوله تعالى ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ و لم يأت بقوله تعالى : ﴿النذير المبين﴾ التي في النص حتى يستقيم الكلام.
– انظر سيرة ابن هشام : 263/2.

(5) حدب فلان على فلان يحدب حدبا، فهو حدب، وتحدب : تعطف وحنا عليه يقال : هو كالوالد الحدب.
– اللسان : 795/2 مادة حدب.

(6) الذمر : اللوم والحض معا، وفي حديث علي : ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه أي حضهم، وشجعهم. وتذمر هو : لام نفسه، والذمر : الحث مع لوم واستبطاء.
– اللسان : 1515/3 مادة ذمر.
– مقاييس اللغة 360/2 مادة ذمر.

ويفتنونهم عن دينهم. وكان أول من أظهر الإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار بن ياسر[1] وأمه سمية[2] وصهيب[3] وبلال والمقداد[4] وخباب بن الأرث»[5].

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله منهم بعمه أبي طالب وبني هاشم وبني المطلب إلا ما كان من أبي لهب.

وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذوهم فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس وعذبوهم بأنواع العذاب. وأتوا أبا طالب فاستنهوه من النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له: «إما أن تكفه عنا، وإما أن ننازله أي نحاربه وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين وهو في ذلك غير تاركه ولا مسلمه. وقال له: «قل ما بدا لك فإني لن أخذلك ولا أسلمك لشيء أبدا».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام فاجتمعت قريش إليه يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوءا، وكلموه أن يسلمه إليهم ويعطونه مكانه عمارة بن الوليد[6] أنهد فتى فيهم وأجمله يكون ولده وله

---

(1) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين العنسي ثم المذحجي، يكنى أبا اليقظان لبني مخزوم، شهد بدرا وتواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تقتل عمار الفئة الباغية».
– الاستيعاب: 227/3 رقم الترجمة: 1883. – الأسد: 625/3 ن رقم الترجمة 3798.

(2) هي أم عمار بن ياسر كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة وكانت من المبايعات الخيرات وهي أول شهيدة في الإسلام، ماتت قبل الهجرة على يد أبي جهل. انظر الاستيعاب وأسد الغابة.

(3) صهيب بن سنان الرومي أسلم في يوم واحد مع عمار مات بالمدينة سنة 88، وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر ومن التابعين كعب الأحبار.
– الاستيعاب: 282/2 رقم الترجمة 123. – الأسد 433/2 رقم الترجمة 2536.

(4) المقداد بن الأسود نسب إلى الأسود بن عبد يغوث دفن بالمدينة.
– الاستيعاب: 4:42 رقم الترجمة: 2590. – الأسد: 408/4 رقم الترجمة 5068.

(5) اختلف في نسبه فقيل خزاعي و لم يختلف أنه حليف لبني زهرة وهو ابن جندلة بن سعد نزل بالكوفة، ومات بها سنة سبع وثلاثين.
– الاستيعاب: 21/2 رقم 646.
– الأسد: 674/1 الحديث رقم 1407.

(6) هو ابن سويد بن زيد بن حرام بن جدام.
– الأعلام: 194/5.

عقله ونصره . وقوله : أنهد[1] فتى يعني : أشده وأقواه وأجلده، والعقل الدية، فقال «أبو طالب بيسما سُمْتُمُوني به أعطيكم ابني تقتلونه وتعطوني ابنكم أغذوه لكم، ولكن حتى تروح الإبل، فإذا حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم»[2].

وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب ويطوف عليهم في منازلهم بعكاظ[3] والمجنة[4] وذي المجاز[5] وفي المواسم ويدعوهم إلى الله وإلى توحيده. وأبو لهب وراءه يقول : «أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم».

(26أ) وفي حديث مسند عن طارق بن عبد الله[6] أو ربيعة بن عياد/[7] بكسر العين على الأصح الكناني الديلي «أنه رآه صلى الله عليه وسلم يسوق ذي المجاز يعرض نفسه على القبائل يقول : «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، وأبو لهب يرجمه

(1) أنهد الحوض والإناء، ملأه حتى يفيض، والمناهدة في الحرب : المناهضة.
- اللسان : 4555/6 مادة ننهد.
- مقاييس اللغة: 361/5 مادة نهد.

(2) سيرة ابن هشام : 264/2.

(3) اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، قال الأصمعي : عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف.
- معجم البلدان : 142/4.

(4) اسم سوق للعرب قال الأصمعي، كانت مجنة بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وهو بأسفل مكة، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ.
- معجم البلدان : 59/5.

(5) موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام.
- معجم البلدان : 55/5.

(6) هو طارق بن عبد الله المحاربي له صحبه روى عنه جامع بن شداد وربعي بن حراش يعد في الكوفيين.
- الاستيعاب : 309/2 رقم الترجمة 1277.
- الأسد : 461/2 رقم الترجمة : 2593.

(7) ربيعة بن عياد الديلي من بني الديل بن بكر بن كنانة مدني روى عنه ابن المنكدر وأبو الزناد يعد في أهل المدينة.
- الاستيعاب : 722 رقم الترجمة : 763.
- الأسد : 64/2 رقم الترجمة : 1648.

بالحجارة حتى أدمى كعبيه، يقول: «يا أيها الناس لا تسمعوا منه فإنه كذاب»، وآذته قريش ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، واجتمعوا على أن يقولوا للناس إنه ساحر، وجعلوا يتعرضوا للناس في المواسم ويحذرونهم منه، وافترق أمر الناس فيه، ومنهم من كان يحتو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه»[1].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة ابن أبي معيط[2] إن كانا ليأتياني بالفروث فيطرحانها على بابي حتى أنهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الأذى فيطرحونه على بابي». ووطئ عقبة بن أبي معيط رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان. وخنقه أيضا بثوبه خنقا شديدا فقام أبو بكر دونه وهو يقول: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله»، فأخذ بمنكب عقبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يصلي عند الكعبة فجاءوا بسلا جزور وفرثها ودمها فوضعوه بين كتفيه وهو ساجد، وكان الذي باشر ذلك عقبة أيضا. وجعلوا يضحكون حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فجاءت فاطمة ابنته وهي جويرية فألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى صلى الله عليه وسلم صلاته دعا عليهم فشق عليهم، إذ دعا عليهم، وكانوا يرون أن الدعاء في ذلك البلد مستجاب فصرعوا يوم بدر.

---

(1) الحديث أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر 187/1 مع اختلاف يسير في اللفظ.

(2) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس من مقدمي الجاهلية في قريش، كنيته أبو الوليد وكنية أبيه أبي معيط، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة وهو أول مصلوب في الإسلام.

– الروض الأنف: 76/2.

– الأعلام للزركلي: 36/5.

– إن مرحلة الصدع والجهر بالدعوة وبرسالته صلى الله عليه وسلم كانت صعبة وشاقة. فحينما صدع بالدعوة إلى الإسلام في قريش وعامة العرب فاجأهم بما لم يكونوا يتوقعونه أو يألفونه. حيث استجاب لقوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ صعد صلى الله عليه وسلم إلى الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر يا بني عدي حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟

فقالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فلما جاءهم بما عرفوا من الحق عادوه وآذوه.

– انظر سيرة ابن هشام: 312/2.

– مغازي ابن عقبة: 86.

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، ولا يقدرون على منعهم مما هم فيه قال لهم : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة[1] فإن بها ملكا[2] لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»[3] فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم، وذلك في رجب سنة خمس من النبوءة فكانت أول هجرة في الإسلام. وكان منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا عشرة رجال : وقيل اثنتي عشر رجلا وأربع نسوة، وقيل وامرأتين، وأميرهم عثمان بن مظعون[4] فيما ذكره ابن هشام[5] عن بعض أهل العلم وأنكر ذلك الزهري وقال : « لم يكن لهم أمير »[6] وخرجوا متسللين سرا حتى انتهوا إلى الشعيبة[7] –بمعجمة فمهملة فموحدة كهجينة–، قرية على شاطئ بحر الحجاز بطريق اليمن منهم الراكب ومنهم الماشي فوافقوا سفينة أو سفينتين للتجار

(1) أرض الحبشة بالجانب الغربي من بلاد اليمن ملكهم النجاشي.
– اللسان : 754/2 مادة حبش.
– فتح الباري : 190/7.
– معجم البلدان : 214/2.

(2) المراد به النجاشي وهو أصحمة بن أبحر– ملك الحبشة– واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب فه، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، و لم يهاجر إليه.
– الإصابة : 205/1.

(3) سيرة ابن هشام : 123/1ن ورواه البيهقي في دلائل النبوة : 285/2.
– والمغازي لابن عقبة : 66 مع اختلاف يسير في اللفظ.

(4) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمع بن عمرو القرشي يكنى أبا السائب هاجر الهجرتين وشهد بدرا وتوفي سنة اثنتين من الهجرة.
– الاستيعاب : 165/3 رقم الترجمة : 1798.
– الأسد : 493/3 رقم الترجمة 3588.

(5) انظر سيرة ابن هشام : 323/1 والطبقات لابن سعد : 204/1.

(6) مغازي ابن شهاب : 96.

(7) شعيبة تصغير شعبة وهو واد أعلاه من أرض كلاب وفي حديث بناء الكعبة عن وهب بن منبه/ أن سفينة حجتها الريح إلى الشعيبة وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو مكان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة وقال ابن السكيت : الشعيبة : قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن.
– معجم البلدان : 351/3.

فحملوهم فيها بنصف دينار، ثم خرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر من حيث ركبوا فلم يجدوا أحدا منهم، وكان أول من خرج مهاجرا عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط»[1] ثم خرج جعفر بن أبي طالب فيما قاله ابن إسحاق[2] وتتابع المسلمون حتى اجتمع منهم بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين / خرجوا بهم معهم صغارا أو ولدوا له بها ثلاثة وثمانون رجلا إن كان فيهم (27ب) عمار بن ياسر قال ابن إسحاق: وهو يشك فيه وثمان عشرة امرأة إحدى عشرة قرشيات وسبع غرائب. والذي عند غيره أن خروج جعفر ومن تابعه إنما كان بعد رجوع الإثني عشر الذين هاجروا أولا[3].

ذكر رجوع مهاجرة الحبشة لما سمعوا بإسلام أهل مكة، وهجرتهم الثانية وما بعث فيهم قومهم إلى النجاشي ليردهم عليهم

وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بأرض الحبشة أن أهل مكة سجدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة «والنجم»[4] وأنهم أسلموا كلهم. وكان سجودهم معه في رمضان سنة خمس من النبوة فيما قاله الواقدي.

---

(1) سيرة ابن هشام: 322/1.
– مغازي ابن عقبة: 96.

(2) سيرة ابن هشام: 323/1، وذكرهم ابن هشام واحدا واحدا وأشار إليهم بالقبائل، فذكر من خرج إلى أرض الحبشة من بني أمية وبني أسد وبني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد قصي وبني زهرة وبني هذيل وبني بهراء وبني تيم، وبني مخزوم، وبني جمح.
ومن أراد الهجرة إلى أرض الحبشة أبو بكر الصديق حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ... فقال له مثلك يا أبا بكر لا يخرج، فرجع معه في جواره رواه الزهري في مغازيه: 97.

(3) في النسخة ع: زيادة: (وهجرتهم الثانية).

(4) روي عن عبد الله مسعود رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة «والنجم» قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسجدوا من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف أخرجه ابن حجر في الفتح: 614/8.
– لكن ابن عقبة يروي غير ذلك يقول: غير أن الوليد بن المغيرة كان شيخا كبيرا رفع ملء كفيه ترابا فسجد عليه.
– مغازي ابن عقبة: 67.
ويبدوا أنهم جميعا سجدوا كذلك – المشركون – لقول ابن عقبة بعد ذلك فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين».

وقد روى الطبراني عن المسور بن مخرمة[1] أنهم كانوا أظهروا الإسلام حتى إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقرأ السجدة فما يستطيع بعضهم أن يسجد من الزحام حتى قدم رؤسائهم وكانوا بالطائف فرجعوهم عن الإسلام. فلما بلغهم أن ذلك باطل فدخلوا مكة كلهم إلا عبد الله بن مسعود فإنه رجع إلى أرض الحبشة و لم يدخل مكة. وكان رجوعهم إلى مكة فيما قاله الواقدي : في شوال سنة خمس من النبوءة، فلقوا من المشركين أشد مما عهدوا فهاجروا ثانية وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا إن كان فيهم عمار بن ياسر وفيه خلاف بين أهل النقل.

قال السهيلي : والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة[2] وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

وأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي في أحسن مقام وأكرمهم غاية الإكرام، فكانت هجرتهم الثانية[3] أشد على المشركين من الأولى. واشتد عليهم ما بلغهم من إكرام النجاشي لهم. ولما رأوا ذلك ورأوا استقرارهم في أرض الحبشة

---

(1) هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري أبو عبد الرحمن أمه الشفاء بنت عمرو ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وحدث عن عمر بن الخطاب.
- الاستيعاب : 455/3 رقم الترجمة : 2434.

(2) مغازي ابن عقبة : 66 و لم يذكره أيضا الواقدي كما أخبر به عنه ابن سعد في الطبقات : 204/1.
وفي رجوعهم إلى مكة قال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال : فحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمان قال «دخلوا مكة و لم يدخل أحد منهم إلا بجوار، إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع إلى أرض الحبشة» قال ابن عقبة فأجار الوليد بن المغيرة عثمان ابن مظعون.
قال ابن سعد قال محمد بن عمر : فكانوا خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شعبان وشهر رمضان، وكانت السجدة في شهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس.
- طبقات ابن سعد : 206/1.
- مغازي ابن عقبة : 71.

(3) أما سبب الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ما أخبر به ابن سعد عن محمد بن واقد الأسلمي قال : لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديدا فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة ثانية.
- الطبقات : 207/1.

وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاص[1] وعبد الله بن أبي ربيعة[2] بن المغيرة أو عمارة بن الوليد بن المغيرة بدل عبد الله بن أبي ربيعة، أو كان عمارة معهما ثالثا بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي ليردهم إلى قومهم فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما وأسلم[3] وأكرم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر دخوله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وما يتبع ذلك

ولما كثر الأذى من المشركين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبي الأرقم[4] المخزومي مستترا فيها وكانت بمكة عند الصفا واجتمع إليه فيها أصحابه وذلك في السنة الخامسة فيما قيل، وأقاموا في تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا، وقيل كان يجلس[5] فيها ويدعو الناس إلى الإسلام فأسلم فيها جماعة كبيرة إلى أن تكاملوا أربعين رجلا آخرهم عمر بن الخطاب.

وروى ابن أبي خيثمة عن عائشة أنه لما اجتمع من الصحابة ثمانية وثلاثون رجلا ألح أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال: «إننا قليل» فلم يزل

---

(1) ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا عبد الله أسلم قبل الفتح.
– الإصابة: 650/4.

(2) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي أبا عبد الرحمن أسلم يوم الفتح.
– الاستيعاب: 32/3. رقم الترجمة: 1546.
– الأسد: 127/3 رقم 2937.

(3) لما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كتب رسول الله كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام. وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري، فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وقال «لو قدرت أن آتيه لأتيته».
– الطبقات: 207/1.

(4) أرقم بن أبي أرقم واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله القرشي المخزومي، ذكره ابن اسحاق فيمن شهد بدرا، أسلم في داره كبار الصحابة في ابتداء الإسلام توفي سنة خمس وخمسين بالمدينة.
– الاستيعاب: 218/1 رقم الترجمة: 133.
– الأسد: 85/1 رقم الترجمة: 70..
– سير أعلام النبلاء: 479/2. .

(5) ذكر ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم دار مجلس استتارا واستخفاء من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام في أول الإسلام حيث خرج عنها حين تكاملوا أربعين رجلا مسلما، وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب.
– ذكره في الاستيعاب: 218/1.

(28أ) يلح حتى ظهر وتفرق المسلمون بنواحي المسجد كل رجل في عشيرته/. وقام أبو بكر خطيبا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله، فثار المشركون عليه وعلى المسلمين فضربوهم شديدا، ودنا عتبة بن ربيعة من أبي بكر فضربه حتى ما يعرف وجهه من أنفه فحمل إلى منزله لا يشك في موته ورجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى دار الأرقم، ثم لما أفاق أبو بكر سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له إنه بدار الأرقم فأتاه بها، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس فيها إلى الإسلام، وجعل الناس يسلمون، والإسلام يظهر وما زالوا يضربون ويضربون قبل ذلك وبعده وبدار الأرقم وغيرها. والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم ويأتي أسواق العرب[1] يعرض نفسه عليهم، ويدعوهم إلى نصرته حتى بلغ رسالات ربه.

ومما اتفق له في ذلك مما ذكره الواقدي وأبو جعفر بن حبيب النسابة. ورواه أبو نعيم بسنده عن الكلبي[2] قال أخبرني عبد الرحمن العامري[3] عن أشياخ قومه، قالوا: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بعكاظ[4] فدعانا إلى نصرته ومنعته فأجبناه إذا جاء بيحرة[5] -بموحدة مفتوحة فتحتية ساكنة فحاء مهملة- بن فراس

(1) أسواق العرب ثلاثة: ذي المجاز والمجنة وعكاظ وقد سبق التعريف بها جميعا.

(2) عمر بن الحسن بن علي بن محمد أبو الخطاب بن دحية الكلبي، مؤرخ حافظ للحديث، ولي قضاء دانية بالأندلس، له كتاب: نهاية السول في خصائص الرسول.
- وفيات الأعيان: 381/1.
- شذرات الذهب: 160/5.

(3) هو عبد الرحمن بن ربيعة القرشي العامري هو ابن وليدة زمعة، أبو زمعة بن قيس بن عبد شمس وأخته سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزبير: ولعبد الرحمن عقب وهم بالمدينة.
- الاستيعاب: 376/2 رقم الترجمة: 1421.
- الأسد: 343/3 رقم الترجمة: 3305.

(4) قال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا، ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي كل عام يتبع الحاج من منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه.
- الطبقات: 216/1.

(5) هو بيحرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة بن كعب بن قشير القشيري من أعراب البصرة يقال له أيضا بحرة: ذكره ابن الكلبي.
- الإصابة: 174/1 رقم الترجمة 750.

القشيري ورجلان معه فغمزوا شاكلة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمصت[1] برسول الله صلى الله عليه وسلم فألقته وعندنا يومئذ ضباعة بنت عامر ابن قرط[2]. كانت من النسوة التي أسلمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فجاءت زائرة إلى بني عمها فقالت : يا آل عامر، ولا عامر لي أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم، فقام ثلاثة نفر إلى بيت بيحرة وصاحبيه، فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض ثم جلس على ظهره ثم على وجهه لطما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم بارك على هؤلاء» فأسلموا فقتلوا شهداء وهم : عزرة – بعين مهملة فزاي منقوطة فراء – بن عبد الله بن سلمة ابن قشير العامري وغطيف – بضم الغين المعجمة– بن سهيل العامري وأخوه غطفان (ابن سهيل)[3] وضباعة بنت عامر المذكورة العامرية القشرية المذكورة فيمن خطب صلى الله عليه وسلم من النساء.

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أسلم[4] حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في السنة الثانية من المبعث، وقيل كان إسلامه بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم في السنة السادسة.

---

(1) قمص الفرس وغيره، يقمص، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما مع. وفي حديث أبي هريرة : لتقمص بكم الأرض قماص البقر يعني الزلزلة.
– اللسان : 3739/5 مادة قمص.
– مقاييس اللغة : 27/5 مادة قمص.

(2) ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيها سلمة بن هشام.
– الاستيعاب : 429/4 رقم الترجمة : 3452.
– الأسد : 180/6 رقم الترجمة : 7069.

(3) سقط من ح.

(4) وسبب إسلام حمزة ما بلغه صلى الله عليه وسلم من إيذاء المشركين له وذلك أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند آل صفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو في مسكن لها تسمع ذلك فأخبرت بما سمعت حمزة رضي الله عنه ... وأقبل حمزة على أبي جهل ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ... فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه.
– أخبر به ابن هشام في سيرته : 292/1.

وقال أبو نعيم كان إسلامه قبل إسلام عمر بن الخطاب بثلاثة أيام يعني بدار الأرقم. وكان دخولها بعد وقوع الأذى من المشركين. وكان وقوع ذلك منهم بسبب ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لآلهتهم وعيبه لها، وذلك بعد نزول رسالته صلى الله عليه وسلم وصدعه بأمر ربه فيكون إسلامه في آخر السنة الثانية أو بعد أول الثالثة من نزول الرسالة. وفي آخر السنة الخامسة أو أول السادسة من النبوءة، بهذا تتفق الأقوال والله أعلم.

وكان حمزة رضي الله عنه أعز فتى في قريش وأشده شكيمة أي أنفة وانتصارا من الظلم فعز به رسول/ الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا. (29ب)

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أسلم عمر رضي الله عنه بدار الأرقم بعد حمزة بثلاثة أيام، وأسلم عقب هجرة الحبشة الأولى بدعائه صلى الله عليه وسلم: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام[1]. فأوحى الله إليه أن أبا جهل لا يسلم فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب[2] رابع أربعين رجلا، وقيل كان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وكان ذا شكيمة لا يرام ظهره فامتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحمزة حتى عاروا[3] قريشا.

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه: 383/5 الحديث رمق: 3701.
– وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الفضائل (المقدمة): 177/1. الحديث رقم 105 باب فضل عمر رضي الله عنه.

(2) يروي ابن هشام عن البكائي قال: حدثني مسعر بن كدام قال قال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.
– سيرة ابن هشام: 342/1.

(3) يقال: نحن نعاري أي نركب خيلا. واعروا مني أمرا قبيحا.
– اللسان: 2920/4 مادة عرا.
– مقاييس اللغة: 295/4 مادةعروى.

وكان إسلام عمر فتحا واستبشر أهل السماء بإسلامه[1] وأعز الله الإسلام بـه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»[2]، و لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدرون على أن يصلوا عند الكعبة حتى أسلم عمر فقاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلى الصحابة معه وقال : «مازلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام».

ذكر ما كان من فشو الإسلام وما عرض عليه صلى الله عليه وسلم قومه من الدنيا بسبب ذلك ليرجع عما جاء به وما اقترحوا عليه من الآيات وسؤالهم يهود المدينة عنه وتماديهم على تكذيبه وإذايته بعد تحقق نبوءته حسدا وضغنا

ولما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام جعل الناس يسلمون وجعل الإسلام يظهر ويفشو بمكة في الرجال والنساء، وجعلت قريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين، ولما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون (ويكثرون)[3] بعثوا إليه صلى الله عليه وسلم، فجاءهم فسألوه وقالوا : «إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا- أي

---

(1) وسبب إسلامه رضي الله عنه إسلام أخته والصحيفة التي كانت عندها ومما قرأه في الصحيفة قوله تعالى : ﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ وقوله تعالى : ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ فلما قرأ هذه الآيات ذعر ورجعت إليه نفسه ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يقول عمر بن الخطاب فخجرت حتى قرعت الباب قيل من هذا - قلت عمر بن الخطاب قال : وعرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يعلموا إسلامي، قال : فما اجترأ أحد أن يفتح الباب ... قال ففتحوا لي وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوا بي من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه قال فأرسلوني ... قلت : أشهد أن لا إلاه إلا الله وأنك رسول الله قال : فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة.
- انظر سيرة ابن هشام : 342/1. - وعيون الأثر : 153/1.

(2) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب : 521/5 الحديث رمق 369.

(3) ما بين القوسين : سقط من ع.

جنيا- قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك. فقال صلى الله عليه وسلم : «ما بي ما تقولون، ولكن الله بعثني رسولا وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»[1] وكان عرض عليه عتبة بن ربيعة[2] أيضا مثل هذا قبل ذلك، وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه، فقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم من أول سورة فصلت[3] فأنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها قال : سمعت يا أبا الوليد قال : سمعت قال : فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه وهم ينتظرونه فقال : «والله إني قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش : أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ/ فقد أجابني بشيء (30أ) والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة، قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾[4] حتى بلغ : ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[5] فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب»[6]، فلما لم يجبهم صلى الله عليه وسلم إلا ما سألوا اقترحوا عليه من الآيات ما قص الله في كتابه في قوله : ﴿وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ الآيات[7] فلما لم يوافقهم على ما

---

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته : 295/1.

(2) عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني حليف للأنصار اختلف في شهوده بدرا.
- الاستيعاب : 145/3 رقم الترجمة : 1780.
- الأسد : 455/3 رقم الترجمة : 3538.

(3) فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سورة فصلت قوله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم : حم تنزيل من الرحمان الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾.

(4) الآية : 1 من السورة 41 فصلت.

(5) الآية : 21 من السورة 41 فصلت.

(6) سيرة ابن هشام 294/1.

(7) الآية : 90 من السورة 17، الإسراء. ومما انزل الله من الآيات في ذلك قوله تعالى : ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السما، كما زعمت علينا كسفا أو=

أرادوا تعرض له منهم «أبو جهل على إذن منهم (وامرءا)[1] بصخرة يفضخ[2] بها رأسه إذا صلى بين الركنين، وكان ذلك مصلاه فعرض له جبريل عليه السلام في صورة فحل عظيم هائل فاغرا فاه[3] ليلتقمه، فرجع إليهم منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجرة حتى ألقاها منهما»[4].

وقد وقع مثل هذا لأبي جهل اللعين مع النبي صلى الله عليه وسلم مرتين في قصتين أخريين كان قد ظلم فيهما بعض الغرباء حقوقهم، وفي كلتيهما يذل له ويمتلئ منه رعبا، ويفعل ما يأمره به على كره منه، وأخبر في إحداهما أنه بعد امتلائه منه رعبا رأى فوق رأسه فحلان ووصفه كما وصفه في الأولى، وأنه لو أبى عن امتثال أمره لأكله. وفي الثانية أنه رأى رجالا عن يمينه وشماله معهم رماح يرعونها إليه، وأنه لو خالفه لأتوا على نفسه، وكان يوما رؤساهم جلوسا في الحجر فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ثم ثانية ثم ثالثة فوقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن

= تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء، ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه﴾ الآيات (91، 92، 93) من سورة الإسراء.

وفي تفسير هذه الآيات يقول ابن عباس فيما رواه عنه عكرمة: ... فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا ولا أقل مالا، ولا أشد عيشا منا فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا ... فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلون فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

- انظر سيرة ابن هشام: 294/2.
- وتفسير ابن كثير: 64/3.

(1) كلمة غير واضحة في النص نقلتها بين قوسين كما هي.

(2) الفضخ: كسر كل شيء أجوف نحو الرأس والبطيخ، وفضخ رأسه شدخه.
- اللسان: 3426/5. مادة فضخ

(3) فغر الفم نفسه وانفغر: انفتح.
- اللسان: 3440/5 مادة فغر.

(4) رواه ابن هشام: 299/1.

أشدهم عليه قبل ذلك ليفوه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولا»[1] .

وأتاه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة، وكان زعيم قريش في الفصاحة فقال له : اقرأ علي فقرأ : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾[2] إلى آخر الآية : فقال : أعد فأعاد صلى الله عليه وسلم فقال : «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة[3] وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لعذق[4] وفي رواية : «أن أصله لعذق»، وأن فرعه لجناه[5]، وما يقول هذا بشر»[6]، ثم قال لقومه، والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه ما يقول شيئا من هذا والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه عذق أسفله وإنه «ليعلو ولا يعلى». والطلاوة : الرونق والحسن والبهجة والقبول. وقوله «إن أصله العذق» روي بالعين المهملة والذال المعجمة، وهو استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها إذا جني. والنخلة هي العذق فتح العين، وروي بفتح الغين المعجمة وكسر الذال المهملة ومعناه كثير الماء وقوله :وأن فرعه زلجناهس أي فيه ثمر يجنى، وكل ما يجنى فهو جنى وجناه.

وقال له صلى الله عليه وسلم رهط[7] منهم : هلم إلى أن تعبد آلهتنا سنة ونعبد

---

(1) اخبر به ابن هشام في سيرته : 298/297/296/1.

(2) الآية : 90 من السورة 16 النحل. وتتمة الآية : ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

(3) قال ابن سيد : الطُّلاوة : الحسن والبهجة والقبول في النامي وغير النامي يقال : ما على وجهه حلاوة ولا طلاوة وعليه طلاوة والضم اللغة الجيدة .
– اللسان : 2701/5 مادة طلى.

(4) العذق : كل غصن له شعب والعذق أيضا النخلة عند أهل الحجاز.
– اللسان : 2861/4 مادة عذق.

(5) في : ع : لجان.

(6) رواه ابن هشام : 294/1.

(7) رهط الرجل قومه وقبيلته، والرهط يجمع من ثلاثة إلى عشرة وبعضهم يقول من سبعة إلى عشرة. وما دون السبعة إلى ثلاثة نفر وقيل الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة .
– اللسان : 1753/3 مادة رهط.

إلاهك سنة فنزلت : ﴿قل يأيها الكافرون﴾[1] رادا عليهم وتسجيلا عليهم بالكفر وأنهم لا يؤمنون ثم إنهم بعثوا النضر بن الحارث[2] وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فسألهم عنه صلى عليه وسلم فقالوا لهما : سلوه عن ثلاثة فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين[3] وقال/: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية[4] فلما جاءهم بما عرفوا من الحق وتيقنوا صدقه وتحققوا نبوته حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه ولجوا في كفرهم وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون : أي اجعلوا لغوا وباطلا واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبون بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه غلبكم هذا بعد قيام حجته عليهم بإخباره إياهم عما سألوه من المسائل الثلاث وغير ذلك من الأخبار والمعجزات وتيقنهم صدقه واعترافهم بأنه حق، وأنه لا يقوله بشر وأنه يعلو ولا يعلى وإن له لحلاوة وعليه طلاوة، كما تقدم وبعد عجزهم عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو سورة منه، أو بأقصر سورة وتحديه إياهم بذلك ثلاث عشرة، وهم الفصحاء اللسن، ودواعيهم متوفرة واجتهادهم متظاهر ويسمعون تقريعهم وتوبيخهم تلك المدة، فما استطاع أحد منهم أن يفوه بشفة، ولا أن يقول آية، ورضيت هممهم السرية، وأنفسهم الأبية الشريفة بسفك الدماء وهتك الحريم، وكان رؤساؤهم وفصحاؤهم يقصدون

---

(1) الآية : 1 من السورة 109 الكافرون، قال ابن كثير هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فيقول تعالى : ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض والمقصود بهذا الخطاب هم كفار قريش، وقيل أنهم جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية.
- تفسير ابن كثير : 561/4.

(2) النضر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر، اسمه كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الظفري له صحبة شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده وقتل بالقادسية.
- الأسد : 520/4، رقم الترجمة : 5211.

(3) والسؤال عنه ورد في قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ الكهف الآية 83 وذو القرنين كما أخبره به الأموي في مغازيه هو شاب من الروم وأنه بنى الإسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدود أي أقواما يقول ابن كثير في هذا الخبر طول ونكارة : تفسير : 101/3.

(4) الآية : 85 من السورة 17 الإسراء.

سماعه سرا من قومهم استجلاء له وإعجابا به، وإذا خلا بعضهم إلى بعض اعترفوا بجلالته وعلو شأنه فإذا اختلطوا بعامتهم قالوا : هذا سحر وفي آذاننا وقر، ولا تسمعوا لهذا القرآن إلى غير ذلك من إفكهم وزورهم، وسألوه صلى الله عليه وسلم آية مطلقة من غير تعيين، وقيل سألوه انشقاق القمر على التعيين، فأراهم انشقاقه حتى صار نصفين نصفا على أبي قبيس[1] ونصفا على قعيقعان[2] جبلين بمكة، فقال : اشهدوا فقالوا سحركم محمد، فسلوا السفار[3] فسألوهم، وقد قدموا من كل وجه، فقالوا رأيناه، فأعرضوا وازدادوا طغيانا، وازداد الذين آمنوا إيمانا. وقيل كان ذلك سنة تسع[4] .

ذكر ما أجمع عليه المشركون من قتله صلى الله عليه وسلم (لما أمر أمره وكثر أصحابه)[5] ثم ما تعاقدوا عليه في الصحيفة ونصبوا لعداوته وإذايته لما منعه الله منهم

ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه، وإسلام عمر وحمزة وعزة أصحابه بالحبشة، وفشوا السلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هشام وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم خارج مكة وهو سفح جبل فاران[6] الذي

(1) بلفظ التصغير وهو اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما وأبو قبيس من شرقيها وقعيقعان غربيها، قيل سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه بنى فيه قبة.
وقال أبو المنذر بن هشام : أبو قبيس : الجبل الذي بمكة كناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدي الناس إلى اليوم.
– معجم البلدان : 80/1 و308/4.

(2) اسم جبل بمكة قيل غنما سمي بذلك لأن قبيلتي «قطوراء» «وجرهم» لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه.
– معجم البلدان : 379/4.

(3) الذين سافروا وجاءوا من كل مكان.

(4) أخرجه ابن هشام في سيرته : 294/1، 295، 296، 297.

(5) في ع : زيادة (ولما أمر أمره وكثر أصحابه) رأت قريش.

(6) بالفتح وتشديد الراء. وهو اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، وبين أذربيجان وأران نهر يقال له الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو أران.
– معجم البلدان : 136/1.

يلي قعيقعان إلى بطن الوادي، وهو شعب أبي طالب[1]، ومنعوه ممن أراد قتله وأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاتب الصحيفة[2] فشلت/ (32أ) يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوءة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقام النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه على ذلك ثلاث سنين، وقيل سنتين.

وقال ابن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا، حتى جهدوا جوعا وعريا، وكانوا يأكلون الخبط[3] وورق السمر[4] حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكانوا إذا قدمت العير مكة غالى المشركون عليهم، وزادوا في السلع قيمتها أضعافا حتى لا يدركون معهم شيئا من طعام ولا لباس فيرجع أحدهم إلى أطفاله وهم ينضاعون من الجوع، وليس في يده شيء يعللهم به، وكان لا يصل إليهم شيء إلا

(1) عن موسى بن عقبة عن ابن هشام قال : «ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله».
- مغازي ابن عقبة : 81.
- فتح الباري : 192 :7.

(2) قال ابن هشام : وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي قال ابن هشام : يقال : النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل بعض أصابعه.
- سيرة ابن هشام : 350/1.
- الطبقات لابن سعد : 209/1.

(3) اسم الورق الساقط من الشجر الخبط وهو من علف الإبل.
- اللسان : 1094/2، مادة خبط.

(4) من الشجرة وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس في العضاه شيء أجود خشبا من السمر.
- اللسان : 1092/3، مادة سمر.

سرا مستخفيا ممن أراد صلتهم من قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مباديا بأمر الله لا يتقي فيه أحدا من الناس، فجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمه[1] وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزؤون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب[2] لعداوته منهم، ويرد عليهم منهم من عرف باسمه، ومنهم من نزل فيه القرآن عامة من ذكر الله من الكفار ورد عليه في جملتهم وقد عدوا ممن كان يؤذيه قوما كثيرين معينين وكان أشدهم عليه عتيا وتمردا وطغيانا ثمانية، وقيل خمسة.

فقال الله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[3] فوفاه الله وعده وقام بكفايته إياهم وأصابهم بضروب من البلاء، فمنهم من ابتلي بعمى بصره لما عميت بصيرته، وبثكل ولده فأصيب له يوم بدر ثلاثة من الولد كافرين مثله. ومنهم من أصابته السموم[4] وهي ريح حارة تكون غالبا بالنهار فاسود وجهه فلم يعرفه أهله، وأغلقوا

---

(1) كان عمه أبو طالب في طول مدتهم في الشعب يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة– فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها : فلم يزالوا في الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين.
– عيون الأثر : 1:158.

(2) وفيمن نصب لعداوته أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب، وقال ابن هشام : وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت – فيما بلغني – تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله حيث يمر فأنزل الله تعالى فيها ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾.
وممن أذاه أمية بن خلف، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده﴾.
وآذاه العاص بن وائل السهمي وأنزل الله فيه ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ إلى قوله تعالى ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾.
وقد ذكرهم ابن هشام جميعا والقرآن الذي نزل فيهم ونوع العداء الذي عادوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– السيرة : 356/1 و357 إلى 364.

(3) الآية : 59 من السورة 15 : الحجر.

(4) وردت هذه اللفظة في قوله تعالى ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم﴾ الآيات : 43، 44، 45، من السورة 56، الواقعة. قال ابن كثير (في سموم) وهو الهواء الحار.
– انظر التفسير : 295/4.

الباب دونه، ورجع فساخ حتى مات عطشا. ومنهم من أصابته الأكلة حتى مات. ومنهم من رمي بالعدسة[1] -وهي قرحة تخرج بالبدن فتقتل كالطاعون - وكانت العرب تتشاءم بها، وتزعم أنها تعدو أشد العدوى فتباعد عنه بنوه وأهله وتركوه حتى مات فريدا مهانا، وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه، ثم خاف أولاده السبة أي العارف في تركه فحفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه، وقيل إنهم لم يحفروا له ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط حتى وارته. ومنهم من أصابه الاختلاج والارتعاش ونفي من بلده، فصار طريدا وحيدا. ومنهم من أمكن الله منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولياءه وحكمهم فيه ووكله إلى سيوفهم فقتل صبرا إلى غير ذلك.

ذكر خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرا

ولما أصاب أبا بكر رضي الله عنه من الأذى ما لا يطيق ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لا يستطيع رؤيته والصبر عليه، وضاقت عليه مكة. بسبب ذلك استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى الحبشة فأذن له فخرج حتى بلغ برك الغماد[2] موضعا باليمن فلقيه ابن الدغنة[3] سيد القارة[4] اسمه مالك، وقيل الحارث فرده في

---

(1) العدسة : بثرة قاتلة تخرج كالطاعون، وفي حديث أبي رافع : أن أبا لهب رماه الله بالعدسة، هي بثر تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالبا.
- اللسان : 2836/4 مادة عدس.

(2) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي.
- معجم البلدان : 993/1.

(3) أخو بني الحارث به عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش .
- سيرة ابن هشام : 372/1.

(4) القارة : اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق، وقال أبو المنذر : القارة جبل بنته العجم، وإياه أريد بقولهم في المثل : قد أنصف القارة من رماها. وقال الكلبي في جمهرة الأنساب : إن القارة المذكورة في المثل هي قارة أبناء الهون بن خزيمة بن مدركة.
- معجم البلدان : 295/4.

جواره[1]، فكان يعبد ربه في داره/ ثم بدا له فابتنى مسجدا بفناء داره، وكان يصلي (33ب) فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم -أي يزدحمون عليه- حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد يكسره لفرط الزحام ينظروه إليه ويعجبون منه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فذكروا ذلك لابن الدغنة، وقالوا له: إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فإما أن يعبد ربه في داره ولا يستعلن بذلك، وإما أن يرد إليك ذمتك، فإنا كرهنا أن نخفرك[2] فقال أبو بكر لابن الدغنة: «فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله».

ذكر نقض الصحيفة

ولما كانت السنة العاشرة، وقيل في أول التاسعة، وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوا قام في نقض تلك الصحيفة[3] رجال فيهم حمية وأنفة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أخبره بأن الله سلط عليه الأرضة[4] فلحست ما فيها من اسم الله، و لم تترك فيها إلا شركهم وظلمهم وقطيعتهم، وقيل اخبر بأن الأرضة أكلت جميع ما فيها من

---

(1) رواه ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت فقال ابن الدغنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي فقال و لم؟ ... ارجع فأنت في جواري، فرجع معه حتى إذا بلغ قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير. قال: فكفوا عنه.
- أخرجه ابن هشام في سيرته: 373/1.

(2) خفر بالتحريك: خفر الرجل به أو عليه أجاره ومنعه وأمنه.
- اللسان: 1209/2 مادة خفر.

(3) قال ابن عقبة: فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بين قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا الرحمن واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.
- انظر مغازي ابن عقبة: 82.
- سيرة ابن هشام: 374/1.

(4) الأرضة بالتحريك: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات.
- اللسان: 62/1 مادة أرض.

القطيعة والظلم، فلم تدع إلا اسم الله تعالى فقط، فلما أنزلت لتمزق ووجدت كما قال صلى الله عليه وسلم وخرج صلى الله عليه وسلم من الشعب هو وأصحابه ومن معهم من قومهم[1]

ذكر موت أبي طالب ثم خديجة رضي الله عنها

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر خمسين سنة أو نحوها مات عمه أبو طالب[2] قبل هجرته صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، وبعد خروجهم من الشعب بأشهر فنالت منه قريش من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى إن سفيها منهم اعترضه صلى الله عليه وسلم فنثر على رأسه ترابا، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب»[3] ثم بعد موته على المشهور بثلاثة أيام على قول الأكثر[4] في رمضان سنة عشر على الصحيح، ماتت خديجة رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق: «وكان صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا من رد عليه وتكذيب له صلى الله عليه وسلم فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة ،إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عنه أمر الناس حتى ماتت فتتابعت عليه

---

(1) قال موسى بن عقبة، فلما أفسد الله عز وجل صحيفة مكرهم خرج النبي صلى الله عليه وسلم ورهطه فعاشوا وخالطوا الناس.
– الخبر رواه ابن عقبة في مغازيه : 85. –والبيهقي في الدلائل (2 : 311 - 315) – وابن عبد البر في الدرر : ص (56-59-62) – ابن سيد الناس في عيون الأثر : (157/1)– والذهبي في تاريخ الإسلام : 131/1 – وابن كثير في السيرة : 43/2. – وابن سعد في الطبقات : 208/1 و209.

(2) واسمه عبد مناف وكان شقيق عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك أوصى به عبد المطلب عند موته إليه إلى أن كبر واستمر على نصره بعد أن بعث إلى أن مات أبو طالب بعد خروجهم من الشعب وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث، وكان يذب عن النبي صلى الله عليه وسلم وينصره وهو على دين قومه.
– فتح الباري : 194/7.

(3) سيرة ابن هشام : 416/2. وأخرجه أيضا ابن سيد الناس في عيون الأثر : 162/1.

(4) أخبر به ابن سعد في الطبقات : 211/1.
– ابن سيد الناس في العيون : 161/1.

بموتها وموت أبي طالب المصائب، قيل : وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن[1].

وكانت مدة إقامة خديجة[2] معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح، ثم بعد أيام من موتها تزوج سودة بنت زمعة[3] زوجها منه أبوها زمعة في رمضان المذكور على الصحيح ثم عقد على عائشة[4] في شوال سنة عشر على الصحيح، وهي بنت ست سنين على الأصح، وقيل : إن عقده صلى الله عليه وسلم على عائشة سابق على سودة.

وقال الدمياطي[5] : الصواب أن خديجة ماتت في رمضان سنة عشر، وتزوج سودة بعدها في رمضان المذكور، ثم تزوج عائشة في شوال سنة عشر انتهى.

وقال الماوردي : الفقهاء يقولون تزوج عائشة قبل سودة، والمحدثون يقولون تزوج سودة قبل عائشة، والجمع أنه عقد على عائشة و لم يدخل بها ثم على سودة فدخل بها قبل أن يدخل بعائشة[6] .

---

(1) سيرة ابن هشام : 415/2.

(2) يروي ابن سيد الناس عن ابن إسحاق قال : كانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكن إليها قال : وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق : إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، وكان هلاكها بعد عشر سنين مضين من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين».
- أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 162/1.

(3) هي سودة بنت زمعة بن عبد شمس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد على عائشة، وأمسكها رسول الله حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن.
- الاستيعاب : 421/4 رقم الترجمة : 3428.
- الأسد : 161/6 رقم الترجمة : .7201.

(4) أخرج هذا الخبر ابن سيد الناس في عيون الأثر : 378/2، قال تزوجها عليه السلام بمكة في شوال سنة عشر من النبوة.

(5) خبر الدمياطي هذا أخرجه ابن سيد الناس في عيون الاثر : 378/2.

(6) وفي الجمع بين أقوال الفقهاء والمحدثين يقول ابن الأثير : أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يتزوج عليها حتى ماتت، ثم تزوج بعدها سودة بنت زمعة قال الزهري : تزوجها قبل عائشة وهو بمكة وبنى بها بمكة أيضا وقال غيره تزوج عائشة قبلها، وإنما ابتنى بسودة قبل عائشة لصغر عائشة.
- أسد الغابة : 47/1.

قال ابن حجر والأمر كذلك./ (34أ)

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وما لقي من قومه

ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه في حياته خرج إلى الطائف[1] ومعه زيد بن حارثة مولاه في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوءة[2] وقيل بعد موت خديجة بثلاثة أشهر يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم من الله تعالى.

روى الطبراني : عن خالد بن أبي جبل العدواني[3] «أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر قال : فسمعته يقرأ : ﴿والسماء والطارق﴾[4] حتى ختمها» الحديث. فلم يجيبوه وأغروا[5] به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين، فلما مر بين صفين جعلوا يرجمون عراقيبه[6] بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، وكان إذا ذلقته الحجارة أي أصابته بحدها أو أضعفته قعد على الأرض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون،

(1) عرضها إحدى وعشرون درجة، وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة. والطائف وادي وج وهو بلاد ثقيف بينها وبين مكة أثناء عشر فرسخا.
- معجم البلدان : 9/4.

(2) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 166/1.
- وابن الأثير في أسد الغابة : 31/1.

(3) هو خالد بن أبي جبل ويقال ابن أبي جبل العدواني من عدوان بن قيس بن غيلان معدود في أهل الحجاز سكن الطائف له حديث واحد، روى عنه ابنه عبد الرحمن.
- الاستيعاب : 19/2 رقم الترجمة 638.
- الأسد : 647/1 رقم الترجمة : 1350.

(4) الآية 1 : من السورة 86 الطارق.

(5) يروي ابن سيد الناس في عيون الأثر يقول : فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عمير ابن عوف بن عقدة، عيون الأثر: 166/1.

(6) جمع عرقوب : وهو عصب موتر خلف الكعبين.
- اللسان : 2910/4 مادة عرقب.
- مقاييس اللغة : 286/4 مادة عرق.

وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا، فانطلق وهو مهموم على وجهه أي على الجهة المواجهة له حتى إذا كان بقرن الثعالب[1] ويقال له قرن المنازل ناداه جبريل عليه السلام فقال له : «إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال : فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أي الجبلين. قال النبي صلى الله عليه وسلم : «بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»

والأخشبان المذكوران : أبو قبيس وقعيقعان[2] أو الأحمر[3] وكان يسمى الأعرف وهو الجبل المشرف على قعيقعان وهذه جبال مكة، والأخاشب جبال مكة (فالمراد بقومه أهل مكة)[4] .

ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة[5]، وهما في حائط لهما، فلما رأيا ما لقي تحركت رحمهما فبعثا له مع عداس غلامهما قطف عنب– وهو العنقود– فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف قال : «بسم الله ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له صلى الله عليه وسلم : من أي البلاد أنت وما دينك ؟ قال : نصراني من نينوى[6] فقال صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل

---

(1) قال القاضي عياض : قرن المنازل هو قرن الثعالب : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة. وأصله (قرن) الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير.
– معجم البلدان : 332/4.
(2) جبلين من جبال مكة مر التعريف بهما.
(3) بلفظ الأحمر من الألوان : وهو اسم جبل مشرف على قعيقعان بمكة كان يسمى في الجاهلية الأعرف.
– معجم البلدان : 117/1.
(4) ما بين القوسين : ساقط من : ع.
(5) وخبرهما رواه ابن عقبة في المغازي : 87.
– ابن هاشم في سيرته : 421/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 167/1.
(6) وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل– وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين.
– معجم البلدان : 339/5.

الصالح يونس بن متى، فقال : وما يدريك ؟ قال : ذاك أخي وهو نبي مثلي، فأكب عداس على رأسه ويديه ورجليه صلى الله عليه وسلم يقبلهما وأسلم»[1].

ونينوى -بكسر النون الأولى وفتح الثانية، وقيل بضمها- قرية يونس بالموصل[2] وهناك أخرى بالكوفة.

وفي طريقه هذه صلى الله عليه وسلم هذه لما دعا ثقيفا فلم يجيبوه أتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم دعا الدعاء المشهور : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم[3] الراحمين، وأنت رب المستضعفين إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب كلفته أمري / إن لم (35ب) يكن بك غضب[4] عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح على أمر الدنيا والآخرة أن ينزل[5] بي غضبك ويحل عليّ سخطك، لك العتبى[6] حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» أورده

(1) أخرج هذه الرواية ابن هشام في سيرته : 421/2.
- وابن عقبة في المغازي : 87.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر.
- وابن عبد البر في الاستيعاب : 143/1.
وزاد ابن هشام : قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد اخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي، قالا له ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

(2) مدينة عظيمة، إحدى قواعد بلاد الإسلام ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان.
- معجم البلدان : 223/5.

(3) في النسخة الأصل بدون ياء النداء : فاستصوبته من ع وح وكذلك رواه ابن هشام في السيرة : 420/2.

(4) في النسخة الأصل «غضبان» فاستصوبته من النسخة ع وهو في سيرة ابن هشام كذلك : 420/2.

(5) في ح : أن تنزل.

(6) الرضا، وأعتبه أعطاه العتبى ورجع إلى مسيرته.
- اللسان : 2793/4 : عتب.
- مقاييس اللغة : 225/4 مادة عتب.

ابن إسحاق[1]، ورواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر[2] رضي الله عنهما.

ومعنى يتجهمني –بتقديم الجيم على الهاء– يستقبلني بغلظة ووجه كريه، والعتبى: بوزن حبلى– الرضى، ثم سار صلى الله عليه وسلم إلى حراء.

وبعث إلى الأخنس بن شريق[3] ليجيره فقال : «أنا حليف الحليف لا يجير»، فبعث إلى سهيل بن عمرو[4] فقال : «إن بني عامر لا تجير على بني كعب ثم بعث إلى المطعم بن عدي فأجابه على ذلك فدخل في جواره»[5].

وفي الصحيح من حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : «هل أتى عليك يوم كان أشد من أحد قال : لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي»[6].

---

(1) سيرة ابن هشام : 420/2.

(2) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي يكنى أبا جعفر توفي بالمدينة سنة 80.
– الاستيعاب : 17/3 رقم الترجمة : 1506.
– الأسد : 93/3 رقم الترجمة : 2682.

(3) هو أبي بن شريق يعرف بالأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى الثقفي يكنى أبا ثعلبة، توفي في اول خلافة عمر بن الخطاب.
– الأسد : 67/1 رقم الترجمة : 29. – الإصابة : 23/1 رقم الترجمة : 61.

(4) وسهيل بن عمرو بن أبي عمرو الأنصاري ذكره ابن الكلبي فيمن شهد من البدريين، وقتل مع علي ابن أبي طالب في صفين سنة سبع وثلاثين.
– الاستيعاب : 229/2 رقم الترجمة : 1110. – الأسد : 346/2 رقم الترجمة 2324.

(5) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 169/1 وقال ابن سيد الناس : ولأجل هذه السابقة – يقول المطعم بن عدى جوار النبي صلى الله عليه وسلم – التي سلفت للمطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركهم له.

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب : إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء : 558/4 الحديث رقم : 1395.
رسول الله صلى الله عليه وسلم : 1134/3 الحديث رقم : 111. ورواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 168/1.
– وفي ع وح في نهاية الخبر وردت زيادة وهي (الحديث).

ذكر وفد جن نصيبين عليه صلى الله عليه وسلم بطريق الطائف

ولما كان صلى الله عليه وسلم في رجوعه من الطائف نزل بنخلة بائتا بها وهو موضع على ليلة من مكة، فصرف إليه سبعة نفر وقيل ثمانية وقيل تسعة من جن نصيبين[1] مدينة بالجزيرة، وهي كورة إلى جانب الشام معروفة بينه وبين العراق وهم شاصر ماصر ومنشيء وماشي والأحقب، وسرق وعمرو بن جابر وزويعة.

قال السهيلي في التعريف والأعلام : فإن كانوا سبعة[2] : فالأحقب لقب أحدهم لاسمه، وقيل هم : حسي ومسي وشاصر وماصر والازد وأينان والأحقب[3].

وقيل هم : حسي ومسي والأرقم وسليك، وشاصر وماصر والأدرس وحاصر وعقيم. وزيد فيهم : هامة بن هيم بن الأقيس بن إبليس وشصار وزيد فيهم أيضا عمرو بن جابر آخر.

---

(1) قال السهيلي : نصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه قال : رفعت إلي نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويطيب ثمرها، وأسماؤهم- أي الجن- ذكره ابن دريد : منشي وماشي وماصر والأحقب و لم يزد على تسمية هؤلاء.
- الروض الأنف : 180/2.

وقال ياقوت : نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين سنجار تسعة فراسخ.
- معجم البلدان : 288/5.

(2) وهو ما ذكره ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 422/2.

(3) والمقصود أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث إلى الثقلين ن واستمع الجن لقراءته وولوا إلى قومهم منذرين كما أخبر الله عز وجل، وهذا متفق عليه بين المسلمين. ويقول ابن تيمية : ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم يقولون : أنهم جاؤوه بعد هذا وأنه قرأ عليهم القرآن وبايعوه.
- الفتاوي : 36/19. وقال أيضا في كتابه الفرقان : «وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله :
- ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا أنزل من بعد موسى ...﴾ الأحقاف الآيات : 29-30-31.
- الفرقان لابن تيمية : ص : 190.

وقال الطبراني : عمرو بن طلق. وقال الطبراني أيضا : عمرو بن جابر آخرهم موتا.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس[1] : أنهم كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل.

وقد يجمع بني ما رواه ابن مردويه وبين ما رواه غيره بأن العدد القليل كانوا رؤساءهم، والباقي أتباع ووفادة إحدى الروايتين، غير وفادة الرواية الأخرى فوقع اشتباه والله أعلم:

وعند الواقدي وأبي نعيم عن أبي جعفر أن قدومهم كان في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من النبوءة. فلما قام صلى الله عليه وسلم في جوف الليل يصلي استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن[2] فآذنته بهم شجرة، فسألوه الزاد[3] فقال : «كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعر علف

(1) وفي رواية أخرى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن﴾ قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم.
وعن مجاهد : قال كانوا سبع نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم وحسى ومنسى وشاطر وناصر والأرد وبيان والأحتم. وذكر أبو حمزة حمزة الثمالي إن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا.
– تفسير ابن كثير : 168/4.

(2) وهي قوله تعالى ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ وعن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفا قال ابن كثير فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرار وفادتهم عليه صلى الله عليه وسلم .
– التفسير : 168/4.
– وذكر ابن كثير روايات كثيرة متعددة ومختلفة بخصوص عددهم وأصل وفودهم. انظر الصفحات : 4/162-163-164-165-166-167-168-169-170-171.

(3) قال الإمام أحمد حدثنا ابن عبد الأعلى عن ابن مسعود «... قال صلى الله عليه وسلم أولئك جن نصيبين سألوني المتاع– والمتاع الزاد– فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثا إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستهين أحد منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة».
الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة الأحقاف : 173/5، الحديث رقم : 3269.
– والسيوطي في الدر المنثور : 44/6.
– وابن كثير في التفسير : 166/4.
– عيون الأثر : 171/1 .

لدوابكم». وكانوا استمعوا لقراءته في ابتداء الإيحاء لما منعوا من استراق السمع[1] فقالوا : ما هذا إلا من أمر حدث فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم بين جبلي نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا هذا الحدث الذي حدث في الأرض وحال بينكم وبين خبر السماء.

وقال ابن إسحاق : فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك ليلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا به وصدقوا ثم ولوا إلى قومهم منذرين/ و لم يشعر بحضورهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا قوما بعد قوم (36أ) وفوجا بعد فوج، فكان من ذلك وفودهم عليه في الليلة المذكورة في رجوعه من الطائف، نقل معناه في المواهب وغيره عن ابن كثير إلا ما أدرجت فيه من كلام ابن إسحاق[2].

وفي التفسير أن الجن المذكورين كانوا يهودا، ولذلك قالوا من بعد موسى[3] و لم يقولوا من بعد عيسى.

---

(1) يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق وهذا من لطف الله بخلقه وحفظه لكتابه العزيز ولهذا قال الجن : ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾.
قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء... فقال لهم عبد ياليل بن عمرو : ويحكم يا معشر أهل الطائف... لم يهلك أهل السماء : إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم.
– تفسير ابن كثير : 430/4 – 431.
(2) سيرة ابن هشام : 422/2.
(3) وإليها يشير قوله تعالى : ﴿وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا على قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم﴾.
– الأحقاف : الآيات 29 و30.

ذكر إسرائه[1] صلى الله عليه وسلم ومعراجه

ولما كان قبل الهجرة بسنة[2] أو سنة ونيف أتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام ليلا فشق صدره يقظة ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئة حكمة وإيمانا، فأفرغها في صدره ثم أطبقه ثم أتي بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، خطوه عند أقصى طرفه وهو البراق، فركبه ثم أسرى يقظة روحا وجسدا من حطيم الكعبة -وهو هنا الحجر على المسجد الأقصى -وهو بيت المقدس، وصلى هناك بالأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام. إلا أنه يحتمل أنه صلى بهم قبل العروج أو بعده أو في الحالتين، ثم إن كلا منهم أثنى على ربه تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل علي الفرقان فيه تبيانا لكل شيء، وجعل أمتي أمة وسطا، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحا وخاتما، فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد»[3].

وأتاه «جبريل بقدحين أو ثلاثة أحدهما لبن والآخر خمر والثالث على ثبوته إما عسل أو ماء، فاختار اللبن فقال : «اخترت الفطرة»[4]، ثم أتي بالمعراج وهو السلم

---

(1) قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء. رواه ابن هشام في السيرة : 396/1.

(2) قال ابن عقبة عن ابن شهاب : أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة.
- وأخرجه البيهقي في الدلائل : 354/2.
- ابن القيم في زاد المعاد : 41/3.
- مغازي ابن عقبة : 88.
- الذهبي في التاريخ : 141/1.
- ابن كثير في سيرته : 93/2.
- ابن سعد في الطبقات : 214/1.

(3) أخرجه القاضي عياض في الشفا : 238/1.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب : قوله تعالى : «وهل أتاك حديث موسى : وكلم الله موسى تكليما» : 613/4 الحديث رقم 1551.
- وأخرجه ابن شهاب الزهري في المغازي : ص 49.

فقال صلى الله عليه وسلم فيما عند ابن إسحاق: «لم أر قط شيئا أحسن منه وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر»[1].

وفي رواية أبي سعيد عند البيهقي: «ثم أتيت المعراج[2] الذي يعرج عليه[3] أرواح بني آدم»، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج. أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء، فإن ذلك عجبه بالمعراج.

وفي شرف المصطفى للنيسابوري[4] : أنه أتى بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة.

وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل، والمرقاة بالفتح الدرجة.

وقال بعضهم المعراج سلم من نور من جواهر تصعد فيه الأرواح إلى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر. ثم عرج به إلى السماء الدنيا، ومن سماء إلى سماء حتى ارتقى فوق السموات السبع. ولقي في السماء الدنيا آدم. وفي الثانية عيسى ويحيى. وفي الثالثة يوسف. وروي يوسف في الثانية ويحيى وعيسى في الثالثة . وفي الرابعة ادريس، وفي الخامسة هارون، وروي أيضا هارون في الرابعة

---

(1) سيرة ابن هشام : 403/2، قال ابن إسحاق: حدثني من لا اتهم : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج و لم أر شيئا قط أحسن منه.

(2) المعراج شبه سلم أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت يقال : ليس شيء أحسن منه إذا رآه الروح لم يتمالك أن يخرج، وقيل معارج الملائكة هي مصاعدها في قوله تعالى : ﴿تعرج الملائكة﴾.
- اللسان : 2870/4 مادة عرج.

(3) أخبر ابن سعد عن محمد بن عمر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلما كانت ليلة السبت عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم في بيته ظهرا أتاه جبريل وميكائيل فقالا : «انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به ما بين المقام وزمزم فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظرا فعرجا به إلى السماوات سماء سماء، فلقي فيها الأنبياء».
- الطبقات : 213/1.

(4) شرف المصطفى لأبي الفرج عبد الرحمان بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة 597 وهذا الكتاب في ثمان مجلدات ذكره السخاوي في القول البديع : كشف الظنون : 1045/2. و لم أقف على شرف المصطفى للنيسابوري.

وإدريس في الخامسة، وفي السادسة موسى. وفي السابعة إبراهيم على المشهور. وروي إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة على جميعهم الصلاة والسلام[1].

وهل لقي أرواحهم خاصة أو بأجسادهم قالوا : الأمر محتمل، وكذا صلاته بهم في بيت المقدس محتمل للأمرين أيضا، ثم رفعت له «سدرة المنتهى»[2] أي أريت له وهو في السماء السابعة فأخبر أن نبقها[3] / مثل قلال هجر[4] قرية يصنع بها قلال (37ب) عظام[5]، وورقها كآذان الفيلة. وأخبر أنه يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان وهما في الجنة قال مقاتل : «هما الكوثر والسلسبيل. ونهران ظاهران : وهما النيل والفرات. قال فغشيهما[6] ألوان لا أدري ما هي. فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها».

---

(1) وتفصيل ذلك ذكره ابن كثير في التفسير بروايات كثيرة ومختلفة الأسانيد: التفسير : 3/3-4-5-6-7.
وابن هشام ذكره مختصرا في السيرة وهذه رواية عبد الله بن مسعود يقول فيها : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حيث انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جمعوا له، فصلى بهم ...
– سيرة ابن هشام : 397/1.
– ورواه ابن سعد في الطبقات : 214/1.

(2) وردت في قوله تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ الآيات 1 و2 من سورة النجم.

(3) النبق ثمر السدر قال الجوهري نبقة ونبق ونبقات وفي حديث سدرة المنتهى : «فإذا نبقها أمثال القلال».
– والسدر واحده سدرة وهو نوعان الثاني منه ينبت في الماء وثمره النبق. وقوله تعالى : ﴿عند سدرة المنتهى﴾.
زعم الليث أنها سدرة في السماء السابعة لا يجاوزها ملك ولا نبي وقد أظلت السماء والجنة.
– اللسان : 1973/3 مادة سدر والجزء 4328/6 مادة نبق.

(4) مدينة وهي قاعدة البحرين. قال الماوردي : الذي جاء في الحديث : «ذكر القلال الهجرية» قيل إنها كانت تجلب من هجر إلى المدينة.
– معجم البلدان: 393/5.
– والقلال إناء للعرب كالجرة الكبيرة، وفي الحديث في ذكر الجنة : ونبقها مثل قلال هجر:
– اللسان : 3727/5. مادة قلل.

(5) كبار أي كبيرة الحجم.

(6) قال صلى الله عليه وسلم : ...« ثم صعد بي إلى السماء السابعة وأتيت سدرة المنتهى فغشتني ضبابة، فخررت ساجدا، فقيل لي إني يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة».
– تفسير ابن كثير : 7/4.

ورفع له البيت المعمور، وهو في السماء السابعة فدخله فصلى فيه هو وناس من أمته، وأخبر أنه يدخله سبعون ألف ملك: كل يوم إذا خرجوا منه لم يعودوا، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذ اللبن فقال له جبريل: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك»[1].

قال في المواهب، وقد كان إتيانه بالأواني مرتين: مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة.

وممن صرح بأنه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير. وعلى هذا يكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه انتهى.

«وأدخل الجنة فإذا فيها جنابذ[2] اللؤلؤ –والجنابذ: جمع جنبذة وهي القبة– وإذا ترابها[3] المسك»[4].

وفي رواية[5] «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه أي جانباه قباب اللؤلؤ المجوف، وإذا طينته مسك أذفر: أي جيد إلى الغاية فقال جبريل: هذا الكوثر ثم عرج به حتى ظهر بمستوى» أي علا فيه أو عليه. والمستوى المصعد والمحل: العلا حيث سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، وصريف الأقلام تصويتها[6] حالة الكتابة، ثم رقي به إلى العرش والزفزف)[7] وهو البساط –حيث حصلت له الرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي. ووقف جبريل عليه دون

(1) سبق تخريجه.

(2) الجنبذة بالضم: ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة وعن ابن الأعرابي: وفي الحديث في صفة الجنة: وسطها جنابذ من ذهب وفضة، يسكنها قوم من أهل الجنة، كالأعراب في البادية، وفي حديث آخر: فيها جنابذ من لؤلؤ.
– اللسان: 665/1 مادة جنبذ.

(3) في النسخة: ح (تربها).

(4) الخبر رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر: 179/1.

(5) أخرجها ابن كثير في التفسير: 7/4، وأخرجها ابن سيد الناس في عيون الأثر أيضا: 179/1.

(6) في ع: (صوتها).

(7) الزف صغير الريش وخص بعضهم ريش النعام قال الجوهري: الزف بالكسر صغار ريش النعام والطائر، والمزفة: المحفة.
– اللسان: 1843/3 مادة زفف.

ذلك، وقال : «إن تجاوزت مقامي، احترقت بالنور فقال صلى الله عليه وسلم : يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك»، الحديث.

ودنا الجبار رب العزة جل جلاله فتدلى حتى «كان قاب قوسين أو أدنى»[1] والمراد به قرب المرتبة وتوفير الكرامة، وقاب قوسين قدرهما، والقوس ما يرمى به وقيل المراد بها الذراع، وفرض الله عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته الصلوات الخمس[2]، وكلمه كفاحا، ورأى[3] من آيات ربه الكبرى، وما زاغ بصره صلى الله عليه وسلم وما طغى وأوحى الله ما أوحى.

---

(1) أخرج الترمذي في سننه قال حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عباد بن العوام حدثنا الشيباني قال : سألت زر بن حبيش عن قوله عز وجل ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ فقال أخبرني ابن مسعود : «أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وله ستمائة جناح».
– السنن : 184/5، كتاب التفسير باب ومن سورة النجم الحديث رقم 3288.
– وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الايمان باب ذكر سدرة المنتهى : 138/1 الحديث رقم : 280.

(2) أخبر ابن سيد الناس في عيون الأثر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : ... ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض على أمتك ؟ قلت خمسين قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف : إلى آخر الخبر.
أخرجه في عيون الأثر : 179/1.
– وابن سعد في الطبقات : 213/1.

(3) تكلم العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء، فروي عن مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه، فقالت : ومن زعم أن محمدا رآى ربه فقد أعظم الفرية على الله واحتجت بقوله سبحانه ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾.
– وحديث عائشة أخرجه مسلم بطوله في صحيحه في كتاب الايمان : باب معنى قول الله عز وجل : «ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء ؟» : 139/1. الحديث : 217.
– وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة النجم: 184/5 الحديث رمق 3289.
قال ابن سيد الناس : وروينا من طريق الترمذي : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين وروينا من طريق مسلم عن أبي ذر قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال رأيت نورا. وفي حديث آخر عند مسلم، قال : نورا أنى أراه.
وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري : وذكر إنكار عائشة أنه رآه فقال الزهري ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس.
قال أبو القاسم : والمتحصل عندنا من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية، وعلى نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة ... وإلى هذا يومئ قوله : رأيت نورا.
– (عيون الأثر : 181/1–182).

قال جعفر الصادق : لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله : ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ أي كان ما كان وجرى ما جرى. وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب، وألطف به ألطاف الحبيب بالحبيب فخفي السر و لم يطلع عليه أحد، و لم يعلم أحد ما أوحى إلا الذي أوحى.

وقال غيره في الآية : أبهم قوله ﴿ما أوحى﴾ لعظمه، فإن الإبهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل يتعبد بالإيمان به، وقيل فيها غير ذلك مما لا نطول به، فكانت المعاريج ليلة الإسراء سبعة إلى السماوات السبع والثامن إلى سدرة المنتهى. والتاسع إلى المستوى، والعاشر إلى العرش والرفرف، قاله في المواهب اللدنية.

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من ليلة إلى مكة، فلما أصبح أخبر بذلك فصدقه الصديق، وكل من آمن بالله وكذبه الكفار، واستوصفوه بيت المقدس فجلاه الله له فطفق ينظر إليه ويصفه، وسألوه آية فقال لهم : «إني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وإن مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا/ (38ب) ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل أدم، عليه مسح أسود وغرارتان»[1].

وفي رواية[2] : أنه مر في بعض طريقه بعير لهم تحمل طعاما فيها جمل يحمل غرارتين غرارة سوداء وغرارة بيضاء. وفي رواية برقاء– أي فيها ألوان مختلفة– فلما حاذى صلى الله عليه وسلم بالعير نفرت من حس الدابة وهو البراق[3] واستدارت وند[4] ذلك العير حتى دلهم صلى الله عليه وسلم عليها، فأخبر أهل مكة

(1) واحده غرة أو غرارة . ويقال غرة الفرس : البياض الذي يكون في وجهه.
– اللسان : 2334/5 مادة غرر.
– معجم مقاييس اللغة : 384/4 مادة غرر.

(2) رواه ابن هشام في سيرته : 403/1.
– ابن شهاب الزهري في المغازي : 48.
– وابن سعد في الطبقات : 215/1.

(3) دابة يركبها الأنبياء عليهم السلام مشتقة من البرق، وقيل البراق: فرس جبريل عليه السلام ليلة المعراج. وسمي بذلك لنصوع لونه وشدة برقه وقيل لسرعة حركته شبه فيها بالبرق.
– اللسان : 261/1 مادة برق.
– مقاييس اللغة : 221/1 مادة برق .

(4) شرد، وناقة ندود : شرود.
– اللسان : 4381/6 مادة ندد.

بذلك، فلما كان ذلك اليوم أقبلت العير على النعت الذي نعت. فقالوا «صدق والله لقد نفرنا في الوادي الذي ذكر. وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه». وذكر لهم أيضا أنه لما رجع مر في بعض طريقه بقوم نيام ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه (بشيء)[1] فشرب ما فيه. ثم غطى عليه كما كان، فسألوهم عن ذلك لما قدموا فصدقوه وقالوا: إنهم وجدوا إناءهم مغطى كما كان وليس فيه ماء، وقد كانوا جعلوه فيه وغطوه.

وفي رواية[2] أنهم قالوا : «يا محمد أخبرنا عن عيرنا فقال : أتيت على عير بني فلان بالروحاء[3] قد أضلوا ناقة لهم، وانطلقوا في طلبها فانتهيت على رحالهم ليس بها (منهم)[4] أحد. وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك، فقالوا هذه آية ثم انتهيت إلى عير بني فلان فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق[5] مخطط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا فاسألوهم ذلك فقالوا هذه آية. ثم انتهيت إلى عير بني فلان بالأبواء[6] يقدمها جمل أورق[7] ها هي تطلع عليكم من الثنية» فقال الوليد بن المغيرة ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا الأمر كما قال فرموه بالسحر، وقالوا صدق الوليد بن المغيرة فيما قال.

وأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾[8].

---

(1) سقط من : ع.

(2) أخرج هذه الرواية : ابن سيد الناس في عيون الأثر : 176/1.

(3) الروحاء : من الراحة والاستراحة وهي قرية من قرى بغداد على نهر عيسى.
ذكرها ابن الكلبي قال : لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء. فأقام بها وأراح فسماها الروحاء.
– معجم البلدان : 76/3. – اللسان : 1771/3 مادة روح.

(4) سقط من ك ح و ع .

(5) في اللغة جوالق وعاء الطعام .
– اللسان : 662/1. مادة جلق. – مقاييس اللغة : 475/1 .مادة جلق.

(6) الأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا : وقيل الأبواء : جبل عند يمين الطريق المصعد إلى مكة من المدينة.
– معجم البلدان : 79/1.

(7) الأورق من الإبل الذي في لونه بياض إلى سواد. والورقة : سواد في غبرة، والناقة أصبر على طول السرى.
– اللسان : 4816/5 مادة ورق.

(8) جزء من الآية : 60 من السورة : 17 : الإسراء.

والجوالق : وعاء من جلود أو ثياب أو غيرها، ويراد به الغرارة.

والجمل الأورق : الذي لونه بياض إلى سواد يشبه لون الرماد.

وفي رواية : أنه أخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب، فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف. وهذه رواها يونس بن بكير[1] في زيادات المغازي ورواها أيضا البيهقي.

وهذه القصة برواياتها مما استدل به على كون الإسراء يقظة.

واختلف في تاريخ الإسراء، فقيل كان قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونيف، واختلف في النيف على أقوال، وقيل قبلها بدون السنة فقيل بستة أشهر وقيل بثمانية وقيل بأحد عشر شهرا، وقيل قبلها بثلاث سنين، وقيل بخمس سنين ورد بما يطول، والصحيح المشهور الأول أنه كان قبل الهجرة بسنة[2].

وأما الشهر والليلة فصحح ابن جماعة : أنه كان ليلة سبع عشرة من ربيع الأول.

وصحح ابن الأثير[3] أنه كان ليلة سبع وعشرين منه[4] واختلف قول النووي[5] فجزم في شرح مسلم بأنه كان في شهر ربيع الأول.

---

(1) يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر، مؤرخ من حفاظ الحديث من أهل الكوفة عرفه الذهبي بصاحب المغازي. توفي سنة 199هـ.
- تذكرة الحفاظ : 299/1. - مرآة الجنان : 460/1.
- تهذيب التهذيب : 334/11.

(2) رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه أسري به ليلة سبع من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة. رواه ابن عباس وأنس قالا : أسري به قبل الهجرة بسنة.
- أسد الغابة : 31/1.

(3) هو أبو السعادات الشيباني المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير ولد سنة 544 من مصنفاته النهاية في غريب، الحديث.
- وفيات الأعيان : 141/4. - البداية والنهاية : 54/31.

(4) كان يقصد بابن الأثير صاحب أسد الغابة في تراجم الصحابة فما وقفت عليه في الكتاب يخالف هذا. ففيه : أنه أسري به ليلة سبع من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.
- أسد الغابة : 31/1.

(5) هو يحيى بن شرف بن حسن الحازمي العالم محيي الدين أبو زكريا الدمشقي ز شرح مسلمس وله الروضة والمنهاج والرياض.
- البداية والنهاية : 278/13.
- شذرات الذهب : 354/5.

ومن فتاويه بأنه كان في السابع والعشرين من ربيع الآخر. وفي الروضة بأنه كان في رجب، وقيل كان في رمضان.

واختار الحافظ عبد الغني المقدسي : أنه كان ليلة سبع وعشرين من رجب. قال بعضهم وهو المشهور الآن في جميع الأقطار.

وأما اليوم الذي يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت[1]، وعن ابن دحية يكون إن شاء الله يوم الإثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة، فإن هذه أطوار الانتقالات وجودا ومعراجا وهجرة ووفاة./ (39ب)

ثم ما تقدم لنا من إثبات الرؤية، وأن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة هو الأصح فيهما، والأصح أيضا أنه إسراء واحد في ليلة واحدة[2].

وقيل كان الإسراء[3] مناما. وقيل كان مرتين مرة بروحه وبدنه يقظة. ومرة في ليلة أخرى مناما.

وصحح هذا المذهب أيضا وقيل : كان يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم مناما من المسجد الأقصى إلى العرش.

وقيل كان أربع مرات كلها يقظة. وقيل بنفي الرؤية وصححه الغزالي[4] وقيل رآه بقلبه، وقيل مرة ببصره ومرة بقلبه وقيل بالوقف. واختاره القرطبي وعزاه لجماعة من المحققين.

---

(1) قال ابن سيد الناس : والذي روينا عن ابن سعد في المعراج عن محمد بن عمر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا : كان عليه السلام يسأل ربه أن يريه الجنة والنار. فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم ظهرا أتاه جبريل ومكائيل فقالا: انطلق إلى ما سألت الله.
– عيون الأثر : 181/1.
– الطبقات لابن سعد : 213/1.

(2) وهو ما قاله ابن سعد في الطبقات : 213/1.

(3) وتفصيل أقوال العلماء مع اختلاف الروايات في ذلك ذكره ابن كثير في تفسير سورة الإسراء.
– التفسير . من الصفحة 3 إلى 25.

(4) أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الملقب بحجة الإسلام الفقيه الشافعي من مؤلفاته إحياء علوم الدين وتنزيل القرآن عن المطاعن والمستصفى من أصول الفقه توفي سنة 505 هـ.
– طبقات الشافعية : 101/4. – إعجام الأعلام : 162.

وفي المواهب اللدنية : ومما يعزى للأستاذ عبد العزيز المهدي : أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من (سفر)[1] الإسراء أخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم، وسقى كل واحد من كأسه وعلى قدر عقله، فخاطب الكفار وهم آخر العوالم بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الأقصى على العيان، وبما يعرفون لأنهم في فلك الأجسام حتى صدقوا بالإسراء. ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء، وكذلك في كل سماء، وأخبر عما شاهد ورأى كل فلك، وما يليق أن يحدث به أعني الصحابة كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاح إلى السماء السابعة. ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الأفق المبين. وعما فوق إلى الدنو وإلى التدلي إلى موضع الإيحاء عند حضرة إسقاط الصور والخلق، فأخبر بذلك أصحابه، فمنهم من قال : رأى جبريل بالأفق المبين، وبالأفق الأعلى وصدق، ومنهم من قال برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عائشة[2] ومن معها.

ومنهم من قال بعيني رأسه رأى وصدق، فكل أخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم، وسقاه من كأسه وما يليق به.

فإذا صح هذا المعراج عرفت الإسراء ومقامات الرؤية، والقائلين بذلك واختلافهم وقولهم الحق انتهى.

---

(1) سقط من : ح.

(2) وخبر عائشة رواه مسلم عن زهير بن حرب قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبي عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض».
فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ إلى آخر ما جاء في الحديث الذي دل فيه قولها على الرؤية بالفؤاد وليس بالعين.
وخالفها ابن عباس فعنه سئل هل رأى ربه ؟ فقال رآه رآه حتى انقطع صوته. وقال الزهري معلقا على ذلك :
ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس.
– رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 181/1. وخبر عائشة أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾.

ثم لما أصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسري به فيها أتاه جبريل عليه السلام حين زاغت الشمس فأراه كيفية الصلاة[1] ومواقيتها بأن صلى به وصلى هو صلى الله عليه وسلم بأصحابه يعلمهم ذلك.

ذكر بدء إسلام الأنصار والخبر عن عقباتهم الثلاث وإظهار الله دينه وإعزازه نبيه صلى الله عليه وسلم بإسلامهم

ولما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الأنصار فعرض صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب[2] كما كان يصنع في كل موسم منذ بعثه الله يقول: «من يؤويني من ينصرني» فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج[3] فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وكان الأوس والخزرج[4] أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه.

(1) وكيفية فرض الصلاة رواه ابن هشام في السيرة : 407/2.
– وابن سعد في الطبقات : 213/1.

(2) وخبر عرضه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب وقوله من يؤويني من ينصرني رواه أبو نعيم في الدلائل : 389/1.
– المغازي لعروة : ص : 177.
– ورواه ابن ماجة في سننه في المقدمة : 133/1 الحديث رقم : 201.
رواه عن جابر بن عبد الله ولفظه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في المواسم فيقول : «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي».
– رواه البيهقي في الدلائل : 422/2.
– وابن حجر في الفتح : 220/7.

(3) بطن من الأزد من القحطانية وهم بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة كانوا يقطنون المدينة مع الأوس.
– معجم البلدان : 342/1.

(4) بطن عظيم من الأزد القحطانية وهو بنو الأوس بن حارثة بن ثعلب بن عمرو وهم أهل عز ومنعة، وكان الموطن الأصلي لهم بلاد اليمن فهاجروا إلى يترب وعاشوا مع الخزرج.
– معجم البلدان : 50/1.

فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقع كلامه منهم الموقع. وعرفوا النعت فقال بعضهم لبعض لا يسبقنا إليه اليهود فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام./ فأسلموا وكانوا ستة نفر وقيل سبعة، وقيل ثمانية (40أ) وكلهم من الخزرج[1]، وقيل كان فيهم اثنان من الأوس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : «تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالات ربي»[2] فقالوا : يا رسول الله : إنما كان بعاث[3] عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا، وندعوهم إلى ما دعوتنا، فعسى الله أن يجمعهم عليكم، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أعز منك، وموعدك الموسم العام القابل. فانصرفوا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام حتى فشي فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

فلما كان العام المقبل لقيه منهم اثنا عشر رجلا[5].

وفي الإكليل للحاكم : أحد عشر رجلا اثنان من الأوس والباقي من الخزرج وهي العقبة الثانية، فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي :ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا

---

(1) قال ابن اسحاق وهم فيما ذكر لي : ستة نفر من الخزرج منهم بني النجار وهو تيم الله ثم من بني مالك بن النجار، أسعد بن زرارة، عوف بن الحارث بن رفاعة، ومن بني زربق : رافع بن مالك، ومن بني سلمة بن سعد ثم من بني سواد بن غنم ومن بني حرام عقبة بن عامر، ومن بني عبيد جابر ابن عبد الله.
– سيرة ابن هشام :429/2. – ورواه أيضا ابن عقبة في المغازي : 93.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 192/1. – وابن سعد في الطبقات : 219/1.
(2) الخبر بلفظه وطوله رواه ابن سعد في الطبقات : 218/1، 219.
(3) بعاث بالضم : موضع من نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الرئيس في بعض حروب بعاث حضير الكتائب أبو أسيد بن حضير.
– معجم البلدان : 451/1.
(4) ذكره ابن سعد في الطبقات : 219/1.
(5) قال ابن إسحاق حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب.
– سيرة ابن هشام : 431/2.

أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف، وأن يسمعوا ويطيعوا في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة عليهم، وأن لا ينازعوا الأمر أهله، وأن يقولوا الحق حيث كانوا لا يخافون في الله لومة لائم.

قال صلى الله عليه وسلم : «فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن غشي من ذلك شيئا فستره الله عليه كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»[1] و لم يفرض يومئذ القتال. ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام. وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة[2] يجمع بالمدينة بمن أسلم عند هزم النبيت من حرة بني بياضة[3] في نقيع[4] الخضمات[5].

وهزم النبيت[6] جبل على بريد من المدينة. وتجميعهم وتسميعهم اليوم بالجمعة كان عن هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فاستقر فرضها واستمر حكمها، وكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ابعث إلينا من يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن

---

(1) الخبر أي خبر بيعة النساء أخرجه ابن هشام في السيرة : 433/2.
— وابن سعد في الطبقات كلاهما عن عبادة بن الصامت.

(2) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري أبو أمامة كان عقبيا ونقيبا شهد العقبة الأولى والثانية، مات قبل بدر.
— الاستيعاب : 175/1 رقم الترجمة : 30 .
— الأسد : 16/5 رقم الترجمة 5686.

(3) بطن من الخزرج من الأزد القحطانية وهم بنو بياضة بن عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك.
— معجم القبائل : 121/1.

(4) في النسخة ع : (بقيع) بالباء. وكذا في رواية ذكرت في معجم البلدان : 302/5.

(5) موضع سمي بنقيع الخضمات وهو خضمة وهي المرأة التي تخضم بأقصى أضراسها، وخضمة الماشية التي تخضم فكأنه سمي بذلك للخضب فيه.
— معجم البلدان : 377/2.

(6) النبيت : بطن من الأنصار وهو عمرو بن مالك بن الأوس، وهزم النبيت موضع ذكره الحموي بأساليب مختلفة تحقيقا له، ومما ذكره ما نقله عن السهيلي صاحب الروض الأنف. إن هزم النبيت جبل على بريد من المدينة.
— معجم البلدان : 405/5 .

وخبر جمعهم عند هزم النبيت من طرف أسعد بن زرارة، رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : 176/1.
— وابن سيد الناس في عيون الأثر : 194/1.

عمير[1]، وهو أول من سمي بالمقرىء والقارىء، فنزل على أسعد بن زرارة، وقيل إنه بعثه معهم وقيل هو ابن أم مكتوم[2].

وقال الواقدي : «قدم ابن أم مكتوم المدينة بعد بدر بيسير فنزل دار القرآن وهي دار مخرمة بن نوفل»[3].

وروي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب أن يجمع بهم وكانوا أربعين رجلا وإنما لم يجمع هو صلى الله عليه وسلم على هذا بمكة لعدم تمكنه من إقامتها، فأسلم على يدي مصعب بن عمير خلق كثير، وأسلم في جماعتهم : سعد ابن معاذ[4] وأسيد بن حضير[5] وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم أحد الرجال والنساء إلا أصرم ويقال أصيرم[6] واسمه عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه

(1) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله، لم يشهد بدرا هاجر إلى أرض الحبشة.
– الاستيعاب : 36/4 رقم الترجمة 2852. – أسد الغابة : 387/4 رقم 4929.
وخبره أخرجه ابن سعد في الطبقات : 220/1 وفيه : «وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث إلينا مقرئا يقرأ القرآن...».

(2) عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري، لم يختلفوا أنه من بني عامر بن لؤى، هاجر إلى المدينة .
– الاستيعاب : 119/3 رقم الترجمة : 1687. – الأسد : 349/5 رقم : 6390.

(3) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف... القرشي الزهري وهو والد المسور بن مخرمة مات بالمدينة زمن معاوية سنة أربع وخمسين.
– الاستيعاب : 436/3 رقم الترجمة : 2378.
– الأسد : 331/4 رقم الترجمة : 4791.

(4) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم الأنصاري الأشهلي يكنى أبا عمرو أسلم بالمدينة.
– الاستيعاب 167/2 رقم الترجمة : 963.
– الأسد : 239/2 رقم الترجمة : 2045.

(5) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري يكنى أبا عيسى، وهو من النقباء ليلة العقبة، توفي في شعبان سنة عشرين.
– الاستيعاب : 185/1 رقم الترجمة 54.
– الأسد : 129/1 رقم الترجمة 170.
وإسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر 195/1.

(6) هو عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري استشهد يوم أحد.
– الاستيعاب : 252/3 رقم الترجمة : 1921.
– الأسد : 698/3 رقم الترجمة : 3875.

تأخر بإسلامه إلى يوم أحد فأسلم واستشهد و لم يسجد لله سجدة. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة.

و لم يكن في بني عبد الأشهل منافق (ولا منافقة)[1]،و لم يزل مصعب يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار وفيها رجال ونساء مسلمون[2] إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف[3]، وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة[4] وكانوا سكانا في عوالي المدينة فأسلم منهم قوم/. (41ب)

وكان فيهم أبو قيس صيفي بن الأسلت[5] وكان شاعرا لهم وقائدا سيدا يسمعون منه، ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدرا وأحدا والخندق ثم أسلموا كلهم، و لم يبق بالمدينة وعمائرها من الأوس والخزرج مشرك والحمد لله[6].

ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل في ذي الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلا.

وقال ابن سعد[7] : يريدوه رجلا أو رجلين. وامرأتان.

---

(1) سقط من : ع.
(2) رواه ابن سعد في الطبقات : 219/1.
(3) في النسخة ع وافق، والصواب واقف ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر : 197/1.
– وابن هشام في السيرة : 437/2.
(4) أوس بن حارثة بن لام بن عمرو بن ثمامة بن عمرو طريف الطائي قام : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا من طيء فبايعته على الإسلام.
– الأسد : 196/1 رقم الترجمة 295.
– الإصابة : 82/1 رقم الترجمة : 322.
(5) أبو قيس صيفي بن الأسلت الأنصاري أحد بني وائل بن زيد هرب إلى مكة فكان فيها مع قريش إلى عام الفتح.
– الاستيعاب : 297/4 رقم الترجمة 3168.
– الأسد : 258/5 رقم الترجمة 6179.
(6) أخرج هذه الرواية ابن هشام : 435/2.
– وابن سيد الناس : 197/1.
(7) الطبقات : 321/1.

وقال ابن إسحاق[1] : ثلاثة وسبعون وامرأتان.

وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا. وهذا عدد المبايعين. وأما الذين كانوا في الركب فقال الواقدي - فيما أسنده في كتاب المبعث له - : سكان في الركب ثلاثمائة من المسلمين من الأوس والخزرج ليلة خرج منهم السبعون لمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة، ولكنه صلى الله عليه وسلم قال لهم : «لا تنتظروا غائبا ولا توقظوا نائما»[2].

وهذه هي العقبة الثالثة، فبايعوه على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود، ونقب عليهم اثني عشر نقيبا[3] والنقيب: ضمين القوم وعريفهم وشاهدهم.

وحضر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في تلك الليلة مستوثقا[4] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على أهل يثرب، وكان يومئذ على دين قومه.

وهذه العقبة المذكورة هنا هي التي تنسب إليها الجمرة فقال جمرة العقبة.

ولما قدموا المدينة زاد الإسلام بها ظهورا وسناء وإضاءة وبهورا، وأسلم عامة أهلها إلا بقايا من شيوخ لهم بقوا على دينهم من الشرك، ثم أسلم من أسلم منهم في دينه صادقا، ومن تستر بالإسلام منافقا وإلى الله عاقبة الأمور.

ذكر بدء الهجرة إلى المدينة

ولما تمت بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، وكانت سرا عن كفار قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة إلى المدينة.

---

(1) سيرة ابن هشام : 454/2.

(2) الطبقات : 221/1.

(3) وجلهم من الأنصار وهم : أسعد بن زرارة، البراء بن معرور، أبو طلحة زيد بن سهل، سعد بن الربيع، سعد ابن عبادة، عبادة بن الصامت، عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو الهيثم بن التيهان، أسيد بن أحضر، سعد بن خيثمة، عبد الله بن رواحة.
- ذكرهم ابن هشام في السيرة : 443/2.
- والمغازي لابن عقبة : 94.

(4) رواه ابن هشام : 441/2.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 199/1.

وقال ابن إسحاق: «لما أذن الله تعالى لرسوله في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له، أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها»[1] ويحتمل أن مراده بإذنه له في الحرب ما تقتضيه بيعة الأنصار له على ذلك. ولا يتعين منه وقوع الإذن، فقد يكون ذلك لتوقعه فقط والله أعلم.

وقيل إن الكفار علموا بيعة العقبة. ولما حصل لهم العلم بذلك تيقنوا أن المسلمين قد صارت لهم منعة بالأنصار، فاشتدوا على المسلمين ونالوا منهم ما لم ينالوا قبل من شتم وضرب، وغيره من أنواع الأذى، فشكى الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستأذنوه في الخروج، فمكث أياما، ثم خرج ذات يوم مسرورا فقال : «قد أخبرت بدار هجرتكم[2] وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج فخرجوا أرسالا».

قال ابن حجر[3] وكان بين ابتداء هجرة الصحابة[4] وبين العقبة شهران انتهى.

ورجع عامة من هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، ولما سمع الصحابة الذين بأرض الحبشة بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا وثماني نسوة إلى مكة فمات منهم رجلان بمكة، وحبس بها سبعة وشهد بدرا أربعة وعشرون/ هكذا عند غير ابن إسحاق. (42أ)

وأما هو[5] فالذي عنده : أن هؤلاء رجعوا لسماعهم إسلام أهل مكة. وأن الصحابة لما أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى أرض الحبشة

---

(1) سيرة ابن هشام : 468/2.
(2) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين حين استأذنوا عليه في الخروج: «إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» رواه الزهري في مغازيه : ص 98.
– وابن عقبة في المغازي : ص : 103.
(3) فتح الباري : 235/7.
(4) لما تمت البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قومهم وكفار قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه بالهجرة إلى المدينة. فخرجوا أرسالا أولهم فيما قيل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي.
– ابن سعد في الطبقات : 226/1.
– ابن سيد الناس في عيون الأثر : 210/1.
(5) المقصود به ابن إسحاق : سيرة ابن هشام : 469/2.

خرج منهم عشرة مهاجرين إليها وهم عثمان بن عفان، وعثمان بن مظغون ومن معهما.

ثم خرج جعفر بن أبي طالب وجعل المسلمون يتابعون حتى اجتمع منهم بأرض الحبشة اثنان وثلاثة وثمانون رجلا على عد عمار بن ياسر فيهم وعده، ثم بلغهم إسلام أهل مكة فأقبلت طائفة منهم وهم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ذلك باطل، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيا. ثم منهم من أقام بمكة حتى هاجر إلى المدينة فشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن حبس عنه حتى فاته بعض المشاهد معه صلى الله عليه وسلم، ومن مات بمكة، والميت منهم بها واحد والمحبوس من أول وهلة اثنان والثالث خرج مهاجرا إلى المدينة، فلحق به أخواه فرجعا به إلى مكة، والرابع حبس ثم سرحه الله قبل بدر فشهدها.

وأقام[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد خروج أصحابه ينظر أن يؤذن له في الخروج معه علي وأبو بكر رضي الله عنهما[2].

ذكر اجتماع قريش للتشاور في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الزحمة بدار الندوة حين خافوه، وخروجه صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور

ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا

---

(1) قال أبو عمر قال ابن إسحاق وغيره مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بمكة إلى أن أذن الله له بالهجرة داعيا إلى الله صابرا على أذى المشركين وتكذيبهم له إلا من دخل في الله منهم واتبعه على ما جاء به ممن هاجر إلى أرض الحبشة فارا بدينه، ومن بقي معه بمكة في منعة من قومه حتى أذن الله بالهجرة إلى المدينة ... وكان بعثه بمكة بعد أن بعثه الله عز وجل ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقيل خمس عشرة سنة، والأول أشهر عند أهل السير.
– وقال ابن إسحاق وغيره كانت بيعة العقبة في أوسط أيام التشريق في ذي الحجة وكان مخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد العقبة بشهرين وليال.
– رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : 143/1، 144.

(2) و لم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق.
– سيرة ابن هشام : 480.

وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروجه صلى الله عليه وسلم، وعرفوا أنه مجمع لحربهم فاتحدوا[1] للتشاور في أمره صلى الله عليه وسلم حين خافوه في دار الندوة[2] دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها، وكان ذلك اليوم الذي اعتدوا له يسمى يوم الزحمة[3]، فاجتمعوا فيها وحضرهم إبليس في صورة شيخ نجدي، وإنما تطور[4] كذلك ليأمنوه على سره لبعد أهل نجد منهم بلدا ونسبا (وذلك كان)[5] عندهم سرا ممن يتقون امتعاضه لذلك من شيعته صلى الله عليه وسلم، وقرابته أو إبلاغه ممن قرب نسبه أو بلده. والشيخ يعرف برزانة العقل فيكتم السر ولا يعدم منه رأي فقال بعضهم نسجنه، ونجعل عليه الحديد. فقال النجدي[6] : انظروا رأيا غير هذا فقالوا ننفيه من بلادنا. فقال النجدي : أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل اللعين : أرى قتله بأن يضربه رجل من كل قبيلة ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل، فلا تقدر بنو عبد مناف على حربها جميعا فقال النجدي : القول ما قال الرجل، فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له ثم أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما أجمعوا عليه[7]. وقال له : «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه»[8].

---

(1) في النسخة الأصل فاتعدوا وهو تصحيف فاستصوبته من النسخ الأخرى ومن السيرة لابن هشام ومن الطبقات.

(2) قال أهل اللغة : النادي المجلس يندو إليه من حواليه، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، ولذلك سميت دار الندوة بمكة، إذا حدث بهم أمر ندوا إليها فاجتمعوا للمشاورة.
– معجم البلدان : 279/5.

(3) الزحم : أن يزحم القوم بعضهم بعضا من كثرة الزحام إذا ازدحموا. والزحمة : الزحام.
– اللسان : 1819/3 مادة زحم.

(4) في : ح و ع : (تصور).

(5) في : ع (وكان ذلك).

(6) في الهامش (1). من مغازي ابن شهاب ص : 100 كلام مهم بخصوص هذا النجدي، وفيه : يبدو أن صاحب هذا الدور المعزو للشيطان كان واحدا من شخصيات قريش اسلم فيما بعد وعلت مكانته.
– انظر التاريخ عند العرب : 115–133.

(7) ما أجمعوا عليه رواه كل من ابن هشام في سيرته : 482/2. – الزهري في المغازي : ص : 100.
– وابن سيد الناس في عوين الأثر : 215/1. – وابن سعد في الطبقات : 227/1.

(8) سيرة ابن هشام : 482/2.
– عيون الأثر : 217/1. قال ابن إسحاق : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبتون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه.

وأنزل الله تعالى : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾[1] الآية. وأذن الله تبارك وتعالى عند ذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة وأمره جبريل عليه السلام أن يستصحب أبا بكر، فأتى إلى بيت أبي بكر في نحر الظهيرة متقنعا في ساعة لم يكن يأتي فيها فناداه فقال : «أخرج من عندك فقال يا رسول الله /. إنما هما ابنتاي فقال: (43ب) إن الله قد أذن لي في الهجرة فقال : الصحبة يا رسول الله فقال : الصحبة»[2].

وكان إنما حبس نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وكان كثيرا ما يستأذنه صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له : «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا، فيطمع أبو بكر أن يكون هو صلى الله عليه وسلم»[3].

ولما أذن له في الهجرة معه عرض عليه إحدى راحلتين[4] كان قد أعدهما لذلك فقال له صلى الله عليه وسلم : «بالثمن فقال هي لك به»[5] فأخذ القصواء[6] وقيل الجدعاء[7] وثمنها أربعمائة درهم فذهب أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط[8] الديلي الكناني فاستجاره ليدلهم على الطريق وهو على دين كفار قريش، ولا يعرف له

(1) الآية : 30 من السورة : 8 الأنفال.
(2) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 220/1.
(3) أخرجه ابن هشام في السيرة : 483/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 214/1.
(4) يذكر ابن عقبة أن أبا بكر علف هاتين الراحلتين أربعة أشهر استعدادا للهجرة.
– المغازي النبوية لابن عقبة ص : 101.
(5) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 220/1.
(6) يقال : قصوت البعير فهو مقصون، إذا قطعت من طرف أذنه وكذلك الشاة وناقة قصواء. والمقصاة من الابل التي شق من أذنها شيء ثم ترك معلقا. وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى قصواء و لم تكن مقطوعة الأذن، وإنما هذا لقبها.
– مقاييس اللغة : 94/1 مادة قصوى – اللسان : 3658/5 مادة قصا.
(7) الجدع القطع، وقيل هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد ونحوها . وناقة جدعاء : قطع سدس أذنها أو ربعها.
وجداع السنة الشديدة لأنها تذهب بالمال.
– اللسان : 568/1 مادة جدع. – مقاييس اللغة : 432/1 مادة جدع.
(8) عبد الله بن أريقط الليثي ثم الديلي دليل النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة، ثبت ذكره في الصحيح.
– الإصابة : 33/4 رقم الترجمة : 4517.

إسلام، ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال[1]، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله. فلما كان الليل اجتمعوا على بابه صلى الله عليه وسلم يرصدونه حين ينام فيثبوا عليه فقال بعضهم لبعض : «لا تقتلوه حتى تجتمعوا كلكم»، وكانوا خمس رجال من خمس قبائل، وقيل : إنهم كانوا مائة، ولعل المائة هم جملة الحاضرين المتشاورين في ذلك، والخمسة هم المعدون للضرب والقتل ومباشرة ذلك، فأمره صلى الله عليه وسلم عليا أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع إلى أهلها، ولم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلم من صدقه وأمانته، وأمره أن ينام على فراشه وأن يتسجى ببرده، وكان له صلى الله عليه وسلم برد حضرمي أخضر كان ينام فيه[2] وقال له : «لن يخلص إليك شيء تكرهه»، فكان أول من شرى نفسه من الله ثم خرج صلى الله عليه وسلم، وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم[3] كلهم ترابا كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى ﴿يس﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[4] ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى منزل أبي بكر فتجهزوا، وصنعوا لهما سفرة من جراب، وجعلوا فيها شاة مطبوخة «فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعتين من نطاقها فربط فمها بواحدة وربطت فم القربة بأخرى فسميت «ذات النطاقين»[5] ثم خرج صلى الله عليه

(1) البيهقي في الدلائل : 480/2.
— مغازي عروة : ص : 130.

(2) رواه ابن هشام في سيرته : 482/2 — وابن سيد الناس في عيون الأثر : 217/1
— وفي طبقات ا بن سعد (228/1) «بردا أحمر حضرميا».

(3) قال ابن سعد : «... ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل لهم : ما تنتظرون ؟ قالوا محمدا قال : خبتم وخسرتم، فقد مر بكم وذر على رؤوسكم التراب، قالوا والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط، والنضر ابن الحارث، وأمية بن خلف، وابن الغيطلة، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي ابن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج».
— الطبقات : 228/1. وأخرجه ابن حجر في الفتح: 236/7.

(4) الآيات : 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، من السورة 36 : يسن.

(5) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 223/1.
— وابن عقبة في المغازي : ص .103.
والنطاق في اللغة : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به. وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند معانات الأشغال.
— اللسان : 4463/5 مادة نطق.

وسلم هو وأبو بكر من خوفه لأبي بكر في ظهر بيته ليلا حتى لحقا بغار ثور جبل بأسفل مكة، وبات المشركون الذين على بابه صلى الله عليه وسلم يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال : ما تنتظرون[1] هاهنا فقالوا : محمدا، فقال قد خيبكم الله، قد والله خرج عليكم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه تراب وانطلق لحاجته، فما ترون ما بكم، فوضع كل رجل يده على رأسه، فإذا عليه تراب، وجعلوا يطلعونه فيرون عليا على الفراش متسجيا برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله إن هذا لمحمد عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا، فكأن السبب[2] المانع لهم من التقحم عليه هم أنهم كانوا ينتظرون اجتماع ملائهم، ثم صاروا يرصدونه حتى يتحققوا. وذكرأهل السير أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا حرمتنا، قال فهذا الذي أقامهم/ بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ،طمست أبصارهم (44أ) عنه حتى خرج. وقال الزهري[3] : باتوا يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش، وهذا يحتمل أن المانع لهم من التقحم عليه هو الهيبة، أو خوف السبة، فلما أصبحوا، وقام علي من الفراش، وقالوا له أين صاحبك، فقال لا أدري، ولم يعلم بخروجه[4] صلى الله عليه وسلم إلا علي وآل أبي بكر، ثم كان عاقبة ذلك

---

(1) وخبر انتظارهم وراء الباب أخبر به ابن هشام في سيرته : 482/2.
– وابن عقبة في المغازي : ص : 105. – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 217/1.
– وابن حجر في الفتح : 236/7.
– فكان مما أنزل الله من القرآن «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».
وقوله تعالى : ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾.
– انظر سيرة ابن هشام : 484/2. –وابن سيد الناس في عيون الأثر : 218/1.

(2) وهذا السبب المانع لهم من التقحم عليه صلى الله عليه وسلم رواه السهيلي في الروض الأنف عن بعض أهل العلم.

(3) المغازي النبوية لابن شهاب الزهري: ص : 100.

(4) وفي خروجه صلى الله عليه وسلم وذهابه إلى أبي بكر قال ابن إسحاق حدثني من لا أتهم عن عروة ابن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة بين ظهري قومه، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم=

التراب الذي نثر على رؤوسهم أنه ما أصاب رجلا منهم من ذلك التراب حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا.

ذكر طلب قريش له صلى الله عليه وسلم وهو في الغار، وما ظهر في ذلك من الآيات

ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وشق عليهم خروجه، وجزعوا لذلك فطفقوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم ويرسلون من يطلبه فيما بعد عنهم ويجعلوا مائة ناقة لمن رده عليهم، وبعثوا القافة يتبعون أثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك، فلم يزل يتبعه حتى اختلط عليه، وانقطع لما انتهى إلى جبل ثور فصعدوا الجبل فمروا بالغار، وقد أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان، وأمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وضربت بعشاش بعضها على بعض، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار، وروي أنهما باضتا في أسفل الثقب، فقالوا لو دخلا لتكسر البيض، و لم تكن الحمامتان هناك، ولتفسح نسيج العنكبوت، وقال بعضهم لمن قال منهم ادخلوا الغار، وما أقربكم إلى الغار، إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد. وقال أبو بكر : «يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا فقال له صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين والله ثالثهما»[1] وروي أيضا أن أبا بكر لما رأى الفاقة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعندها قال له صلى الله عليه وسلم : «لا تحزن إن الله معنا»[2].

= بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث... فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله الصحبة.

قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ.

- رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 484/2.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 223/1.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة.
- ج : 62/5. الحديث رقن 176.

(2) أخرجه البخاري أيضا في الصحيح كتاب الفضائل باب مناقب المهاجرين : 62/5 الحديث رقم 175.
- وابن حنبل : 3/1. - وابن عقبة في المغازي النبوية : ص 106.

ذكر مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار ومسيره إلى المدينة

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر دخل أبو بكر الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه، وروي أنه رأى جحرا[1] فألقمه[2] عقبه[3] ليلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت الحيات والأفاعي تضربنه، وتلسعنه (فجعلت)[4] دموعه تنحدر، وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر و لم يتحرك وسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي، فتفل صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده»[5] ومكث صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليال[6] على الصحيح المشهور، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر[7] وهو غلام شاب ثقف لقن- أي حاذق- فطن ثابت المعرفة بما يحتاج إليه فيدلجه[8] من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكادان به إلا وعاه

(1) في ع: حجرا وهو تصحيف والصواب جحرا.
وفي اللسان الجحر لكل شيء يحفر في الأرض إذا لم يكن من عظام الخلق وقال ابن سيدة:
- الجحر كل شيء تحفره الهوام والسباع لأنفسها، والجمع أجحار وجحرة.
- اللسان: ج: 548/1 مادة جحر.

(2) اللقم: سرعة الأكل والمبادرة إليه، وفي الحديث أن رجلا ألقم عينه حصاصة الباب أي جعل الشق الذي في الباب يحاذي عينه.
- اللسان ج: 4046/5 مادة لقم. - مقاييس اللغة: 260/5 مادة لقم.

(3) عقب القدم وعقبها مؤخرها وتجمع على أعقاب.
- اللسان: 3022/4 مادة عقب.

(4) ما بين قوسين: سقط من: ح.

(5) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر: 220/1.

(6) أخرجه ابن عقبة: ص: 106. - والبيهقي في الدلائل: 480/2.
- ومغازي عروة: ص: 130.

(7) عبد الله بن أبي بكر الصديق أمه وأم أسماء واحدة امرأة من بني عامر، شهد الطائف مع رسول الله والفتح وحنين.

(8) أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، فكأنه يحلب ثم يرسل الغنم أول الليل حتى يصبح راعيها في رعيان أهل مكلة، فلان يفطن له.

حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حتى يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة[1] مولى أبي بكر منحة من الغنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحهما، ولما كملت ثلاث ليالي أتاهما دليلهما الديلي براحلتيهما صبح الثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما. يردفه أبو بكر ويعقبه، فأخذ بهم / الدليل في أسفل مكة حتى أتى بهم طريق الساحل أسفل من (45ب) عسفان، ثم عارض الطريق على أمج[2] ثم نزل من قديد خيمتي أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية الكعبية[3] ، وقيل سلك على أسفل أمج حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا.

وكانت أم معبد برزة جلدة تحتني بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، وكان القوم يعني قوم أم معبد مرملين[4] مسنتين[5] فطلبوا لبنا ولحما، وفي رواية لحما وتمرا يشترونه منه، فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم، فسألها هل بها من لبن ؟ فقالت[6] : هي أجهد من ذلك، قال : أتأذنين لي أن أحلبها قالت : نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها، فدعا بالشاة فاعتقلها، ومسح بيده ضرعها وسمى الله،

(1) عمر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق أبو عمرو، كان مولدا من مولدي الأزد فاشتراه أبو بكر فأعتقه وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم.
– الاستيعاب : 344/2 رقم الترجمة : 1376.
– الأسد : 31/3 رقم الترجمة 2722.

(2) بلد من أعراض المدينة، وقال أبو المنذر أمج وغران: واديان يأخذها من حرة بني سليم، ويفرغان في البحر.
– معجم البلدان : 250/1.

(3) عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة أم معبد الخزاعية : ويقال عاتكة بنت خالد بن خليف، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمتها مهاجرا إلى المدينة.
– الاستيعاب : 431/1. رقم الترجمة : 3457.
– الأسد : 411/6. رقم الترجمة 7597.

(4) الرمل بالتحريك : الهرولة، ويقال رمل الرجل رملانا إذا أسرع في مشيته وتقول العرب : أرمل الرجل والقوم إذا ذهب زادهم.
– اللسان : 1734/3 مادة رمل.

(5) رجل سنت : قليل الخير والجمع سنتون، وأسنتوا، فهم مسنتون: أصابتهم سنة وقحط، وأجدبوا.
– اللسان : 2111/3 مادة : سنت.

(6) حديث أم معبد أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 227/1.
– وابن سعد في الطبقات : 230/1.

فتفاجت[1] ودرت، ودعا بإناء يربض[2] الرهط، فحلب فيه ثجا[3] حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت، وفي رواية : «سقى ولدها معبدا، وكان صغيرا حتى روى وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم ثم أرادوا، ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل، ثم غادره عندها، وذهبوا.

وفي رواية : ثم ارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد[4] يسوق أعنزا عجافا يتساوقن هزلا. وفي رواية : يتشاركن هزلا منهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب بالبيت، قال لا والله. إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا كذا، فقال : صفيه يا أم معبد فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج[5] الوجه، حسن الخلق لم تعبه بلجة و لم تزر به صعلة[6] وسيم قسيم في عينيه دعج[7] وفي أشفاره وطف[8]

---

(1) تفاجت : درت والفج الطريق الواسع بين جبلين.
- اللسان : 3350/5 مادة فجج.
- مقاييس اللغة : 337/4 مادة فج.

(2) يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض، من ربض أي أقام.

(3) الثج : الصب الكثير، وفي الحديث : تمام الحج العج والثج والعج العجيج في الدعاء، والثج سفك دماء البدن. والثج السيلان: ومنه مطر : مثج.
- اللسان : /472 مادة ثجج.

(4) هو أكثم بن أبي الجون الخزاعي أبو معبد قال له : رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أكثم أغز مع قومك بحسن خلقك وتكرم على رفقائك.
- الاستيعاب : 228/1 رقم الترجمة 155.
- الأسد : 155/1 رقم الترجمة 217.

(5) البلج والبلجة : تباعد ما بين الحاجبين، وقيل الأبلج الأبيض، وشيء بليج : مشرق : مضيء.
- اللسان : 339/1 مادة بلج.
- مقاييس اللغة : 296/1. مادة بلج.

(6) الصعل والأصعل : الدقيف الرأس والعنق، والأنثى صعلة وصعلاء يكون في الناس والنعام والنخل، وهي أيضا الدقة والنحول والخفة في البدن.

(7) الدعج والدعجة : السواد وفيه شدة السواد وقيل شدة سواد العين.
- اللسان : 1378/2 مادة دعج.
- مقاييس اللغة : 283/2 مادة دعج.

(8) الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشفار، يقول رجل أوطف وامرأة وطفاء، وفيه أشار ابن منظور إلى حديث أم معبد.
- اللسان : 4868/6 مادة وطف.

وفي صوته صحل[1] أحور، أكحل أزج[2] أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة إذا صمت، فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر[3] كان منطقه خرزات نظم (يتحدرن)[4]، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، أو أحسنهم قدرا رفقاء يحفون به إذا قال أنصتوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند، فقال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا»[5] فيقال إنه خرج في أثرهم ليسلم فأدركهم ببطن ريم[6] فبايع وانصرف، ويقال إن له رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في حياته صلى الله عليه وسلم.

وقال السهيلي[7] ولا يعرف اسمه.

وقال العسكري[8] اسمه أكثم بن أبي الجون ويقال ابن الجون.

---

(1) صحل صوت الرجل بح : – اللسان 2405/4 مادة صحل.
– مقاييس اللغة : 334/3 مادة صحل.

(2) رجل أزج طويل الساقين : – اللسان : 1812/3 مادة زجج.
– مقاييس اللغة : 7/3 مادة زجج.

(3) الهذر : الرديء : والهذيان وهو أيضا الكلام الذي لا يعبأ فيه. وفي حديث أم معبد لا نزر ولا هذر أي لا قليل ولا كثير.
– اللسان : 4643/6 مادة هذر.
– مقاييس الغة : 45/6 مادة هذر.

(4) ما بين القوسين : سقط من : ع.

(5) والحديث بطوله أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 226/1.
– وابن سعد في الطبقات : 230/1.

(6) في النسخة ع (رئم) وفي معجم البلدان ذكر بالهمزة والياء وهو واد لمزينة قرب المدينة له ذكر في المغازي وفي أشعارهم.
– معجم البلدان : 114/3.

(7) قال فيه السهيلي (أبو معبد) إن له رواية أيضا عن رسول اله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه.
– الروض الأنف : 235/2.

(8) ورواية العسكري توافق رواية ابن عبد البر في الاستيعاب: 228/1 رقم الترجمة 155. وكذلك ابن الأثير في أسد الغابة : 155/1.
وذكر ابن عبد البر رواية، وهي : روى عن أكثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أكثم ابن الجون اغز مع قومك بحسن خلقك وتكرم على رفقائك».

شرح : البرزة : المرأة الكهلة الجليلة التي تم عقلها وهي عفيفة، فهي تبرز للرجال أي تظهر لهم، وتجلس للناس، وتحدثهم، ولا تحتجب عنهم احتجاب الشواب[1].

والجلدة : من الجلادة، وهي الجزالة والشدة والقوة والصبر. ومرملين : أي نفت أزوادهم. ومسنتين : أي مجدبين. ويروي مشتين، أي دخلوا في الشتاء. وكسر الخيمة: بوزن بدر. وضرس جانبها. وتفاجت بتشديد الجيم: فتحت ما بين رجليها جدا .ويربض الرهط بالمعجمة مضارع أربض رباعيا أي يرويهم حتى يثقلهم وينامو ممتدين على الأرض من ربض بالمكان أقام به. والرهط:/ ما دون العشرة، (46أ) وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى الأربعين. والثج السيلان وحلب ثجا : أي لبنا سائلا كثيرا وبهاء اللبن وبيض رغوته. وفي رواية حتى علاه الثمال، بضم المثلثة، واحدتها ثمالة وهي الرغوة، والعلل بفتحتين : الشربة الثانية، والشرب بعد الشراب تباعا. والنهل: بفتحتين : أول الشرب وغادره : تركه وأبقاه، وفي رواية بعد قوله : ثم شرب آخرهم ثم أرادو[2] ثم حلب ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها.

وفي رواية : «ثم أرادوا عللا بعد نهل وقوله ثم أرادوا»: أي كرروا الشرب حتى بالغوا في الري، وتساوقن[3] تمايلن، وسرن سيرا ضعيفا، وفي رواية تشاركن من المشاركة أي تساوين في الهزال والهزل بفتح الهاء (وتضم)[4] الهزال وهو نقيض السمن، والشاء عازب : أي غائبة بعيدة المرعى لا تروح : ولا تأوي إلى المنزل بالليل، والحيال جمع حائل : وهي التي ليس بها حمل. والوضاءة بفتح الواو : الحسن والبهجة.

والأبلج بالجيم المشرق الوجه المضيئة. والثجلة -بالمثلثة- عظم البطن، ويروى بالنون والحاء المهملة وهو النحو والدقة وضعف التركيب، والازراء الاحتقار لشيء والتهاون به، والصلعة -بفتح الصاد وسكون العين المهملتين- صغر الرأس، وهي أيضا الدقة، والنحول في البدن، ويروى صقلة بالقاف، والصقل والدقة، والنحول

(1) أي الصغيرات السن.
(2) في أ : أراضوا.فاستصوبته من : ع
(3) في أ : تساوكن.
(4) ما بين القوسين : سقط من ع .

أيضا تريد أنه ليس بأثلج عظيم البطن، ولا بشديد النحول بل هو كما لا تعيبه صفة من صفاته والوسيم من الوسامة وهي أتم الحسن، وقيل الوسيم المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له علامة. والقسيم من القسامة وهي الحسن أيضا. والدعج بالتحريك : شدة سواد العين، وقيل مع شدة بياضها، وقيل مع سعتها . والوطف –بالمهملة محركا– طول شعر أشفار العين، وفي رواية غطف[1] –بفتح المعجمة والمهملة–وهو بمعناه. والصحل: –بفتح المهملتين– هو كالبحة وأن يكون حاد الصوت، زاد بعضهم بل مع غلظ في الصوت كصهيل الفرس، والحور بالتحريك شدة بياض بياض العين، و(سواد)[2] سوادها في شدة بياض الجسد، والكحل محركة أن يعلو منابت الأشفار سواد خلقة وتسود مواضع الكحل. والزجج محركة في الحاجبين، واتصال شعرهما نقيض البلج، وهكذا وقع في هذا الحديث[3]، والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان أبلج، وفي عنقه سطع–بمهملات محركا– أي ارتفاع وطول، وفي لحيته كثاثة –بمثلثين –هي أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، ولكن فيها كثافة بالفاء، وإذا تكلم سما أي ارتفع وعلا على جلسائه وعلاه البهاء أي الحسن. وفصل : بين. نزر : قليل، والهذر (بالمعجمة محركا)[4] الكلام الكثير عن غير فائدة أي كلامه بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ليس بقليل، فينسب إلى العين ولا بكثير فاسد والخرزات : واحدها خرزة –بفتح الخاء المعجمة والراء والزاي – وهو الجوهر وما ينظم وأجمل الناس وأبهاه إلى آخره هو بإفراد الضمائر العائدة على لفظ الناس، وكأنه ذكر باعتبار اللفظ أو الجنس أو الشخص أو الإنسان، وفي رواية وأجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وهي بإفراد الضمائر أيضا، ومعنى أجهر الناس أي أفخمهم وأجملهم من الصدور والعيون ولا تشنؤه من طول –بفتح النون–أي لا يبغض لفرط طوله، أي ليس بشديد الطول ويروى لا بائن من الطول./ (47ب)

---

(1) وهو ما رواه ابن منظور قال الغطف كالوطف، وهو كثرة الهدب وطوله، وقيل الغطف قلة شعر الحاجب، وربما استعمل في قلة الهدب وقيل الغطف أنثاء الأشفار، وفي رواية، وفي أشفاره عطف بالمهملة، قال ابن قتيبة سألت الرياشي فقال لا أدري ما العطف.
– اللسان : 3271/5 مادة غطف.

(2) ما بين القوسين : سقط من : ع.

(3) المقصود به حديث أم معبد الذي سبق تخريجه.

(4) ما بين القوسين : سقط من : ع.

وفي النهاية : لا يائس من طول أي : أنه لا ييئس من طول لأنه كان إلى الطول أقرب منه إلى القصر.

واليأس : ضد الرجاء وهو في الحديث اسم نكرة (مفتوح بلا النافية)[1]. ورواه ابن الأنباري : لا ييأس من طول، وقيل معناه : ولا ميؤوس من أجل طوله أي لا ييأس مطاولة منه لإفراط طوله، فيائس بمعنى ميؤوس، كماء دافق : بمعنى مدفوق انتهى. لا تقتحمه عين من قصر أي لا تحتقره وتزدريه لقصره وتجاوزه إلى غيره، فليس بشديد القصر، أنضر الناس : أي أحسنهم وأنعمهم من النضرة. وهو نعيم محفود[2] أي يخدمه أصحابه ويعظمونه، ويسرعون في طاعته ومحشود : أي محفوف به، ومعناه أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه وتعني أنه مخدوم مطاع ذو جماعة وأتباع، ولا عابس : من عبس وجهه أكلح. والعابس الكريه الملقى، الجهم المحيا. المفند -بكسر النون المشددة- من التفنيد وهو كثرة اللوم والتكذيب، وتخطيه الرأي والتعجيز أو المفند هو الذي لا فائدة في كلامه أو المنسوب إلى الجهل وقلة العقل، ويروى ولا معتد من الاعتداء وهو الظلم [ومجاوزة الحد وأخرج][3] أبو نعيم : وابن سعد[4] : من طريق الواقدي بسنده عن أم معبد قال : بقيت الشاة التي لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان عام الرمادة[5] زمان عمر بن الخطاب، وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا[6]، وما في الأرض قبيل ولا كثير. وعام

---

(1) ما بين القوسين : سقط من : ع.

(2) من احتفد وحفد : خف في العمل وأسرع، وحفد : خدم، وحفد: خدم- ورجل محفود : مخدوم.
- اللسان : 923/1 مادة حفد.

(3) ما بين قوسين : زيادة من النسخة ع أثبتها في النص لأن بها تمام المعنى.

(4) الطبقات لابن سعد : 330/1.
- الدلائل لأبي نعيم : 423/2.

(5) عام الرمادة معروف سمي بذلك، لأن الناس والأموال هلكوا فيه كثيرا، وقيل هو الجذب تتابع قصير الأرض والشجر مثل لون الرماد، وقيل هي أعوام جذب تتابعت على الناس في أيام عمر بن الخطاب في حديث عمر : أنه أخر الصدقة عام الرمادة وكانت سنة جذب وقحط في عهده، فلم تأخذها منهم تخفيفا عنهم.
- اللسان : 1727/3 مادة رمد.
- مقاييس اللغة : 338/2 مادة رمد.

(6) الغبوق : الشرب بالعشي.
- انظر اللسان : 3210/5 رقم الترجمة : 8961.

الرمادة -بوزن سحابة- عام هلكت فيه الناس والأموال من شدة الجذب والقحط وهو عام سبعة عشر من الهجرة، والرمد والرمادة في اللغة الهلاك.

وفي الخبر عن هشام بن حبيش الكعبي[1] قال : أنا رأيت تلك الشاة وإنها لتأدم أم معبد وجميع صرمها أي أهل ذلك الماء. وهشام المذكور هنا ابن أخي أم معبد، وأبوه حبيش ابن خالد أخوها له صحبة ورواية.

وذكروا أنه صلى الله عليه وسلم مر قبل ذلك فيما بين الجحفة[2] وهرشا[3] بأوس ابن عبد الله بن حجر الأسلمي[4] فأسلم وكان ساكنا بالعرج، فلما رآهما على جمل واحد حملهما على فحل إبله وبعث معهما غلاما له يقال له مسعود بن هنيدة[5]، وذكر له الطريق التي يسلك بهما، وقال له لا تفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منك ومن جملك، فسلك بهما الطريق التي سماها ورجع الرسول مسعود إلى سيده أوس بن عبد الله ولعل اللذين كانا على جمل وأحدهما أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة كما تقدم، إلا أن يكون عرض لإحدى الراحلتين ما منع من ركوبها حين مرورهم به والله أعلم[6].

وأوس المذكور قيل في اسمه أيضا فروة، وكنيته أبو تميم، وقيل هو أبو أوس تميم ابن حجر، وقيل هو أوس بن حجر بإسقاط عبد الله، وحجر -بوزن قفل-، وقيل بوزن جبل، وقيل أن مسعود أسلم قديما قبل مولاه والله أعلم.

---

(1) هشام بن حبيش بن خالد المخزومي قال ابن حيان له صحبة، وقال البخاري سمع عمر.
- الإصابة : 285/6 رقم الترجمة : 8961.

(2) الجحفة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة وهي ميقات أهل مصر والشام.
- معجم البلدان : 111/2.

(3) ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان.
- معجم البلدان : 397/5.

(4) أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي سكن البادية وهو شيخ من أهل العرج كلهم ذكره في الصحابة.
- الاستيعاب 1/ 211 رقم الترجمة : 119.
- الأسد : 1/ 92 رقم الترجمة 311.

(5) ذكره ابن حجر ولم يذكر له ترجمة.
- الإصابة : 92/6 رقم الترجمة : 7951.

(6) الخبر رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 224/1.

وقيل إنه صلى الله عليه وسلم مر قبل ذلك بالعرج[1] بسعد العرجي[2] فأسلم، وكان دليله إلى المدينة. وقيل إنه من بلعرج بن الحارث بن كعب بن هوزان، وقيل إنه مولى الأسلميين. وإنما قيل له العرجي لاجتماعه برسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج والله أعلم.

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى الغميم[3] أتاه بريدة بن الحصيب الأسلمي[4] فأسلم هو ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فصلوا خلفه، ثم رجع بريدة إلى بلاد قومه وقد تعلم شيئا من القرآن ليلتئذ[5].

وعن بريدة قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطير ولكن يتفاءل»، (48أ) فركب بريدة سبعين راكبا من أهل بيته من أهل سهم، فتلقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : من أنت قال : أنا بريدة فالتفت إلى أبي بكر، فقال : يا أبا بكر برد أمرنا وأصلح. قال، ثم قال لي : «ممن أنت ؟» قلت «من أسلم، قال لأبي بكر : سلمنا، قال : هم ؟ قال : من بني من قلت ؟ من بني سهم[6] قال : خرج سهمك»[7] تعرض لهما بقديد[8] سراقة بن مالك بن جعشم

(1) قرية جامعة في واد من نواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر وهو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهي أول تهامة وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا.
– معجم البلدان : 98/4.

(2) سعد العرجي من بلعرج بن الحارث بن كعب بن هوازن له صحبة، ومولى الأسلميين، قيل له العرجي، لأنه اجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد المدينة فأسلم.
– الاستيعاب : 175/2 رقم الترجمة : 975.

(3) الغميم موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة، له ذكر كثير في الحديث والمغازي.
– معجم البلدان : 214/4.

(4) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج الأسلمي يكنى أبا عبد الله أسلم قبل بدر شهد الحديبية مات بمرو في إمرة يزيد بن معاوية.
– الاستيعاب : 263/1 رقم الترجمة : 219. – الأسد : 243/1 رقم الترجمة 398.

(5) في : ع يومئذ.

(6) بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، منهم بطون كثيرة : بطن من همدان من القحطانية وبطن من هذيل.
– معجم القبائل : 560/2.

(7) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب : 244/1.

(8) اسم موضع قرب مكة. – معجم البلدان : 213/43.

المدلجي[1] وذلك يوم الثلاثاء فقال أبو بكر : يا رسول الله أتينا. فقال له : «لا تحزن إن الله معنا» ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سراقة فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها وناداهم بالأمان وقال لهما : أراكما قد دعوتما علي فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، ولا أضركما. فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم قبحا فركب فرسه ووقفا له، ووقع في نفسه حتى لقي ما لقي إن يستظهر أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرهما خبر ما يريد بهما الناس، وعرض عليهما الزاد والمتاع، فلم يرزءاه شيئا إلا أن قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أخف عنا ولا تتركن أحدا يلحق بنا، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب أمن فأمر أبا بكر أو عامر بن فهيرة[2] فكتب ثم رجع وجعل يرد عنهم الطلب، ووفّى لهم ثم كان ذلك الكتاب عنده حتى أتاه به بالجعرانة[3] بعد حنين والطائف.

واجتاز صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه من اللبن فقال : «ما عندي شاة تحلب غير أنها هنا عناقا[4] حملت أول الشاء وقد

(1) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة المدلجي الكناني يكنى أبا سفيان يعد في أهل المدينة روى عنه ابن عباس وجابر مات في صدر خلافة عثمان.
- الاستيعاب : 148/2 رقم الترجمة 921.
- الأسد : 197/2 رقم الترجمة 1955. - تهذيب التهذيب : 456/3.
وخبر سراقة مع النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي : 62/5 الحديث رقم : 175.
وأخرجه مسلم في كتاب الزهد (75) باب في حديث الهجرة. - 4/ الحديث رقم : 2009.
- وابن حجر في فتح الباري : 238/7.

(2) أخبر ابن سيد الناس والزهري أن الذي أمره بكتابة الكتاب عامر بن فهيرة.
- المغازي النبوية ص : 103. - عيون الأثر : 225/1.
- وذكر الخبر ابن عقبة في مغازيه ص : 109 وقال إن الكاتب هو أبو بكر.

(3) قال العباس أبو القاضي : أفضل العمرة لأهل مكة ومن جاورها من الجعرانة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر منها، وهي من مكة على بريد من طريق العراق.
- معجم البلدان : 142/2.
- وحين أتاه بالجعرانة (سراقة بن مالك)... قال : فقلت يا رسول الله هذا كتابك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يوم وفاء وبر أدنه قال : فأسلمت، ثم ذكرت شيئا أسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم».
- رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 109. - وأبو نعيم في الدلائل : 430/2.

(4) الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. - اللسان : 3135/4 مادة عنق.

أخدجت[1] إلى أن ألقت ولدها وما بقي لها من لبن، فقال : ادع بها[2] فدعا بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن -وهو الترس-[3] أو بعس وهو القدح العظيم، فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب فقال الراعي : بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط قال زأو تراك إن حدثتك تكتم علي قال : نعم قال فإني محمد رسول الله. فقال[4] : أنت الذي تزعم قريش أنك صابي، -والصابي من خرج من دين إلى غيره- قال : إنهم ليقولون ذلك قال : فأشهد أنك رسول الله وأن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وإني متبعك قال : إنك لن تستطيع ذلك الآن فإذا أبلغك أني قد ظهرت فأتنا»، وإنما استسقى النبي صلى الله عليه وسلم العبد الراعي اللبن مع كونه ليس له لأنهم كانوا من شأنهم إباحة اللبن للمارين والواردين، وكانوا يشترطون ذلك على الرعاء، ولم يكن عندهم فيه منة على من شربه وقيل غير ذلك والله أعلم.

ولقي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام كما في الصحيح في ركب من المسلمين تجارا قافلين من الشام، فكسى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض، وقيل إن الذي لقي طلحة بن عبيد الله[5] وصوب هذا القول وجمع بأنهما معا كانا في الركب. وكسوا كما في مغازي ابن عائذ[6] عن ابن عباس[1]

---

(1) هي الناقة التي ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام.
- اللسان 1108/2 مادة خدج. - مقاييس اللغة : 164/2 مادة خدج.

(2) في ع : ادع لها فدعا لها.

(3) المجن والترس أو العس بمعنى واحد وهو القدح الضخم والعسس الآنية الكبار، وفي الحديث أنه كان يغتسل في عس.
- اللسان : 2942/4 مادة عسس. وج : 4142/6 مادة مجن.

(4) أخرج الخبر ابن سيد الناس في عيون الأثر : 231/1.

(5) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد القرشي التيمي أمه الحضرمية، ويكنى أبا محمد يعرف بطلحة الفياض شهد أحد وما بعدها من المشاهد قتل يوم الجمل.
- الاستيعاب : 316/2 رقم الترجمة 1289.
- الأسد : 475/2 رقم الترجمة 2625.

(6) محمد بن عائذ بن أحمد القرشي الدمشقي كاتب من حفاظ الحديث كان ثقة وهو من القدرية له كتب منها : «السير» و«المغازي» توفي سنة 233 هـ.
- تهذيب التهذيب : 241/9 . - شذرات الذهب : 78/2.
- الوافي بالوفيات : 181/3.

[ولما][2] سمع المسلمون بالمدينة بخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى يهودي على أطم[3] من آطامهم لأمر ينظر إليه- والأطم : الحض- فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك أن قال بأعلى صوته : «يا معشر العرب، أو يأتيني قيلة» يعني الأنصار، وقيلة أمهم، هذا جدهم الذي ينتظرون، فقد أقبل أي هذا حظكم ومطلوبكم، وصاحب دولتكم، فخرجوا إليه سراعا بسلاحهم فتلقوه بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف[4] بقبا[5] على ميلين أو ثلاثة من المدينة[6]. (49ب)

ذكر تاريخ خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة ومن الغار إلى المدينة

(كان)[7] خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة أول يوم من ربيع الأول وقيل لثلاث ليال بقين من صفر. وجمع بأنه خرج إلى الغار[8] لثلاث بقين من صفر.

---

(1) خبر ابن عباس أخرجه ابن شهاب في المغازي ص : 103.
- وابن عقبة في المغازي النبوية : ص 111.
- فتح الباري : 238/7.

(2) ما بين القوسين : سقط من الأصل وأثبته من النسخة ع لان به تمام المعنى.

(3) الأطم : حصن مبني بحجارة، والجمع : أطوم وهي حصون لأهل المدينة.
- اللسان : 93/1 مادة أطم. - مقاييس اللغة : 112/1 مادة أطم.

(4) بطن من الخزرج من القحطانية وهم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج، ومنهم أيضا بطن من الأوس من الأزد من القحطانية.
- معجم القبائل : 834/2.

(5) قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة بها أثر بنيان كثير، وهناك مسجد التقوى.
- معجم البلدان : 302/4.

(6) الخبر بطوله أخرجه الزهري في المغازي ص : 103، وابن خليفة في التاريخ : 13/1.
- وابن عقبة في المغازي ص : 111.

(7) ما بين القوسين سقط من الأصل وأثبته من النسخة ع وح.

(8) قال ابن عبد البر قال الكلبي خرج من الغار أول ربيع الأول، وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه يوم الجمعة.
- الاستيعاب : 32/1.

وقال ابن سعد كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الإثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول.
- الطبقات : 232/1.

وخرج منه غرة ربيع الأول، وقيل خرج لثمان خلون من ربيع الأول، وخرج يوم الإثنين على مذهب الأكثر.

وقال أبو بكر الخوارزمي[1] : يوم الخميس. وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم خرج من مكة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين.

قال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه يوم الإثنين، ودخوله المدينة يوم الإثنين[2].

وجمع ابن حجر بينه وبين القول بخروجه يوم الخميس، بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال[3] وخرج أثناء الليلة الرابعة. وكانت مدة مقامه بمكة من حسن النبوءة إلى ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة على الصحيح المشهور. وقيل عشر سنين[4] وشهره بعضهم، وقيل خمس عشرة سنة، وجمع بينهما بأن من قال عشر سنين أراد مدة الرسالة (وإظهار النبوءة)[5]، فإنه لما بعث استخفى ثلاث سنين، ثم أمره الله بالصدع بأمره وإظهار دينه، ومن قال ثلاث عشرة فعلى اعتبار مدة النبوءة من أولها. ومن قال خمس عشرة سنة فعلى اعتبار ما كان يرى قبل النبوءة من أعلامها. وكان يرى الضوء ويسمع الصوت. فكان لما تقارب زمن بعثته لا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

أخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة[6] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه

---

(1) هو محمد بن إسحاق أبو بكر الخوارزمي.
- الأعلام للزركلي : 371/2.

(2) وهو ما أخبر به الزهري في المغازي ص : 104.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 232/1.
- وابن عبد البر في الاستيعاب : 138/1. - وابن الأثير في الأسد : 32/1.

(3) وهو ما ذكره البيهقي في الدلائل : 480/2 - وعروة في مغازيه : 130

(4) وبه قال ابن سعد في الطبقات : 224/1

(5) ما بين القوسين : سقط من ع.

(6) جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب بن حجر بن رباب بن حبيب السوائي يكنى أبا عبد الله توفي إمرة بشر بن مروان.
- الاستيعاب : 296/1 رقم الترجمة : 303. - الأسد : 347/1 رقم الترجمة : 638.
- سير أعلام النبلاء : 186/3. - الوافي بالوفيات : 27/11.

الآن»[1] وقيل إنه الحجر الأسود وقيل غيره. وكان قدومه المدينة أول يوم من ربيع الأول، وقيل الليلتين منه، وقيل لسبع وقيل لثمان وقيل لاثنتي عشرة قيل لثلاث عشرة ،وقيل لنصفه وقيل لاثنتي وعشرين. وقدم في شهر أيلول من شهور العجم لعشرين منه وهو شتنبر. وكان دخوله يوم الإثنين عند اشتداد الضحى وقيل ليلا. وقيل قبل أن تبزغ الشمس.

وقال ابن الكلبي[2] خرج من الغار يوم الإثنين أول يوم ربيع الأول، ودخل المدينة على فرسخ[3] أو نحوه منها، وكان نزوله في ظل نخلة ثم انتقل إلى دار كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس[4]، وكان شيخا كبيرا أسلم قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وقيل كان يومئذ مشركا، وكان صلى الله عليه وسلم يتحدث مع أصحابه في منزل سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي[5] من بني السلم[6] حلفاء بني عمرو بن عوف، وكان عزبا فلذلك قال قوم : أنه صلى الله عليه وسلم نزل عليه، وكان يقال لبيت سعد «هذا بيت العزاب»، لأنه كان منزل العزاب من المهاجرين.

(وأمر)[7] صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة. وقيل إن عمر رضي الله عنه أول من أرخ وهو المشهور بإشارة أبي موسى الأشعري واستشارة

---

(1) أخرجه مسلم في الفضائل باب نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: ج : 1423/4 رقم الترجمة 2277.
وأخرجه الترمذي في المناقب باب ما جاء في آيات إثبات النبوة : 358/5 الحديث رقم : 3644.

(2) قول ابن الكلبي رواه ابن الأثير في الأسد : 32/1.

(3) الفرسخ : ثلاثة أميال أو ستة، سمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن وهو فارسي معرب.
– اللسان : 3381/5 مادة فرسخ.

(4) كلثوم بن الهدم من بني عمرو بن عوف أسلم قبل نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، توفي قبل بدر بيسير.
– الاستيعاب : 384/3 رقم الترجمة : 2237. – الأسد : 184/4 رقم الترجمة : 4488.

(5) سعد بن خيثمة الأنصاري من بني عمرو بن عوف بدري، قتل يوم بدر شهيدا.
– الاستيعاب : 155/2 رقم الترجمة : 934. – الأسد : 211/2 رقم الترجمة : 1986.
– سير أعلام النبلاء : 266/1. – الوافي بالوفيات : 216/15.

(6) هم بطن من الأوس من الأزد القحطانية، وهم السلم بن مالك بن سواد بن مالك .
– معجم القبائل : 535/2.

(7) سقط من الأصل وأثبتته من النسخة ع لأن به يتم المعنى ويستقيم.

غيره من الصحابة منهم علي وعثمان. ولما جمعهم عمر (يستشيرهم)[1] في ذلك قال بعضهم أرخ[2] بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بوفاته، فقال عمر : «الهجرة فرقت / بين الحق والباطل»، فاتفقوا عليه، ثم اختلفوا في (50أ) الشهر، فقال بعضهم من رجب وقال بعضهم من رمضان، وقال بعضهم من المحرم (فاتفقوا عليه)[3] وذلك لأن المحرم شهر حرام وهو أول السنة، ومنصرف الناس من حجهم. ولأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم إذ بيعة العقبة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة، والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يكون مبتدءا. وأقام علي بمكة بعد مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء.

وأقام[4] صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وقيل أقام فيهم اثنتين وعشرين ليلة.

وفي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير «لبث فيهم بضع عشرة ليلة».

وفي الصحيحين عن أنس[5] : أقام فيهم أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء وكانت أرضه مربدا لكلثوم بن الهدم. والمربد : الأندر الذي يبسط فيه الزرع أو التمر للتيبيس. وهو أول مسجد بني في الإسلام لجماعة المسلمين عامة. وأول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرة، وهو المسجد

(1) ما بين القوسين سقط من : ع.
(2) وقال ابن عبد البر : ومن مقدمة المدينة أرخ التاريخ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
– الاستيعاب : 144/1.
(3) سقط من : ع .
(4) قال ابن عقبة : ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو ثلاث ليال.
– المغازي ص : 112. ويروي ابن سيد الناس عن ابن إسحاق يقول :
وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس... وبنو عمرو يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك.
– عيون الأثر : 234/1.
(5) قال ابن سيد الناس : وقد روينا عن أنس من طريق البخاري إقامته فيهم أربع عشرة ليلة، والمشهور عند أصحاب المغازي ما ذكره ابن إسحاق.
– عيون الأثر : 234/1.

الذي أسس على التقوى في آية سورة التوبة[1] وإن كان كل منه ومن المسجد النبوي أسس على التقوى وجاء به الحديث فلا تعارض بين حديثيهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار على راحلته فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف[2] فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في بطن وادي رانونا[3] فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وأول خطبة خطبها بها. وركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها إلى المدينة.

وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار بطن من بطون الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم يقولون: «يا رسول الله إلى القوة والمنعة» فيقول: «خلوا سبيلها - يعني ناقته -فإنها مأمورة». وقد أرخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار[4] بركت على باب المسجد وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين حسبما في البخاري عن عروة. وكان مربد السهل وسهيل[5] ابني رافع بن أبي عمرو النجاريين وهما يتيمان في حجر أسعد بن زرارة[6]

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ جزء من الآية 801 من سورة التوبة.
وقال الحافظ في الفتح: فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا.
وروى مسلم من طريق عبد الرحمان بن أبي سعيد عن أبيه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: هو مسجدكم هذا.
- انظر الفتح: 245/7.

(2) بطن من الخزرج من الأزد القحطانية. - معجم القبائل: 497/2.
وذكر السيوطي في كتابه الحجج المبنية في التفضيل بين مكة والمدينة: ص 51. صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني سالم؛ والرواية التي ساقها من رواية الزبير بن بكار، والرواية نفسها ساقها ابن سيد الناس في عيون الأثر: 234/1.

(3) في: ع وح، رانوناء بالهمزة، وذكره بالهمزة الحموي في معجم البلدان: 19/3.

(4) بطن من بني النجار من الخزرج من القحطانية. - معجم القبائل: 1033/3.

(5) سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ قال موسى بن عقبة كان لسهيل بن رافع ولأخيه عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مربدا.
شهد سهيل هذا بدرا وأحدا والخندق، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب.
- الاستيعاب: 228/2 رقم الترجمة: 1106. - الأسد: 345/2 رقم الترجمة: 2318.

(6) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري أبو أمامة، كان عقبيا نقيبا شهد العقبتين.
- الاستيعاب: 175/1 رقم الترجمة: 30. - الأسد: 99/1 رقم الترجمة: 98.

وقيل معاذ بن عفراء[1] وقيل أبي أيوب[2] والأول أرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أيوب ثم ثارت منه، وبركت في مبركها الأول فبركت فيه ثم تلحلحت ورزمت[3] وألقت بجرانها[4] فنزل عنها، وقال: «هذا المنزل إن شاء الله»، وذلك عشية الجمعة فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب[5] ومعه زيد بن حارثة. وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها، وهم أخوال عبد المطلب جده صلى الله عليه وسلم[6].

ومعنى تلحلحت -بتقديم اللام على الحاء- أي أقامت ولزمت مكانها و لم تبرح. ومعنى رزمت -بتقديم الراء على الزاي- أقامت من الكلال والإعياء ولعله: أرزمت بالألف معناه رغت ورجعت في رغائها، أو صوتت من غير أن تفتح فاها، وجرانها -بكسر الجيم- مقدم عنقها من مذبحه إلى منحره.

وروي: لما تنازعوا أيهم ينزل عليه قال صلى الله عليه وسلم: أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك، وروي أنه لما أدخل أبو أيوب رحله

---

(1) معاذ بن عفراء ينسب إلى أمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة وهو بن الحارث بن رفاعة شهد بدرا وأحدا ومات في خلافة علي بن أبي طالب.
- الاستيعاب: 463/3 رقم الترجمة: 2450. - الأسد: 404/4 رقم الترجمة: 4955.

(2) هو أبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد بن كلب بن ثعلب بن عبد بن عوف شهد العقبة وبدرا، وتوفي في خلافة معاوية.
- الاستيعاب: 169/4 رقم الترجمة: 2894. - الأسد: 25/5 رقم الترجمة: 2707.

(3) الرزمة بالتحريك ضرب من حنين الناقة على ولدها حين ترأمه وفي المثال: لا خير في رزمة لا درة فيها، وفي الحديث: إن ناقته تلحلحت ورزمت: أي صوتت.
- اللسان: 1637/3 مادة رزم.
- مقاييس اللغة: 389/2 مادة رزم.

(4) الجران: مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره، وإذا برك البعير على الأرض ومد عنقه: قيل ألقى جرانه إلى الأرض.
- اللسان: 607/1 مادة جرن. - مقاييس اللغة: 447/1 مادة جرن.

(5) قصة مكوثه صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب أخبر بها ابن سعد في الطبقات: 235/1 -236-237.

(6) الخبر بطوله: أخرجه أبو نعيم في الدلائل: (2/498-501)، وابن عقبة في المغازي: (112-113) والبيهقي في تاريخ الإسلام: 202/1. وابن كثير في السيرة: (2/271-272-273).

داره كلم الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا في النزل عليهم فقال «المرء مع رحله»[1] .

ولما نزل صلى الله عليه وسلم على / أبي أيوب نزل في البيت في أسفل الدار. (51ب) وكان أبو أيوب وزوجه (أم أيوب)[2] في الغرفة فكلمه فقال : «يا نبي الله بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فأظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل، فقال : يا أبا أيوب أن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت قال : فلقد انكسر خب لنا فيه ماء يعني خابية فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه»[3].

وروى الحافظ أبو عمر[4] : بسنده أنه بعدما أهريق الماء في الغرفة فنشفه هو وأم أيوب بالقطيفة نزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشفف فقال له يا رسول الله : إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك انتقل إلى الغرفة قال : فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمتاعه أن ينقل، ومتاعه قليل.

وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم فرحا عظيما فلا تسمع بسككها من الكبار والصغار والعبيد والأحرار إلا جاء رسول الله وأشرق نوره صلى الله عليه وسلم وأضاءت حتى أضاء منها كل شيء كما في حديث أنس بن مالك.

وصعد ذوات الخدور[5] على الأحاجر[6] عند قدومه يقلن :

---

(1) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 236/1.
- وابن سعد في الطبقات : 237/1.
(2) ما بين القوسين سقط من : ع.
(3) الخبر أخرجه ابن هشام في السيرة : 499/2. وتخالفه رواية ابن عقبة وفيها يروي ابن عقبة يقول : «... فيذكر أبو أيوب منزله فوق رأس النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يزل ساهرا حتى أصبح فأتاه فقال : يا رسول الله إني أخشى أن أكون قد ظلمت نفسي أني كنت ساكنا فوق رأس النبي صلى الله عليه وسلم فينثر التراب من وطء أقدامنا عليك ...» إلى آخر الرواية.
- المغازي لابن عقبة ص : 113.
(4) الاستيعاب لابن عبد البر : 144/1.
(5) الخدر : ستر يمد للجارية ناحية البيت، ثم صار كل ما وراءك من بيت ونحوه خدرا.
- اللسان : 109/2 مادة خدر.
- مقاييس اللغة : 159/2 مادة خدر.
(6) أصل الحجر في اللغة ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه.
- اللسان : 782/2 مادة حجر.

طلــــع البدر علينـــــــا من ثنيـــــات الــــوداع
وجــــب الشكر علينـــــا مــــا دعــــــا لله داع

وذكر بعضهم زيادة على هذين ثالثا :

أيهــــا المبعــوث فينــا جئـــت بالأمــر المطـاع

وسيأتي ما في ذكر ثنية الوداع في الهجرة في غزوة تبوك.

ولما بركت ناقته صلى الله عليه وسلم على باب أبي أيوب خرج جوار بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن جوار من بني النجــار يـــا حبـذا محمدا من جــار

ولعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم، وجعل الصحابة يتسابقون إليه بالأطعمة والهدايا ويتبادرون بذلك إليه. وما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاثة والأربعة يحملون طعاما كثيرا، وكان سعد بن عبادة[1] يرسل إليه كل يوم قصعة، وكان أبو أيوب يصنع الطعام مع ذلك.

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة كانت أوبأ أرض الله قالت عائشة : «فكان بطحان[2] –تعني واديا بالمدينة– يجري نجلا : أي : نزا ماء قليل حتى يظهر وينبع، وقال البخاري : تعني ماء آجنا : أي متغيرا»[3]. وقال بعضهم لعل البخاري فسر النجل بالآجن لملازمة التغير للقلة. وقال غيره : وتغير مائها سبب وبائها فوعك أصحابه صلى الله عليه وسلم.

(1) سعد بن عبادة بن حارثة بن حليمة الأنصاري الساعدي، يكنى أبا ثابت، وكان نقيبا شهد العقبة وبدرا.
– الاستيعاب : 161/2 رقم الترجمة : 949.
– الأسد : 221/2 رقم الترجمة : 9012.

(2) واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة.
– معجم البلدان : 446/1.

(3) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة : (12) باب حدثنا مسدد عن يحيى : 61/3 الحديث رقم 148.

فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول[1] :

«كل امرء مصبـــح في أهلـــه والمـــوت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته أي صوته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلـة بـــواد وحولي إذخر وجليـــل

وهـــل أردن يومـــا مياه مجنـــة وهل يبدون لي شامة وطفيـــل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء».

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقي أصحابه قال : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها إلى الجحفة». فكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى وكان أهلها إذ ذاك كفارا أو قيل كانت دار اليهود، وقيل إنما دعا بنقل الوباء إلى الجحفة لقلة / أهلها فيعافى منه الأكثر. (52أ)

وقال صلى الله عليه وسلم : «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل هي طابة»[2]. وقال جابر بن سمرة : «كان الناس يقولون يثرب والمدينة»[3]. فقال رسول

(1) الحديث رواه البخاري عن عبيد بن إسماعيل قال حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول ...» الحديث بطوله كما جاء في النص.
– أخرجه في كتاب فضائل المدينة باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة : 60/3 الحديث رقم 148.
– وأخرجه ابن البديع الشيباني في كتابه تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول 337/3 باب ذكر فضائل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.
– وأخرجه مسلم مختصرا في صحيحه كتاب الحج باب الترغيب في سكنى المدينة : ج 841/2 الحديث رقم 488.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده : 285/4.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها : 816/2 الحديث رقم 488.

الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله عز وجل سماها طابة. وقال : إنها طيبة،، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة[1].

قال الأزهري : كره ذكر الثرب لأنه فساد في لسان العرب.

وقال المحب الطبري[2] في كتاب القرا : «وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة لما في يثرب من التثريب وهو التغيير والاستقصاء في اللوم»[3].

وكان صلى الله عليه وسلم يحب تغيير الأسامي القبيحة إلى الحسنة. وأما تسميتها في القرآن بيثرب[4] فذلك حكاية عمن قالها من المنافقين. وقيل يثرب اسم أرضها وقيل سميت باسم رجل[5] من العمالقة كان أول من نزلها.

قال عيسى بن دينار : من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة انتهى.

ومن أسماء المدينة أيضا : المحبوبة والعاصمة والبرة والجابرة والمجبورة والمرحومة والعذراء والبحرة والمسكينة والموفية.

وقد ذكرها السيد السمهودي[6] في خلاصة الوفاء خمسة وتسعين اسما[7] أو أزيد.

---

(1) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الفضائل باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس : 54/2 الحديث رقم : 130. وفي رواية البخاري : «خبث الحديث».
وأخرجها مسلم عن زيد بن ثابت من طريق عبد الله بن يزيد في صحيحه كتاب الحج باب المدينة تنفي شرارها: 817/2 الحديث رقم 490.
– وابن حنبل في المسند : 184/5.

(2) محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة 694 له كتاب القرى وخلاصة السير وخلاصة السير مختصر مركب على أربعة وعشرين فصلا جمع من اثني عشر مؤلفا ما بين كبير انتخبه وصغير ألحقه.
– كشف الظنون : 718/1.

(3) وكلام المحب الطبري ذكره ابن البديع الشيباني في كتابه تيسير الوصول إلى جامع الأصول : 373/3.

(4) في قوله تعالى : ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم﴾ جزء من الآية 13 السورة 33 الأحزاب.

(5) هذا الرجل هو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم.
– معجم البلدان : 430/5.

(6) هو علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها ولد في سمهود بصعيد مصر، توفي سنة 911 هـ من مؤلفاته. خلاصة الوفا.
– الضوء اللامع : 245/5.
– الأعلام : 123/5.

(7) ذكر السمهودي للمدينة المنورة أربعة وتسعون اسما من هذه الأسماء :
– أثرب، أرض الله، أرض الهجرة، البحرة، البلاط، بيت الرسول، جزيرة العرب، الجنة الحصنية، الحبيبة، الحرم، دار الإيمان، طابة، طيبة.
من كتاب وفاء الوفاء : 8/1، 9، 10.

وقال عمر رضي الله عنه : «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم»[1].

ذكر بنائه صلى الله عليه وسلم مسجده الشريف ومساكنه

كان صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة يصلي حيث أدركته الصلاة ولما صاروا آمنين بالمدينة يظهرون الدين متمكنين من ذلك لا يخشون أحدا أراد أن يبني مسجده الشريف لذلك فسأل عن موضعه لمن هو. وهو المربد الذي بركت ناقته فيه فأخبر بخبره.

وظاهر كلام ابن إسحاق[2] أن ذلك متصل بنزوله على أبي أيوب أو قريب منه فقال : يا بني النجار تأمنوني حائطكم هذا قالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر، وكان رضي الله عنه قد خرج بماله كله، وقيل إنه قبله منهم بغير ثمن قيل وهو صحيح.

والذي عند ابن إسحاق[3] أن معاذ بن عفراء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه سيرضي يتيميه من مربدهما» وكان في موضع المسجد نخل (وخرب)[4]، ومقابر المشركين فأمر بالقبور فنشبت وبالخرب فسويت. وبالنخل فقطع وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين يجمع بهم فيه أسعد بن زرارة ثم أمر باتخاذ اللبن[5] فاتخذ وبنى المسجد[6] ورفع أساسه بالحجارة، وجعل قريبا من ثلاثة أدرع

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل المدينة باب حدثنا مسدد عن يحيى : 61/3 الحديث رمق 149.

(2) سيرة ابن هشام : 495/2.

(3) سيرة ابن هشام : 496/2.

(4) سقط من : ع.

(5) في النسخة : اللبن بالياء.

وفي اللغة : لبَّن الشيء ربعه، واللبنة واللبْنة التي يبنى بها وهو المضروب من الطين مربعا، وفي الحديث «أنا موضع تلك اللبنة».

— اللسان : 3991/5 مادة لبن.

(6) رواه موسى ابن عقبة عن ابن شهاب ص : 114 من المغازي. وروى نحوه البخاري من طريق عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير في قصة وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. رواه ابن حجر في الفتح 239/7. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة : 538/2.

وجعلت عمد المسجد جذوع النخل. وصفوا النخل قبلة المسجد ثلاث أساطين مما يلي المشرق عن يسار المنبر، وثلاث عن يمينه مما يلي المغرب، وجعلوا قبلته من اللبن ويقال بل من حجارة منضودة بعضها على بعض وجعلوا عضادتيه[1] الحجارة وعضادتا الباب خشبتاه اللتان تكتنفاه من جانبيه، وعمل فيه المسلمون وجعلوا ينقلون اللبن والصخر ويرتجزون والنبي صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ويقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا بر ربنا وأطهر[2]

والحمال أي المحمول من اللبن أبر عند الله مما يحمل من خيبر من التمر والزبيب ونحو ذلك ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة[3]

وقال قائل من المسلمين / : (53ب)

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل[4]

وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب من مؤخره عن يمين المصلي يقال له: باب الرحمة وهو باب عاتكة والباب الذي يدخل منه صلى الله عليه وسلم وهو عن يسار المصلي ويعرف بباب جبريل، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى

(1) العضادة الناحية: وأعضاد البيت نواحيه.
- اللسان: 2984/4 مادة عضد.
- مقاييس اللغة: 348/4 مادة عضد.
(2) أخرجه ابن عقبة في المغازي ص: 115.
- وابن شهاب في المغازي النبوية ص: 104.
- وابن سعد في الطبقات.
- وابن حجر في الفتح وفي معناه قال ابن حجر الحمال بالمهملة المكسورة وتخفيف الميم أي هذا المحمول من اللبن «أبر» عند عبد الله أي أبقى ذخرا وأكثر ثوابا وأدوم منفعة وأشد طهارة من حمال خيبر: بالفتح: 261/7.
(3) ابن عقبة في المغازي ص: 155.
- وابن هشام في سيرته: 496/2.
(4) ابن سعد في الطبقات: 240/1.
- وابن هشام في السيرة: 496/2.

مؤخره سبعين ذراعا أو نحوها ومن المشرق إلى المغرب ستين أو نحوها، هذا في البناء الأول وطوله في السماء سبعة أذرع وجعل وسطه رحبة وسقف بالجريد والخوص، و لم يجعل عليه كثير طين، فكان إذا نزل المطر سال المسجد طينا، وإنما هو كهيئة العريش[1]، وبنى لزوجاته بيتين إلى جنبه باللبن وسقفهما بجذوع النخل (والجريد)[2].

وقال السهيلي[3] : «كانت بيوته التسعة بعضها من جريد مطين بالطين وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض، وكلها مسقفة بالجريد»، فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعا إلى المسجد، وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان ثم تحول صلى الله عليه وسلم من دار أبي أيوب إلى مساكنه، وكانت مدة ذلك سبعة أشهر وقيل إلى صفر من السنة الداخلة. وقيل إلى صفر من السنة الخارجة، وقيل إنما أقام عنده شهرا، وكان قد أرسل قبل ذلك وهو ما زال بين زيد بن حارثة وأبا رافع ومولاه إلى مكة فقدما بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة بنت زمعة، وأسامة بن زيد، وأم أيمن. وخرج عبد الله ابن أبي بكر بعيال أبيه : أم رومان[4] وعائشة وكذا أسماء فيما قيل، فأنزلهم في بيت لحارثة بن النعمان[5] فلما فرغ من البناء حول سودة إلى بيتها.

---

(1) العريش بيوت مكة، وهي في الأصل عيدان تنصب، ويظلل عليها ويقال للحظيرة التي تسوى للماشية تقيها من البرد : عريش. وكل بناء يستظل به عريش.
- اللسان : 2882/4 مادة عرش.
- مقاييس اللغة : 264/4 مادة عرش.

(2) سقط من : ح.

(3) الروض الأنف : 248/2.
- وأخرجه أيضا بن سعد في الطبقات : 240/1.

(4) أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن سبيع، وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك ابن كنانة، امرأة أبي بكر الصديق أم عائشة وعبد الرحمن، توفيت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الاستيعاب : 489/4 رقم الترجمة : 3586.
- الأسد : 341/6 رقم الترجمة 7442.
- تقريب التهذيب : 621/2.

(5) حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة الأنصاري يكنى أبا عبد الله شهد بدرا وأحد والخندق، توفي في خلافة معاوية.
- الاستيعاب : 368/1 رقم الترجمة : 458.
- الأسد : 488/1 رقم الترجمة 1003.

وفي رواية عن عائشة : فنزلت مع آل أبي بكر، ونزلت سودة بنت زمعة في بيتها. وأعرس بعائشة في شوال السنة الأول على الصحيح[1]. وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله، فكان كلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا نزل له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ثم تلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبق بمكة منهم إلا مفتون أو محبوس.

وكان في مؤخر المسجد موضع مظلل يأوي إليه المساكين الذين ليس لهم أهل ولا مال يسمى ذلك الموضع الصفة[2]، ويسمى أهله «أهل الصفة». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه يعشونهم وتتعشى طائفة منهم معه صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع من سواري المسجد يسند ظهره إليه هو عن يسار المنبر إذا استقبلته، فلما كثر الناس صنع له المنبر وهو من أثل الغابة نوع من الطرفاء[3] له درجتان ويجلس في الثالثة. وصانعه قيل هو إبراهيم النجار[4] وقيل هو قبيصة المخزومي[5] وقيل ميمون النجار، ذكره ابن

---

(1) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : 146/1.

(2) قال عياض : الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء : ظلة في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يأوي إليها المساكين، وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل.
وقال الحافظ ابن حجر : الصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل.
– انظر وفاء الوفاء للسمهودي : 453/2.

(3) منبت الشجر. وقال أبو حنيفة : الطرفاء من العضاة وهدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب، وإنما يخرج عصيا سمحة في السماء.
– اللسان : 2661/4 مادة طرف. – مقاييس اللغة : 447/3 مادة طرف.

(4) إبراهيم النجار الذي صنع المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى أبو نضرة عن جابر.
– إن النبي كان يخطب إلى جذع نخلة فقيل له قد كثر الناس ويأتيك الوفود من الأفاق، فلو أمرت بشيء تشخص عليه فدعا رجلا فقال أتصنع المنبر قال نعم : قال ما اسمك ؟ قال فلان : قال لست بصاحبه، ثم دعا آخر فقال له مثل ذلك، ثم دعا الثالث فقال ما اسمك ؟ قال إبراهيم قال : خذ في صنعه، فلما صنعه صعده رسول الله.
– الأسد : 62/1 رقم الترجمة 18. – الإصابة : 13/1 رقم الترجمة 11.

(5) قبيصة بن ذؤيب الخزاعي بن حلحلة ولد في أول سنة من الهجرة يكنى أبا إسحاق روى عن أبي الدرداء توفي سنة ست وثمانين.
– الاستيعاب : 336/3 رقم الترجمة : 2124. – الأسد : 76/4 رقم الترجمة : 4257.
– سير الأعلام النبلاء : 282/4.

بشكوال[1] من حديث قاسم بن أصبغ[2] وصحح وقال هو باقوم، ويقال «باقول» باللام الرومي مولى سعيد بن العاص[3] وكان نجارا وقيل : عمله تميم الداري[4] وقيل اسم صانعه ميناء.

وقال مالك : «عمله غلام لسعد بن عبادة». وقيل غلام للعباس اسمه صباح بوزن غلاب وقيل اسمه كلاب، وقيل غلام لامرأة من الأنصار وهو الذي في صحيح البخاري.

وفي رواية[5] أنه قال لها : مري غلامك النجار يعمل لي أعوادا أجلس عليهن، وفي رواية أنه قيل له : ألا نجعل لك أعوادا، وقد يجمع بينهما بأنه قيل له : أولا فوافق على/ ذلك، فأمر المرأة أن تأمر غلامها والله أعلم. وكان عمله. وحنين (54أ) الجذع : وهو ساق النخلة سنة سبع على ما قيل وقيل سنة ثمان ويعارضها ذكر المنبر[6] في حديث الإفك[7] والإفك قبل ذلك.

---

(1) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي أبو القاسم من أهل قرطبة، له نحو خمسين مؤلفا أشهرها «الصلة».
- الديباج المذهب : 144 .
- الوفيات : 172/1.

(2) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف القرطبي محدث الأندلس سكن قرطبة ومات بها سنة 340 هـ له «مستند مالك» و«الأنساب».
- تذكرة الحفاظ : 67/3. - لسان الميزان : 458/4.

(3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، توفي في خلافة معاوية.
- الاستيعاب : 183/2 رقم الترجمة : 992. - الأسد : 257/2 رقم الترجمة 2082.
- الوافي بالوفيات : 227/15.

(4) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سواد يكنى أبا رقية كان إسلامه سنة تسع من الهجرة.
- الاستيعاب : 270/1 رقم الترجمة 238.
- الأسد : 295/14 رقم الترجمة 515.

(5) أخرج هذه الرواية ابن سعد في الطبقات : 252/1.

(6) وعن أبي هريرة من طريق أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : منبري هذا على ترعة من ترع الجنة قال والترعة «الباب».
- أخرجه ابن سعد في الطبقات : 253/1

(7) المشار إليه في قوله تعالى : ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ الآية 11 من السورة 24 النور.

ولما كان في بناء المسجد مات نقيب بني النجار أبو أمامة[1] أسعد بن زرارة في شوال بعد الهجرة بستة أشهر، فوجد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم : «أنا نقيبكم»[2] و لم ينقب عليهم أحدا فكانت من مفاخرهم. وقيل أن أول من مات من الصحابة بالمدينة بعد قدومه صلى الله عليه وسلم هو كلثوم بن الهدم الأنصاري من بني عمرو بن عوف قبل بدر بيسير، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة فتكون وفاته بعد التاريخ المذكور والله أعلم.

وقيل مات كلثوم بن الهدم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بأيام في حين ابتناء مسجده وبيوته، ثم مات أبو أمامة أسعد بن زرارة بعده بأيام.

ذكر نزول فرض القتال وابتدائه وكم غزا صلى الله عليه وسلم وقاتل

لما حصل له صلى الله عليه وسلم بالمدينة الاستقرار واطمأن به وبأصحابه القرار وآواه أهلها ونصروه حتى استحقوا الاختصاص باسم الأنصار، واجتمع عليه أصحابه من الأنصار والمهاجرين، وكانوا يدا واحدة على أعداء الله الكافرين، وصارت المدينة لهم دار إسلام ومعقلا وحصنا يلجأون إليه، وموئلا. نزل فرض القتال وبشروا بالإذن في الحرب والنزال بعد أن نهوا عنه في نيف وسبعين آية.

وقال ابن إسحاق[3] : «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوذن له في الحرب، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، فلما عتت قريش على الله وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم عذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه صلى الله عليه

(1) وعند موته قال النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الميت أبو أمامة، ليهود ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا.
– أخرجه ابن هشام في سيرته : 507/2.

(2) أخرجه ابن هشام في سيرته : 508/2، وكونه صلى الله عليه وسلم صار نقيبا لهم قال ابن هشام : لأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم.

(3) رواه أبو محمد عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي.
– سيرة ابن هشام : 467/2.

وسلم واعتصم بدينه أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسم في القتال (والامتناع)[1] والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم» انتهى.

وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يأتونه من بيت مضروب ومشجوج فيقول لهم «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» وأنزل الله تعالى بالمدينة : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا﴾ الآية[2]. وقال تعالى : ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ الآية[3]. وأول آية نزلت في الإذن في القتال قوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾[4].

أخرج الترمذي[5] والنسائي عن ابن عباس، وصححه الحاكم قال : لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : «أخرجوا نبيهم ليهلكن» فنزل ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ الآية[6].

قال ابن عباس : فهي أول آية نزلت في القتال ثم نزل : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾.

وفي الإكليل للحاكم : إن أول آية نزلت في ذلك: ﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم﴾ الآية[7] فانتهض صلى الله عليه وسلم لقتال أعداء الله، وجهاد أعداء من

(1) ما بين قوسين : سقط من ع و ح، و لم يذكره أيضا ابن هشام.
(2) جزء من الآية : 109 من السورة 2 البقرة.
(3) جزء من الآية : 186 من السورة 3 آل عمران.
(4) الآيات : 37، 38، 39 من السورة 22 الحج.
(5) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب التفسير باب : ومن سورة الحج : 116/5 الحديث رقم : 3182.
وقال فيه الترمذي هذا حديث حسن وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي وغيره عن سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسلا ليس فيه عن ابن عباس.
وأخرجه أحمد في مسنده (92/2) والنسائي في أول كتاب الجهاد (3085) باب (1) وجوب الجهاد.
– وأخرجه الحاكم في الهجرة (4274/3) من طريق شعبة.
(6) جزء من الآية : 37 من السورة 22 الحج.
(7) جزء من الآية : 111 من السورة 9 التوبة.

كفر بالله حتى يقولوا : لا إله إلا الله، ﴿ويكون الدين كله لله﴾[1] وتكون ملة الكفر السفلى، ودين الله هو الأظهر الأعلى، وغزا وقاتل صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه، وبعث البعوث والسرايا حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وبدأ بقتال من يليه من مشركي العرب، وكان الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كما قال ابن حجر على ثلاثة أقسام : قسم وادعهم[2] على أن لا يحاربوه، ولا يؤلبوا عليه عدوه/ وهم طوائف اليهود الثلاث، قريظة، والنضير، وبنو قينقاع، وقسم حاربوه، ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه، وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب، ثم كان منهم من يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر[3] بن عبد مناة بن كنانة، ومن كان معه ظاهرا، ومع عدوه باطنا وهم المنافقون، ثم إنما بدأ بطلب قريش من المشركين والتعرض لقتالهم، لأنهم[4] الذين تحققت عندهم نبوءته إذ ذاك أكثر من غيرهم واشتهرت وتواترت لديهم معجزاته وآياته، وتيقنوا صدقه وعرفوا أمانته وقامت حجته عليهم بما بلغ مما قامت على غيرهم. ثم نصبوا العداوة وإذايته ومحاربته مع هذا وحرصوا على قتله، وإطفاء نوره وأخرجوه من بلده وكذبوه، وجحدوا به عنادا وحسدا، ولأنهم أقرب[5] به نسبا، فهم أحق بحرصه على هداهم. وهوإمام الناس وهاديهم ورأس جسدهم إليهم ينظرون،

---

(1) اقتباس من قوله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾الآية 192 من السورة : 1، البقرة.
– سيرة ابن هشام : 468/2.

(2) الموادعة في اللغة المصالحة، والوديع : العهد، وحقيقة الموادعة المتراكة أي يدع كل شيء فيه حرب.
– اللسان : 4798/6 مادة ود ع. – مقاييس اللغة : 96/6 مادة : ود ع.
وكانت هذه الموادعة بينه وبين الأنصار والمهاجرين ويهود وفيها يقول ابن هشام عن ابن إسحاق: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم :
بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس...س وكتاب الموادعة نص طويل رواه ابن هشام في سيرته : 501/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 238/1.

(3) بطن من كنانة بن خزيمة من العدنانية، وهم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس...
– معجم القبائل : 92/1.

(4) في ع : «لأنهم هم».

(5) في ع : أقرب منه.

بهم يقتدون فإذا استقاموا كان غيرهم لهم تبعا، و لم يكن يقاتل غيرهم غالبا لاسيما في السنين الأولى إلا من اشتغل بأذاه والتحريض عليه، أو بجمع الجموع لحربه، أو للإغارة على المدينة، أو قتل أحدا من أصحابه أو كان يقطع الطريق، ولا يقتلهم حتى يعرض عليهم الإسلام، فإن قبلوه، وإلا قاتلهم بخلاف قريش فأنه كان يطلبهم ويتعرض لقوافلهم حيث كانوا من غير عرض إسلام لتقرره عندهم والله أعلم.

واختلف في عدد مغازيه صلى الله عليه وسلم التي خرج فيها بنفسه.

ففي الصحيحين : عن زيد بن أرقم أنها تسع عشرة[1].

وفي صحيح مسلم : عن جابر بن عبد الله أنها إحدى وعشرون، وقيل إنها اثنتان وعشرون.

وقال المحب الطبري : هي جملة المشهور منها. ولعبد الرزاق[2] عن ابن المسيب أنها أربع وعشرون، وقيل هي خمس وعشرون، ونقله عبد الغني المقدسي، والمحب الطبري عن ابن إسحاق، وابن عقبة[3] وأبي معشر وغيرهم وأنهم شهروه، وقيل إنها ست وعشرون ونسبه السهيلي لابن إسحاق.

وقال أبو عمر[4] هذا كثير ما قيل في ذلك، وقيل هي سبع وعشرون، ونسب أيضا لابن إسحاق وابن عقبة وأبي معشر وعن الواقدي عن أحد عشر من شيوخه.

(1) في الصحيح عن ابن إسحاق قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة ؟ قال : تسع عشرة.
– أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة العشيرة : 157/5 الحديث رقم : 449.

(2) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء، له الجامع الكبير في الحديث.
– تهذيب التهذيب : 310/6. – وفيات الأعيان : 303/1. – ميزان الاعتدال : 126/2.

(3) ففي مغازي ابن عقبة ذكر للغزوات التي قاتل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم. قال ابن عقبة : هذه مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها : – يوم بدر في رمضان من سنة اثنتين– ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث – ثم قاتل يوم الخندق وهو يوم الأحزاب– وبني قريظة ثم قاتل بني المصطلق وبني الحيان في شعبان من سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر من سنة ست– ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان – وقاتل يوم حنين.
– رواه ابن عقبة عن ابن شهاب : المغازي لابن عقبة ص : 117.

(4) ذكره في الاستيعاب : 145/1.

(5) قال ابن سعد كان عدد مغازيه صلى الله عليه وسلم التي غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة وكانت سراياه التي بعث بها سبعا وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات : بدر القتال، وأحد، والمريسيع وقريظة، وخيبر، وفتح مكة ن وحنين، والطائف وهذا ما اجتمع لنا عليه.
– الطبقات : 6/2 – والعدد نفسه ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر : 270/1.

واقتصر عليه غير واحد جازما به، وصححوه وتعقبوا تشهير خمس وعشرين بالرد.

وسبب الخلاف أن الغزوتين إذا كانتا متقاربتين، أو اتحد سفرهما بعضهم يعدهما غزوتين، وبعضهم يعدهما غزوة[1] واحدة كغزوة قريظة.

فإن ابن عقبة لما عد الغزوات التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قال هي ثمان وعدها، وأهمل قريظة[2]، لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في أثرها، وكغزوة الطائف من الناس من عدها مع حنين وجعلهما غزوة واحدة لتقاربهما واتحاد سفرهما وأهلهما، واتصال زمانهما. وذلك أن ثقيفا لما هزمهم النبي صلى الله عليه وسلم بحنين دخلوا حصنهم بالطائف فتبعهم النبي صلى الله عليه وسلم فحصرهم، وقد يجعلان مع الفتح شيئا واحدا لكونهما في سفره والله أعلم.

ويمكن أن تضاف غزوة حمراء الأسد إلى غزوة أحد وتعد معها واحدة على هذا الاعتبار لقربها منها ونشئها[3] عنها والله أعلم.

وقد أسقط ذكرها ابن فارس والمحب الطبري في خلاصته[4].

وقد اختلف في غزوة ذات الرقاع هل هي متحدة أو متعددة وهل هي وغزوة أنمار غزوة واحدة، أو هما غزوتان.

اختلف هل غزوة المريسيع هي غزوة بني المصطلق أو غيرها، والحديبية بعضهم عدها في الغزوات وغيرهم أسقطها. وكذا عمرة القضاء، وبعضهم أسقط غزوة بني

(1) والمغازي جمع مغزى والواحدة غزوة ... وأصل الغزو القصد ... والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي صلى الله عليه وسلم الكفار بنفسه أو بجيش من قبله.
– فصل في ذلك ابن حجر في الفتح : 279/7.

(2) وتعقب ابن حجر كلام ابن عقبة في المغازي قائلا : «... وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في إثرها، وأفردها غيره لوقوعها متفردة بعد هزيمة الأحزاب، وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين واحدة لتقاربهما.
– انظر الفتح : 281/7.

(3) في ع : نشأتها.

(4) هو كتاب : «خلاصة سير سيد البشر» وهو مختصر مرتب على أربعة وعشرين فصلا جمع من اثني عشر مؤلفا ما بين كبير انتخبه وصغير ألحقه.
– كشف الظنون : 718/1.

قينقاع وبعضهم ذكرها، و لم يذكر عمرة القضاء، وغزوة مؤتة منهم من سماها غزوة ومنهم من سماها سرية، وقصر اسم الغزوة على ما حضره النبي صلى الله عليه وسلم. والظاهر أنهم لم يعدوها فيها إذ لم يعدوها في التسع التي وقع فيها القتال والله أعلم[1].

وزعم الحاكم فيما نقل عنه أن غزوة بني قينقاع، وغزوة بني النضير واحدة وذكر الخلاف في تعدد غزوة ذي قرد والله أعلم.

وقاتل صلى الله عليه وسلم في تسع منها وهي : بدر وأحد والخندق وقريظة والمريسيع وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف هذا هو الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور[2].

وقيل أنه قاتل في بني النضير أيضا، فتكون عشرا، وقيل قاتل بالغابة ووادي القرى فتكون اثنتي عشرة[3].

وسيأتي عن أبي الأسود عن عروة أن الحديبية وقعت فيها معاركة ومراماة بالنبل والحجارة، وعلى هذا تكون ثلاث عشرة. والمراد بقتاله في هؤلاء الغزوات : أنه وقع بين عسكره الذي هو معه وعسكر عدوه، قتال أعم من أن يكون قاتل صلى الله عليه وسلم معهم أو حضر فقط، أو لم يقاتل، و لم يحضر القتال كما وقع في غزوة الفتح، فإنه وإن كان حاضرا في الجيش فإنه لم يحضر القتال.

قال بعض الحفاظ، ولا يفهم من قولهم أنه قاتل في كذا وكذا أنه قاتل بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع لهم على أحوال[4] النبي صلى الله عليه وسلم، ولا

---

(1) وهذه الاختلافات والروايات أخرجها أبو عوانة في مسنده : 389/4 والبيهقي في السنن الكبرى : (55/6)، والذهبي في تاريخه (260/1)، وابن كثير في السيرة : 354/2، وابن سيد الناس في عيون الأثر : 270/1. وذكره الحافظ في الفتح : 279/7.

(2) وهو ما رواه ابن سعد في الطبقات : 6/2.

(3) قال ابن سيد الناس بعد ذكره التسع غزوات المتفق عليها :

فهذا ما اجتمع لنا عليه وفي بعض رواياتهم أنه قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلا خاصة، وقاتل في غزاة وادي القرى منصرفة من خيبر وقتل بعض أصحابه وقاتل في الغابة. وعلى قول ابن سيد الناس تكون اثنتي عشرة غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم.

– عيون الأثر : 270/2.

(4) في ع، بأحوال.

يعلم أنه قاتل بنفسه في غزوة إلا في أحد (فقط)[1] ولا ضرب أحدا بيده إلا أبي بن خلف، فالمراد من قولهم أنه قاتل في كذا وكذا : أنه وقع بين عسكره وعسكر عدوه قتال بخلاف سائر الغزوات، و لم يقع فيها قتال أصلا انتهى.

وانظر قوله : لا يعلم أنه قاتل بنفسه إلخ مع ما يأتي في ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم من قول عمران بن حصين[2] : «ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب»، وقول علي بن أبي طالب : «إنا كنا إذا حمي واشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب على العدو منه، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا»[3].

وقول البراء بن عازب[4] «كنا إذا احمر البأس نتقي بالنبي صلى الله عليه وسلم وأن الشجاع منا الذي يحاذيه»، وإخباره عنه أنه ما رئ يوم حنين أحدا كان أشد منه وأنه كان يركض[5] بغلته إلى العدو، وما كان يركضها إلا ليقاتل[6].

وقول عائشة : «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط شيئا بيده، ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله».

وبعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم قيل خمس وثلاثون، وقيل ست وثلاثون وهو قول ابن إسحاق، وعلى ما عند السهيلي.

---

(1) سقط من ع وح.

(2) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم الخزاعي الكعبي يكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، وسكن البصرة، مات في خلافة معاوية.
- الاستيعاب : 284/3 رقم الترجمة : 1992.
- الأسد : 777/3 رقم الترجمة 4042.

(3) أخرجه أحمد في المسند : 86/1.

(4) البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة الأنصاري الحارثي الخزرجي يكنى أبا عمارة شهد غزوة الخندق والجمل ثم نزل الكوفة ومات بها.
- الاستيعاب : 239/1 رقم الترجمة : 174.
- الأسد : 238/1 رقم الترجمة : 389.

(5) ركض الدابة يركضها ركضا : ضرب جنبيها برجله.
- اللسان : 1718/3 مادة ركض.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب في غزوة حنين : 1121/3.

وقيل ثمان وثلاثون، وقيل ست وأربعون، وقيل سبع وأربعون رواه ابن سعد[1] عمن تقدم له في عدد الغزوات.

وقيل : ثمان وأربعون ونسبه السهيلي للواقدي، وقيل خمسون أو نحوها.

وقيل : ست وخمسون، وقيل نحو الستين. وقيل ستون، وقيل أكثر من سبعين.

والسرية قطعة من الجيش تخرج منه، وتعود إليه، وهي من المائة إلى خمسمائة وقيل من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة[2].

والبعث ما افترق من السرية./ (57ب)

ثم اختلف أهل المغازي في أي غزاة أو سرية كانت الأولى، فقال ابن عقبة[3] وابن سعد[4] وأبو معشر وغيرهم أول لواء عقد في الإسلام لواء حمزة، وبعثه أول شيء جهز ووجه إلى الجهاد وهو قول عروة[5] إلا أنهم اختلفوا، فقال ابن عقبة[6] بعث حمزة كان أولا ثم سرية عبيدة[7] ثم سرية سعد بن أبي وقاص[8] إلى الخرار ثم غزوة الأبواء.

---

(1) الطبقات : 1/2.

(2) وزاد ابن منظور : سميت سرية لأنها تسرى ليلا في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا، وسموا بذلك أيضا لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري النفيس.
– اللسان : 2004/3 مادة : سرا.

(3) رواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب : المغازي ص : 118.

(4) الطبقات : 6/2.

(5) قال ابن سيد الناس : ورويناعن ابن عائذ عن الوليد عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن راية حمزة هي الأولى.
– عيون الأثر : 271/1. – رواه أيضا البيهقي في الدلائل : 10/3.

(6) حينما عدت إلى كتاب المغازي لابن عقبة وجدت خلافا في ذلك : بعث حمزة ثم غزوة الأبواء ثم سرية عبيدة.
– المغازي لابن عقبة ص : 118–119.
وهو ما رواه ابن سيد الناس قائلا : وروينا عن موسى بن عقبة أن أول البعوث حمزة ... ثم كانت الأبواء على رأس اثني عشر شهرا، ثم بعث عبيدة ... وهو أول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون في قتال.
– عيون الأثر : 271/1.

(7) هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يكنى أبا معاوية أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم. شهد بدرا.
– الاستيعاب : 141/3. – سير أعلام النبلاء : 256/1. – الأسد : 448/3.

(8) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب القرشي أبا إسحاق أحد المبشرين العشرة بالجنة.
– الاستيعاب : 171/2 رقم الترجمة : 968.

وأما ابن إسحاق[1] فذكر: غزوة: «ودان» وهي الأبواء أول شيء، ثم ذكر بعدها بعث عبيدة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بعد رجوعه منها إلى المدينة وإقامتها بها، ثم قال: «وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وبعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة وانه بعث في مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر.

ثم قال: «وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين قال: وإنما أشكل أمرهما لأنهما كانا معا، فاشتبه ذلك على الناس، وقد زعموا أن حمزة قال ذلك فقد صدق، فأما ما سمعناه من أهل العلم فعبيدة بن الحارث أول من عقد له»[2] ثم ذكر شعر حمزة[3]. وما قاله من تقديم سرية عبيدة على سرية حمزة روي عن ابن عباس.

والقول بتقديم سرية حمزة قاله المدائني أيضا، وقال أبو نعيم وطائفة أول راية عقدت في الإسلام: راية عبد الله بن جحش[4] وبعثه أول البعوث والله أعلم.

(1) سيرة ابن هشام: 591/2.

(2) سيرة ابن هشام: 296/2.

(3) قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر، هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه ومطلعه:

ألا يا لقومي للتحلم والجهل ... وللنقص من روى الرجال وللعقل.

– سيرة ابن هشام: 296/2.

(4) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة الأسدي أمه أميمية بنت عبد المطلب شهد بدرا واستشهد يوم أحد.

– الاستيعاب: 14/3 رقم الترجمة 1502.

– الأسد: 86/3 رقم الترجمة 2856.

ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم وسراياه مرتبا على السنين مدرجا فيها ذكر الحوادث
«السنة الأولى»

- بعث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى سيف[1] البحر :

بعثه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من السنة الأولى على ما قاله ابن سعد[2] وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد الغنوي[3] وأمره على ثلاثين راكبا من المهاجرين على الصحيح يعترضون عيرا لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص[4]، فلقوا العير وفيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، وقيل ثلاثين ومائة، فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدى بن عمر الجهني وكان موادعا للفريقين جميعا، و لم يعرف له إسلام.

وقال ابن إسحاق[5] : «وإن هذا البعث كان في ربيع الأول سنة اثنتين بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة ودان ومقامه بالمدينة. وقيل كان في جمادى الأولى».

سيف البحر بكسر السين : ساحله. والعيص بكسر العين وبالصاد المهملتين موضع من أرض جهينة قريب من بلاد بني سليم.

---

(1) السيف بكسر السين : ساحل البحر، والجمع أسياف وقال ابن الأعرابي : الموضع النقي من الماء وفي حديث جابر : فأتينا سيف البحر : أي ساحله.
– اللسان : 2172/3 مادة سيف.

(2) الطبقات : 6/2.

(3) أبو مرثد الغنوي من بني غني بن أعصر بن سعد بن قيس اسمه كناز بن حصن بن يربوع قتل يوم الرجيع في خلافة أبي بكر.– الاستيعاب : 317/4 رقم الترجمة 3200.
– الأسد : 284/5 رقم الترجمة : 6230.

(4) موضع في بلاد بني سليم به ماء.
– معجم البلدان : 173/4.

(5) سيرة ابن هشام : 595/2.

- سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف :

ابن قصي إلى بطن رابغ[1] بكسر الباء فيما قاله البكري في معجمه وغيره بعثه صلى الله عليه وسلم في شوال من السنة الأولى على قول ابن سعد[2]./ (58أ)

وعلى قول ابن إسحاق[3] في ربيع الأول سنة اثنتين، وقال بعثه في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد.

وقال ابن سعد[4] : بعثه في ستين من المهاجرين، وقال غيره : بعثه في خمسين راكبا يعارض عيرا لقريش. وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة، فلقي أبا سفيان بن حرب وكان على المشركين. وقيل عكرمة بن أبي جهل، وقيل مكرز بن حفص بن الأخيف في جمع عظيم من قريش.

وقال ابن سعد[5] : «في مائتين لقيه ببطن رابغ ويعرف بودان»، فقال ابن عقبة[6] : «وهو أول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون في قتال» وقال غيره : ولم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام[7]، وقيل : إنهم تراموا بالنبل، ولم تكن بينهم مسابقة، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو[8] وعتبة بن غزوان[9] وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار[10].

---

(1) رابغ : واد بين الجحفة وودان، قال ابن بري : رابغ واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور.
 - اللسان : 1570/3، مادة ربغ.

(2) الطبقات : 7/2.

(3) سيرة ابن هشام : 591/2.

(4) الطبقات : 7/2.

(5) الطبقات : 7/2.

(6) مغازي ابن عقبة : ص : 119.

(7) ذكره ابن سعد في الطبقات : 7/2.

(8) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة كان من الفضلاء النجباء شهد فتح مصر، أسلم قديما شهد بدرا والمشاهد بعدها.
 - الاستيعاب : 42/4. رقم الترجمة : 2590. - الأسد : 458/4 رقم الترجمة : 5069.
 - حلية الأولياء : 172/1.

(9) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية يكنى أبا الوليد، ولاه عمر بن الخطاب الطائف ثم ولاه معاوية مصر، توفي سنة ثلاث وأربعين.
 - الاستيعاب 146/3 رقم الترجمة 1781. - الأسد : 459/3 رقم الترجمة 3550.

(10) وتوصلهما بالمشركين أخرجه البيهقي في الدلائل (8/3) وابن سيد الناس في عيون الأثر : 271/1، وابن حجر في الفتح : 279/7.

- سرية سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)[1] إلى (الخرار)[2] :

كانت في ذي القعدة من السنة الأولى على ما عند ابن سعد[3] وعند ابن إسحاق[4] أنها فيما بين الغزوات الثلاث الأولى من السنة الثانية. وعقد صلى الله عليه وسلم له لواء أبيض فحمله المقداد بن عمرو في ثمانية رهط، وقيل عشرين رجلا من المهاجرين يعترضون عيرا لقريش، فخرجوا على أقدامهم يمشون بالليل ويكمنون بالنهار، فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس فرجعوا، و لم يلقوا كيدا أي حربا[5].

الخرار : –بمعجمة ثم راءين بوزن شداد – واد بالحجاز قرب الجحفة يصب فيه.

وفي هذه السنة : بعد شهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر يوم الثلاثاء، وقيل بعد شهر وعشرة أيام.

وقال السهيلي . بعد الهجرة بعام أو نحوه، زيد في صلاة الحضر ركعتان على الأصح وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر صلاة النهار وأقرت صلاة السفر، وقيل إنما فرضت أربعا ثم خفف عن المسافر وعليه.

فقال ابن الجوزي[6] : إن هذا التخفيف وهو قصر الصلاة في السفر كان في السنة الرابعة وقيل إنما فرضت في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين.

وفي هذه السنة : شرع الأذان على الأصح وهو مذهب الجمهور، وقيل في الثانية وكان الناس إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحين وقتها من غير دعوة، وقيل كان

---

(1) ما بين القوسين : سقط من ع.
(2) في ح : الخراس وهو تصحيف.
(3) الطبقات : 7/2.
(4) سيرة ابن هشام : 600/2.
(5) أخرجها ابن هشام في السيرة : 600/2، وابن سعد في الطبقات : 7/2.
(6) رواية الآذان هذه بطولها أخرجها ابن سعد في الطبقات وسند الرواية قال ابن سعد : أخبرنا محمد ابن عمر الأسلمي أخبرنا سيمان بن سليم القارئ من طريق عروة بن الزبير، إلى أن قال : عن الزهري عن سعيد بن المسيب.
– الطبقات : 246/1.

النداء للصلاة جامعة. فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة، فقال بعضهم : بل نوقد نارا ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة. فرأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري[1] في منامه رجلا فعلمه الآذان والإقامة، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتا»[2] فقام فجعل يلقيه على بلال وبلال يؤذن.

وإنما عمل صلى الله عليه وسلم بمقتضى هذه الرؤيا بأمر من الله تعالى ووحي، وبما عرفه ربه تعالى من صحتها وجلى له من أمرها، وأشار إليه من العمل عليها ولا يتحرك لشيء، ولا يفعل فعلا إلا عن أمر من الله ووحي تشريع منه.

وروي عن عمر بن الخطاب[3] رضي الله عنه أنه رأى مثل الذي رأى عبد الله بن زيد، إلا أنه سبقه بالخبر. وروى غير ذلك أيضا.

وفي / هذه السنة بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بمدة كتب كتابا وادع[4] فيه (59ب) يهودا وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم، ومع هذا غلب على أحبارهم الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم وقومه من العرب. وأضمروا لهم الضغن والحقد، ونصبوا لهم العداوة (وانتصبوا لذلك)[5]، فجعلوا

---

(1) عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي الحارثي من بني جشم، شهد العقبة وبدرا، وسائر المشاهد توفي بالمدينة اثنتين وثلاثين.
– الاستيعاب : 45/3 رقم الترجمة : 1557.
– الأسد : 142/3 رقم الترجمة : 2953/1.

(2) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في باب بدء الأذان : 233/1 رقم الترجمة 189.

(3) ففي الحديث : جاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله لقد رأيت الذي رأى فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : فما منعك أن تأتيني ؟ قال استحييت لما رأيتني قد سبقت يا رسول الله.
– أخرجها ابن سعد في الطبقات : 247/1 ورواها ابن سيد الناس في عيون الأثر : 246/1.

(4) وهذه الموادعة سبق الحديث عنها وهي عبارة عن كتاب كان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين.
– أخرجها ابن هشام في سيرته : 501/2 وابن سيد الناس في عيون الأثر : 238/1.

(5) ما بين قوسين : سقط من : ع.

يسألونه صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل وصاروا يؤذون المسلمين أشد الأذى ويحسدون العرب على ما خصهم الله به من اتخاذه رسوله منهم، و لم يسلم منهم إلا القليل كعبد الله ابن سلام[1] رضي الله عنه، فإنه أسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وسحروه صلى الله عليه وسلم وسموه.

وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث إلا أنهم قهروا بظهور الإسلام، واجتماع قومهم عليه. وتوجه أمره بوقعة بدر فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل، ونافقوا في السر، منهم عبد الله بن أبي سلول وكان رأس المنافقين.

وفي هذه السنة آخى[2] صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والتوارث، وذلك في دار أنس بن مالك[3] رضي الله عنه، وقيل في المسجد وكانوا مائة رجل، وخمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار. فآخى بين كل مهاجري منهم وأنصاري، وقيل كانوا تسعين رجلا خمسة وأربعون من كل فريق، وكان ذلك بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر، وقيل بثمانية، وقيل قبل بدر بخمسة أشهر، وكانوا كذلك إلى أن نزل وقت وقعة بدر، ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[4] الآية.

---

(1) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف صحابي قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه الحصين وسماه رسول الله عبد الله وفيه نزلت الآية : ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ له 52 حديث، مات بالمدينة.
- تهذيب التهذيب : 249/5 .
- صفوة الصفوة : 301/1.
وذكر له ابن سيد الناس ترجمة طويلة حكى فيها خبر إسلامه.
- عيون الأثر : 249/1.

(2) هذه المؤاخات رواها ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرته : 504/2.
- وابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر : 238/1.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 241/1.

(3) قال ابن سعد : أخبرنا عفان بن مسلم، أخبرنا حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس.
- الطبقات : 239/1.

(4) الآية : 75 من السورة : 8 الأنفال.

وكان آخى صلى الله عليه وسلم أيضا قبل الهجرة بين المهاجرين بعضهم مع بعض على الحق والمواساة.

«السنة الثانية»

- غزوة ودان[1] وهي غزوة الأبواء[2] :

وهي أول مغازيه صلى الله عليه وسلم[3] وخرج صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة مضت من صفر يريد قريشا، وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة[4] بطن من كنانة في ستين رجلا من المهاجرين.

وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة فيما ذكر ابن هشام[5]، وسار حتى بلغ الأبواء وودان قريتين على مرحلة أو نحوها من الجحفة.

فكانت الموادعة أي المصالحة على أنه لا يغزو بني ضمرة ولا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا، ولا يعينون عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابا بذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وقد غاب خمس عشرة ليلة.

وقال ابن إسحاق[6] : «أنه أقام بهذه الغزوة بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الأول».

---

(1) ودان : موضع بين مكة والمدينة قرية جامعة من نواحي الفرع، بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة.
– معجم البلدان : 365/5.

(2) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا.
– معجم البلدان : 79/1.

(3) رواه ابن هشام في سيرته : 591/2 . وقال وهي أول غزوة غزاها.
– ورواه أيضا ابن سعد في الطبقات : 8/2.
– وابن عقبة في المغازي ص : 119.

(4) بطن من كنانة بن خزيمة من العدنانية منهم بنو غفار بن مليل بن ضمرة.
– معجم القبائل : 667/2.

(5) سيرة ابن هشام: 591/2.

(6) سيرة ابن هشام : 591/2.

- غزوة بواط[1] (وهو بوزن سحاب وغراب)[2] :

خرج صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول في مائتين من المهاجرين وسار حتى بلغ جبل بواط بتهامة[3]، يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير[4].

واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون[5] فيما قاله ابن هشام[6] وفي نسخة من تهذيبه : السائب بن مظعون هو عم المذكور قبله، وعليه جرى السهيلي، وقيل سعد بن معاذ[7] وحمل اللواء وكان أبيض سعد بن معاذ فيما قيل[8] ، وقيل سعد بن أبي وقاص[9] فرجع و لم يلق كيدا./ (60أ)

- غزوة العشيرة :

خرج صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى وقيل الأخرى في خمسين ومائة رجل، وقيل مائتين من قريش من المهاجرين، ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها و لم يكره أحد على الخروج[10].

---

(1) جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، غزاه النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة يريد قريشا.
– معجم البلدان : 503/1.

(2) ما بين قوسين : سقط من : ح.

(3) تهامة : إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق.
– معجم البلدان : 63/2.

(4) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 9/2.

(5) السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة شهد بدرا وسائر المشاهد، قتل يوم اليمامة.
– الاستيعاب : 142/2. رقم الترجمة : 905.
– الأسد : 185/2. رقم الترجمة : 1922.

(6) سيرة ابن هشام : 598/2.

(7) وهو قول ابن سعد في الطبقات : 8/2.

(8) حكاه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 273/1.

(9) رواه ابن سعد في الطبقات : 8/2.

(10) رواه ابن سعد في الطبقات : 9/2.

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد[1] فيما قاله ابن هشام[2]. وحمل اللواء – وكان أبيض– حمزة بن عبد المطلب[3]، فسار صلى الله عليه وسلم يريد عيرا لقريش صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة حتى بلغ العشيرة[4] موضعا لبني مدلج[5] بينبع، أو بينه وبين المدينة، فوجدها قد مضت، وهي العير التي خرج إليها حين خرجت من الشام، فكان بسببها وقعة بدر الكبرى. ووادع في غزوة العشيرة بني مدلج من كنانة وحلفاءهم من بني ضمرة، وكتب بذلك كتابا ورجع و لم يلق كيدا.

وقال ابن إسحاق[6] : «وبعد أن أقام بالعشيرة من بطن ينبع جمادى الأولى. وليالي من جمادى الأخرى». والعشيرة بالشين المعجمة.

وقال ابن حجر : «هو الذي اتفق عليه أهل السير وهو الصواب،– وهو بوزن حذيفة وزبير–، وحكى فيه الإهمال أيضا (مع الوزنين)[7]، وقيل فيه أيضا «العشيراء» بالإعجام والإهمال، و«العسيرة» بالإهمال بوزن كبيرة.

- غزوة بدر الأولى[8] :

وبدر بئر أو قرية بها ماء على نحو أربع مراحل من المدينة من طريق مكة عن يمينها.

---

(1) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي اسمه عبد الله أمه برة بنت عبد المطلب، شهد بدرا ومات يوم أحد.
– الاستيعاب : 244/4 رقم الترجمة : 3043 .
– الأسد : 153/5 رقم الترجمة : 5971.
(2) سيرة ابن هشام : 598/2.
(3) رواه ابن سعد في الطبقات : 9/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 273/1.
(4) العُشيرة حصن صغير بين ينبع وذي المروة، وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة.
– معجم البلدان : 127/4.
(5) بطن من كنانة من العدنانية وهم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة.
– معجم القبائل : 1061/3.
(6) سيرة ابن هشام : 599/2.
(7) ما بين القوسين سقط من : ع وح.
(8) وأطلق عليها غزوة صفوان ابن إسحاق قال وهي غزوة بدر الأولى.
– سيرة ابن هشام : 601/2.

قال ابن إسحاق: «إنها بعد العشيرة بأيام قلائل لا تبلغ العشر»[1].

وقال ابن حزم : «بعدها بعشرة أيام».

وقال ابن سعد[2] في ربيع الأول، وكان سببها أن كرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة وهو يرعى بالعقيق، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان[3] وهو بوزن حيوان موضع من ناحية[4] بدر ففاته كرز[5].

واستعمل على المدينة فيما قاله ابن هشام[6] زيد بن حارثة وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه[7].

- سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة :

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال : «لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم، ولكنه أصبركم للجوع والعطش»[8] فبعث عبد الله بن جحش[9]، وبعثه صلى الله عليه وسلم في رجب إلى نخلة موضع على

(1) سيرة ابن هشام : 601/2.
(2) الطبقات : 9/2.
(3) في : ع : صفوان.
(4) معجم البلدان : 225/3.
(5) في سيرة ابن هشام : 601/2، «فوات كرز والرجوع من غير حرب» وهذا يشير إلى أن هذه الغزوة لم يكن فيها قتال.
قال ابن إسحاق : حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه وهي غزوة بدر الأولى ن ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وشعبان.
(6) سيرة ابن هشام : 601/2.
(7) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 274/1.
(8) رواه الإمام أحمد في المسند : 178/1.
(9) وحديث بعثه رواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب.
– المغازي ص : 120.
– والطبري عن ابن عباس في التفسير : 349/2.
– وأبو يعلى في المسند : 102/3.
– وابن سعد في الطبقات : 10/2.
– وابن حجر في الفتح : 155/1.
– ورواه البيهقي في السنن : 11/9.

ليلة من مكة من جهة الطائف، واستعمله على ثمانين رجلا، وقيل اثنتي عشرة رجلا من المهاجرين، وعقد له راية، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظره حتى يبلغ مكان كذا وكذا. وفي رواية : حتى يسير يومين ،فلما سارهما نظر الكتاب فإذا فيه أن امض حتى تنزل نخلة، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم، ولا تستكره أحدا على السير معك وامض فيمن تبعك من أصحابك فقال سمعا وطاعة، ثم أخبر أصحابه.

وقال[1] : من كان يريد الشهادة فلينطلق، ومن كره فليرجع، فقالوا : ما منا أحد إلا هو مطيع فلم يتخلف منهم أحد فسلك على الحجاز حتى نزل بطن نخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وجلدا من الطائف وتجارة من تجارات قريش، وفيها جماعة منهم خارجين نحو العراق، فتشاور المسلمون، وقالوا : نحن في آخر يوم من رجب، فإن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر، وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجتمع أمرهم على حربهم فحاربوهم فقتلوا منهم إنسانا وهو عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله التميمي اليربوعي[2] الحنظلي حليف بني عدي[3] بن كعب، واستأسروا رجلين[4] وهرب من هرب، واستاقوا العير، فكانت أول غنيمة في الإسلام، وعمرو أول قتيل قتله المسلمون من المشركين. وواقد أول قاتل من المسلمين والرجلان أول أسير أسروه، فقسم عبد الله/ بن جحش الغنيمة، وعزل (61ب) الخمس من ذلك قبل أن يفرض ثم نزل القرآن بعد ذلك بالخمس على وفقه، فكان

---

(1) رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 120.
– وابن سعد في الطبقات : 10/1.
– وابن هشام في سيرته : 602/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 275/1.

(2) واقد بن عبد الله التميمي أسلم قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم شهد بدرا وأحدا والمشاهد توفي في خلافة عمر بن الخطاب.
– الاستيعاب : 111/4 رقم الترجمة : 2743.
– الأسد : 633/4. رقم الترجمة : 5433.

(3) بطن من قريش وهم بنو عدي بن كعب بن لؤي وفدت منهم جماعة إلى مصر.
– معجم القبائل : 766/2.

(4) وكانا أول أسيرين في الإسلام : ابن عقبة في المغازي : ص : 121.

أول من خمس في الإسلام[1]، وإنما كان قبل ذلك في الجاهلية المرباع[2] وقيل بل قدموا بالغنيمة كلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام»[3] ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وتكلمت قريش فقالت: إن محمدا سفك الدماء، وأخذ المال وأسر الرجال في الشهر الحرام. وقالت اليهود[4] : «تتفاءل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب» فجعل الله عليهم ذلك لا لهم، وأنزل الله فيما أكثروا فيه من قتالهم : ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية[5] فسرى بذلك عن المسلمين، فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا : «يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين»[6] فأنزل الله تعالى فيهم ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾[7] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين، ويقال أخر غنيمة نخلة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم بدر. ولقب عبد الله بن جحش في هذه السرية أمير المؤمنين[8] على ما قيل، وقيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(1) ذكره ابن عبد البر في الدرر : ص 98.
– وابن سعد في الطبقات : 11/2.

(2) المرباع ربع الغنيمة، كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه.
– اللسان : 1563/3 مادة ربع.

(3) أخرجه ابن عقبة في المغازي ص : 121.
– وابن سعد في الطبقات : 11/2.

(4) قول اليهود هذا أخرجه ابن عقبة في المغازي ص : 122.
– وأبو زيد عمر بن شبة في تاريخ المدينة : 472/2.

(5) جزء من الآية 712 من السورة : 2 : البقرة.

(6) أخرجه ابن هشام في سيرته : 601/2.

(7) الآية : 216 من السورة 2. البقرة.

(8) ذكره ابن سعد في الطبقات : 11/2.

وقال أبو نعيم[1] وطائفة كما تقدم أن هذا البعث أول البعوث ورايته أول راية عقدت في الإسلام. وهو المروي عن الشعبي والله أعلم.

- غزوة بدر الكبرى :

وتسمى[2] العظمى والثانية، وبدر القتال، وهي البطشة الكبرى التي أعز الله بها الإسلام وأهلك بها رؤوس الكفر، وكانت أشرف غزواته صلى الله عليه وسلم وأعظمها حرمة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حيث قتل الله صناديد قريش، وأظهر دينه من يومئذ.

قال ابن كثير حسبما في «المواهب» وغيره عنه، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل فيه الشرك، وخرب محله وبيض وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقبيله، وأظهر وحيه وتنزيله وأخزى الشيطان (وجيله)[3] هذا مع قلة المسلمين وكثرة عدد العدو وعددهم. ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين : ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾[4] أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد. وكان خروجهم يوم السبت[5] وقيل يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، ويقال لثمان خلون منه، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير[6]، وكان أبيض، وكان أمامه صلى الله عليه وسلم

---

(1) الحلية لأبي نعيم : 108/1.
(2) كذلك أطلق عليها ابن سعد في الطبقات : 11/2.
(3) في النسخة : ع (وحيله) بالمهملة.
(4) الآية : 123 من السورة :3 آل عمران.
(5) قال ابن سعد «فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس سبعة عشر من مهاجره».
– الطبقات : 12/2.
– وهو ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في حديثه عن عروة بن الزبير.
– مغازي ابن شهاب : ص 62.
– تاريخ خليفة : 16/1.
– الطبري : 421/2.
(6) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله كان من جلة الصحابة شهد بدرا وقتل يوم أحد.
– الاستيعاب : 36/4 رقم الترجمة : 2582. – الأسد : 387/4 رقم الترجمة : 4929.

رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب والأخرى مع بعض الأنصار هذا قول ابن إسحاق[1].

وقال ابن سعد[2] : «كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر[3] ولواء الأوس مع سعد بن معاذ».

وقال ابن هشام[4] : «كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ».

وقال ابن سيد الناس[5] «والمعروف أن سعدا بن معاذ كان يومئذ على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، وأن لواء المهاجرين كان بيد علي، واستخلف على المدينة أبا لبابة[6] بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي».

قال ابن سعد[7] : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بير أبي عنبة[8] وهي على ميل من المدينة، فعرض أصحابه ورد من استصغر، وكان عدة من خرج معه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وثمانية وضرب لستة لم /يحضروها (62أ) بسهامهم وأجورهم، وكانوا كمن حضرها وهم ثلاثة من المهاجرين، واثنان من الأوس وواحد من الخزرج فكان المجموع[9] ثلاثمائة وأربعة وعشر. من المهاجرين

(1) سيرة ابن هشام : 612/2، ورواه عن ابن هشام ابن سيد الناس : 296/1.
(2) الطبقات : 613/2.
(3) الحباب بن المنذر بن الجموع بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري السلمي يكنى أبا عمرو، شهد بدرا مات في خلافة عمر رضي الله عنه.
- الاستيعاب : 377/2 رقم الترجمة : 473. - الأسد : 496/1 رقم الترجمة : 1023.
(4) سيرة ابن هشام : 613/2.
(5) عيون الأثر : 296/1.
(6) أبو لبابة بن عبد المنذر قال ابن شهاب اسمه بشير بن عبد المنذر، شهد العقبة وبدرا وأحدا مات في خلافة علي.
- الاستيعاب : 303/4 رقم الترجمة : 3180. - الأسد : 267/5. رقم الترجمة : 6198.
(7) الطبقات : 12/2.
(8) أبو عنبة الخولاني هو ممن صلى القبلتين، قديم الإسلام صحب معاذ بن جبل، اختلف في صحبته.
- الاستيعاب : 285/4، رقم الترجمة : 3140. - الأسد : 234/5.
(9) قال ابن سعد : كان عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر وسبعون ومائتان من الأنصار وبقيتهم من سائر الناس.
- الطبقات : 20/2.

ثلاثة وثمانون، والباقي من الأنصار، فمن الأوس أحدا وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون و لم تخرج الأنصار قبلها في غزوة ولا سرية.

وقيل كان الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وخمسة، والذين ضرب لهم بسهمهم وأجرهم ثمانية : خمسة من الأنصار، وثلاثة من المهاجرين، وقيل كان الخارجون ثلاثمائة وثمانية والمضروب لهم بسهمهم وأجرهم خمسة والمجموع على كلا القولين ثلاثمائة وثلاثة عشر[1].

وكان المهاجرون أربعة وستين، والباقي من الأنصار، وقيل كان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر[2] وهو الذي في البخاري عن البراء[3].

وإن المهاجرين كانوا نيفا على ستين، والأنصار نيفا وأربعين ومائتين، وفيه أيضا أن المهاجرين كانوا أحدا وثمانين.

قال ابن حجر[4] : يجمع بينهما بأن حديث البراء ورد فيمن شهدها حسا وهذا فيمن شهدها حسا أو حكما، ويحتمل أن يكون المراد بالعدد الأول الأحرار والثاني بانضمام مواليهم وأتباعهم انتهى.

وفي مسلم[5] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن المسلمين كانوا ثلاثمائة وسبعة عشر وكان معهم ثلاثة أفراس للزبير والمقداد، ومرثد الغنوي، وسبعون بعيرا

---

(1) هذا العدد أخرجه ابن عقبة في المغازي من رواية ابن فليح ص : 127.

(2) ثلاثمائة وبضع عشر أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في حديثه عن عروة بن الزبير.
– مغازي ابن شهاب : ص : 62.

(3) عن البراء قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والأنصار نيفا وأربعين ومائتين.
– أخرجه البخاي في الصحيح كتاب المغازي باب عدة أصحاب بدر : 161/5 الحديث رقم : 455.

(4) الفتح :290/7.

(5) عن عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا.
– أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم : 1109/3 رقم الحديث : 1763.

يعتقبونها وسبعمائة بعير. وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة وقيل لتسع عشرة خلت من رمضان[1].

وقيل يوم الإثنين وقيل غير ذلك، وكانت عن غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد كما قال تعالى: ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد، ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾[2].

وإنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش القادمة من الشام لما بلغه خبرها، وكانت فيها أموال جليلة لقريش، وكان فيها أبو سفيان بن حرب في ثلاثين راكبا أو أربعين، وقيل سبعين منهم عمرو بن العاص[3] ومخرمة بن نوفل[4] فأقاموا في قافلة عظيمة حتى إذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو، فلما سمعوا بمسيره صلى الله عليه وسلم أرسلوا إلى أهل مكة يستنفرونهم فنهض أشرافهم إلا أبو لهب، وبعث مكانه غيره، فلما كان صلى الله عليه وسلم بالروحاء[5] أو قريبا من وادي الصفراء[6] أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا منه عيرهم فاستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير أو حرب النفير.

---

(1) رواه ابن سعد في الطبقات: 21/2 وعن ابن سعد قال: أخبرنا عبيد بن موسى أخبرنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: غزا غزوة بدر في شهر رمضان فلم يصم يوما حتى رجع إلى أهله».

(2) جزء من الآية 24 من السورة: 8 الأنفال.

(3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي السهمي يكنى أبا عبد الله، أسلم سنة ثمان قبل الفتح ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم على عمان شهد صفين مع علي.
- الاستيعاب: 266/3 رقم الترجمة: 1953.
- البداية والنهاية: 236/4.
- الأسد: 740/3 رقم الترجمة: 3960.

(4) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أمه رقيقة بنت أبي صيفي، وكان يؤخذ عنه النسب شهد أحدا، مات بالمدينة زمن معاوية.
- الاستيعاب: 436/3 رقم الترجمة: 2378.
- الأسد: 331/4 رقم الترجمة: 4791.

(5) هي من الفرع على نحو من أربعين يوما وفي كتاب مسلم بن الحجاج على ستة وثلاثين يوما.
- معجم البلدان: 76/3.

(6) وادي الصفراء من ناحية المدينة وهو واد كثير النخل والزرع، وبينه وبين بدر مرحلة.
- معجم البلدان: 412/3.

وقال : ﴿إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش﴾، وكانت العير أحب إليهم، فقام أبو بكر فقال: «وأحسن»، ثم قام عمر بن الخطاب فقال : «وأحسن» ثم قام المقداد بن عمرو فقال : «يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك حيثما توجهت والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى[1] اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون فقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك، فوالذي بعثك بالحق لئن سرت بنا إلى برك الغماد[2] -يعني مدينة الحبشة- لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وأعجبه واستنار وجهه»[3] وقال : له خيرا ودعا له به ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أشيروا علي» وإنما يريد الأنصار فقال له سعد بن معاذ : «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال : فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت / به هو الحق، وأعطيناك (63ب) على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصُبر في الحرب صُدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله» هذا المشهور عن أصحاب المغازي والسير أن قائل هذا هو سعد بن معاذ[4]، وفي

---

(1) اقتباس ورد في قوله تعالى : ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾.
- الآية : 26 من السورة : 5 المائدة.

(2) بكسر «الغماد» المعجمة وقال ابن دريد : بالضم، والكسر أشهر، وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر.
- معجم البلدان : 399/1.

(3) الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب قول الله تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ : 60/5 الحديث : 452.
- وابن عقبة في المغازي ص : 128.
- وابن شهاب في المغازي ص : 24.
- وابن حجر في الفتح : 232/7 مع بعض الاختلافات اليسيرة في الروايات.

(4) وممن ذكروا سعد بن معاذ : ابن عقبة في المغازي : ص 128.
- وابن سعد في الطبقات : 15/2 - وابن سيد الناس في عيون الأثر : 298/1.
وفي سيرة ابن هشام ذكر سعد هكذا مطلقا : السيرة : 615/2.
وفي المغازي لابن شهاب : قال سعد بن عبادة.
- المغازي ص : 63.

صحيح مسلم[1] عن أنس أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة، وقد اختلف في شهوده قال ابن إسحاق[2] : «فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال : «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم» : ثم جعل يريهم مصارعهم يضع يده الكريمة على الأرض ها هنا وها هنا، ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، كان يريهم قدر ما بين هذا الميت وهذا، وكونه عند رأسه أو رجله أو عن يمينه أو شماله والله أعلم. ومنهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم، وقد أخبرهم أنه رآهم في منامه قليلا فسروا بذلك، فارتحل صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى[3] من الوادي، وكان الموضع الذي نزل به المسلمون كثيبا أعفر[4] دهسا[5] تسوخ فيه الأقدام وحوافر الخيل، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم، وأصبح المسلمون بعضهم جنب وبعضهم محدث، وأصابهم

---

(1) ففي الصحيح أخرج مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أنس أن رسول الله شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتلكم أبو بكر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة فقال : «إيانا تريد ؟ يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك العماد لفعلنا...» إلى آخر الحديث.

- رواه في كتاب الجهاد والسير باب غزوة بدر : 1122/3 الحديث رقم : 1779.

(2) سيرة ابن هشام : 615/2، وخبر مصارع القوم رواه البخاري في صحيحه في باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر.

- من حديث سعد بن معاذ : (282/7) من الفتح.

(3) وهي المشار إليها في قوله تعالى : ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾.

- الآية : 42 من السورة 8 الأنفال.

- وخبر نزولهم بالعدوة القصوى رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 130 وابن هشام في سيرته : 617/2.

(4) الرمل الأحمر : اللسان : 3009/4 مادة عفر.

- مقاييس اللغة : 62/4 مادة غفر.

(5) الدهاس من الرمال ما كان لا ينبت شجرا وقيل هو لين سهل، لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين.

والدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشي.

- اللسان : 1441/2 مادة دهس.

الظمأ وهم لا يصلون إلى الماء، ووسوس الشيطان لبعضهم، وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون وأنتم محدثون مجنبون ،وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكمون فيكم كيف شاءوا فأرسل الله السماء فأصابهم منها ما أطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام، وسال منه الوادي فشربوا وتطهروا وسقوا الركاب وملأوا الأسقية وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى : ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ أي من الإحداث والجنابة : ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ أي وسوسته، ﴿وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الأقدام﴾[1] حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الأرض، وأصاب العدو من ذلك ما لم يقدوا على أن يرتحلوا معه، وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش، فكان فيه ،وهو البيت الذي يستظل به، وكان معه صلى الله عليه وسلم أبو بكر ليس معه أحد غيره إلا أن سعد بن معاذ كان واقفا على باب العريش متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسونه صلى الله عليه وسلم خوف كرة العدو عليه ثم خرج من المشركين عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، ودعا إلى المبارزة[2] فخرج إليه فتية من الأنصار فقالوا: مالنا بكم من حاجة، إنما أردنا أكفاءنا[3] من قومنا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم حمزة وعليا وعبيدة بن الحارث، فقاموا إليهم، فبرز عبيدة لعتبة وحمزة لشيبة وعبيدة للوليد، فقتل حمزة وعلي كل منهما الذي بارزه، واختلف في عبيدة ومن بارزه بضربتين فكلاهما أثبت صاحبه ووقعت الضربة في ركبة عبيدة، فمال حمزة وعلي على

---

(1) وهي آية واحدة: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾.
– الآية : 11 من السورة 8 : الأنفال.

(2) وروى هذه المبارزة ابن هشام في سيرته : 619/2.
– وابن شهاب : ص : 65.
– وابن عقبة في المغازي : ص : 135.
– تاريخ الإسلام : 97/1.

(3) وفي رواية ابن شهاب : ص : 64 «أبرز إلينا أكفاءنا».

الذي بارز عبيدة فأعاناه على قتله، واحتملا عبيدة ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وكان كل من الفريقين قبل حضور القتال رأى عدوه قليلا فلما حضر القتال رأى المسلمون/ عدوهم مثل بهم، ثم التحمت الحرب، وقامت على ساق (64أ) وحمل الناس بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول «اللهم أنا أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم فلا تعبد في الأرض أبدا»[1] وأبو بكر يقول: «حسبك يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فقد ألححت عليه، وأنه سينجز لك ما وعدك» وإنما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء بالنصر مع تقدم وعد الله تعالى إياه به نظرا لسعة (علمه)[2] سبحانه ونفوذ مشيئته ،إذ ظاهر القول لا يقضي على باطن الوصف الموجب للخوف إذ قد يكون إطلاقه على وصف مخصوص قد انفرد الحق تعالى بعلمه، وإذ لا يحاط بأحكامه وكلامه جل وعز وهو سبحانه لا يدخل تحت الأحكام ولا تحيط بكلامه الأفهام، وذلك نتيجة خوف المكر الناشئ عن الهيبة والإجلال مع ما في ذلك من إظهار الافتقار الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه مراد الحق سبحانه منه في الوقت. وأبو بكر رضي الله عنه قال ما قال تصديقا بوعد الله الصادق، وتيقنا بإنجازه وأنه تعالى لا يخلف الميعاد، وذلك لغلبة حال الرجاء وحسن الظن بالله سبحانه مع ما حمله على ذلك من رقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورأفته به وشدة إشفاقه عليه لما رأى من نصبه في التضرع والدعاء حتى سقط الرداء عن منكبيه.

ويحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما فعل لعدم تعين الوقت فخاف من تأخره وعدم تنجيزه فاستنجزه مع ما فيه من تقوية قلوب أصحابه بدعائه

---

(1) حديث المناشدة أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير: 1109/3 الحديث رقم 1763.
- أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الأنفال: 56/5. الحديث رقم: 3092.
- وأخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي من حديث ابن عباس: فتح الباري: 287/7.
- وأخرجه ابن هشام في سيرته: 627/2.
- وابن عقبة في المغازي ص: 132.

(2) في ع (حمله).

وتضرعهن، وتعليم أمته اللجأ عند الشدائد، والله تعالى أعلم، ثم أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم، ثم استيقظ متبسما، فقال[1] : «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع» يريد الغبار ثم خرج من باب العريش وهو يتلو : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[2] وأنزل الله تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾[3] وفي الآية الأخرى ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾[4] إلى قوله ﴿مسومين﴾[5] فقيل إن الأكثر مددا للأقل وإن ﴿الألف﴾ هم الذين قاتلوا مع المؤمنين فجاء جبريل بألف من الملائكة في صور الرجال، فكان في خمسمائة من الملائكة[6] في الميمنة وميكائيل على خمسمائة في الميسرة، ووراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا وهم الآلاف المذكورين في سورة آل عمران، وكان إسرافيل في وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة، ونقول إنه أمدهم أولا بألف ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم صارت خمسة آلاف، وعلى هذا قيل[7] كان جبريل في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وميكائيل في ألف من

---

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته : عن ابن إسحاق : 627/2.
– وابن عقبة في المغازي : ص : 136.
(2) الآية : 45 من السورة : 54 القمر.
(3) الآية 9 من السورة : 8 الأنفال.
(4) جزء من الآية : 124 من السورة : 2 آل عمران.
(5) وردت في قوله تعالى : ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾.
– الآية : 125 من السورة : 2 : آل عمران.
(6) وخبر مشاركة الملائكة يوم بدر رواه ابن سيد الناس باللفظ نفسه الذي حكي به هنا في النص.
– عيون الأثر : 307/1.
(7) الخبر بطوله رواه ابن سعد في الطبقات : 16/2.
ويروي ابن سيد الناس عن أبي زميل قال حدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيان فنظر إليه إذا هو قد خطم انفه وشق وجهه... فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة.
– أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر، والخبر شاهد على مشاركة الملائكة يوم الحرب.

الملائكة عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ، وكانت على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم، وكانت تثبت المؤمنين يقولون لهم في صور الرجال اثبتوا فإن عدوكم قليل وإن الله معكم، وقال الله لملائكته ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ الآية[1] فكان قتلاهم كذلك يعرفون بآثار سود في الرؤوس والمفاصل، وكان يسقط رأس الرجل من المشركين لا يدري من ضربه وتسقط يده كذلك ويشير الرجل من المسلمين بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده[2].

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحد أحد، والشعار العلامة في الحرب ينادون بها ليعرف بعضهم بعضا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض أمر أصحابه أن لا يحملوا/ حتى (65ب) يأمرهم.

وقال: «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل»، فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء[3] فرمى بها في وجوههم، وقال شاهت الوجوه: أي قبحت فجعل الله تلك الحصباء عظيم شأنها، فلم يبق مشرك إلا ملأت عينيه ومنخريه وأمر أصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة واستولى عليهم المسلمون معهم الله وملائكته يقتلونهم ويأسرونهم، ويجدون كل واحد منهم مكبا على وجهه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه ومنخريه، فقتل الله من قتل من صناديد قريش أي رؤسائهم، وأسر من أسر من أشرافهم، ثم أمر

---

(1) وردت في قوله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين أمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾.
– الآية: 12 من السورة: 8 الأنفال.

(2) الخبر رواه ابن سعد في الطبقات: 26/2.

(3) روى ابن سيد الناس قال: قال: ابن عقبة عن ابن عائذ: فكانت تلك الحصباء عظيما شأنها لم تترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه.
– عيون الأثر: 309/1.

النبي صلى الله عليه وسلم بطرح قتلاهم[1] في القليب[2] وهو في العدوة الدنيا إلى المدينة من بطن يَلْيُلْ[3] فطرحوا إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها فألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه.

وعند ابن عائذ : ألقي بضعة وعشرين رجلا من صناديد قريش في طوى من أطواء بدر.

وفي البخاري أن أبي طلحة الأنصاري[4] : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش قذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث.

ثم ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم : «يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإني وجدت ما وعدني الله حقا»[5].

وقاتل يومئذ عكاشة بن محصن[6] الأسدي بسيفه حتى انقطع في يده، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزم فعاد في يده

(1) روى الكلاعي من رواية موسى بن عقبة : «وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليجروه فتزايل فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة».
– الاكتفاء : 38/2. – ورواه أيضا ابن عقبة في المغازي : ص : 139.

(2) ماء لبني ربيعة. – معجم البلدان : 394/4.

(3) بتكرير الياء مفتوحتين، ولامين وهو اسم قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة.
– معجم البلدان : 441/5.

(4) أبو طلحة الأنصاري واسمه زيد بن سهل الأنصاري النجاري الخزرجي شهد العقبة ثم بدرا توفي في خلافة عثمان.
– الاستيعاب : 260/4. رقم الترجمة 8085.
– الأسد : 183/5 رقم الترجمة : 6029.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : 1746/4. الحديث رقم : 2873.
– وأخرجه البخاري في كتاب المغازي : 170/5 الحديث 774 باب قتل أبي جهل.
– وأخرجه ابن عقبة في المغازي ص : 140. – وابن شهاب في المغازي ص : 65.

(6) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدي خليف لبني أمية كان من فضلاء الصحابة شهد بدرا وأحدا والخندق، توفي في خلافة أبي بكر.
– الاستيعاب : 188/3 رقم الترجمة 1856. – سير أعلام النبلاء : 307/1.

سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، فكان ذلك السيف يسمى بالعون، و لم يزل عنده يشهد به المشاهد حتى قتل وهو عنده، وكذلك أعطى يومئذ سلمة بن أسلم بن الحريش[1] لما انكسر سيفه قضيبا كان في يده، فقال له : اضرب به فإذا سيف جيد، فكان عنده حتى مات، وضرب معاذ ابن عمرو بن الجموح[2] ضربة على يده فطرحت وتعقلت بجلده من جسمه، فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن وهب[3] فلصقت ثم عاش حتى كان زمان عثمان. وكان معاذ هذا قطع رجل أبي جهل وصرعه وضرب عكرمة بن أبي جهل[4] يد معاذ فطرحها، ثم ضرب معوذ بن عفراء أبا جهل حتى أثبته ثم تركه وبه رمق، ثم دفّف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس أبا جهل في القتلى وقيل عن الذي ضرب أبا جهل وطرحت يده هو معاذ بن عفراء لا معاذ بن عمرو بن الجموح[5].

واختلف في موت معاذ بن عفراء، فقال ابن منده[6] : قتل يوم بدر، و لم يتابع عليه

---

(1) سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة الأنصاري الحارثي شهد بدرا والمشاهد كلها، قتل يوم جسر أبي عبيد سنة أربع عشرة.
- الاستيعاب : 198/2 رقم الترجمة : 1020. - الأسد : 288/2 رقم الترجمة : 2151.
- الوافي بالوفيات : 441/15. - البداية والنهاية : 319/3.

(2) معاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد بن حرام السلمي الخزرجي الأنصاري شهد العقبة وبدرا مات في خلافة عثمان.
- الاستيعاب : 465/3 رقم الترجمة : 2451. - الأسد : 408/4 رقم الترجمة 4963.

(3) رواية ابن وهب ذكرها ابن سيد الناس عن أبي الفضل عياض بن موسى .
- عيون الأثر : 313/1.

(4) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي أسلم سنة ثمان بعد الفتح قتل يوم اليرموك في خلافة عمر.
- الاستيعاب : 109/3، رقم الترجمة : 1857. - الأسد : 566/3 رقم الترجمة : 3735 .
- طبقات ابن سعد : 329/5. - سير أعلام النبلاء : 323/1.

(5) رواه ابن هشام في سيرته : 635/2.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 313/1.

(6) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده العبدي الأصبهاني أبو القاسم حافظ، مؤرخ من كتبه تاريخ أصبهان.
- فوات الوفيات : 260/1.

وقيل إنه جرح يوم بدر فمات من جراحته بالمدينة، وقيل إنه عاش إلى زمن عثمان، وقيل مات في خلافة علي بن أبي طالب والله أعلم.

وأما معوذ بن عفراء، فقاتل حتى قتل يومئذ شهيدا.

واستشهد «يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين وستة من الخزرج واثنان من الأوس، وقيل خمسة من الأوس وثلاثة من الخزرج. وقتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون»[1] وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب[2] ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب[3] وكل من الثلاثة أسلم.

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في آخر رمضان بعث عبد الله بن رواحة[4] بشيرا إلى أهل عالية المدينة، وهي ما كان منها من جهة نجد والقبلة من القرى والعمائر كقباء والسنج[5] وهو أدناها، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وهي ما كان منها دون ذلك من جهة تهامة، فوصل زيد المدينة ضحى، فوافاهم قد نفضوا أيديهم من تراب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي رقية على الصحيح، وكان عثمان

(1) وهو ما رواه موسى بن عقبة في المغازي ص : 143.
- وابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير : 112.
- وابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 2/705 —706 —707.
- والبيهقي في الدلائل : 3/122.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 1/341.

(2) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، يكنى أبا يزيد أسلم قبل الحديبية، شهد غزوة مؤتة.
- الاستيعاب : 3/186 رقم الترجمة : 1853. — الأسد : 3/559 رقم الترجمة : 3726.
- سير أعلام النبلاء : 3/99. — البداية والنهاية : 8/47.

(3) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يكنى أبا الحارث أسلم وهاجر الخندق توفي بالمدينة في خلافة عمر.
- الاستيعاب : 4/75 رقم الترجمة : 2571.
- الأسد : 4/573 رقم الترجمة : 5310.

(4) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي يكنى أبا محمد أحد نقباء شهد المشاهد، قتل يوم مؤتة شهيدا.
- الاستيعاب : 3/33 رقم الترجمة : 1548. — الأسد : 3/129.
- سير أعلام النبلاء : 1/230. — الوافي بالوفيات : 17/8.

(5) في أ، الشنج وقال صاحب معجم البلدان هي من أعظم قرى مرو.

رضي الله عنه قد تخلف لأجلها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره، وهكذا ذكره ابن إسحاق[1].

وقال غيره/ بل كان مريضا به الجدري : «فقال له رسول الله صلى الله عليه (66أ) وسلم : ارجع وضرب له بسهمه وأجره»[2] فهو معدود في البدريين لذلك.

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرصة ثلاثا، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، ثم أقبل قافلا إلى المدينة حتى إذا خرج من مضيق الصفراء[3] إلى شعب سير[4] قسم الغنائم بين المسلمين على السواء، ثم لقيه المسلمون بالروحاء يهنئونه[5].

وأمر عليا بالصفراء بقتل النضر بن الحارث[6] هذا المعروف فيه.

ونقل أبو ذر الخشني، عن ابن حبيب أن النضر بن الحارث أسلم والله أعلم، ثم بعرق الطبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط فقال : «من للصبية يا محمد ؟ قال : النار، ونادى يا معشر قريش مالي أقتل بينكم صبرا ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بكفرك وافترائك على رسول الله، صلى الله عليه وسلم»[7].

وروى أن عمر قال له ما معناه : لست من قريش، وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، وكان جده أبو عمرو بن أمية ابن زنى فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. وقيل أخوه عامر بن ثابت[8]، وقيل علي بن أبي طالب، وقيل قتل عند

(1) سيرة ابن هشام : 642/2.
(2) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب تسمية من سمي من أهل بدر.
في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله : 185/5. – ورواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 295/1.
(3) وادي الصفراء من ناحية المدينة وهو واد كثير النخل بينه وبين بدر مرحلة.
– معجم البلدان : 412/3.
(4) وراء كثيب بين المدينة وبدر.
– معجم البلدان : 296/3.
(5) أخرجه ابن هشام في سيرته : 643/2.
(6) النضر بن الحارث بن علقمة القرشي العبجر من المهاجرين يكنى أبا الحارث حضر اليرموك وقتل بها شهيدا.
– الاستيعاب : 87/4 رقم الترجمة : 2687. – الأسد : 521/4 رقم الترجمة : 5212.
(7) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 317/1.
(8) عامر بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري أخو عاصم بن ثابت هو الذي ولي ضرب عنق بن أبي معيط يوم بدر.
– الاستيعاب : 338/2 رقم الترجمة 1330. – الأسد : 14/3 رقم الترجمة : 2685.

الانصراف من بدر قبل النضر. وممن قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صبرا أيضا طعيمة بن عدي[1] من بني نوفل[2] بن عبد مناف بن قصي يعرف بالأعرج، وهو عم جبير بن مطعم[3] روى قتله يومئذ عن ابن عباس، والأشهر أن حمزة قتله في المعركة ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة، قبل الأسارى بيوم، وفرقهم بين أصحابه، وقال «استوصوا بهم خيرا»[4]، ثم مات بعضهم في الأسر، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعضهم، وفودي سائرهم كل على قدر ماله، وأنزل الله في قصة بدر سورة الأنفال.

- سرية عمير بن عدي الخطمي[5] المدعو القارئ قارئ بني خطمة[6] وإمامهم :

وكانت لخمس ليال بقين من رمضان[7] إلى عصماء وقيل عصيماء بنت مروان، من بني أمية بن زيد من الأوس، وهي زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت يهودية، فكانت تعيب الإسلام، وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان عمير ضرير البصر فجاءها ليلا فقتلها ،ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأخبره فقال : «نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال : هل علي شيء من شأنها يا رسول الله ؟

---

(1) من رؤساء قريش في الجاهلية قتل يوم بدر قتله حمزة وعلي.
– الأعلام : 327/3.

(2) بطن من عبد مناف من قريش من العدنانية.
– معجم القبائل : 1202/3.

(3) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبا محمد أسلم يوم الفتح.
– الاستيعاب : 303/2 رقم الترجمة : 315.

(4) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب العلم باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم : 296/4 الحديث رقم : 2659. وعند ابن إسحاق : «استوصوا بالأساري خيرا».
– سيرة ابن هشام : 645/2.
– ورواها ابن سيد الناس في عيون الأثر : 318/1.

(5) عمير بن عدي الخطمي إمام خطمة وقارئهم الأعمى، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد.
– الاستيعاب : 291/3. رقم الترجمة : 2010.

(6) خطمة : موضع في أعلى المدينة :
– معجم البلدان : 379/2.

(7) قال ابن سعد «لخمس ليال بقين من رمضان» وزاد على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجره.

فقال: «لا ينتطح فيها عنزان»[1] أي إن شاء الله قتلها هين، ودمها هدر لا يجري فيه خلاف ولا نزاع، ولا يكون فيه طلب ثأر، ولا يعارض فيه معارض، قالوا : وهذا من كلامه صلى الله عليه وسلم، فرجع عمير إلى قومه من خطمة، وهي من الأوس فأخبرهم أنه قاتل المرأة، وقال لهم فكيدون جميعا ثم لا تنظرون، وأظهر إسلامه.

وكان من أسلم فيهم يستخفي بإسلامه فمن يومئذ عز الإسلام فيهم وأسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام.

- سرية سالم بن عمير بن ثابت الأنصاري[2] أحد البكائين :

وقبل سالم بن عبد الله إلى أبي عفك اليهودي من بني عمرو بن عوف[3]، وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سالما هذا فأتاه ليلا فقتله، وذلك في شوال[4] وقيل : إن قتل أبي عفك سابق على قتل عصماء بنت مروان وإنها بسبب قتله نافقت وعابت الإسلام وقالت ما قالت[5].

- غزوة بني سليم :

وهي غزوة قرقرة الكدر قال ابن سعد : ويقال : قرارة الكدر[6] والقرقرة : أرض ملساء بناحية معدن بني سليم بها ماء من مياه بني سليم يقال له الكدر جمع أكدر

(1) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، والغزوة بتمامها أخرجها ابن سعد في الطبقات : 27/2.
—وابن سيد الناس في عيون الأثر : 350/1.

(2) سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها : توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان وهو أحد البكائين.
— الاستيعاب : 135/2 رقم الترجمة : 585.
— الأسد : 174/2 رقم الترجمة : 1900.

(3) قال فيه ابن سعد : شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يهوديا.
— الطبقات : 82/2.

(4) قال ابن سعد : في شوال على رأس عشرين شهر من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
— الطبقات : 82/2

(5) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 28/3.
— وابن سيد الناس في عيون الأثر : 351/1.

(6) الطبقات : 31/2.

ثمانية بدر من المدينة، وكانت هذه الغزوة في أول شوال/[1].

وقال ابن إسحاق : بعد القدوم من بدر بسبع ليال[2] وقال ابن سعد[3] في نصف المحرم سنة ثلاث، وذكرها بعد غزوة السويق.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه يريد بني سليم وحمل اللواء علي بن أبي طالب[4] واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم[5]، وقيل هو أو سباع بن عرفطة الغفاري[6] وقيل : محمد بن مسلمة الأنصاري[7]، وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم وغطفان، فسار إليهم فلم يجد في محالهم أحدا فأقام هناك ثلاثا وقيل عشرا، وبعث نفرا من أصحابه في أعلى الوادي، واستقبلهم هو صلى الله عليه وسلم في بطن الوادي فأصابوا نعما، وكان عددها خمسمائة بعير وغلاما اسمه يسار، فلما كان بصرار على ثلاثة أميال من المدينة من جهة المشرق قسم الغنيمة، فعزل منها الخمس ثم قسم أربعة أخماسها على المسلمين، فأصاب كل رجل منهم بعيرين، وصار يسار في سهم النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(1) رواه ابن هشام في سيرته : 44/3.

(2) سيرة ابن هشام : 43/3.

(3) ما قاله ابن سعد : كانت للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهر من مهاجره : الطبقات : 31/2.
وهو مخالف معنى ومبنى لما ورد في النص، لأن ما قاله ابن سعد رأس ثلاثة وعشرين شهرا من السنة الثانية، وما جاء في النص «سنة ثلاث» وهذا تصحيف لأن الغزوة كانت في السنة الثانية، ولعله وقع سقط من النص بسبب الناسخ، أو سهو من المؤلف نفسه والله أعلم.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 31/2.

(5) وهو قول ابن سعد في الطبقات : 31/2.

(6) وقال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة أو ابن أم مكتوم.
– سيرة ابن هشام.
– وفي ترجمته قال ابن عبد البر : سباع بن عرفطة استعمله النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل وهو من كبار الصحابة.
– الاستيعاب : 241/2 رقم الترجمة : 1134.
– الأسد : 188/2.

(7) يكنى أبا عبد الرحمن وهو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة شهد بدرا والمشاهد كلها ومات بالمدينة.
– الاستيعاب : 433/3 رقم الترجمة 2732.
– الأسد : 318/4 رقم الترجمة : 4761.
– طبقات ابن سعد : 443/3.

ثم رآه يصلي، وفي رواية : يحسن الصلاة فأعتقه وانصرف وقد غاب خمس عشرة ليلة و لم يلق كيدا[1].

- غزوة بني قينقاع :

بطن من يهود المدينة بطرفها، قال الواقدي : وابن سعد[2] : كانت يوم السبت نصف شوال بعد وقعة بدر بشهر، وبعضهم لم يذكرها في الغزوات.

وبعضهم ذكرها[3] و لم يذكر عمرة القضاء، وكانت طوائف اليهود معه صلى الله عليه وسلم على الموادعة كما تقدم، فكان أول من نقض العهد منهم بنو قينقاع. وكان من أمرهم أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي فراودها على كشف وجهها فأبت فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقلته فشدت اليهود على السلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع، ونقضوا العهد فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر[4] هكذا عند ابن هشام[5]، في سبب هذه الغزوة.

وقال ابن سعد[6] لما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد والمدة، فأنزل الله تعالى : ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾[7] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا أخاف من بني قينقاع»

---

(1) وخبر هذه الغزوة رواه إسحاق في سيرة ابن هشام : 43/3.
– وابن سعد في الطبقات : 31/2.
– وابن سيد الناس مختصرة في عيون الأثر : 352/1.
(2) الطبقات : 28/2.
(3) ذكرها ابن هشام في سيرته : 47/3.
(4) أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري قال موسى بن عقبة اسمه بشير بن عبد المنذر كان نقيبا شهد العقبة وبدرا، مات في خلافة علي رضي الله عنه.
– الاستيعاب : 303/4 رقم الترجمة : 3180.
– الأسد : 267/5 رقم الترجمة 6198.
(5) سيرة ابن هشام : 48/3.
(6) الطبقات : 29/2.
(7) الآية : 58 من السورة : 8 الأنفال.

هكذا نقل عنه، فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض فقذف الله في قلوبهم الرعب.

قال ابن سعد[1] : «ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن له أموالهم ولهم النساء والذرية، فأمر صلى الله عليه وسلم بتكتيفهم، واستعمل على كتافهم[2] المنذر بن قدامة[3] الأنصاري الأوسي من بني غنم[4] بن السلم، وكانوا سبعمائة مقاتل أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، فكلمه فيهم ابن أبي المنافق[5] وألح في الرغبة، وكانوا حلفاء له فأمر بحلهم وتركهم من القتل، ثم أمر بإجلائهم من المدينة، فلحقوا بإذراعات من أرض الشام بنسائهم وذريتهم وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة».

قال ابن سعد[6] : «فخمس الغنيمة، وفض أربعة أخماسها على أصحابه صلى الله عليه وسلمن فكان أول من خمس بعد بدر»، وهذا بناء منه على قوله بتأخير غزوة بني سليم عن غزوة السويق، وإلا فقد تقدم عن غيره ذكر التخميس في غزوة بني سليم أيضا، وقوله نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن له أموالهم/ ولهم (68أ) النساء والذرية هكذا نقله ابن سيد الناس[7] وفيه كدافع فيما يظهر، فإن قوله : نزلوا على

(1) الطبقات : 29/2.
(2) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 354/1.
(3) المنذر بن قدامة الأنصاري بن مالك بن الأوس ذكره ابن عقبة وغيره من البدريين.
– الاستيعاب : 13/4 رقم الترجمة : 2524.
– الأسد : 478/4 رقم الترجمة : 5108.
(4) بطن من بني سلمة من الخزرج من القحطانية.
– معجم القبائل : 894/3.
(5) في سيرة ابن هشام : 49/3، وفي الطبقات 29/2 أن الذي كلمه فيهم زعبد الله بن أبيس وليس ابن أبي المنافق، وقد يكون واحد.
قال ابن هشام وفيه نزل قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتوله منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ أي لعبد الله بن أبي.
– الآية 25 وجزء من الآية 35 من السورة : 5 المائدة.
(6) الطبقات : 30/2.
(7) عيون الأثر : 354/1.

حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضي أنه لم يكن صلح بل نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم يحكم فيهم بما أراه الله، وقوله : فأمر بتكتيفهم، وقوله : فأمر بحلهم وتركهم من القتل موافق له مبين لما حكم به وهو القتل.

وقوله : «على أن لهم النساء والذرية» يقتضي أنهم نزلوا على صلح لا على تحكيم على أن للنبي صلى الله عليه وسلم الأموال ولهم النساء والذرية، وقوله لهم : يقتضي بقاءهم وأماتهم في أنفسهم، وإذا كان نزولهم على هذا، ولم يكن تحكيم، فلم يكن ليغدرهم صلى الله عليه وسلم، ولا سبيل إلى قتلهم وغدرهم، ولعل الصواب فحكم بأن له أموالهم دون النساء والذرية إلا أن يكون المراد بالرجال المبقين العائد إليهم الضمير في قوله لهم : غير المقاتلة من الشيوخ والزُّمنا، ونحوهم ممن لا يقتل والله أعلم.

والمنقول عن غيره أنه حاصرهم حتى نزلوا على حكمه ثم ألح ابن أبي فيه حتى تركهم من القتل.

- غـزوة السويـق[1] :

كان سببها[2] أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة نذر أن لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم، فخرج في مائتي راكب، وقيل أربعين من قريش ليبر يمينه حتى نزل بصدر قناة على نحو بريد من المدينة، ثم أتى ليلا أو بعث رجلا من أصحابه، فأتوا ناحية العريض[3] واد على ثلاثة أميال من المدينة به أموال لأهلها، فحرقوا به نخلا وأبياتا هناك، وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفا

---

(1) السويق : هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تطحن ثم يسافر بها، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن.
قال ابن هشام سبب تسميتها بغزوة السويق فيما حدثني أبو عبيدة أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السوبق، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق.
– سيرة ابن هشام : 45/3.

(2) هكذا رواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب: – المغازي لابن عقبة : ص : 179.
ورواه عروة بن الزبير من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود : – انظر الدلائل للبيهقي : 165/3.
– وابن سعد في الطبقات : 30/2.
– وابن هشام في سيرته : 45/3.

(3) قال أبو بكر الهمذاني : هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي.
– معجم البلدان : 114/4.

له يقال له معبد بن عمرو فيما قاله الواقدي[1] في حرث لهما. فرآى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه، فانصرف بقومه راجعين ونذرهم الناس، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار يوم الأحد خامس ذي الحجة[2].

وقيل في ذي القعدة، وقيل في صفر سنة ثلاث. واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبدا لمنذر[3] ثم سار حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وطرحوا من أزوادهم (يتخففون للنجاء)[4]، وكان أكثر ما طرحوا السويق فهجم المسلمون على سويق كثير. فسميت غزوة السويق[5] فقال المسلمون حين رجع بهم النبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله : أتطمع أن تكون لنا غزوة قال : نعم وكانت غيبته خمسة أيام[6].

وفي هذه السنة تحولت[7] القبلة إلى الكعبة في نصف رجب يوم الإثنين على الصحيح وبه جزم الجمهور. ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس، وحولت والنبي صلى الله عليه وسلم في منازل بني سلمة على الصحيح يصلي لأصحابه صلاة الظهر قد صلى ركعتين، وهو راكع في الثانية، فاستدار إلى الكعبة، واستقبل المحراب، واستداروا خلفه فسمي مسجد القبلتين، وكان صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة بين الركنين نحو بيت المقدس والكعبة بينه وبينه على المختار، ثم قدم

(1) مغازي الواقدي : 181/2.
(2) قال ابن سعد : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره.
- الطبقات : 30/2.
(3) رواه ابن هشام في سيرته : 45/3.
- وابن سعد في الطبقات : 30/2.
(4) ما بين القوسين : سقط من ع.
(5) رواه ابن هاشم في سيرته : 45/3.
(6) الخبر رواه البيهقي في الدلائل : 164/3.
- وذكرها الذهبي باختصار في تاريخ الإسلام :
(7) عن موسى بن عقبة عن الزهري قال : وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام في رجب على رأس ستة عشرة شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء وهو يصلي نحو بيت المقدس.
- المغازي لابن عقبة . ص : 116.
- ورواه أيضا ابن هشام في سيرته : 550/2.
- وأخرجه البخاري في الصحيح من حديث البراء بن عازب، انظر الفتح : (1/95 -26 -50).
- ورواه ابن سعد في الطبقات : 241/2.

المدينة فبقي على حاله يستقبل بيت المقدس، وكان يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت الآية[1].

وفي هذه السنة أيضا فرض صيام رمضان لليلتين خلتا من شعبان وزكاة الفطر قبل العيد بيومين، وخطب صلى الله عليه وسلم الناس يعلمهم إياها قبل أن تفرض زكاة الأموال[2].

وفي زكاة الأموال أقوال : قيل فرضت في السنة الثالثة، وقيل في الرابعة، وقيل في التاسعة، وقيل مع زكاة الفطر، وقيل قبل فرض رمضان، وقيل قبل الهجرة، وفي أول شوال صلى صلاة الفطر.

وفي ذي الحجة صلى صلاة عيد الأضحى، وأمر بالأضحية وضحى بكبشين/ (69أب) أحدهما عن أمته، والآخر عن محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل في السنة الأولى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة العيد وحملت بين يديه الحربة.

وفي هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير في شوال، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في السنة الأولى، وهو أول مولود في الإسلام بالمدينة، وكانت اليهود تزعم أنها سحرتهم فلا يولد لهم. وفيها ولد النعمان بن بشير في ربيع الآخر منها وهو أول مولود للأنصار في الإسلام، وقيل أول مولود لهم مسلمة بن مخلد[3] وأنه ولد (مقدم)[4] النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرة سنين. وقيل كان سنه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أربع سنين. وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة، وفيها مات عثمان بن

---

(1) وهي قوله تعالى : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ الآية 144 من سورة البقرة : 2.

(1) الرواية أخرجها ابن سعد في باب سماه : ذكر فرض شهر رمضان وزكاة الفطر وصلاة العيدين وسنة الأضحية.
– الطبقات : 248/1.

(3) مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار الأنصاري الساعدي يكنى أبا معين ولد حين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ولاه معاوية مصر، توفي آخر خلافة معاوية.
– الاستيعاب : 454/3 رقم الترجمة : 3432. – الأسد : 381/4 رقم الترجمة 4917.
– وفيات الأعيان : 215/7. – سير أعلام النبلاء : 249/3.

(4) في : ع (حين مقدم).

مظعون رضي الله عنه بعد مشهده بدرا وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وقيل مات على رأس ثلاثين شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة.

«السنة الثالثة»

- غزوة غطفان :

وهي غزوة ذي أمر[1] – بتشديد الراء– من المرارة، وهو موضع به ماء بناحية نجد على ثلاثة مراحل من المدينة، وسماها الحاكم وغيره غزوة أنمار، وهي قبيلة منها خثعم.

واختلف في نسب أنمار، فقيل هو ابن نزار بن معد بن عدنان، وقيل : إنه من ولد كهلان بن سبإ[2]، وقيل : غزوة أنمار غزوة غطفان، وعلى التعدد فقيل : كلاهما في السنة الثالثة، ثم قيل : إن غزوة غطفان في المحرم منها.

وقال ابن سعد[3] : أنه صلى الله عليه وسلم خرج إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وسببها أن جمعا من بني ثعلبة[4] من غطفان، وبني محارب من قيس غيلان تجمعوا يريدون الإغارة، وأن يصيبوا من أطراف المدينة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي)[5] وسماه الخطيب : غورث–بالمثلثة–، وسماه غيره غورك – بالكاف بدل المثلثة–، وكان شجاعا فندبه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين رجلا ومعهم أفراس.

(1) قال الواقدي هو من ناحية النخيل وهو بنجد من ديار غطفان.
– معجم البلدان : 252/1.

(2) كهلان بن سبأ بن يعرب من قحطان جاهلي قديم، بنوه قبائل ضخمة منها همذان والأزد وطيء ومذحج، وكانت لهم إمارة اليمن.

(3) الطبقات : 34/2.

(4) فخذ من غطفان من العدنانية : وهم بنو ثعلبة بن أمية بن الضبيب بن قرط.
– معجم القبائل : 143/1.

(5) دعثور بن الحارث الغطفاني، أورده أبو سعيد النقاش في الصحابة.
– الأسد : 6/2 رقم الترجمة : 1512.
– الإصابة : 163/2 رقم الترجمة 2932.

واستخلف على المدينة عثمان بن عفان[1] فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم عليهم هربوا في رؤوس الجبال، فلم يلحق منهم أحد لكنه ينظر إليهم في رؤوس الجبال ينظرون إليه، وأصاب الصحابة رجلا منهم يقال[2] جبار من بني ثعلبة فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره ذا أمر فأصابهم مطر فنزع النبي صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا، واضطجع تحتها، وذلك بمرء من الكفار فجاء دعثور بن الحارث، ومعه سيف حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني فقال: لا أحد: أشهد أن لا إلاه إلا الله وأنك رسول الله، ثم أتى قومه فجعل يدعوهم إلى الإسلام[3] ثم رجع صلى الله عليه وسلم و لم يلق كيدا، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة[4].

وقال ابن إسحاق[5]، وأقام بنجد صفر كله أو قريبا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا.

- سرية[6] محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف الطائي اليهودي النضري[7]:

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة من الأوس لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول[8] وهم: محمد بن مسلمة / الحارثي حليف بني عبد الأشهل (70أ)

(1) رواه ابن عثمان في سيرته: 46/3.
(2) في النسخة: ع: يقال له.
(3) وفي ذلك نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.
– الآية: 12 من السورة: 5: المائدة.
(4) والغزوة أخرجها ابن سعد في الطبقات: 34/2.
(5) سيرة ابن هشام: 46/3.
(6) وأطلق عليها ابن سعد: سرية قتل كعب بن الأشرف.
– الطبقات: 31/2.
(7) رواه ابن عقبة عن ابن شهاب قال كان كعب بن الأشرف اليهودي وهو أحد بني النضير وقيمهم قد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء.
– مغازي ابن عقبة: ص: 180.
(8) رواه ابن سعد في الطبقات: 31/2.

وأبو نائلة سلكان بن سلامة الأشهلي[1] وكان أخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر الأشهلي[2] وأبو عبس بن جبر الحارثي[3] وكان كعب شاعرا، فكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويؤذيه بشعره، ويحرض عليه كفار قريش، ويقويهم عليه، فذهبوا إليه فقتلوه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة فقيل: إنه أول رأس حمل في الإسلام[4].

- غزوة بحران[5]:

وتسمى غزوة الفرع[6] وغزوة بني سليم[7] وغزوة الكدر وقرقرة الكدر[8]. واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن هشام[9].

وخرج صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن إسحاق[10] «يريد قريشا حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة».

---

(1) أبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، شهد أحدا، وكان شاعرا.
- الاستيعاب: 329/4 رقم الترجمة: 3230. - الأسد: 313/5 رقم الترجمة: 6298.

(2) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري يكنى أبا بشر شهد بدرا وأحد.
- الاستيعاب: 350/2. رقم الترجمة: 1362. - الأسد: 45/3 رقم الترجمة: 2759.
- سير أعلام النبلاء: 337/1.

(3) هو عبد الرحمان بن جبر الأنصاري شهد بدرا والمشاهد. - الاستيعاب: 270/4.

(4) مقتل كعب بن الأشرف أخرجه البيهقي في الدلائل: 190/3. - وعمر بن شبة في تاريخ المدينة.
- والذهبي في تاريخ الإسلام: 177/1. - والكلاعي في الإكتفا: 85/2.
- وابن كثير في السيرة: 11/3.

(5) موضع بناحية الفرع، قال الواقدي: بين الفرع والمدينة ثمانية برد. - معجم البلدان: 341/1.

(6) أطلق عليها ابن هشام: غزوة الفرع من بحران. - سيرة ابن هشام: 46/3.

(7) وأطلق عليها ابن سعد: غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بني سليم.
- الطبقات: 35/2.

(8) وابن سيد الناس غزوة قرقرة الكدر. - عيون الأثر: 355/1.

(9) سيرة ابن هشام: 46/3.

(10) سيرة ابن هشام: 46/3.

وقال ابن سعد[1] خرج لست خلون من جمادى الأولى، وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا (كبير)[2] من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع فلم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال.

وبحران : بموحدة فمهملة بوزن سكران عثمان. والفرع : قيده عياض[3] في المشارق، وغير واحد بضم الفاء والراء. وقال في التنبيهات : «كذا قيده الناس وكذا رويناه».

ثم حكى عن عبد الحق : أنه نقل فيه عن الأحوال سكون الراء مع ضم الفاء، فاقتصر عليه، وعلى هذا الثاني اقتصر في القاموس. وهو عمل واسع عن يسار السقيا على أربع مراحل من المدينة، وأخطأ من نقل عن السهيلي أنه ضبطه بفتحتين وإنما ضبطه بضمتين[4] تبعا للبكري. وتكلم عليه بما له من الكلام علة، والذي ضبطه السهيلي بفتحتين هو الموضع بين الكوفة والبصرة، وكذلك ضبطه غيره.

وجعل ابن عبد البر هذه الغزوة بعد بني قينقاع. والذي عند ابن فارس، وتبعه المحب الطبري أنه غزا بني قينقاع، ثم غزا غزوة السويق، ثم غزا بني سليم بالكدر ثم غزا ذا أمر قالا : وهي غزوة غطفان، ويقال غزوة أنمار. وهذه الأربع في بقية السنة الثانية.

- سرية زيد بن حارثة إلى القردة :

ماء من مياه نجد ناحية ذات عرق قال ابن إسحاق[5] : «وكان من حديثها أن قريشا خافوا في طريقهم التي يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار ومعهم فضة كثيرة، وهي عُظْم تجارتهم،

(1) الطبقات : 35/2.
(2) في النسخة : ع : كثيرا.
(3) أبو الفضل عياض بن موسى بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي إمام في الحديث والنحو واللغة له كتاب مشارق الأنوار
– التعريف بالقاضي عياض : ص : 2.
– وفيات الأعيان : 483/3.
– البداية والنهاية : 244/12.
– شجرة النور : ص : 140.
(4) وكذلك ضبطه ابن هشام في سيرته : 46/3
– وابن سعد في الطبقات : 35/2.
(5) سيرة ابن هشام : 50/3.

واستأجروا رجلا من بكر ابن وائل، ثم من بني عِجل بن لُجيم[1] يقال له فرات بن حيان[2] يدلهم في ذلك الطريق».

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، وفيهم أبو سفيان بن حرب، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخمسها فبلغ الخمس عشرين ألف درهم، وقيل خمسة وعشرين ألف درهم، وأسر فرات بن حيان، ثم أسلم وحسن إسلامه. وهذه السرية أول سرية خرج فيها زيد أميرا، وكانت لهلال جمادى الآخرة فيما قاله ابن سعد[3]. وذكرها ابن إسحاق[4] قبل قتل ابن الأشرف.

وعند ابن حجر أنها كانت في جمادى الآخرة من السنة الخامسة.

والقردة : في ضبطه أقوال فقيل هو بالفاء المروسة، وبالقاف بدلها -بوزن سجدة- وقيل : بالفاء والراء المفتوحتين، وقيل بالفاء وكسر الراء، وقيل بفتح الفاء وسكون الراء/[5] . (71ب)

- **غزوة أحد :**

وأحد جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها، وكانت هذه الوقعة[6] على المشهور يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث، وقيل لسبع

---

(1) بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة، وهم الذين هزموا الفرس بمؤتة يوم ذي قار.
- معجم المؤلفين : 757/2. - الاشتقاق : 207.
- معجم البلدان : 704/1.

(2) فرات بن حيان بن ثعلبة العجلي من بني عجل بن لجيم حليف لبني سهم يعد في الكوفيين.
- الاستيعاب : 324/3 رقم الترجمة : 2094. - حلية الأولياء : 17/2.
- الأسد : 47/4 رقم الترجمة : 4199.

(3) الطبقات : 58/2.

(4) سيرة ابن هشام : 50/3.

(5) وهذا الاختلاف في ضبطها (القردة) أشار إليه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 364/1. وابن سيد الناس ضبطها بالفاء.
- وابن هشام وابن إسحاق بالقاف.

(6) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في حديثه عن عروة قال : «كانت وقعة أحدن على رأس ستة أشهر من وقعة بني النضير».
- مغازي ابن شهاب ص : 76.
- وعند الواقدي : 199/1 أن غزوة أحد كانت «يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنتين=

خلون منه، وقيل في نصفه وكان من خبرها أن قريشا لما رجعوا من بدر إلى مكة، وقد أصيب أهل القليب، ورجع أبو سفيان بعيره قال جماعة منهم ممن أصيب أباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم : يا معشر قريش : إن محمدا قد وتركم[1] وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، يعنون عير أبي سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا أن ندرك منه ثأرا فأجابوا لذلك فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار[2] وفيهم أنزل الله ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ الآية[3].

واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحركوا لذلك من أطاعهم من القبائل، وحرضوهم عليه، وخرجوا بأحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة، وأن لا يفروا، وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بخبرهم، سار بهم أبو سفيان بن حرب حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة. وقيل بعينين جبل بجبال أحد بينه وبينه واد. وهو ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة قبلي مشهد حمزة رضي الله عنه[4].

وكان من قد فاته شهود بدر أسفوا على ما فاتهم منه، فألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إليهم، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : «إني رأيت[5]

=وثلاثين شهرا» وجاء عند خليفة بن خياط : 29/1 في حوادث سنة ثلاث : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عشية الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شوال» وفي تاريخ الإسلام : 183/2 وفيه «يوم السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شوال» سنة ثلاث، ووافق ابن سعد الواقدي .
– الطبقات : 36/2.

(1) في النسخة : ح : قد (تركىكم).
(2) والرواية أخرجها ابن هشام في سيرته : 60/3.
– وابن سعد في الطبقات : 37/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 5/2.
(3) جزء من الآية : 36 من السورة 8 الأنفال.
(4) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 7/2.
(5) هذه الرؤيا أخرجها ابن عقبة في المغازي : ص : 183.
– وابن شهاب في المغازي ص : 76.
– وابن سعد في الطبقات : 38/2.
– وهناك خلاف بين الرواة حول نص الرؤيا وتأويلها انظر في ذلك الفتح لابن حجر: 627/6، 375/7، 427/12.

البارحة يعني ليلة الجمعة –والله خيرا– رأيت بقرا – لي تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها زالمدينةس فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وزموا من فوق البيوت، فأبى أولئك القوم إلا الخروج».

فعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية[1] لواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب، وقيل بيد مصعب بن عمير. ولما قتل مصعب دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب. ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر، وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء للأوس بيد أسيد بن حضير، واستعمل على المدينة فيما قاله ابن هشام[2] ابن أم مكتوم للصلاة بالناس، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين، ولبس صلى الله عليه وسلم لامته، وظاهر بين درعين، وتقلد سيفه. وخرج بعد صلاة الجمعة أو العصر، وبات بالطريق بموضع يقال له الشيخين[3]، وبه عرض من عرض، ورد من رد، وصلى المغرب بذلك الموضع، وبات به، ثم خرج منه مدلجا في السحر، وهو يرى المشركين، ودليله أبو خيثمة الأنصاري السالمي[4] وقيل سهل بن أبي خيثمة الأنصاري الحارثي[5] وقيل أبوه حثمة[6] فحانت الصلاة

(1) خبر الألوية أخرجه ابن سعد في الطبقات : 38/2.
(2) سيرة ابن هشام : 102/3.
(3) موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد، وهناك عرض الناس فأحاز من رأى ورد من رد.
قال أبو سعيد الخدري : «كنت ممن رد من الشيخين يوم أحد» وقيل هما أطمان تسميا لأن شيخا وشيخة كانا يتحدثان هناك .
– معجم البلدان : 380/3.
(4) أبو خيثمة الأنصاري السالمي اسمه عبد الله بن خيثمة شهد أحدا، وبقي إلى أيام زيد بن معاوية.
– الاستيعاب : 207/4 رقم الترجمة : 2965.
– الأسد : 93/5 رقم الترجمة : 5852.
(5) سهل بن أبي حثمة يكنى أبا عبد الرحمن ولد سنة ثلاث من الهجرة، كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أحد وشهد المشاهد كلها إلا بدر.
– الاستيعاب : 221/2 رقم الترجمة : 1087.
– الأسد : 335/2 رقم الترجمة : 2288.
– الوافي بالوفيات : 8/16.
(6) وعند الواقدي : 218/1 : «وكان دليله أبو حثمة الحارثي».

بموضع القنطرة فصلى بأصحابه الصبح. ثم سار حتى انتهى إلى أحد، وكان المسلمون ألف رجل، ويقال تسعمائة فيهم مائة دارع[1] والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة.

قال ابن عقبة : وليس في المسلمين إلا فارس واحد. وقال الواقدي : لم يكن معهم إلا فرس رسول الله صلى الله عليه وسلمن وفرس أبي بردة بن نيار.

ونزل صلى الله عليه وسلم الشعب من أحد، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال : لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال، وانخزل[2] عنه من بعض الطريق ابن أبي ابن سلول في ثلث الناس، أو في ثلاثمائة ممن تبعه من قومه من أهل النفاق/ (72أ) والريب[3] وبقي سبعمائة أو نحوها، ثم صف المسلمون والمشركون، وجعل النبي صلى الله عليه وسم على الرماة، وكانوا خمسين رجلا[4] عبد الله بن جبير[5] وأقامهم بموضع يقال جبل عينين يحمون ظهور المسلمين[6]، وأمرهم أن لا يبرحوا مقامهم لغنيمة ولا لهزيمة.

وصف المسلمون بأصل أحد، والمشركون بالسبخة[7] وتعبأوا للقتال، وتعبئة الجيش ترتيبه في مواضعه، وتهيئه للحرب، وبارز المسلمون أصحاب لواء

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 39/2.
(2) قال ابن سيده : الخزل والتخزل والانخزال : مشية فيها تثاقل وتراجع.
– اللسان : 1151/2 . مادة خزل.
(3) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 8/2.
(4) في النسخة : ع : «وأمر عليهم عبد الله بن جبير».
(5) وقال لهم عبد الله بن جبير فيما رواه ابن عقبة :«أيها الرماة إذا أخذنا منازلنا من القتال، فإن رأيتم خيل المشركين تحركت وانهزم أعداء الله فلا تتركوا منازلكم...».
– المغازي لابن عقبة : ص : 186.
وخبر الرماة أخرجه البخاري في المغازي (الفتح : 349/7) من حديث البراء.
(6) جبل عينين أو عينان : هو هضبة جبل أحد بالمدينة ويقال : جبلان، وقيل : عينين جبل من جبال أحد بينهما واد يسمى عام أحد وعام عينين.
– معجم البلدان : 174/4.
(7) واحدة السباخ : وهي الأرض المالحة النازة : وهي موضع بالبصرة.
– معجم البلدان : 183/3. – اللسان : 1918/3. مادة سبخ.
– مقاييس اللغة : 126/3. سبخ.

المشركين، وهم عشرة، وقيل تسعة، وقيل أحد عشر واحدا بعد واحد، وكان الذي قتل أكثرهم فيما قيل حمزة بن عبد المطلب، وقيل أنه قتل يومئذ أحدا وثلاثين رجلا، وكان له في ذلك اليوم سيفان.

وحمل المسلمون على المشركين وأنزل الله نصره على المؤمنين، وانتشروا فصاروا كتائب متفرقة فاستأصلوا المشركين بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وحملت خيل المشركين، فنضحهم الرماة بالنبل ثلاث مرات، وهزم المشركون[1] هزيمة بينة وولوا لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل .ودخل المسلمون عسكرهم فوقعوا فيه ينتهبونه ويأخذون ما فيه من الغنائم، فلما أبصرت الرماة الخمسون ما منح الله إخوانهم من الفتح، وتبينت لهم الهزيمة، لم يتمالكوا أن أقبلوا يصيبون من الغنيمة، وقالوا : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قد انهزم المشركون، فما قيامنا هاهنا[2]، فانطلقوا يتبعون العسكر وينتهبون معهم، و لم يمكث بالجبل إلا ابن جبير في نفر يسير دون العشرة، وأبو أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبتوا في مركزهم، فصرفت وجوه إخوانهم إليهم وتحيروا، فلم يدروا أين يتوجهون، إذ حسبوهم عدوهم، وأنهم أتوهم من بين أيديهم ومن خلفهم وصاح إبليس[3] : أي عباد الله أخراكم، وقيل إنه نادى «قتل محمدا أخراكم»، وهو إغراء أو تحذير، أي اقتلوا واحذروا أخراكم يوهمهم أنهم عدو،

(1) هزيمة المشركين ووصفها رواه ابن عقبة في المغازي : ص .186.
– وابن إسحاق في الطبقات : 41/2.

(2) وفي ذلك عصيان للنبي صلى الله عليه وسلم واغترار بالنصر يروي ابن شهاب عن عروة .. «وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عهد أصحابه إن هم هزموهم أن لا يدخلوا لهم عسكرا ولا يتبعوهم، فلما التقوا هزموا وعصوا النبي صلى الله عليه وسلم تنازعوا واختلفوا، ثم صرفهم الله عنهم ليبتليهم».
– المغازي لابن شهاب : ص : 77 .

3) وخبر صيحة إبليس –لعنة الله عليه– رواه البخاري من حديث ابن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها.
– انظر الفتح : (361/7).
– وأخرجه ابن عقبة في المغازي : ص : 187.
– وابن سعد في الطبقات : 42/2.

فرجعت أولاهم، فاحتادت مع أخراهم، وكر عليهم العدو من خلفهم لما خلا الجبل من الرماة فقتلوا من بقي من الرماة بالجبل لقتلهم، وقتل أميرهم عبد الله بن جبير. وانتفضت صفوف المسلمين واختلطوا بالمشركين، والتبس العسكران، فلم يتميزوا فوقع القتل[1] والضرب في المسلمين بعضهم في بعض، وهم لا يشعرون، وكان المشركون ينادون بشعارهم بالعزى وبهبل لصنمين لهم، والمسلمون لا ينادون بشعار، فصاروا يقتتلون على غير شعار، وذلك كله من العجرة والدهش، وأصاب فيهم العدو وأقبلوا منهزمين، وجالوا جولة نحو الجبل حتى أصعدوا في الشعب، وقال بعضهم : انهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل.

وذكر ابن إسحاق : أن المنهزمين يوم أحد انتهوا إلى المنقى[2] موضع معروف شرقي المدينة دون الأعوص[3]، والأعوص موضع بشرقي المدينة على بضعة عشر ميلا منها.

وروى البيهقي : أن بعض المنهزمين انتهى إلى الشقرة على يومين من المدينة.

وللإمام أحمد : «وجال المسلمون جولة نحو الجبل، و لم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كان حان تحت المهراس»[4].

---

(1) قال ابن سعد يصف هذا الاقتتال : «وأوجعوا في المسلمين قتلا ذريعا».
– الطبقات : 42/2.
– وزاد ابن سعد : «وقتل مصعب بن عمير، فأخذ اللواء ملك في صورة مصعب، وحضرت الملائكة يومئذ و لم تقاتل».

(2) المنقى : طريق للعرب إلى الشام كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة، والمنقى بين أحد والمدينة.
– معجم البلدان : 215/5.

(3) قال ابن إسحاق : «خرج الناس يوم أحد حتى بلغوا المنقى دون الأعوص وهي على أميال من المدينة بيسير».
– معجم البلدان : 223/1.

(4) المهراس فيما ذكره المبرد : ماء بجبل أحد، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه علي رضي الله عنه، وفي درقته ماء من المهراس فعافه وغسل به الدم من وجهه.
– معجم البلدان : 32/5.

وورد أن ثلاثة منهم مسلمين مذكورين ففروا حتى بلغوا الجبل مما يلي الأعوص فأقاموا به ثلاثا ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزعموا أنه قال لهم : «لقد ذهبتم بها عريضة أي واسعة».

وفي رواية أنهم أربعة تولوا حتى انتهوا إلى بير جر[1] وأنزل الله تعالى في الذين فروا : ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ الآية[2] وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا عنه، ولم يزل عن مكانه قدما واحدة، ولا ولى بل وقف في وجوههم يرمي بالحجارة، ويرمي عن قوسه حتى صارت شظايا. / (73ب)

هذا والنبل يأتيه من كل ناحية، وثبت معه من أصحابه[3] اثنا عشر رجلا، وهم فيما قيل العشرة، وجابر بن عبد الله، وعمارا وابن مسعود. وقيل إنه بقي معه طلحة ابن عبيد الله، واثنا عشر من الأنصار، فاستأذنه طلحة في المقاتلة، فلم يأذن له ولم يزل الإثنا عشر يستأذنوه حتى قتلوا، ولحق النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة بالجبل، وقيل إن الذين بقوا معه أربعة عشر[4] سبعة من المهاجرين، وفيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وسبعة من الأنصار، فقاتلوا دونه، وقتلوا ووقوه بأنفسهم حتى تحاجزوا، وصار صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أخراهم، أي يقول لهم : إلي عباد الله حال كونه في أخراهم أي في ساقتهم، ومن ورائهم قاصدا نحوهم ناحية الجبل حتى رجع إليهم بعضهم وهو عند المهراس بأقصى شعب أحد، وقيل إنه لما جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو إلي عباد الله انحاز إليه ثلاثون من أصحابه، وحمده حتى كشفوا عنه المشركين، وتفرق الباقون، وقيل إنه صلى الله عليه وسلم لبس يومئذ لامة كعب بن مالك[5] ولبس كعب لامة النبي صلى الله عليه

(1) في عيون الأثر : 35/2 (بير جرم) والأربعة الذين تولوا إلى هذا البئر هم : عثمان بن عفان، وسعد بن عثمان، وأخوه عقبة بن عثمان، وخارجة بن عامر الانصاري.

(2) جزء من الآية : 115 من السورة : 8 الأنفال.

(3) حديث ثبوث هذه القلة من أصحابه صلى الله عليه وسلم معه رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 187.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 42/2.

(5) كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله شهد العقبة الثانية واختلف في شهوده بدرا وشهد أحدا، توفي في زمن معاوية.
- الاستيعاب : 381/3. رقم الترجمة : 2231.
- الأسد : 177/4 رقم الترجمة : 4478.

وسلم، وكانت صفراء، فجرح كعب يومئذ أحد عشر جرحا، وأكرم الله بالشهادة من أكرم من عباده المؤمنين، وكان يوم بلاء وتمحيص، ولما توجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه استقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته، وكسروا البيضة على رأسه[1].

وعند ابن هشام[2] أنهم كسروا رباعيته اليمنى السفلى، وجرحوا شفته السفلى، وشجوه في جبهته، وجرحوا وجنته، فدخلت حلقتان من المغفر فيها، وقع في حفرة من الحفر التي كاد بها أبو عامر الفاسق المسلمين، وكان حفر لهم حفرا ليقعوا فيها، وهو من الأوس ثم من بني ضبيعة[3]، وكان يقال له أبو عامر الراهب، فلما أسلم أهل المدينة أبى أن يسلم فخرج إلى مكة، ثم قدم مع قريش يوم أحد محاربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق.

وفي رواية : هشموا البيضة على رأسه، ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من حفر أبي عامر، فأخذ علي يده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما[4].

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، وضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها، وعض أبو عبيدة بن الجراح[5] على الحلقتين[6] اللتين نشبتا في وجهه صلى الله عليه وسلم فانتزهما[7] حتى

---

(1) رواه ابن شهاب الزهري في المغازي : ص : 77.
– وابن عقبة في المغازي ص : 188.

(2) سيرة ابن هشام : 80/3.

(3) بطون كثيرة : بطن من ربيعة بن نزار، وبطن من الأوس، وبنو ضبيعة بن زيد، وبنو ضبيعة بن عجل.
– معجم قبائل العرب : 664/2. – نهاية الأرب : 328/2، 340.

(4) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 20/2.

(5) أبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب القرشي الفهري، شهد بدرا وما بعدها، وهو الذي انتزع من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتي الدرع يوم أحد.
– الاستيعاب : 272/4 رقم الترجمة 3108. – الأسد : 207/5 رقم الترجمة : 6077.

(6) وعن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبي بكر الصديق «أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين».
– عيون الأثر : 20/2.

(7) في : ع : فانتزعهما.

سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه صلى الله عليه وسلم، وقيل : إن الذي انتزع الحلقتين من وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عقبة بن وهب الغطفاني[1] حليف بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج.

قال الواقدي[2] قال عبد الرحمن بن أبي الزناد : نرى أنهما جميعا عالجاهما، فأخرجاهما من وجنتيه صلى الله عليه وسلم، وامتص مالك بن سنان[3] والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنتيه صلى الله عليه وسلم، ثم ازدرده، فقال صلى الله عليه وسلم : «من مس دمه لم تصبه النار» واستشهد مالك بن سنان يومئذ، وقيل : إنه لما لحمه صلى الله عليه وسلم القتال يومئذ، وخلص إليه ودنا منه العدو، ودافع عنه أبو دجانة الأنصاري الساعدي[4] ومصعب بن عمير، فكثرت الجراحة في أبي دجانة، وقتل مصعب بن عمير، وأصيب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم : وثلمت رباعيته وكلمت شفته أصيبت وجنته، وكان صلى الله عليه وسلم ظاهر بين درعين، فقال صلى الله عليه وسلم[5] : «من رجل يبيع لنا نفسه»، فوثب فتية من الأنصار خمس منهم : زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبت، ثم تاب إليه ناس من

---

(1) عقبة بن وهب الغطفاني بن كلدة حليف بني سالم بن غنم بن عوف شهد العقبتين وبدرا وكان أول من أسلم من الأنصار.

(2) مغازي الواقدي : 247/2.

(3) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، والأبجر هو خدرة بن عوف قتل يوم أحد شهيدا، وهو والد أبي سعيد الخدري الأنصاري قتله عراب بن سنان الكناني.
- الاستيعاب : 407/3 رقم الترجمة : 2279.
- الأسد : 234/4 رقم الترجمة : 4595.

(4) أبو دجانة الأنصاري الساعدي اسمه سماك بن خرشة شهد بدران وهو الذي قاتل بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فيما ذكره موسى بن عقبة.
- الاستيعاب : 209/4 رقم الترجمة : 2968.
- الأسد : 95/5 رقم الترجمة : 4856.
- وخبر أبي دجانة رواه ابن هشام في سيرته قال قال «رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دحانة سماك بن خرشة أحد بني ساعدة فقال : وما حقه يا رسول الله، قال : إن تشرب به العدو حتى يتحنى، قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه إياه.
- سيرة ابن هشام : 66/3.

(5) رواه ابن هشام في سيرته : 81/2.
- وابن الأثير في أسد الغابة : 128/2.

المسلمين، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو، ثم وسد رسول الله صلى الله عليه وسلم زياد بن السكن قدمه حتى مات عليها، وقيل : إن صاحب هذه الواقعة هو ابنه عمارة بن زياد بن السكن[1] وكان / أبو طلحة الأنصاري[2] ممن ثبت بين يديه صلى (74أ) الله عليه وسلم يومئذ مجوبا[3] عليه بجحفة[4] له، وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول صلى الله عليه وسلم انثرها لأبي طلحة، ويشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة : «بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك، ويقول نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوفاء»[5].

وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ سهل بن حنيف[6] وكان بايعه يومئذ على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «نبلوا سهلا فإنه سهل» وممن ثبت معه يومئذ أيضا الحارث بن

---

(1) عمارة بن زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي قتل يوم أحد شهيدا.
- الاستيعاب :233/3 رقم الترجمة : 1891.
- الأسد : 635/3 رقم الترجمة : 3809.

(2) أبو طلحة الأنصاري واسمه زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري النجاري الخزرجي شهد العقبة ثم بدرا وما بعدها، وكان من الرماة المذكورين من الصحابة.
- الاستيعاب : 260/4 رقم الترجمة : 3085.
- الأسد : 183/5 رقم الترجمة : 6029.

(3) قال ابن منظور : وفي حديث غزوة أحد : «وأبو طلحة مجوب على النبي صلى الله عليه وسلم بجحفة» أي مترس عليه يقيه بها ويقال للترس أيضا جوابة.
- اللسان : 718/1 مادة جوب.

(4) جحفة : ضرب من الترسة واحدتها حجفة، وقيل هي من الجلود خاصة.
- اللسان : 787/2 مادة جحف.

(5) الخبر أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه : 109/5 الحديث رقم 322.
- وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال : 1148/3. الحديث رقم 1811.

(6) سهل بن حنيف بن واهب بن ثعلبة يكنى أبا سعيد شهد بدرا والمشاهد كلها، مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين.
- الاستيعاب : 223/3 رقم الترجمة : 1039.
- الأسد : 335/2.

الصمة بن عمرو بن عتيك الأنصاري[1] من بني مالك بن النجار، وبايعه أيضا على الموت.

وثبت معه أيضا أسيد بن حضير، وجرح يومئذ سبع جرحات.

وفي حديث عائشة قالت: «كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة» ثم أنشأ يحدث عنه، فقال: «كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه واراه، قال: يحميه فقلت كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت: يكون رجلا من قومي أحب إلي» ثم ذكر أنه انتهى هو وأبو عبيدة بن الجراح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نزف، فلم يلتفتوا إلى قوله، واشتغلوا به صلى الله عليه وسلم يصلحون من شأنه، فلا فرغوا منه أتوا طلحة[2] في بعض تلك الحفر فإذا به بضع وسبعون أو اقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة، وقد قطعت أصبعه، أو شلت أصبعاه، فأصلحوا من شأنه ثم كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة كعب بن مالك قال[3]: عرفت عينيه تزهران يعني تضيئان تحت المغفر، وكان الناس تحدثوا بقتله، وصرخ فيهم صارخ ألا إن محمدا قد مات، ويقال، إنه إبليس صرخ بذلك على جبل عينين، واشتغل المشركون يمثلون[4] بقتلى المسلمين يظنون أنهم أصابوا النبي

(1) الحارث بن الصمت بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر يكنى أبا سعد شهد بدرا وبئر معونة فقتل يومئذ شهيدا.
– الاستيعاب: 356/1 رقم الترجمة: 423. – الأسد: 453/1 رقم الترجمة: 903.
– الوافي بالوفيات: 367/11.

(2) ومما قاله صلى الله عليه وسلم في طلحة يومئذ عن الزبير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ز أي وجبت له الجنة.
– رواه ابن هشام في سيرته: 86/3.

(3) والخبر بتمامه رواه ابن سعد قال أخبرنا محمد بن حميد عن معمر عن الزهري أن الشيطان صاح يوم أحد: إن محمدا قد قتل، قال كعب بن مالك فكنت أنا أول من عرف النبي صلى الله عليه وسلم، وعرفت عينيه تحت المغفر فناديت بصوتي الأعلى: هذا رسول الله، فأشار إلي أن اسكت فأنزل الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾.
– الطبقات: 46/2. – مغازي ابن شهاب: ص: 77.

(4) وممن مثلوا به حمزة رضي الله عنه.
– انظر سيرة ابن هشام: 94/3.

صلى الله عليه وسلم، فلما عرفه كعب نادى بأعلى صوته «يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن أنصت»[1] فلما عرفه المسلمون نهضوا إليه، ونهض معهم نحو الشعب أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين، فلما ارتفع صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف[2] وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا فقالوا : يا رسول الله يعطف عليه رجلا منا فقال دعوه، فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض أصحابه قيل هو الحارث بن الصمة، وقيل كعب بن مالك، ثم انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذ انتفض، ثم استقبله فطعنه طعنة مال منها عن فرسه مرارا، وقيل وقع بها عن فرسه، و لم يخرج له دم قيل فكسر ضلعا من أضلاعه، فلمارجع إلى قريش قال : قتلني والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك، والله إن بك بأس قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني، ولو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين».

وذو المجاز : سوق من أسواق العرب، فمات عدو الله بسرف[3] أو ببطن رابغ. وقوله : تطاير الشعراء بوزن حمراء في رواية ابن إسحاق[4] رواه القتبي[5] تطاير تطاير الشعر بوزن قفل، وهو جمع شعراء وهو ذباب صغير أحمر وقيل أزرق يقع على الإبل والحمير، فيؤذيها بلذغه، وقيل هو ذباب كثير الشعر، ويروى تطاير الشعارير/، وهي بمعنى الشعر، وقياس واحدها : شعرور وقيل : هي ما يجتمع على (75ب) دبر البعير من الذباب، فإذا هيجت تطايرت.

(1) في ح (ان اسكت).

(2) وخبره رواه ابن سيد الناس : 12/2.

(3) موضع على ستة أميال من مكة.
– معجم البلدان : 212/3.

(4) سيرة ابن هشام : 84/3.

(5) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد ن نحوي، لغوي، محدث أخذ عن أبي حاتم توفي سنة 267 هـ.
– إنباه الرواة : 143/2.

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب علت عالية من قريش الجبل فقال : «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا»[1] فقاتلهم عمر بن الخطاب في رهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها، فلم يستطع وقد كان بدر أي ضعف، وظاهر بين درعين كما تقدم، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها[2].

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم[3] إلى فم الشعب جاءه علي بماء في ذرقته من الماء الذي يجتمع من المطر في المهراس، وهي صخرة منقورة بأقصى شعب أحد تشع كثيرا من الماء فوجد له ريحا فعاف شربه، وغسل منه عن وجهه الدم وصب على رأسه وصلى يومئذ الظهر قاعدا من الجراح التي أصابته صلى الله عليه وسلم والمسلمون خلفه قعودا، وخرجت فاطمة رضي الله عنها فيمن خرج من النساء بعد انصراف المشركين لإعانة الصحابة، فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم احتنقته[4]، وجعلت تغسل جراحاته، وعلي يختلف بالماء، ويسكبه بالمجن، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة عمدة إلى شيء من حصير، فأحرقته وألصقته بالجرح فاستمسك الدم[5].

(1) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 23/2.

(2) وخبر ذلك أخرجه ابن سعد في الطبقات : 42/2.

(3) قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب : «رمى يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني الحارث بن عبد مناة يقال له ابن قمئة، ويقال بل رماه عتبة بن أبي وقاص قال : وسعى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى المهراس، وقال لفاطمة : أمسكي هذا السيف غير دميمة، فأتى بماء في بجنة فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشرب منه فوجد له ريحا فقال هذا ماء أجن، فمضمض منه وغسلت فاطمة عن أليها ..».

– رواه ابن عقبة في المغازي ص : 191.

(4) أي جعلت تحبس الدم.

(5) أخرجه البخاري في الصحيح من حديث سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فيه :

«فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم».

– فتح الباري : 372/7.

– ومسلم : 148/12 بشرح النووي.

واستشهد من المسلمين يومئذ سبعون[1] على الأصح ستة من المهاجرين، منهم حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائرهم من الأنصار، وقيل من المشركين[2] اثنان وعشرون، وقيل ثلاثة وعشرون، وقيل أكثر من ذلك، وحضرت الملائكة يومئذ واختلف في قتالهم وأصيبت عين قتادة بن النعمان[3] حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما.

وروي : «أن عينيه معا سقطتا فردهما النبي صلى الله عليه وسلم، وبصق فيهما فعادتا تبرقان»، ورمي أبو رهم كلثوم[4] بن الحصين الغفاري بسهم في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فبرئ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش. وقد انقطع سيفه عرجون نخلة فصار في يده سيفا يقال إن قائمه منه وكان يسمى العرجون، ولم يزل يتوارث بعد ذلك حتى بيع من زبغاء التركيس من أمراء المعتصم في بغداد بمائتي دينار ذكره ابن الزبير في الموفقيات، حكاه عنه ابن عبد البر[5].

ووفدت هند بنت عتبة[6] والنساء التي معها يمثلن بقتلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها[7].

---

(1) وهو ما رواه ابن شهاب الزهري في المغازي ص : 77 . — والواقدي في المغازي : 300/1.
– تاريخ خليفة بن خياط. – طبقات ابن سعد : 42/2.
وذكرهم ابن عقبة واحدا واحدا. – انظر مغازي ابن عقبة : ص : 195.

(2) قال ابن سعد : قتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا. – الطبقات : 43/2.

(3) وحديثه أخرجه مسلم في الجهاد باب غزوة ذي قرد : 1142/3 الحديث رقم : 1807.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 21/1.

(4) أبو رهم كلثوم بن الحصين بن خلف بن عبيد أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، شهد أحدا .
– الاستيعاب : 223/4 رقم الترجمة : 2990. – الأسد : 118/5.

(5) وحكاه عنهما ابن سيد الناس في عيون الأثر : 30/2.

(6) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان، شهدت أحدا كافرة مع زوجها، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب.
– الاستيعاب : 474/4 رقم الترجمة : 3548. – الأسد : 296/6 رقم الترجمة : 7342.

(7) وخبرها يرويه ابن إسحاق قال : ووقعت هند بنت عتبة كما حدثني صالح بن كيسان والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد عن الأذان والأنف... وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فل تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها.

نحن جزيناكم بيوت بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

إلى آخر ما قالته. رواه ابن هشام في السيرة : 91/3.

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى «إن موعدكم بدر العام القابل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد»[1].

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وقال ابن عائذ سعد بن أبي وقاص يخرج في آثار القوم يعني المشركين، فينظر ماذا يصنعون[2] وماذا يريدون هل يريدون مكة أو المدينة، وقال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إن أرادوها يعني المدينة لأسيرن إليهم فيها ثم (لأناجزنهم)[3] يعني على ما به وبأصحابه من الجهد والجراح فذكر علي أنه خرج في آثارهم، فرآهم قد وجهوا إلى مكة.

وفي البخاري[4] عن عروة عن عائشة : «أنه لما أصاب نبي الله ما أصاب يوم أحد، فانصرف المشركون خاف أن يرجعوا، فقال : من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا، وقالت له كان أبوك منهم الزبير وأبو أبيك» وسمى منهم باقي العشرة غير سعيد بن زيد وحذيفة وابن مسعود.

فلعل عليا رضي الله عنه كان هو الأمير على هؤلاء، فلهذا عينه من عينه في غير البخاري، وسكت من سكت عنه فيه والله أعلم.

ولما قيل يومئذ قتل محمد صلى الله عليه وسلم كثرت الصوارخ[5] بالمدينة، خرجت امرأة[6] من الأنصار، فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لا تدري بأيهم استقبلت، وكلما مرت بواحد منهم صريعا/ قالت : من هذا قالوا : (76أ)

---

(1) رواه ابن هشام في سيرته : 94/3.

(2) يروي ابن هشام قال : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : «اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة...».
– انظر سيرة ابن هشام : 94/3.

(3) في النسخة ع وح وفي سيرة ابن هشام لاناجزهم.

(4) رواه البخاري في المغازي باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من جراح يوم أحد : ج : 204/5.الحديث رقم 563.

(5) من النوح والبكاء على قتلى أحد. وعندها قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من عمل الجاهلية لن تتركهن أمتي : النياحة على الموتى والطعن في النسب...».
– أخرجه ابن عقبة في المغازي ص: ,193 والبخاري في الصحيح ك الفتح : 156/7.

(6) خبر هذه المرأة أخرجه ابن عقبة في المغازي : ص : 192 مع اختلاف يسير في الرواية.

أخوك وأبوك، وزوجك أو ابنك. قالت : فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون هو أمامك حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذ سلمت من عطب».

وفي رواية ابن إسحاق[1] أنها قتل أبوها وأخوها وزوجها يومئذ، فقالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل قال : تعني صغيرة.

- غـزوة حمـراء الأسـد[2] :

وكانت يوم الأحد الغد من يوم أحد لطلب عدوهم بالأمس[3] ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج معها إلا من شهد القتال بالأمس غير أن جابر بن عبد الله استأذن النبي صلى الله عليه وسلم، و لم يشهد أحدا، فأذن له.

وإنما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة. وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[4]، فخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح، ودعا صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه إلى علي بن أبي طالب، ويقال إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[5] وسار صلى

(1) سيرة ابن هشام :99/3.

(2) قال ابن سعد : هي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي.
– الطبقات : 49/2.

(3) قال ابن سعد : ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمراء الأسد يوم الأحد لثماني ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجره : قالوا لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على باب ناس من وجوه الأنصار وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم الأحد أمر بلال أن ينادي أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس».
– الطبقات : 49/2.

(4) أخرجه ابن هشام في سيرته : 101/3.

(5) والخلاف في حمل اللواء بين علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق رواه ابن سعد في الطبقات : 42/2.

الله عليه وسلم وهو كما قال ابن سعد[1] مجروح في وجهه، ومشجوج في جبهته، ورباعيته قد سقطت وشفته السفلى قد كلمت في باطنها، وهو متوهن منكبه يعني الأيمن من ضربة بن قميئة[2] وركبتاه مجحوشتان، وقد حشد أهل العوالي، ونزلوا حين أتاهم الصريخ.

وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب[3]، وسار الناس معه حتى انتهى إلى حمراء الأسد -موضع من المدينة على ثمانية أميال عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة- بعد أن استعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن هشام[4]، كان دليله ثابت ابن الضحاك الأنصاري. فأقام صلى الله عليه وسلم بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء.

وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار[5] حتى ترمى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم وبلغ المشركون وهم بالروحاء -على نحو من مرحلتين من المدينة -خبر خروجهم في طلبهم وكانوا يرمون الرجوع إلى المدينة ففت[6] ذلك في (أعضادهم)[7]، وتمادوا إلى مكة.

وقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن قريشا يريدون المدينة «والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب»[8]، ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا قد استمرت إلى مكة رجع مع أصحابه إلى المدينة،

---

(1) الطبقات : 42/2. غير أنه قال : ورباعيته قد شظيت.

(2) وخبر ابن قميئة رواه ابن سعد في الطبقات : 42/2.
 - وابن عقبة في المغازي : ص : 190.

(3) فرس سكب : جواد كثير العدو وذريع. والسكب فرس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان كميتا أغر محجلا مطلق اليمنى.
 - اللسان : 2045/3 مادة سكب.

(4) سيرة ابن هشام : 101/3. - ورواه ابن سعد في الطبقات : 49/2.

(5) وخبر هذه النار رواه ابن سعد في الطبقات : 49/2. بنفس اللفظ.

(6) قال في اللسان : كلمه لشيء ففت في ساعده، أي أضعفه وأوهنهن ويقال : فت فلان في عضدي، وهد ركني، وفت فلان من عضد فلان، وعضده أهل بيته، إذا رام إضراره بتخونه إياهم.
 - اللسان : 3337/5 مادة فتت.

(7) جمع عضد وهو ساقط من : ع.

(8) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 53/2.

وقد غاب خمسا. وظفر صلى الله عليه وسلم في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابن أمية[1] وأبي عزة الجمحي، فأمر بقتلهما كل في موضع.

وفي هذه السنة حرمت الخمر على الأرجح في شوال منها. وقيل في السنة الرابعة في وقعة بني النضير. وقيل سنة الحديبية، ويقال سنة ثمان واستظهره ابن حجر.

«السنة الرابعة»

- سرية أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي[2] إلى قطن[3] :

بفتح القاف والطاء المهملة من أرض بني أسد بنجد بطريق مكة للحاج العراقي لطلب طليحة بن خويلد[4] وأخيه سلمة بن خويلد الأسديين لكونهما قد جمعا الناس لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء، وبعثه في هلال المحرم من هذه السنة[5]، وبعضهم ذكرها في السنة الخامسة، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار[6] منهم أبو عبيدة بن الجراح، وسعد

(1) معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية الأموي ابن عم مروان بن الحكم وأمه بسرة بنت صفوان صحابية، ومات أبوه في الجاهلية.
- الإصابة : 177/6 رقم الترجمة 8076.

(2) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي اسمه عبد الله بن عبد الأسد أمه برة بنت عبد المطلب شهد بدرا.
- الاستيعاب : 244/4 رقم الترجمة : 3043. - الأسد : 135/5 رقم الترجمة 5971.

(3) جبل بناحية قيد لبني أسد بن خزيمة.
- الطبقات : 50/2. - معجم البلدان : 374/4.

(4) طليحة بن خويلد الأسدي أرتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، شهد القادسية وأبلى فيها بلاء حسنا.
- الاستيعاب : 324/2 رقم الترجمة : 1300.
- الأسد : 484/2 رقم الترجمة : 2639.

(5) قال ابن سعد : كانت في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الطبقات : 50/2.

(6) قال ابن سعد : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وقال : سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقي عليك جموعهم.
- انظر الطبقات : 50/2. - عيون الأثر : 54/2.

ابن أبي وقاص، وأبو حذيفة وسالم مولاه/ وعبد الله بن مخرمة القرشي العامري[1] (77ب) وقال له : سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقي عليك جموعهم، فخرج فأسرع السير ونكب عن سنن الطريق وسبق الأخبار، وانتهى إلى أدنى قطن، فلم يصل الجيش إليهم حتى تفرقوا، فلم يجد منهم أحدا ووجد إبلا وشاء، فأغار عليها، وقدم بها المدينة، ولم يلق كيدا، وقتل فيها عروة بن مسعود الأنصاري[2] وقال ابن إسحاق[3] قتل مسعود بن عروة[4].

- سرية عبد الله بن أنيس الجهني[5] :

إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي اللحياني، وكان ينزل وادي عرنة[6] ونخلة[7] وما والاهما، وكان جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك بعث إليه عبد الله بن أنيس وذلك يوم الإثنين لخمس

---

(1) عبد الله بن مخزمة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود القرشي العامري يكنى أبا محمد، وكان من المهاجرين الأولين شهد بدران واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة.
– الاستيعاب : 108/3 رقم الترجمة : 1671. – الأسد : 274/3 رقم الترجمة : 3171.

(2) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعيد بن عوف بن ثقيف، أبو مسعود شهد صلح الحديبية.
– الاستيعاب : 176/3 رقم الترجمة : 1823. – الأسد : 528/3 رقم الترجمة : 3652.

(3) سيرة ابن هشام : 612/4.

(4) مسعود بن عروة له صحبة، قتل في غزوة أبي سلمة بن عبد الأسد.
– الاستيعاب : 450/3 رقم الترجمة : 2415. – الأسد : 371/4 رقم الترجمة : 4887.

(5) عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري حليف بني سلمة قال ابن إسحاق هو من قضاعة، كان مهاجريا، عقبيا شهد أحد.
– الاستيعاب : 7/3 رقم الترجمة 1485. – الأسد : 74/3 رقم الترجمة : 822.
– حلية الأولياء : 5/2. – الوافي بالوفيات : 76/17.

(6) وادي بحذاء عرفة. – معجم البلدان : 111/5.

(7) موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم، وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة.
– معجم البلدان : 277/5.

خلون من محرم هذه السنة[1] وبعضهم ذكرها في السنة الخامسة فخرج عبد الله بن أنيس[2] حتى انتهى إليه بعرنة، فقال له : سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك، فقال : أجل إني لأجمع له، ثم جعل يحدثه ويعجبه حديثه حتى كان الليل، وتفرق عنه أصحابه، وناموا واغتره فقتله[3]، وأخذ رأسه، ثم دخل غارا في الجبل، فنسجت عليه العنكبوت و(جاء الطلب)[4]، فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين، ثم خرج، فكان يسير الليل، ويتوارى بالنهار حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت لسبع بقين من المحرم، وقد غاب ثمان عشرة ليلة[5] فوضع رأسه بين يديه وأخبره خبره[6] فدعا له صلى الله عليه وسلم، وأعطاه عصا[7] وقال هي آية بيني وبينك يوم القيامة، فقرنها عبد الله بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها، فضمت معه في كفنه بين جلده وثوبه فدفنا جميعا.

---

(1) وزاد ابن سعد : على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الطبقات : 50/2.

(2) وسبب خروج عبد الله بن أنيس في هذه السرية يرويه ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : قال : عبد الله بن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أنه بلغني أن ابن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله...».
- سيرة ابن هشام : 619/4.

(3) وخبر قتله : أخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة : 468/2.
- والبيهقي في الدلائل : 40/4.
- وابن كثير في السيرة : 308/7.

(4) في : ع : (وجاءوا في طلبه).

(5) رواه ابن سعد في الطبقات : 51/2.

(6) قال ابن أنيس فمشيت معه حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال أفلح الوجه.
- انظر سيرة ابن هشام : 620/4.

(7) خبر العصا رواه ابن عقبة في المغازي ص : 201.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 60/2.
- وابن هشام في السيرة : 620/4.

- سرية الرجيع[1] وحديث عضل والقارة :

والرجيع أرض بها ماء لبني لحيان من هذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز.

وذكر ابن سعد[2] هذه السرية في صفر من هذه السنة. وذكرها ابن إسحاق في أواخر سنة ثلاث، وقال[3] «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة[4] وهم من بني الهول بن خزيمة بن مدركة، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا، ويعلموننا، فبعث معهم ستة من أصحابه، وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي»[5] كذا في السيرة له.

وفي الصحيح[6] : وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو أصح، وفيه أنهم كانوا عشرة وهو أصح أيضا. وكذا عند ابن سعد[7] فخرجوا مع القوم حتى إذا أتوا على الرجيع غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هذيلا.

---

(1) هو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وهو ماء لهذيل، وقال ابن إسحاق والواقدي : الرجيع ماء لهذيل قرب الهدأة بين مكة والطائف.
– معجم البلدان : 29/3.

(2) قال في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– الطبقات : 55/2.

(3) سيرة ابن هشام : 169/3.

(4) عضل : بطن من مضر من العدنانية وهو بنو الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان.
والقارة : قبيلة من عضل والديش ابنا الهون سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم.
– معجم القبائل : 1235/3 و 1539.
– نهاية الأرب للنويري : 394/2.
– الأنباء على قبائل الرواة لابن عبد البر : ص: 73.

(5) هو كنار بن حصن الغنوي شهد بدرا واحدا وقتل يوم الرجيع آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أوس بن الصامت.
– الاستيعاب : 440/3 رقم الترجمة : 9393.
– الأسد : 344/4.
– البداية والنهاية : 353/6.
– حلية الأولياء : 19/2.

(6) رواه البخاري في الصحيح من طريق ابن شهاب.
– الفتح : 308/7.
– وأخرجه ابن عقبة في المغازي : ص : 201.

(7) الطبقات : 55/2.

وفي البخاري : «حتى إذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل». وفي رواية : فتبعوهم بقريب من مائة رام. وجمع بينهما بأن تكون المائة الأخرى غير رماة، فلما أحس بهم عاصم، وأصحابه لجأوا إلى فدفد[1] وهي هنا الرابية المشرفة، وأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : «إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة، ولكم العهد والميثاق. وإن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلا»[2]. فأما عاصم ومن وافقه من أصحابه- منهم : مرثد وخالد بن البكير)[3] ومعتب بن عبيد[4] أخو عبد الله بن طارق[5] لأمه «-فقالوا : والله لا ننزل في ذمة كافر، ولا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا، اللهم أخبر عنا»[6] فاستجاب لهم، فأخبر رسوله (خبرهم)[7] يوم أصيبوا ثم قاتلوا / فرموهم بالنبل، فقتلوهم. (78أ)

---

(1) الفدفد : الفلاة التي لا شيء بها، وقيل هي الأرض الغليظة ذات الحصى، وقيل المكان الصلب، وفي الحديث، «فلجأوا إلى فدفد» وهو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع.
- اللسان : 3364/5 مادة فدفد.

(2) رواه ابن عقبة في المغازي ص : 202.
- وابن سعد في الطبقات : 55/2.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 57/2.

(3) خالد بن البكير بن عبد ياليل بن عبد ناشب بن غيرة بن سعد الليثي شهد بدرا قاتل في سرية يوم الرجيع.
- الاستيعاب : 10/2 رقم الترجمة : 10.
- الأسد : 647/1 رقم الترجمة : 1348.

(4) معتب بن عبيد بن إياس البلوي الأنصاري حليف لهم ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا، من بني ظفر من الأنصار.
- الاستيعاب : 482/3 رقم الترجمة : 2487.
- الأسد : 431/4 رقم الترجمة 5009.

(5) عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف لبني ظفر من الأنصار شهد بدرا وأحدا.
- الاستيعاب : 61/3 رقم الترجمة 1599.
- الأسد : 179/3.

(6) أخرج خبرهم ابن عقبة في المغازي : ص : 202

(7) ما بين قوسين سقط من : ع.

وأما خبيب بن عدي[1] وزيد بن الدثنة[2] وعبد الله بن طارق البلوي نزلوا إليهم على العهد والميثاق فخلوا أوتار قسيهم وربطوهم بها، فقال عبد الله : هذا أول الغدر، وأبى أن يصحبهم، وقال: إن لي في هؤلاء القتلى إسوة فجرروه، وعالجوه على أن يصحبهم، فامتنع فقتلوه بمر الظهران.

وفي رواية[3] : أنهم أسروه ثم خرجوا بهم إلى مكة حتى إذا كانوا بمر الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران، وأخذ سيفه، واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فقتلهما أهل مكة.

- سرية بير معونة :

وبير معونة[4] أرض بها ماء بين جبال بني سليم قرب حرثهم بينها وبين أرض بين عامر[5] وقيل إنها بين مكة وعسفان وتسمى هذه السرية سرية القراء[6] وكانت في صفر، وقيل في المحرم، وإنها كانت قبل سرية الرجيع، وهي مع رعل[7] وذكوان[8]

---

(1) خبب بن عدي الأنصاري من بني جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو الأنصاري شهد بدرا أسر يوم الرجيع.
– الاستيعاب : 23/1 رقم الترجمة 650. – حلية الأولياء : 112/1.
– الأسد : 1:681 رقم الترجمة 1417.

(2) زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي، شهد بدرا وأحدا، أسر يوم الرجيع، قتله صفوان بن أمية سنة ثلاث من الهجرة.
– الاستيعاب : 122/2 رقم 582. – الأسد : 147/2 رقم الترجمة : 1835.

(3) هذه الرواية أخرجها ابن سعد في الطبقات : 56/2.
– وفي مقتل زيد وخبيب قال ابن سعد : وقدموا بخبيب وزيد مكة، فأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه. واتباع حجير بن أبي إهاب خبيب بن عدي لابن أخته عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرام ثم أخرجوهما إلى التنعيم فقتلوهما.
– الطبقات : 56/2 وأخرجها أيضا البيهقي في الدلائل 362/3.

(4) قال الواقدي في مغازيه : 347/1 : وهو ماء من مياه بني سليم، وهو بين أرض بني عامر وبني سليم زوعنده أن هذه الغزوة كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة، وذكره خليفة ابن خياط : 42/1.

(5) بطون كثيرة بطن من كنانة من العدنانية، وبطن من عبد القيس وبطن من غسان.
– معجم القبائل : 706/2. – معجم البلدان : 411/3. – نهاية الأرب : 350/2.

(6) سميت أيضا بسرية القراء لأنه صلى الله عليه وسلم بعث سبعين رجلا من الأنصار شبابا يسمون القراء.
– الطبقات : 52/2.

(7) قبيلة من بني سليم بن منصور من العدنانية تنتسب إلى رحل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس.
– معجم القبائل : 437/2. – تاج العروس للزبيدي : 347/7.

(8) قبيلة من بني سليم بن منصور من قيس عيلان من العدنانية. – معجم القبائل : 404/1.

وعصية[1] قبائل من بني سليم، وكان من أمرها كما قاله ابن إسحاق[2] : أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري عرف بملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم، و لم يبعد عن الإسلام وقال : «يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك فقال صلى الله عليه وسلم : أخشى أهل نجد عليهم. قال أبو براء : مالهم جارا فابعثهم، فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو»[3] أخا بني ساعدة[4]، ومعه القراء، وهم شباب من الأنصار يسمون بذلك كانوا يصلون ويقرأون بالليل ويحتطبون بالنهار، يشترون به الطعام لأهل الصفة وهم سبعون رجلا على الأصح» وقيل أربعون، وقيل ثلاثون منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان[5] وعامر بن فهيرة[6] وكعب بن زيد[7] من بني دينار[8] وابن النجار والمنذر بن محمد بن عقبة[9] بن أحيحة بن الجلاح الأوسي العمري، فساروا حتى إذ نزلوا بير

---

(1) بطن من بني سليم من العدنانية فهم بنو عصية بن خفاف بن امرىء القيس.
– معجم القبائل : 786/2.

(2) سيرة ابن هشام : 184/3.

(3) المنذر بن عمرو بن خنيس بن حادثة بن لوذان بن عبدود الأنصاري الساعدي وهو المعروف بالمعنق للموت شهد العقبة وبدرا وأحدا.
– الاستيعاب : 12/4 رقم الترجمة 2523. – الأسد : 476/4.

(4) هم بطون كثيرة منهم : بطن من أسامة بن لوي، وبطن من غزية من القحطانية، وبطن من الخزرج، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج.
– معجم القبائل :495/2. – العقد الفريد : 74/2. – معجم البلدان : 104/3

(5) حرام بن ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام الأنصاري شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة.
– الاستيعاب : 395/1 رقم الترجمة : 515.
– الأسد : 438/1 رقم الترجمة 124.

(6) عمر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق أبو عمرو كان مولدا من مولدي الأزد اشتراه أبو بكر فأعتقه فأسلم، شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة.
– الاستيعاب : 344/3 رقم الترجمة 1346.

(7) كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار الأنصاري شهد بدرا وقتل يوم الخندق شهيدا.
– الاستيعاب : 376/3 رقم الترجمة : 2218. – الأسد : 168/4 رقم الترجمة 4459.

(8) بطن من بني النجار من الخزرج من الأزد من القحطانية. – معجم قبائل العرب : 400/1.

(9) المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الحلاج بن الحريش الأوسي شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة.
– الاستيعاب : 13/4 رقم الترجمة. – الأسد : 479/4 رقم الترجمة : 5111.

معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري[2] ابن أخي براء، فلم ينظر في كتابه حتى عدا عليه فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر، فلم يجيبوه، وقالوا : لن (نخفر)[3] أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم : عصية ورعلا وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، وأخف[4] عامر ذمة عمه فيهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا، وأسروا عمرو بن أمية الضمري[5] فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجز[6] ناصيته وأعتقه عن رقبته، وزعم أنها كانت على أمه، وكان من عادة العرب إذا أسروا رجلا، ومنوا عليه بإطلاقه جزوا ناصيته، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم، وجد عليهم وجدا لم يجده على أحد، وقال : هذا عمل أبي براء، وقد كنت لهذا كارها متخوفا. فبلغ ذلك أبا براء، فمات أسفا على ما صنع عامر بن الطفيل، وقد أورد عامر بن مالك ملاعب الأسنة[7] في الصحابة العسكري وجعفر

---

(1) وخبر هذا الكتاب رواه ابن عقبة في المغازي ص : 206.
– وابن سعد في الطبقات : 52/2.

(2) عامر بن الطفيل بن الحارث قال وثيمة قال ابن إسحاق : كان وافد قومه إلى رسول الله في الأزد وقت الردة يوصيهم بلزوم الإسلام، وذكره الترمذي في الصحابة.
– الاستيعاب : 341/2 رقم الترجمة : 1339.
– الأسد : 22/3 رقم الترجمة 2703.

(3) في النسخة ح : (نغفر).

(4) الخفارة : الذمة، وانتهاكها إخفار.
– اللسان : 1209/2 مادة خفر.

(5) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشر الضمري من بني ضمرة، يكنى أبا أمية.
– الاستيعاب : 248/3 رقم الترجمة : 1913.
– الأسد : 289/3 رقم الترجمة : 3856.

(6) الجز : جز الشعر والصوف والحشيش ونحوه، وهو قطعة.
– اللسان : 616/1 مادة جزز.

(7) هكذا أطلق عليه ابن عقبة في المغازي : ص : 207. وقال ابن عقبة أنبأنا ابن شهاب حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك السلمي ورجال من أهل العلم أن عامر بن مالك بن جعفر الذي يدعى ملاعب الأسنة».

المستغفري[1] ونقله الرعيني[2] عن أبي موسى المديني[3] عنهما. وكذا ذكره ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر[4].

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين صباحا على رعل وذكوان وعصية الذين أصابوا أهل بير معونة، وعلى بني لحيان الذين أصابوا أصحاب الرجيع، لأن الخبر جاءه صلى الله عليه وسلم عن الفريقين في ليلة واحدة فيما ذكره الواقدي[5]، فدعا عليهم دعاء واحدا. وقال غيره : إن قصة بين معونة متأخرة عن قصة الرجيع، ويدل على تقاربهما تشريكه صلى الله عليه وسلم بين الفريقين في الدعاء، ولتقاربهما/ ذكرهما البخاري في ترجمة واحدة إلا أن سياق ترجمته يوهم أنهما (79ب) شيء واحد، وليس كذلك كما تقدم بيانه. ونزل فيمن قتل ببير معونة قرآن، ثم نسخت تلاوته «بلغوا عن قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»[6].

- غزوة بني النضير :

وهي قبيلة كبيرة من اليهود كانت في ربيع الأول. وذكرها ابن إسحاق[7] هنا.

(1) جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي أبو العباس فقيه اشتغل بالتاريخ، له كتاب الشمائل والدلائل ومعرفة الصحابة الأوائل، توفي سنة 234 هـ.
– الفوائد البهية : 57 – الجواهر المضية : 188/1.
– الأعلام للزركلي : 123/2.

(2) عيسى بن سليمان بن عبد الله الرعيني أبو موسى مؤرخ من حفاظ الحديث أندلسي من أهل رندة أصله من مالقة، له كتاب زفي معرفة الصحابةس ومعجم شيوخه، توفي سنة 236 هـ.
– التكملة لابن الأبار : 689/2. – الأعلام للزركلي : 287/5.

(3) محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني أبو موسى من حفاظ الحديث المصنفين فيه من كتبه : «الأخبار الطوال وتتمة معرفة الصحابة» و«الزيادات» وتوفي سنة 581 هـ.
– وفيات الأعيان : 486/1. – طبقات الشافعية : 90/4.

(4) تلقيح فهو أهل الأثل في التاريخ والسيرة لابن الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة 795هـ.
– كشف الظنون : 480/1.

(5) مغازي الواقدي : 349/1.

(6) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 53/2.

(7) سيرة ابن هشام : 190/3.

وقال الزهري عن عروة «كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر[1] قبل أحد، وقيل كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف، وكان عمرو بن أمية الضمري لما رجع من بير معونة صادف بالقرقرة من صدر قناة في قدومه إلى المدينة رجلين من بني عامر كافرين فقتلهما، يظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يشعر به عمرو، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر قال لقد قتلت قتيلين لأدينهما.

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فقالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك، ثم خلا بعضهم ببعض، وهموا بأن يغدروه[2].

وكان صلى الله عليه وسلم جالسا إلى ظل جدار من جدر بيوتهم فاتفقوا على أن يعلو بعضهم البيت فيلقي عليه صخرة، وصعد ليفعل، فأتاه صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بذلك، فقام مظهرا أنه يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع مسرعا إلى المدينة فاستبطأه أصحابه، فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيء لحربهم والمسير إليهم.

هكذا ذكر ابن إسحاق[3] في سبب هذه الغزوة، وأنها بسبب طلبه صلى الله عليه وسلم منهم أن يعينوه في دية الرجلين من حلفائهم[4].

---

(1) المغازي النبوية للزهري : ص : 71. وقد أخرج البخاري رواية الزهري هذه.
... فتح الباري : 329/7.
وعند الواقدي : 363/1 : «في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهرا من مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم».

(2) ويروي ابن عقبة غدرهم له صلى الله عليه وسلم «... قالوا اجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك، ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه في ظل جدار ينتظرون أن يصلحوا أمرهم، فلا خلوا والشيطان معهم ائتمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن تجدوه أقرب منه الآن فاستريحوا منه تأمنوا في دياركم ويرفع عنكم البلاء، فقال رجل منهم إن شئتم ظهرت فوق البيت الذي هو تحته فدليت عليه حجرا فقتلته». – مغازي ابن عقبة : ص : 211.

(3) سيرة ابن هشام : 190/3.

(4) وزاد ابن سعد في الطبقات : 57/2. «وبعث إليهم صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا».

وروى ابن مردويه[1] بإسناد صحيح : أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي، وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : «ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش يريدون أن يقتلوا بأسكم بينكم» فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق، فتفرقوا فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها إلى اليهود أنكم أهل الحلقة والحصون يتهددونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : «أخرج إلينا ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل»[2] .

فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار تخبره أمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليهم فرجع، وصبحهم في الكتائب، فحصرهم يومه ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم، فعاهدوه فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل (إلا السلاح)[3] فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر[4] الناس إلى الشام، وكذا أخرجه عبد ابن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق.

---

(1) خبر ابن مردويه مروي عن ابن شهاب الزهري.
- المغازي النبوية : ص 72.

(2) أخرجه ابن شهاب في المغازي : 72.

(3) في المغازي لابن شهاب : ص : 72 (إلا الحلقة).

(4) وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار﴾.
- الآيات : 1-2-3-4 من السورة 59 الحشر.

وفي تفسير ابن كثير: عن ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا أو دمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له... فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجهم من حصونهم الحصينة... أجلاهم من المدينة. فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر.
- تفسير ابن كثير : 331/4.

وقال ابن حجر[1] : «قلت فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق». ولكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي[2] فالله أعلم انتهى.

وعلى ما عند ابن مردويه لا يتعين في تاريخ هذه الغزوة أن يكون بعد بير معونة بل ظاهر قوله، فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها إلى اليهود أنها كانت بعد بدر بقريب، وتقدم قول عروة أنها كانت بعد بدر بستة أشهر. (80أ)

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن إسحاق[3]، ثم سار بالناس حتى نزل بهم علي يحمل رايته، فحاصرهم ست ليال. ونزل تحريم الخمر، وقيل خمسة عشر يوما[4]، فتحصنوا منه في الحصون، فأمر بقطع النخل اللينة وتحريقها، وبهدم أسوار حصونهم، الأدنى فالأدنى من دورهم، فنادت اليهود يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه فما بال قطع النخل وتحريقها. فأنزل الله تعالى : ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾[5] فبأمر الله قطعت لم يكن ذلك فسادا.

ثم أشار لسر الإذن وحكمته بقوله «ليجزي الفاسقين وقذف في قلوبهم الرعب، فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم» ويهدمون دورهم التي هم فيها من أدبارها، فلما كادوا يبلغون آخر دورهم، وهم ينتظرون المنافقين أن ينصروهم، وقد كانوا يمنونهم بالنصر، ويعيدونهم ويثبتونهم، فأخذ المنافقين من الرعب ما أخذ بني النضير، فلما يئسوا مما عندهم، واشتد بهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكف عن دمائهم ويخرجون له من بلاده.

---

(1) الفتح : 332/7.

(2) ممن وافقهم ابن إسحاق : ابن سعد في الطبقات : 58/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 68/2.

(3) سيرة ابن هشام : 284/3.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 58/2.

(5) الآية : 5 من السورة 95 الحشر، أخرج الحديث مسلم والبخاري : الفتح : 154/6. وعبد الرزاق في المصنف : 201/5. – والحميدي في مسنده : 301/2، وأبو عوانة في المسند : 98/4، والبلاذري في فتوح البلدان ص : 32.
وأخرج الرواية بطولها البيهقي في الدلائل : 180/3. وذكرها الذهبي مختصرة في تاريخ الإسلام : 170/1.

وعند ابن سعد[1] أنهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم بعث إليهم أن اخرجوا من بلادي، وقد أجلتكم عشرا، فمن (ريء)[2] بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون، فأرسل إليهم ابن أبي لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين من قومي، ومن العرب يدخلون حصنكم، فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فأرسلوا[3] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فسار صلى الله عليه وسلم إليهم، فلما رأوه قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم وخذلهم ابن أبي، وحلفاؤهم من غطفان فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم، وقطع نخلهم[4].

وقال)[5] صلى الله عليه وسلم لهم «اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل من أموالكم إلا الحلقة» –يعني السلاح– فطاروا بذلك كل مطير، وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فلحقوا بخيبر، ومنهم من سار إلى الشام. وأسلم منهم رجلان، فأحرزوا أموالهما، وهما سفيان بن عمير بن وهب[6]، وسعد بن وهب، وكان بنو أبي الحقيق ممن لحق بخيبر معهم آنية كثيرة من فضة قد رآها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا بها، وقبض صلى الله عليه وسلم الأموال وما وجد من السلاح، وهي خمسون درعا، وخمسون بيضة، وثلاثمائة وأربعون سيفا[7]، وكانت بنو النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) الطبقات : 57/2.

(2) في : ع : فمن (رئي) وكذلك في الطبقات.

(3) وسيد اليهود الذي أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو صفيحة حيي بن أخطب.
– رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 211.
– وابن سعد في الطبقات : 57/2.

(4) رواه ابن عقبة في المغازي ص : 212.

(5) رواه ابن شهاب في المغازي ص : 73 بنفس اللفظ وابن عقبة مع اختلاف يسير في اللفظ.
– المغازي ص : 212.

(6) سفيان بن عمير بن وهب من بني النضير.
– الأسد : 272/2 رقم الترجمة : 2118.
– الإصابة : 106/3 رقم الترجمة : 3314.

(7) ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات : 58/2.

خاصة[1] حبسا لنوائبه، و لم يسهم منها لأحد، لأن المسلمين لم يقاتلوا عليها، و لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، وإنما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه[2] ووسع في الناس منها.

وقال[3] صلى الله عليه وسلم للأنصار : «إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بين النضير»، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلهم وأموالهم إذ كانوا قد قاسموهم الديار والأموال، «وإن شئتم أعطيتهم، وقسمت هذه فيهم خاصة، وخرجوا من دوركم، وأمسكتم أموالكم، فقالوا : بل أقسم هذه فيهم خاصة، ويكونون في دورنا كما كانوا، وأقسم لهم من أموالنا ما شئت».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارحم «الأنصار وأبناء الأنصار».

ونزلت : ﴿ويوثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة﴾[4] هكذا في هذه الرواية في نزول هذه الآية.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيما روى عنه : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيرا، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي[5].

جزى الله عنا جعفرا حين أزلفت بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أتوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت (81أ)

فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار، و لم يعط أحدا من الأنصار منها شيئا غير أنه أعطى أبا دجانة سماك بن

---

(1) في ح و ع (خالصة له) وكذلك في الطبقات.

(2) وذكرهم ابن سعد قال : فكان ممن أعطي ممن سمي لنا من المهاجرين أبو بكر الصديق بئر حجر، وعمر ابن الخطاب بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سوالة، وصهيب بن سنان الضراطة والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البويلة، وسهل بن حنيف وأبو دجانة مال يقال له مال ابن خرشة.
– الطبقات : 58/2.

(3) الخبر بطوله ولفظه رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 70/2.

(4) جزء من الآية : 9 السورة 59 الحشر.

(5) شعر الغنوي رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 71/2.

أوس بن خرشة[1]، وسهل بن حنيف[2] لحاجتهما قيل والحارث بن الصمة وهو مذكور في أهل بير معونة، وأعطى سعد بن معاذ سيف اين أبي الحقيق، وكان سيفا له ذكر عندهم[3]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة وما فضل جعله في الكراع والسلاح.

وفي الصحيح[4] : أنه صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم.

- غزوة ذات الرقاع[5] :

قيل وتسمى غزوة الأعاجيب لما ظهر فيها من العجائب. واختلف هل هي غزوة أنمار المتقدمة أو غيرها. قيل : ومذهب الجمهور[6] أن غزوة ذات الرقاع هي غزوة محارب وبني ثعلبة وأنمار.

وجزم أهل المغازي بتقديم ذات الرقاع على خيبر، ثم اختلفوا في زمانها، فعند ابن إسحاق[7] أنه صلى الله عليه وسلم أقام بعد غزوة بني النضير شهر ربيع ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان.

---

(1) أبو دجانة الأنصاري الساعدي اسمه سماك بن خرشة ويقال سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان الأنصاري دافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد شهد بدرا.

(2) سبقت ترجمته.

(3) هكذا قال ابن سيد الناس في عيون الأثر في شأن هذا السيف : 70/2.

(4) أخرجه البخاري في كتاب النفقات باب حبس نفقة الرجل سنة : 120/7. الحديث 271.
– وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء : 1106/3.

(5) وفي تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع يروي مسلم عن بن أبي موسى قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه قال : فنقبت أقدامنا، فنقبت قدماي وسقطت أظفاري، فكنا نلق أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق».
– أخرجه في الصحيح : كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذات الرقاع الحديث رقم : 1816. 1152/3.

(6) قال ابن إسحاق : «ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعد جمادى، ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان» وهذا يضير إلى أنهم جميعا غزوة واحدة.
– سيرة ابن هشام : 203/3.
وقال ابن سعد : «أن أنمارا وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع، فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع».
– الطبقات : 61/2.

(7) سيرة ابن هشام : 203/3.

فقال القاضي أبو الوليد الوقشي[1] على قوله : شهر ربيع صوابه : شهر ربيع وبعض جمادى، فتكون عنده في جمادى الأولى[2].

وعند ابن سعد وابن حبان أنها في المحرم سنة خمس قال ابن سعد[3] : «خرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم، وجزم أبو معشر البراء بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس».

وقال ابن حجر[4] : «إن كونها بعد غزوة بني قريظة هو الذي ينبغي الجزم به، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، فدل على تأخرها بعد الخندق».

وجنح البخاري[5] إلى أنها كانت بعد خيبر، واستدل لذلك بأمور منها : حضور أبي موسى الأشعري وأبي هريرة لهما، وهما إنما جاءا بعد خيبر.

وقال اليعمري[6] : «لا دلالة في خبر موسى على ما أراد»[7] وعجب منه ابن

(1) هشام بن أحمد بن هشام الكناني أبو الوليد بالوقشي، عرف بالقضاء من أهل طليطلة ولد في وقش من كتبه تاريخ الفكر الأندلسي، توفي بداية سنة 489 هـ.
- إرشاد الأريب : 249/7.
- الأعلام للزركلي : 81/9.

(2) كلام الوقشي رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 72/2.

(3) الطبقات : 61/2.

(4) الفتح : 417/7.

(5) الحديث المقصود والذي ذكرت فيه غزوة ذات الرقاع ذكر فيه أبو موسى الأشعري وأبو بردة و لم يذكر فيه أبو هريرة.
- البخاري : كتاب النفقات : 120/7.الحديث رقم : 271.

(6) محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربعي أبو الفتح، مؤرخ عالم بالأدب من حفاظ الحديث أصله من إشبيلية مولده ووفاته بالقاهرة، من مؤلفاته «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» وكتاب تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة، توفي سنة 734 هـ.
- فوات الوفيات : 169/2.
- الدرر الكامنة : 208/4.
- النجوم الزاهرة : 303/9.

(7) قوله نقله بالمعنى وأما لفظه : «وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك».
- عيون الأثر : 74/2.

حجر[1] وقال : «الدلالة من ذلك واضحة وهو كذلك، وأن عجبه لحق إلا أن تكون الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما أشار إلى احتماله البيهقي وغيره وجزم به الواقدي وغيره.

وكان من خبر هذه الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني محارب من قيس عيلان، وبني ثعلبة من غطفان وأنمار، لأنه صلى الله عليه وسلم بلغه أنهم جمعوا له الجموع، فخرج في أربعمائة من أصحابه، وقيل سبعمائة، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري». ويقال عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام[2] فسار حتى نزل نخل من أرض غطفان من نجد على يومين من المدينة بواد يقال له شرخ[3].

قال ابن سعد[4] : «فلم يجد في محالهم إلا نسوة فأخذهن : وقال ا بن إسحاق[5] : فلقي بها جمعا من غطفان فتقارب الناس و لم تكن بينهم حرب، وأخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف».

قال ابن سعد[6] : وكان ذلك أول ما صلاها، وجاء رجل من المشركين اسمه غورث، وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة، فاخترطه[7] من غمده وقال : تخافني، قال : لا قال : فمن يمنعك مني قال : «الله، فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يمنعك مني قال : كن خير آخذ. قال: أتشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله قال : لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك

(1) انظر فتح الباري : 417/7.
(2) سيرة ابن هشام : 203/3.
(3) في : ح (شرج) وكذلك (في معجم البلدان) قال الأصمعي والشراج مجاري الماء من الحرارة إلى السهل واحدها شرج.
– معجم البلدان : 334/3.
(4) الطبقات : 61/2.
(5) سيرة ابن هشام : 204/3.
(6) الطبقات : 2/61–62.
(7) اخترط السيف : سله من غمده.
– اللسان : 1135/2. مادة خرط.

ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله فرجع إلى قومه، وقال : جئتكم من عند خير الناس»[1].

وذكر الواقدي[2] في نحو هذه القصة أنه أسلم ورجع إلى أهله فاهتدى به خلق كثير، وقال فيه، إنه رمي بالزلخة[3] حين هم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فبدر/ (82أ) السيف من يده، وسقط إلى الأرض.

والزلخة -بضم الزاي وشد اللام والخاء المعجمة- وجع يأخذ في الصلب، فيخشن ويغلظ حتى لا يتحرك معه صاحبه.

وغورث - بفتح المعجمة والراء وبالمثلثة آخره، وقيل بضم أوله وقيل بالكاف بدل المثلثة - وحكى الخطابي فيه : غويرث بالتصغير، وحكى اليعمري فيه إهمال العين في التكبير والتصغير.

وقد تقدم في غزة «ذي أمر» مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور، وقال ابن سيد الناس[4] : «والظاهر أن الخبران واحد» وقال غيره : الصواب أنهما قصتان في غزوتين، وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلا.

وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم، قاله ابن هشام[5] وغيره «أو لأنهم كانت راياتهم ملونة الرقاع، أو لشجرة في ذلك الموضع»[6] يقال

(1) والخبر بطوله أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 73/2.

(2) مغازي الواقدي : 397/1.

(3) الزلخة بتشديد اللام وجع يعرض في الظهر، وقال ابن سيدة : هو داء يأخذ في الظهر والجنب.
- اللسان : 1852/3. مادة زلخ.

(4) قال ابن سيد الناس : قلت : «وقد تقدم في غزوة ذي أمر خبر لرجل يقال له دعثور بن الحارث من بني محارب يشبه هذا الخبر قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف» ثم ذكر الخبر ثم قال : «والظاهر أن الخبرين واحد».
- عيون الأثر : 73/2.

(5) سيرة ابن هشام : 204/3.

(6) رواه أيضا ابن هشام : 204/3.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 72/2.
وزاد ابن سيد اناس : بل الجبل الذي نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع.

بها ذلك، أو لأن الأرض التي نزلوا به فيها بقع بيض، ويقع سود كأنها مرقعة برقاع مختلفة، أو لأن خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان.

وقال الواقدي[1] : «سميت بجبل هناك فيه بقع بيض وحمر وسود» قال ابن حجر[2] : «وهذا لعله مستند ابن حبان، ويكون قد تصحف عليه بخيل، قال : وأغرب الداودي فقال : « سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها، فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيما قال البكري والسهيلي».

وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري[3] عن أبي موسى الأشعري من أنها سميت بذلك لما كانوا يعصبون على أرجلهم من الخرق، إذ نقبت أقدامهم.

وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم، بهذه الغزوة خمس عشرة ليلة[4]، وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم، من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله، فنخسه[5] النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق متقدما ما بين يدي الركاب، ثم قال أتبيعه فابتاعه[6] منه، وقال : لك ظهره إلى المدينة، فلما وصل أعطاه الثمن وأرجح، ووهب له الجمل، وقيل كان ذلك بطريق تبوك.

- غزوة بدر الأخرى :

وهي الصغرى، وبدر الموعد، وكانت في شعبان[7] بعد ذات الرقاع، ويقال كانت في هلال ذي القعدة[8] خرج صلى الله عليه وسلم إلى بدر لميعاد أبي سفيان

---

(1) مغازي الواقدي : 1 م 395.
(2) فتح الباري : 417/7.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذات الرقاع : 1152/3. الحديث رق 1816.
(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 2 م16.
(5) نخس الدابة وغيرها ينخُسها وينخَسها : نخسا : غرز جنبها أو مؤخرها بعود أو نحوه. والنخاس بائع الدواب سمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط.
— اللسان : 4376/6 مادة نخس.
(6) ابتاعه منه صلى الله عليه وسلم بأوقية وشرط له ظهره إلى المدينة.
رواه ابن سعد في الطبقات : 61/2.
(7) قال ابن عقبة كانت في شعبان سنة ثلاث.
— المغازي ص : 210.
(8) قال ابن سعد : «بدر الموعد وهي غير بدر القتال وكانت لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهرا من مهاجره».
— الطبقات : 59/2. «وقال ابن إسحاق في شعبان سنة أربع». — سيرة ابن هشام : 209/3.

في ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس[1].

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة[2]، وقيل عبد الله بن أبي بن سلول[3] ونزل في بدر، فأقام هناك ثمانية أيام (يريد)[4] أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في ألفين من أهل مكة، ومعهم خمسون فرسا حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران. ويقال نزل عسفان، ثم بدا له في الرجوع[5]، واعتذر بأن العام عام جذب.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوعهم انصرف إلى المدينة[6].

وفي هذه السنة التي هي سنة أربع نزل الحجاب على الأصح، وقيل في السنة قبلها، وقيل في التي بعدها.

وفيما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي واليهودية في الزنا، وأمر زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود. وقال: «لا آمن أن يبدلوا كتابي». وكانت ترد عليه صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية، فأمر زيد فتعلمها في بضعة عشر يوما.

«السنة الخامسة»

- غزوة دومة الجندل:

وهي بضم دال دومة، وفتح الجيم والدال من الجندل[7] - مدينة من أدنى الشام قرب جبلي طيء -، وهي أول غزوات الشام. وكان سببها أنه صلى الله عليه وسلم

(1) رواه ابن سعد في الطبقات: 59/2.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر: 75/2.

(2) وهو ما رواه ابن سعد في الطبقات: 59/2.

(3) رواه ابن هشام في سيرته: 209/3.

(4) في: ح (ينتظر).

(5) وعند رجوعه قال: ما يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه السمر وتشربون فيه اللبن ثم رجع إلى مكة.
وخبر أبو سفيان أخرجه البيهقي في الدلائل: 386/3.
- ومغازي عروة ص: 183. - وابن عقبة في المغازي ص: 209.

(6) رواه ابن عقبة: ص 210.
وابن كثير في السيرة: 169/3.

(7) قال ابن سعد: هي طرف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة. - الطبقات: 62/2.

بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة[1]، فخرج صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين، وقيل مضين من شهر ربيع الأول.

وقال ابن إسحاق[2] : «إنه أقام بالمدينة بعد مقدمه من بدر الموعد حتى مضى ذو الحجة، ثم غزا دومة الجندل».

وقال ابن حزم : إن دومة الجندل كانت في السنة الرابعة/. (83ب)

وخرج صلى الله عليهيه وسلم في ألف من أصحابه، فكان يسير الليل ويكمن النهار[3].

واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[4] فبلغهم الخبر فهربوا و لم يلق بها أحدا، و لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وأقام بها أياما، وبث السرايا، وفرقها ثم رجعت، و لم تصب منها أحدا أخذ منهم رجلا فأسلم»[5].

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر، وقيل الأول[6].

وقال ابن إسحاق : «ثم رجع قبل أن يصل النهار»[7].

---

(1) هكذا أخبر ابن سعد في سببها.
– الطبقات : 62/2.
وفي موعدها قال : ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجره.
(2) سيرة ا بن هشام : 213/3.
(3) رواه ابن سعد في الطبقات : 62/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 76/2.
(4) رواه ابن هشام في سيرته : 213/3.
(5) رواه ابن سعد في الطبقات : 62/2.
(6) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 76/2 وقال ابن سعد : «ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة و لم يلق كيدا لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر».
– الطبقات : 63/2.
(7) سيرة ابن هشام : 213/3.

- غزوة المريسيع :

وهو ماء بخزاعة بناحية قديد بينه وبين الساحل، وهذه الغزوة هي غزوة بني المصطلق[1]، وهم بطن من خزاعة، وقيل إنها غيرها. والصحيح أنها عينها، وأنهما متحدتان، وكانت سنة خمس على ما عند ابن عقبة[2] والواقدي وابن سعد[3] وكذا رواه البيهقي[4] عن عروة وقتادة وغيرهما، ورجحه الحاكم وغيره.

وزاد ابن سعد[5] : «أنها كانت في شعبان يوم الإثنين لليلتين خلتا منه».

ونقل البخاري عن ابن عقبة : أنها كانت سنة أربع قالوا : كأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع[6].

والذي في مغازي ابن عقبة من عدة طرق، وأخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل، وغيرهم سنة خمس[7].

وقال ابن إسحاق[8] : «كانت في شعبان سنة ست» وبه جزم خليفة بن خياط والطبري.

والأول أصح وسببها[9] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن رئيسهم

---

(1) قال ابن سعد : بني المصطلق : من خزاعة وهم من حلفاء بني مدلج وكانوا ينزلون على بئر لهم يقال لها المريسيع، بينها وبين الفرع نحو يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد.
– الطبقات : 63/2.

(2) مغازي ابن عقبة ص : 229.

(3) الطبقات : 63/2.

(4) الدلائل للبيهقي : 38/4 حيث قال كانت «سنة خمس».

(5) الطبقات : 63/2.

(6) رواه ابن حجر في الفتح : 430/7.

(7) مغازي ابن عقبة –وقد سبق الإشارة إليه– ص. 229.

(8) سيرة ابن هشام : 214/3.

(9) وأخرج هذه القصة أي سبب هذه الغزوة :
– ابن عقبة في المغازي : ص : 229.
– وعروة في المغازي ص : 190.
– وابن حجر في الفتح : 429/7.
– وابن سعد في الطبقات : 63/2.

الحارث بن أبي ضرار[1] سار في قومه، ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجابوه وتهيأوا للمسير معه، فبعث[2] صلى الله عليه وسلم من يعلم له علم ذلك، فلما استيقن الخبر خرج إليهم مسرعا.

واستخلف على المدينة زيد بن حارثة[3]، وقيل أباذر الغفاري[4] وقيل : نميلة بن عبد الله الليثي[5] وقيل : جعالا الضمري. وقادوا الخيل، وكانت ثلاثين فرسا[6] وخرجت عائشة وأم سلمة، وبلغ الحارث، ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم فسيئوا بذلك، وخافوا خوفا شديدا، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب. وبلغ صلى الله عليه وسلم المريسيع فلقيهم به، فاضطرب عليه قبته وتهيأوا للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر، وراية سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة، وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت قاله ابن هشام[7].

ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم، فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان فقتلوا عشرة وأسروا سائرهم، وسبوا الرجال والنساء[8] والذرية والنعم والشاء.

---

(1) الحارث بن ضرار ويقال الحارث بن أبي ضرار المصطلقي الخزاعي وهو والد جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم.
– الاستيعاب : 357/1 رقم الترجمة : 424. – الوافي بالوفيات : 370/1.
– الأسد : 455/1 رقم الترجمة 905.

(2) بعث إليه صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي.
– رواه ابن سعد في الطبقات : 63/2.

(3) رواه ابن سعد في الطبقات : 63/2.

(4) وقال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري يقال نميلة بن عبد الليثي.
– سيرة ابن هشام : 289/3.

(5) نميلة بن عبد الله الليثي بن فقيم بن حزن بن سيار بن عبد الله، نسبه ابن الكلبي وقال له صحبة.
– الاستيعاب : 94/4 رقم الترجمة 2693.
– الأسد : 576/4. رقم الترجمة 5298.

(6) قال ابن سعد : «ثلاثون فرسا في المهاجرين منها عشرة وفي الأنصار عشرون».
– الطبقات : ورواه عنه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 123/2.

(7) سيرة ابن هشام : 294/3.

(8) وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا حويرية بنت الحارث بن أبي ضرار زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :
– سيرة ابن هشام : 294/3.

و لم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد كذا ذكره ابن إسحاق[1] وابن سعد.

والذي في الصحيحين[2] أنه أغار عليهم، وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم. وقد أشار ابن سعد[3] إلى هذه الرواية، ثم زعم أن الأول أثبت.

ويحتمل أن يكون لما دهمهم وهم غافلون ثم ثبتوا، وتصافوا، ووقع القتال، فلما كثر فيهم القتل انهزموا، وكانت الإبل ألفي بعير. والشاء خمسة آلاف شاة، وكان السبي مائتي بنت[4].

وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم، وقيل في ذات الرقاع، وقيل في غزوة الفتح. وفيها كانت قصة الإفك[5].

وفيها قال ابن أبي: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. القصة»[6] وقيل كان ذلك في تبوك. وفيها هبت على الناس ريح شديدة فآذتهم، وتخوفوها. فقال صلى الله عليه وسلم لهم: «لا تخافوها فإنما همت لموت عظيم من عظماء الكفار»[7]،

---

(1) وقال ابن إسحاق: وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له: هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.
- سيرة ابن هشام: 290/3.

(2) عن عبد الله بن عوف قال: كتبت إلى نافع رحمه الله أسأله عن الدعاء قبل القتال، فكتب إلي: إنما كان ذلك في أول الإسلام وقد أغار صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية قال حدثني به عبد الله بن عمرو كان في ذلك الجيش.
- أخرجه البخاري ورواه عنه ابن البديع الشيباني في كتاب تيسير الوصول: 249/3.

(3) الطبقات: 64/2.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات: 64/2.

(5) وقصة الإفك رواها ابن إسحاق بطولها وسنده في ذلك قال: حدثنا الزهري عن علقمة بن وقا، وعن سعيد ابن جبير، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كل حدثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت لك الذي حدثني القوم.
- انظر القصة بطولها في سيرة ابن هشام: 297/3.

(6) رواه ابن هشام في سيرته: 291/3.
- وابن سعد في الطبقات: 65/2.

(7) رواه ابن عقبة في المغازي: ص: 232.

فلمـا قدموا المدينة وجـدوا بعض عظمـاء اليهـود، وكان كهفا للمنـافقين قد مـات ذلك اليوم.

وفيها نهى صلى الله عليه وسلم عن العزل[1]، ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد غاب عنها ثمانية وعشرين يوما وقدمها لهلال رمضان/. (84أ)

- **غـزوة الخـنـدق :**

وهي غزوة الأحزاب، وكانت في شوال سنة أربع في قول موسى بن عقبة[2] ومال إليه البخاري[3] وقواه ابن عمر[4] أنه عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة، ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة.

وقال ابن إسحاق[5] : كانت في شوال من سنة خمس، وبكونها سنة خمس جزم ابن سعد[6] وغير واحد من أهل المغازي.

وقال ابن سعد[7] : كانت في ذي القعدة وقال ابن حجر[8] على حديث ابن عمر «لا حجة فيه إذا ثبت أنها كانت سنة خمس لاحتال أن يكون ابن عمر في أحد كان

---

(1) وحديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن العزل أخرجه البخاري قال : حدثنا قتيبة بن سعد أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن ربيعة عن أبي عبد الرحمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل، قال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبيا من سبي العرب، فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببن العزل فأردنا أن نعزل، وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة.
– أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة بني المصطلق ج 222/5 الحديث رقم 616.

(2) مغازي ابن عقبة ص : 214.

(3) قال البخاري : «غزة الخندق وهي غزوة الأحزاب قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع»
– صحيح البخاري كتاب المغازي ج 211/5.د.

(4) حديث ابن عمر أخرجه البخاري في الصحيح عن نافع : 211/5. في كتاب المغازي باب غزوة الخندق. الحديث رقم : 581.

(5) سيرة ابن هشام : 65/2.

(6) الطبقات : 65/2.

(7) الطبقات : 65/2.

(8) فتح الباري : 392/7.

أول ما طعن في الرابعة عشر». وكان في الأحزاب استكمل الخمس عشرة سنة، وبهذا أجاب البيهقي[1]. ويؤيد قول ابن إسحاق: أن أبا سفيان قال للمسلمين لما رجع من أحد موعدكم العام المقبل ببدر، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من السنة إلى بدر فتأخر مجيء أبي سفيان تلك السنة للجذب الذي كان حينئذ، وقال لقومه: إنما بصلح الغزو في سنة خصب، فرجعوا بعد أن وصلوا إلى عسفان أو دونها. ذكر ذلك ابن إسحاق[2] وغيره من أهل المغازي انتهى.

وحديث ابن عمر عند أبي نعيم في «الحلية» بلفظ، ثم عرضت عليه العام المقبل في الخندق. وقال صحيح ثابت. وصحح كل من قول ابن عقبة وابن إسحاق، ولكن قول ابن عقبة لا يساعد عليه ما في الصحيح[3] من ذكر سعد بن معاذ في قضية الإفك وهو ناشىء عن غزوة المريسيع، وقد تقدم تأخرها عن ذلك أعني عن تاريخ ابن عقبة للخندق الذي هو سنة أربع كما لا يساعد ما في الصحيح أيضا تاريخ ابن إسحاق للمريسيع.

وقد اتفقوا على تقدم الأحزاب على ذلك التاريخ الذي هو عام ستة إلا أن نقول: إن ما في الحديث الصحيح من ذكر سعد بن معاذ في قصة الإفك[4] وهم وخطأ كما قال ابن عبد البر وابن العربي.

(1) السنن الكبرى للبيهقي : 55/6.

(2) سيرة ابن هشام : 214/3.

(3) ما في الصحيح : غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع قال ابن إسحاق سنة ست : وقال موسى بن عقبة سنة أربع وقال النعمان بن راشد عن الزاهري كان حديث الإفك في غزوة المريسيع.
– صحيح البخاري : 222/5 كتاب المغازي وحقق هذا الخلاف أو بالأحرى الاختلاف في الفتح : 392/7.

(4) ولعلهم أوهموا جميعا ابن عبد البر وابن العبي وصاحبنا. لأنني حينما عدت إلى صحيح البخاري وجدت المذكور سعد بن معاذ وحين عدت إلى ابن إسحاق وجدت المذكور أسيد بن حضير وعلى هذا يتعين القول بذكر الاختلاف بين خبر البخاري وابن إسحاق.
وللاستشهاد على قولنا نأتي بالشاهد من النصين:
* فمن البخاري «... فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي. والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا. وما يدخل على أهلي إلا=

وإن الصحيح ما عند ابن إسحاق من كون المذكور أسيد بن حضير، ولا يتعين ذلك إلا لو اتفق أهل المغازي على تقدم غزوة الخندق على غزوة بني المصطلق،كيف وهم مختلفون في ترتيب ذلك، فيحق الرجوع إلى ما في الصحيح، ويكون هو الحاكم عند الاختلاف.

وقد أفصح بأن المتنازع[1] مع سعد بن عبادة في أصحاب الإفك هو سعد بن معاذ، وذلك يقتضي تقدم المريسيع على الأحزاب، فيكون الصحيح ما قاله ابن سعد وجماعته من أن غزوة المريسيع قبل الخندق وأنهما معا سنة خمس[2] كما تقدم بيانه والله أعلم.

ويبقى ما في لفظ أبي نعيم من قول العام المقبل وهو قد رواه من الطريق التي أخرج منها في الصحيح، وليس فيه ذلك فهو في الحلية من قول بعض الرواة.

وقيل : إن سبب الخلاف أن بعض السلف أرخوا من المحرم الذي بعد الهجرة، فقالوا بدر الكبرى في السنة الأولى وأحد في الثانية، والخندق في الرابعة، والجمهور أرخوا من المحرم الذي قبل الهجرة فبدر في الثانية وأحد في الثالثة والخندق في الخامسة والله أعلم.

=معي قالت (أي بريرة) فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك. فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك».

– من صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث الإفك : 223/5. الحديث رقم 619 وهو حديث طويل يزيد عن ست صفحات. روته عائشة رضي الله عنها.

* ومن سيرة ابن إسحاق : «... فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك».

– سيرة ابن هشام : 300/3.

(1) وعلى ما ذكرناه من تحقيق الخبرين خبر البخاري في الصحيح وخبر ابن إسحاق في السيرة يكون الآتي :

– عند ابن إسحاق : ذكر أن المتنازع مع سعد بن عبادة هو أسيد بن حضير.

– وعند البخاري أن المتنازع مع سعد بن عبادة هو سعد بن معاذ.

(2) وهو ما رواه الزهري في المغازي : 79.

– وابن سعد في الطبقات : 65/2.

– والطبري في تاريخه : 564.

– وابن سعد في الطبقات : 65/2.

– والذهبي في تاريخ الإسلام : 248/1.

وكان من خبر[1] هذه الغزوة أنه لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير وبني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدموا مكة على قريش فاستغووهم واستنصروهم. وقالوا : إنا نكون معكم عليه حتى نستأصله، فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك النفر[2] حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم بأنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، وجعلوا لغطفان تحريضا على الخروج نصف[3] تمر خيبر كل عام، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن[4] في فزارة والحارث ابن عوف المري[5] في مرة.

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحزاب، وبما أجمعوا عليه من الأمر ضرب على المدينة الخندق وهو / الحفير جعله حولها، وذلك من الجهة الشامية (85ب)

---

(1) من خبر هذه الغزوة أيضا هو ما رواه ابن إسحاق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير، قال : «ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي، والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكير وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعض» وروى القصة بلفظه كما جاءت هنا.
– انظر سيرة ابن هشام : 214/3.

(2) وهؤلاء النفر هم : سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي.
– رواه ابن هشام في السيرة : 214/3.

(3) يروي عبد الرزاق عن ابن شهاب الزهري : فبينما هم على ذلك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عيينة ابن حسن بن بدر الفزاري وهو يومئذ رأس المشركين من غطفان وهو مع أبي سفيان : «أرأيت إن جعلت لك ثلث تمر الأنصار : أترجع بمن معك من غطفان وتخذل بين الأحزاب ؟ فأرسل إليه عيينة : إن جعلت لي الشطر فعلت» لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذلك، فوقعت بينها الحرب.
– مغازي ابن شهاب : ص : 79. – ورواه أيضا ابن عقبة في المغازي: ص : 215.

(4) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح، وتزوج عثمان بن عفان ابنته.
– الاستيعاب : 316/3. رقم الترجمة : 2078. – الأسد : 31/3 رقم الترجمة : 4160.

(5) الحارث بن عوف المري قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، وبعث معه رجلا من الأنصار إلى قومه ليسلموا فقتل الأنصاري.
– الاستيعاب : 360/1 رقم الترجمة : 434. – الأسد : 465/1 رقم الترجمة : 941.

فقط، فكان من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية، لأن هذا الجانب منها كان عورة، وسائر جوانبها كانت مستورة بالبناءات والنخيل، لا يتمكن العدو منها، وكان اتخاذ الخندق بإشارة سلمان الفارسي[1] بعد أن استخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم[2] وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه. وعمل المسلمون فدأب ودأبوا، وكانت قبته صلى الله عليه وسلم مضروبة على ذباب، وأقاموا في عمله ستة أيام على ما عند ابن سعد[3] وهو المعروف.

وغيره يقول بضع عشرة ليلة، وقيل أربعا وعشرين، ونقل عن الواقدي[4].

ووقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوءته صلى الله عليه وسلم، منها أنهم كانوا يحفرون، فعرضت كدية[5] شديدة لا يأخذ منها المعاول، فجاءوه صلى الله عليه وسلم، فأخبروه فقام، فأخذ المعول، فضرب فعاد كثيبا أميل[6].

وفي رواية[7] قال: «بسم الله ثم ضرب ضربة، فكسر ثلث الصخرة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله: إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب

(1) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي، منهم أبو معشر قال: قال سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة.
- انظر فتح الباري: 392/7.
- الطبقات لابن سعد: 66/2.
- وابن عقبة في المغازي: ص: 216.

(2) رواه ابن سعد في الطبقات: 66/2.

(3) الطبقات: 67/2.

(4) ما وقفت عليه عند الواقدي أنهم أقاموا في عمله ستة أيام.
- مغازي الواقدي: 454.

(5) وفي خبر هذه الكدية يروي ابن إسحاق أيضا قال: فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث: أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبيا لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاق».
- سيرة ابن هشام: 218/3.

(6) في ع: «أهيل» وكذلك في عيون الأثر: 79/2.

(7) هذه الرواية أخرجها ابن عقبة في المغازي ص: 215 لكن بلفظ وصيغة مختلفة.

الثانية فقطع ثلاثا أخر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس إني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ضرب الثالثة، فقال: بسم الله فقطع بقي الحجر، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة».

ومنها تكثير التمر[1] الذي جاءت به بنت بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير لأبيها وخالها عبد الله بن رواحة ليتغذيا به حتى صدر عنه أهل الخندق كلهم، وإنه ليسقط من أطراف الثوب لزيادته ونموه.

ومنها حديث بهيمة جابر[2] صدر عنها أهل الخندق كلهم، وتركوها كما هي، وكانت غذاء رجل أو رجلين، ثم أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة[3] في أربعة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة معهم ألف وخمسمائة بعير، وقادوا ثلاثمائة فرس، ونزل عيينة بن حصن من غطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقمى[4] إلى جانب أحد، ويقال بباب نعمان في ستة آلاف، فكان المجموع عشرة آلاف. وهم الأحزاب.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سفح سلع وهو جبل صغير معروف يجاور أسفل السوق، وكانوا ثلاثة آلاف رجل معهم ستة وثلاثون فرسا، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم[5]. وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن معاذ[6]. وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الحرس إلى المدينة، فكان يبعث سلمة بن أسلم في مائتي

(1) رواية تكثير التمر: أخرجها ابن إسحاق عن سعيد بن مينا.
- سيرة ابن هشام: 218/3.

(2) وكانت بهيمة جابر عبارة عن شاة أو كما وصفها جابر: كانت عندي شويهة.
- وأخرج خبره ابن إسحاق عن سعيد بن مينا أيضا.
- انظر سيرة ابن هشام: 218/3.

(3) رومة: أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة نزلها المشركون عام الخندق، وفيها بئر رومة، اسم بئر ابتاعها عثمان ابن عفان.
- معجم البلدان: 104/3.

(4) نقمى: بالتحريك والقصر: موضع من أعراض المدينة، كان لآل أبي طالب.
- معجم البلدان: 300/5.

(5) أخرج هذه الرواية ابن هشام في السيرة: 220/3.

(6) رواه ابن سعد في الطبقات: 67/2.

رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة. ويظهرون التكبير خوفا على الذراري والنساء من بني قريظة، وأمر بهم، فجعلوا في الآطام[1].

وكان عباد بن بشر على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غيره من الأنصار يحرسونه لك ليلة كذا قال ابن سعد[2] في هذا الموضع.

وقال في باب حراس رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الذي حرسه يوم الخندق الزبير بن العوام، وخرج حيي بن أخطب[3] اليهودي حتى أتى بني قريظة، فلم يزل لهم حتى نقضوا العهد، فعظم عند ذلك البلاء على المسلمين، واشتد خوفهم، وأتاهم عدوهم من فوقهم، وهم بنو قريظة ومن أسفل منهم، وهم قريش وغطفان، وقيل بالعكس، وقيل من فوقهم عيينة بن حصن، ومن أسفل منهم أبو سفيان بن حرب حتى زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، وأقاموا على ذلك شهرا، وقيل خمسة عشر يوما[4]. ولابن عقبة قريبا من عشرين ليلة، وقيل غير ذلك، و لم يكن بينهم قتال إلا الحصار ومراماة بالنبل[5] لكن أقحم نفر من المشركين خيولهم من / ناحية ضيقة من (86أ) الخندق حتى ساروا إلى السبخة بين الخندق وسلع، فبارز علي رضي الله عنه أحدهم، فقاتله ثانيا فقتله[6] وقيل قتله الزبير، فرجعت بقية الخيول منهزمة وبعثوا في جسد أحد القتيلين وهو نوفل بن عبد الله المخزومي[7] لما استولى المسلمون عليه فأعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف درهم فلم يأخذها ودفعه إليهم، وقال لا حاجة لنا بجسده ولا بثمنه.

---

(1) الأبنية المرتفعة وهي الحصون.

(2) الطبقات : 67/2.

(3) حيي بن أخطب النضري جاهلي أدرك الإسلام، وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه توفي سنة 5 هـ.

– الأعلام : 148/2.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 70/2.

(5) والخبر بطوله أخرجه الواقدي في المغازي : 450/2.

(6) الذي بارزه علي رضي الله عنه فقتله عمرو بن عبدود وهو ابن تسعين سنة أي ابن عبدون.

– الطبقات : 68/2.

(7) بينما قتل الزبير نوفل بن عبد الله قال ابن سعد : وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقه باثنين.

– الطبقات : 68/2.

– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 85/2.

وذكر ابن عائذ[1] «أن المشركين جهزوا نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة عظيمة غليظة فقاتلوهم يوما إلى الليل، فلما حضرت العصر دنت الكتائب، فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على ما أرادوا فانكفأت مع الليل، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «شغلونا عن صلاة العصر، ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا وهذا معناه في الصحيح»[2].

وقال ابن سعد[3]: «كان المشركون يتناوبون بينهم، فتغدوا كل طائفة يوما فلا يزالوا يجيلون خيلهم، ويتفرقون مرة، ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقدمون رماتهم فيرموا، وأتوا يوما يطلبون غرة المسلمين، فناوشوهم ساعة، وقتل رجل واحد من المسلمين، وشغلوهم عن صلاة الظهر والثلاث بعدها، ثم انكشف المشركون، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبته، ثم صلى الصلوات، ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة، وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، ويوم بني قريظة «حم لا ينصرون»»[4].

واستشهد من المسلمين ستة نفر كلهم من الأنصار، وقيل ثمانية منهم سعد بن معاذ[5] رمي بسهم، فقطع منه الأكحل[6] وهو المسمى بالمشترك، ومات بذي الحجة

(1) وقول ابن عائذ أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر: 87/2.
- وأخرجه أيضا ابن عقبة في المغازي: ص: 217.
(2) أخرجه البخاري من حديث علي: الفتح: 105/6.
- ومسلم من حديث علي أيضا بشرح النووي: 128/5.
- وأخرجه ابن عقبة في المغازي: ص: 218.
(3) الطبقات: 69/2.
(4) شعارهم يوم الخندق رواه ابن هشام في سيرته: 226/3.
- وابن سعد في الطبقات: 72/2.
(5) قال ابن إسحاق في شأن موت سعد بن معاذ: «رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة بن حبان ابن قيس بن العرقة أحد عامر بن لؤي».
- سيرة ابن هشام: 227/3.
(6) عرق في اليد يفصد قال ابن سيده «يقال له النسا في الفخذ، وفي الظهر الأبهر وفي الحديث أن سعد رمي في أكحله فالأكحل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده».
- اللسان: 3832/5 مادة كحل.

بعد شهر من جرحه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن، والحارث بن عوف أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فلما كتبوا الكتاب بذلك، و لم يبق إلا إيقاع الشهادة عليه أرسل صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فجاءاه، فاستشارهما في ذلك فكرهاه، وأنفا منه.

وقيل[1] إنه صلى الله عليه وسلم هم أن يعطي عيينة ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فذكر ذاك لسعدين فامتنعا منه، وقالا : كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون منا في شيء من ذلك، فكيف نفعله بعد أن أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا بذلك من حاجة لا نعطيهم إلا السيف[2].

وفي الاستيعاب[3] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطي عيينة بن حصن ثلث تمر المدينة لينصرف بمن معه من غطفان، ويخذل الأحزاب، فأبى عيينة إلا أن يأخذ نصف التمر، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دون سائر الأنصار لأنهما كانا سيدا قومهما، كان سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج، فشاورهما في ذلك فقالا : يا رسول الله، إن كنت أمرت بشيء فافعله وامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لم أومر بشيء لو أمرت بشيء ما شاورتكما وإنما هو رأي أعرضه عليكما فقالا والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية فكيف اليوم وقد هدانا الله بك وأكرمنا وأيدنا، والله لا نعطيهم إلا السيف فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهما» وقال لعيينة ومن معه «ارجع فليس بيننا وبينكم إلا السيف»، ورفع بها صوته، ثم مشى نعيم بن مسعود الأشجعي[4] إلى المشركين بعد بضعة عشر يوما من الحصار وهو مخف إسلامه فثبط

(1) الرواية أخرجها ابن سعد في الطبقات : 73/2.

(2) رواه ابن شهاب الزهري في المغازي : ص : 79.

(3) الاستيعاب لابن عبد البر : 162/2-163.

(4) نعيم بن مسعود الأشجعي بن عامر هاجر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في الخندق سكن المدينة ومات في خلافة عثمان.
- الاستيعاب : 70/4 رقم الترجمة 2658.
- الأسد : 551/4 رقم الترجمة : 5274.
- البداية والنهاية : 5/4.

قوما عن قوم، وأوقع بينهم شرا لقوله صلى الله عليه وسلم: «الحرب خدعة»[1] فاختلفت كلمتهم، وحذرت كل طائفة من الأخرى.

ودعا صلى الله عليه وسلم/ «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[2] وقال له أصحابه: هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر قال: «نعم اللهم استر عوراتنا»، فأرسل الله على أعدائهم ريحا[3] وجنودا من ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت الريح، وكانت ريح الصبا تقلع أوتادهم، وتلقي عليهم أبنيتهم، وتكفأ قدورهم وتسفي عليهم التراب وترميهم بالحصاء وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير، وقعقعة السلاح، فارتحلوا هرابا[4] في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من أمتعتهم، ولم تكن الريح تجاوز عسكرهم شبرا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة، وقال: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم[5]. (87ب)

- غزوة بني قريظة من اليهود:

وكان من خبرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق، ودخل المدينة يوم الأربعاء هو وأصحابه، ووضعوا السلاح بينما هو صلى الله عليه

(1) أخرج هذا الحديث البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة وجابر بن عبد الله في قصة الأحزاب: انظر فتح الباري: 157/6 وقال ابن حجر: ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم «الحرب خدعة» في غزوة الخندق.
وروى الخبر ابن عقبة في المغازي: ص: 220.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 74/2. وأخرجه مسلم في الجهاد باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو: 1096/3.
– وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الجهاد باب ما جاء في الدعاء عند القتال.
– وأخرجه أبو داود في الجهاد باب كراهية تمني لقاء العدو: 389/2 الحديث رقم 2631.

(3) وخبر هذه الريح والجنود أخرجه ابن عقبة في المغازي ص: 222.
– وابن سعد في الطبقات 17/2.
وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾.
– الآية: 9 من السورة 33 الأحزاب.

(4) في ع: هاربين.

(5) والرواية بأتمها أخرجها البيهقي في الدلائل 392/3 وأشار إليها البيهقي في سننه: 13/9.

وسلم في المغتسل يغسل رأسه، وقد حضر وقت الظهر جاءه جبريل عليه السلام[1] (معتجرا)[2] بعمامة من استبرق وعلى بغلة عليها قطيفة ديباج، ويقال على فرس، وعليه اللامة وأثر الغبار، وقيل: جاءه، واغتسل صلى الله عليه وسلم ودعا بالمجمرة ليتبخر فقال له: وضعت السلاح، والله ما ضعناه، وما رجعت إلا من طلب القوم أخرج إليهم. وأشار إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم، فمزلزل بهم[3].

وفي لفظ «والله لأدقنهم دق البيض على الصفا ثم أدبر هو ومن معه من الملائكة، فسطع الغبار في زقاق بني غنم[4] من الأنصار»، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»[5] وفي رواية: «الظهر»، وبعث عليا برايته على المقدمة، ثم خرج صلى الله عليه وسلم في أثره، فسار إليهم حتى نزل على بئر من آبارهم ثم تلاحق المسلمون إلى الليل، فكان عددهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثين فرسا وذلك يوم الأربعاء المذكور[6].

---

(1) قصة جبريل عليه السلام ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم رواها:
- ابن شهاب الزهري في المغازي: ص: 18.
- وابن عقبة في المغازي ص: 223.
- والواقدي في المغازي 497/2.
- والبلاذري في أنساب الأشراف: 347/1.
- وابن سعد في الطبقات على اختلاف في اللفظ والرواة في الروايات.

(2) في ع: محتجرا.

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 74/2 وزاد «فمزلزل بهم حصونهم».
- وفي مغازي ابن عقبة فقال له جبريل: «إن الله قد أمرك بقتال بني قريظة، وأنا غامد لهم بمن معي من الملائكة صلوات الله عليهم لأزلزل بهم الحصون».
- انظر مغازي ابن عقبة ص: 223.

(4) والحديث أخرجه البخاري قال حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس رضي الله عنه قال كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة.
- أخرجه في كتاب المغازي: باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم. ومخرجه إلى بني قريظة: 217/5.
الحديث رقم: 602.

(5) أخرجه البخاري عن نافع عن ابن عمر في كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى بني قريظة: 217/5 الحديث رقم: 604.
- وأخرجها ابن عقبة في المغازي ص: 224.
- وأخرجه ابن هشام في سيرته: 234/3.

(6) أخرجه ابن سعد في الطبقات: 74/2.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن هشام[1]، فحاصرهم بضعة عشر يوما، وقيل خمسة عشر، وقيل عشرة أيام، وقيل خمسة وعشرون (يوما)[2] حتى أجهدهم الحصار، واشتد بهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فأذعنوا (على)[3] أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلب منه الأوس، إذ كانوا حلفاءهم أن يسلك بهم مسلك بني قينقاع حلفاء الخزرج، إذ حاصرهم، فنزلوا على حكمه، فشفع فيهم ابن أبي، فوهبهم له، فقال صلى الله عليه وسلم : «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا : بلى قال : فذلك إلى سعد بن معاذ»[4] فجيء به وهو جريح، فحكم بقتل المقاتلة وسبي النساء والذرية، وقسم الأموال، فقال له صلى الله عليه وسلم، «لقد حكمت فيهم بحكم الله»[5] فضربت أعناق رجالهم بالمدينة بعد أن انصرف النبي صلى الله عليه وسلم إليها يوم الخميس لسبع ليال، وقيل لخمس خلون من ذي الحجة، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة، وقيل : ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة، وثبت أيضا أنهم كانوا أربعمائة مقاتل[6]، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال عن الباقين كانوا أتباعا. وكان أسلم منهم ثلاثة ليلة كانوا نازلين، فأحرزوا دماءهم وأموالهم، وهو أسد بن عبيد[7] وأسد بن

(1) سيرة ابن هشام : 234/3.
(2) ما بين قوسين سقط من : ع.
(3) ما بين قوسين سقط من : ع
(4) وأخرج رواية سعد بن معاذ وخبره في الحكم بينهم ابن شهاب الزهري في المغازي ص : 81.
- وابن عقبة في المغازي.
وقال ابن إسحاق : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى».
- سيرة ابن هشام : 239/3.
(5) رواه ابن إسحاق من طريق عاصم بن عمر بن قتادة.
- انظر سيرة ابن هشام : 240/3.
- وابن الأثير في أسد الغابة : 241/2.
(6) الاختلاف في الروايات بين المقاتلين رواه ابن إسحاق.
انظر سيرة ابن هشام : 241/3.
(7) أسد بن عبيد القرظبي نزل هو وثعلبة بن سعية، وأسد بن سعية يوم قريظة فأسلموا ومنعوا دمائهم وأموالهم.
- الاستيعاب : 174/1 رقم الترجمة 27.
- الأسد : 98/1 رقم الترجمة : 94.

سعية[1]، ويقال : أسيد -بوزن زبير-، وقيل : -بوزن حديد- وهو الصواب، والأصح عندهم. وثعلبة بن سعية، وقيل ابن يامين.

وسعية المذكور يقال : بالنون وبالمثناة التحتية وهو أكثر. وقال الواقدي[2] أن أبا سعد بن وهب[3]، وقيل : ابن أبي وهب الأنصاري القرظي، وقيل : النضر[4] نزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فأسلم، ووجد فيها ألفا/ وخمسمائة (88أ) سيف، وثلاثمائة درع، وألفي رمح، وخمسمائة ترس وجحفة وخمرا وجرار سكر، فأهريق ذلك كله، ولم يخمس. ووجد جمالا نواضح[5] وماشية كثيرة، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بين المسلمين، بعد أن خرج الخمس فقسمها للفارس ثلاثة أسهم، سهم له، وسهمان لفرسه، وللرجال سهم. وكان أول فيء وقعت فيه السهام وأخرج منه الخمس[6].

واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه ريحانة[7] ثم بعث صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري[8] أخا بني عبد الأشهل بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا.

وروى البخاري : من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : «حاربت النضير وقريظة، فأجلي بنو النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم حتى حاربت

(1) أسد بن سعية القرظي ويقال أيضا أسيد وقد روى إبراهيم بن سعد عن أبي إسحاق أسيد أحد من أسلم من اليهود.
- الأسد : 98/1 رقم الترجمة : 93. - الإصابة : 31/1 رقم الترجمة : 100.
(2) مغازي الواقدي : 510/2.
(3) أبو سعد بن وهب القرظي ينسب إلى قريظة، والصحيح أنه من بني النضير، نزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فأسلم.
- الاستيعاب : 232/4 رقم الترجمة : 3022. - الأسد : 141/5 رقم الترجمة 5948.
(4) في : ح : النضري.
(5) من أسماء القوس كما تنضح بالنبل.
- اللسان : 4452/6 مادة نضح.
(6) خبر الغنائم أخرجه ابن سعد في الطبقات : 75/2.
(7) وهي ريحانة بنت عمرو.
- انظر ابن سعد في الطبقات : 75/2.
(8) سعد بن زيد الأنصاري من بني عمرو بن عوف ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن عمر رضي الله عنه. وتوفي في آخر خلافة عبد الملك بن مروان.
- الاستيعاب : 159/2 رقم الترجمة : 941. - الأسد : 218/2 رقم الترجمة : 2001.

قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم يهود بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة.

وقوله «حاربت النضير وقريظة، فأجلي بني النضير وأقر قريظة» تقدم حديث ابن مردويه في غزوة بني النضير : أن بني النضير أجمعوا على الغدر، فحصرهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حاصر بني قريظة فعاهدوه فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وما حاصر بني قريظة إلا لأنهم أجمعوا مع بني النضير على الغدر.

وحديث ابن عمر هنا مفصح بأن جميعهم حارب، واستشهد من المسلمين رجل واحد وهو خلاد بن سويد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي[1] من بني الأغر طرحت عليه رحى من أطم من آطامها فشدخته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أن له أجر شهيدين»، وقتل المرأة التي طرحت عليه الرحا. و لم تقتل امرأة غيرها وقيل أن المستشهد من المسلمين رجلان[2].

- سرية عبد الله بن عتيك[3] :

لقتل أبي رافع عبد الله، ويقال سلام بن أبي الحقيق اليهودي النضري[4] بخيبر ذكرها ابن إسحاق[5] فيما بعد الخندق.

---

(1) خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمر بن حارثة بن امرئ القيس شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيدا.
– الاستيعاب : 34/2 رقم الترجمة : 674. – الأسد : 707/1 رقم الترجمة : 1471.

(2) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 101/2. – وابن عقبة في المغازي ص : 228.

(3) عبد الله بن عتيك الأنصاري من بني عمرو بن عوف وهو الذي قتل أبا رافع بن أبي الحقيق اليهودي، واستشهد عبد الله يوم اليمامة.
– الاستيعاب : 77/3 رقم الترجمة : 1623. – الأسد : 201/3 رقم الترجمة : 3060.

(4) وأخرج هذه الرواية ابن عقبة في المغازي ص : 228.
– وابن هشام في سيرته : 273/3. – والبيهقي في الدلائل : 38/4.
– وابن سعد في الطبقات : 91/2.

(5) قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأوس قبل احد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر فأذن لهم.
– سيرة ابن هشام : 273/3.

وقال ابن سعد : أنها «كانت في شهر رمضان سنة ست»[1] وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك أنه بعثه في ذي الحجة إلى أبي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة. وقال غيرهما : أنها كانت في ذي الحجة من السنة الرابعة، وقيل : كانت في جمادى الآخرة سنة ثلاث، وقيل في رجب سنة ثلاث.

وفي البخاري[2] قال الزهري : هو بعد كعب بن الأشرف وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعين عليه، وكان فيمن حزب الأحزاب يوم الخندق، وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن إسحاق[3] وأن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان[4] معه صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين، لا يصنع أحد من الفريقين شيئا فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء، إلا قال الفريق الآخر : «والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف[5] في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحريضه عليه، فقالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا، فتذاكروا بعد أن نقضي شأن الخندق وبني قريظة من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحقيق، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله، فأذن لهم، وقال : «لا تقتلوا وليدا ولا امرأة». هذا قول ابن إسحاق[6] وغيره لم يختلفوا في أن الذين قتلوا كعب بن

---

(1) طبقات ابن سعد : 91/2.

(2) ففي البخاري قال : قتل أبو رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر، ويقال في حصن له بأرض الحجاز وقال الزهري هو بعد كعب بن الأشرف.
– صحيح البخاري كتاب المغازي : 191/5.

(3) سيرة ابن هشام : 294/3.

(4) المصاولة : المواثبة والفحلان يتصاولان : يتواثبان : وفي الحديث : إن هؤلاء الحيين يتصاولان تصاول الفحلين : أي لا يفعل أحدهما شيئا إلا فعل الآخر مثله.
– اللسان : 2528/4. مادة صول.

(5) انظر مقتل كعب بن الأشرف في سيرة ابن هشام : 55/3.

(6) سيرة ابن هشام : 274/3.

الأشرف أوسيون، والذين قتلوا ابن أبي الحقيق خزرجيون فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر/[1]. (89ب)

وهم مسعود بن سنان[2] حليف لبني غنم بن سلمة الأنصاري وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة بن ربعي وخزاعي بن أسود ويقال أسود بن خزاعي[3] حليف لبني سلمة من أسلم وعبد الله بن عتيك.

ونقل الرعيني ذكر أوس بن خولي[4] فيهم، وقال ذكره ابن شبة من حديث محمد ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك[5].

ونقل الطبري أنه خرج عن البراء ذكر عبد الله بن عقبة[6] الأنصاري[7] فيهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك. وقد اختلف في نسبه. فقيل: هو أوسي وقيل خزرجي سلمي والله أعلم.

---

(1) هؤلاء النفر الخمسة ذكرهم ابن هشام في السيرة: 274/3. — وابن عقبة في المغازي ص: 228.
— وابن سعد في الطبقات: 91/2. — والدلائل للبيهقي.

(2) مسعود بن سنان بن الأسود حليف بني غنم بن سلمة من الأنصار شهد أحد وقتل يوم اليمامة شهيدا.
— الاستيعاب: 449/3 رقم الترجمة 2410. — الأسد: 370/4 رقم الترجمة: 4881.

(3) أسود بن خزاعي الأسلمي حليف بني سلمة من الأنصار ذكره موسى بن عقبة عن ابن شهاب في قتله بن أبي الحقيق وسماه ابن إسحاق خزاعي بن الأسود.
— الإصابة: 41/1 رقم الترجمة 153.

(4) أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الأنصاري الخزرجي أبو ليلى شهد بدرا وأحدا. وتوفي في خلافة عثمان بن عفان.
— الاستيعاب: 260/1 رقم الترجمة: 104. — الأسد: 200/1 رقم الترجمة: 302.
— الوافي بالوفيات: 446/9.

(5) عبد الرحمن بن كعب المازني الأنصاري شهد بدرا ومات سنة أربع وعشرين وهو أحد البكائين الذين لم يقدروا على التحمل في غزوة تبوك.
— الاستيعاب: 392/2 رقم الترجمة: 1462. — الأسد: 385/3 رقم الترجمة: 3376.

(6) في ح ع (عبد الله بن عتبة) وكذلك في البخاري.

(7) وحديث البراء أخرجه أيضا البخاري قال حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح هو ابن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع عبد الله ابن عتيك وعبد الله بن عتبة...».
— أخرجه في كتاب المغازي باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق: 192/5 الحديث: 531.

فدخل عليه عبد الله بيته ليلا وهو نائم فقتله ثم أتى السلم لينزل، وكان صعد إليه في علالي له. وكان في بصره شيء فسقط من السلم فانكسرت ساقه، فعصبها بعمامة، ثم انطلق إلى أصحابه يحجل، وهم ينتظرونه، فأخبرهم، ثم انطلقوا جميعا حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآهم مقبلين، وكان على المنبر يخطب قال «أفلحت الوجوه، فأخبروه، فقال لعبد الله : ابسط رجلك فبسطها فمسحها، فكأنه لم يشتكيها قط»[1].

وفي رواية أخرى بعد ذكر انخلاع رجله قال : «فقمت أمشي ما بي قلبة»، وفي رواية ابن إسحاق[2] أنه لما كان بالطريق حمله أصحابه.

ووجه الجمع والله أعلم أنه حصل له من الفرح والسرور عن الألم، واستغفره مع وجود الألم، فصار يمشي مشي من ليس به قبلة. وكان في ذلك محمولا مشغولا عما به من الألم لما به من الفرح بالله والاستغراق فيه والجمع عليه، وشكره على نعمته في قضاء حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يسر عليه من ذلك، وأجراه فيه وارتضاه له، فلما كان ببعض الطريق وقع منه رجوع للوجود، وإحساس بالألم والعسر، فحمله أصحابه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رجله فبرأت، وزال عنه ما به ببركته صلى الله عليه وسلم وأخبر مرة عن حال رجله، وما وقع له فيها، ومرة عن مشيته، وعدم وجدانه للألم.

وهذا أولى من قول ابن حجر[3] أنه من شدة ما كان فيه من الاهتمام بالأمر ما أحس بالألم، لان ما ذكرنا أقوى وأبلغ في الغيبة عن الإحساس بالألم من الاهتمام بالأمر وأنسب بحال الصحابي والله أعلم.

(1) هذه الرواية أخرجها البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب مقتل أبي رافع : 191/5 الحديث رقم : 530. وكذلك الحديث : 531.
- وأخرجها أيضا عمر بن شبة في تاريخ المدينة : 465/2.
- والبيهقي في الدلائل : 38/4.

(2) انظر سيرة ابن هشام : 274/3.

(3) انظر فتح الباري : 7/341-342-343.

- بعث بلال بن مالك المزني[1] إلى بني كنانة :

بعثه صلى الله عليه وسلم إليهم في هذه السنة -لا أدري في أي شهر منها- فشعروا به، فلم يصب منهم إلا فرسا واحدا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب[2].

وفي هذه السنة زلزلت المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله يستعتبكم فأعتبوه»، ومعنى استعتبه طلب إليه العتبى، وأعتبه أعطاه إياها والعتبى الرضى والرجوع عن الذنب والإساءة، والمعنى طلب منهم أن ترضوه بالتوبة والطاعة فأرضوه بذلك.

وفيها خسف القمر في جمادى الآخرة، فصلى بهم صلاة الخسوف، قيل وهو أول خسوف في الإسلام، وجعلت اليهود يضربون بالطساس[3] ويقولون سحر القمر، وفيها فك سلمان من الرق، وفيها سابق بين الخيل، وقيل في السادسة، وقيل هو أول سباق كان بالمدينة، فسبق فرس أبي بكر، فأخذ بكر اثنتي عشرة أوقية أربعمائة وثمانين درهما.

«السنة السادسة»

- غزوة بني لحيان من هذيل :

وكانت فيما قاله ابن سعد لغرة ربيع الأول سنة ست[4] وقال ابن إسحاق : كانت في جمادى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة[5].

---

(1) بلال بن مالك المزني بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني كنانة ذلك في سنة خمس من الهجرة.
- الاستيعاب : 261/1 رقم الترجمة : 215.
- الأسد : 286/1 رقم الترجمة : 494.
- الوافي بالوفيات : 277/10.

(2) قال ابن عبد البر : «بلال بن مالك المزني بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني كنانة، فأشعروا به فلم يصب منهم إلا فرسا واحدا وذلك في سنة خمس من الهجرة».
- انظر الاستيعاب : 261/1.

(3) مفرده الطست وهو الإناء.
- انظر اللسان : 2670/4 مادة طسس.

(4) الطبقات لابن سعد : 78/2.

(5) سيرة ابن هشام : 279/4.

وصحح ابن حزم أنها في السنة الخامسة، وخرج صلى الله عليه وسلم إلى بني لحيان/ يطلبهم بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي[1] وأصحابه، وقد وجد عليهم (90أ) وجدا شديدا، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غرة، وعسكر في مائتي رجل معهم عشرون فرسا[2] واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن هشام[3] ثم أسر السير حتى انتهى إلى منازلهم بعران[4] حيث كان مصاب أصحاب الرجيع، وهو وادي الأزرق بين أمج وعسفان، فوجدهم قد سمعوا به، فحذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فترحم على أصحاب الرجيع ودعا لهم، وأقام هناك يوما أو يومين يبعث السرايا من كل ناحية، فلما أخطاه من (غرتهم)[5] ما أراد قال : لو أنا هبطنا عسفان، -وبينه وبين موضعهم الأول خمسة أميال- ليرى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فسار حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم[6] على ثلاثة أميال من عسفان، ثم كر أو قيل بعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيدعرهم، فأتوا الغميم ثم رجعوا و لم يلقوا أحدا ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا لم يلق كيدا يقول : «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[7] ، وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة[8] وقيل سبع عشرة ليلة.

---

(1) عند ابن سعد : «وجد رسول الله صلى الله عليه وسم على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا».
- الطبقات :2/79.
- وعند ابن إسحاق : «خرج... إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه».
- سيرة ابن هشام : 3/279.

(2) رواه ابن سعد في الطبقات : 2/72.

(3) سيرة ابن هشام : 3/279.

(4) عران : موضع قرب اليمامة عند ذي طلوح من ديار باهلة.
- معجم البلدان : 4/95.

(5) في ع (عدوهم) وكذلك في الطبقات لابن سعد.

(6) موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال.
- معجم البلدان : 4/443.

(7) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 2/80.
وابن هشام في السيرة رواه عن جابر بن عبد الله حيث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين توجه راجعا : «آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والأحباب».
- سيرة ابن هشام : 3/280.

(8) قال ابن سعد أربع عشرة ليلة. - الطبقات : 2/79.

غرار بضم المعجمة وتخفيف الراء، أمج : بفتح الهمزة والميم بعدها جيم : واد به قرية جامعة بها سوق وهي كثيرة المزارع. وعسفان بوزن عثمان : قرية جامعة بها آبار وبرك وعين ماء تعرف بالعولا.

- سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء[1] :

بطاء مهملة وقيل معجمة، ويقال لهم أيضا القروط، بطون من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم إخوة ثلاثة، قرط : كقفل، وإليه ينسب ابن شعبان الفقيه المصري المالكي المعروف. قريط كأمير. وقريط كزبير بنو أبي بكر بن كلاب، وهم ينزلون البكرات[2] على نحو عشرة أميال من ضرية[3]، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في ثلاثين راكبا لعشر ليال خلون من المحرم[4]، وأمره أن يشن عليهم الغارة أي يفرقها ويصبها عليهم من كل جهة، فسار الليل وكمن النهار فلما أغار عليهم هرب سائرهم، وقيل قتل نفرا منهم، وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء، و لم يعرض للظعن[5] وكان الإبل مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاة، وغاب تسع عشرة ليلة. وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم[6] ومعه ثمامة بن أثال الحنفي[7]

---

(1) القرطاء : بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية وهو بنو قرط وقريط ابني عبيد بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة.
– معجم البلدان : 945/3.

(2) ماء لبني ذوية من الضباب، وعندها جبال سمغ سود يقال لها البكرات.
– معجم البلدان : 475/1.

(3) ضرية : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد، وقال ابن سعد : وبين ضرية والمدينة سبع ليال.
– معجم البلدان : 457/3.
–الطبقات : 78/2.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 78/2.

(5) النساء.

(6) رواه ابن سعد في الطبقات : 78/2.

(7) ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة روى حديثه أبو هريرة بعث إليه رسول في قتل مسيلمة وقتله.
– الاستيعاب : 287/1 رقم الترجمة 282.
– الأسد : 337/1.
– الطبقات : 550/5.
– الوافي بالوفيات : 219/11.

أسيرا ثم أسلم، وخمس النبي صلى الله عليه وسلم الغنيمة وقسم باقيها، فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم[1].

- غزوة الغابة[2] :

وهو واد قريب من المدينة في أسفل سافلتها من جهة الشام بعد مجتمع الأسيال وتعرف الغزوة أيضا بذي قرد : وهو ماء فيما بين المدينة وخيبر.

وكانت في ربيع الأول فيما قال ابن سعد[3]. وقال ابن إسحاق[4] : أنها بعد غزوة بني لحيان بليال قلائل في جمادى الآخرة أو الأولى.

وعن ابن عباس ما يقتضي أنها في شعبان وأجمع أهل السير على أنها كانت قبل الحديبية.

والذي في البخاري[5] أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام. وفي مسلم[6] : أنها كانت بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وقيل وما في الصحيحين أشبه.

---

(1) وأخرج هذه السرية ابن سعد في الطبقات : 78/2.
– وابن سيد الناس رواها عن ابن عائذ عن الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة.
– انظر عيون الأثر : 108/2.

(2) أطلق عليها ابن سعد (غزوة الغابة) (وابن هشام ذي قرد).

(3) الطبقات : 80/2.

(4) سيرة ابن هشام : 281/3.

(5) قال البخاري : غزوة ذات القرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث.
– صحيح البخاري كتاب المغازي : 240/5.

(6) أشار إلى ذلك مسلم في الحديث الذي رواه عكرمة.
– انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها : 1143/3 الحديث رقم 132.
– وفي حديث آخر بعدما حكى الخبر عن غزوة ذي قرد جاء في نهاية الحديث «... فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم».
مما يجمع بين الخبرين خبر البخاري ومسلم.
– انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير : 1146/5.

وقال ابن حجر : ويحتمل في طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقاح[1] وقعت مرتين. ثم ذكر ما يؤيده من كلام الحاكم في الإكليل.

وكان من خبر هذه الغزوة[2] أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة ترعى بالغابة فأغار عليها عيينة بن حصْن الفزاري، وقيل ابنه عبد الرحمن وقيل مسعدة الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارسا من غطفان فاستاقوها وقتلوا رجلا كان فيها، فجاء الصريخ قبل أن يؤذن بصلاة الصبح، فكان أول من لقي سلمة ابن الأكوع، فأشرف إلى ناحية سلع، ثم صرخ ثلاث صرخات : يا صحباه، أسمعت به ما بين لابتي المدينة، ثم اندفع على وجهه يشتد، وكان مثل السبع حتى أدركهم، فجعل يرميهم، وكان راميا ويقول : خذها/، وأنا ابن الأكوع واليوم يوم (91ب) الرضع[3] ، يقول ذلك ويعقرهم، فإذا وجهت الخيل نحوه، أو رجع إليه أحد منهم انطلق هاربا، فأتى شجرة، فجلس في أصلها، ثم رماهم، فمازال كذلك يتبعهم حتى استنفذ منهم اللقاح، ثم انطلق يتبعهم حتى استلب منهم ثلاثين بردة أو أكثر وثلاثين ذرقة[4] أو أكثر.

وفي رواية : ربما يطرحون ذلك يستخفون، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع، فأمر فنودي : يا خيل الله اركبي، وركب صلى الله عليه وسلم فخرج غداة الأربعاء في الحديد مقنعا -أي لابسا درعه- مغطى الرأس بها،

(1) اللقاح : ذوات الألياف من النوق، وأحدها لقوح ولقحة. واللقحة : الناقة القريبة العهد بالنتاج، وناقة لاقح إذا كانت حاملا. - اللسان : 4058/5 مادة لقح.

(2) وسبب هذه الغزوة وخبرها رواه البيهقي في الدلائل : 190/4.
- وابن سعد في الطبقات : 80/2.
- وابن عقبة في المغازي ص : 245. - وابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 281/3.

(3) الحديث أخرجه مسلم قال حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قال : سمعت سلمة بن الأكوع يقول : «خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت من أخذها قال : غطفان، قال فصرخت ثلاث صرخات يا صاحباه، قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم...».
- رواه مسلم في كتاب الجهود والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها : ج 32411. الحديث. 131

(4) الذرق : ضرب من الترسة، الواحدة درقة تتخذ من الجلود.
- اللسان : 1363 مادة درق.

أو بمغفر أو بيضة فوقف، وكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو[1]، ثم ستة نفر فعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء المقداد في رمحه، وأمر عليهم سعد بن زيد الأشهلي، وقال لهم : امضوا، فأنا على أثركم، فأدركوا العدو أو أخرياته، فقتلوا[2] منهم ثلاثة، واستشهد من المسلمين رجل واحد وقيل اثنان.

وقال ابن عقبة[3] : «فاقتتلوا قتالا شديدا، فاستنقذوا السرح وهزم الله العدو».

ولابن عائذ[4] عن عروة نحوه. ثم خلف سلمة أصحابه، وتبع القوم على رجليه، حتى كان غروب الشمس عدلوا إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد[5] ليشربوا منه وهم عطاش فنظروا إليه يعدوا ورائهم، فجلاهم عنه فما ذاقوا منه قطرة، ثم رمى رجلا منهم، ثم أرادوا فرسين فأخذهما، ثم رجع فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء وهو ذو قرد، قد لحق في الناس والخيول عشاء.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن هشام[6] وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة فقال له سلمة يا رسول الله : «قد حميت القوم الماء وهم عطاش»[7] فلو خليتني فانتخبت من القوم مائة رجل فاتبعت القوم

(1) المقداد عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة البهراوي المعروف بالمقداد بن الأسود، شهد بدرا، كانت وفاته بالمدينة في خلافة عثمان.
– الأسد : 460/4 رقم الترجمة : 5069.

(2) وتفصيل ذلك عند ابن سعد قال : قال المقداد : «فخرجت فأدركت أخريات العدو وقد قتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه، وقتل عكاشة بن محصن أثار ابن عمرو بن أثار، وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن، وقرفة بن مالك بن حذيفة. وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعود».
– انظر الطبقات : لابن سعد : 80/2–81.

(3) مغازي ابن عقبة : ص : 246.

(4) ورواية ابن عائذ أخرجها ابن سيد الناس في عيون الأثر : 117/2.

(5) قال ابن سعد : «هي ناحية خيبر مما يلي المستناخ.
الطبقات : 81/2.

(6) سيرة ابن هشام : 284/3.

(7) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 119/2.

لم يبق منهم مخبر إلا قتلته، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجده في ضوء النهار وقال: «يا سلمة أتراك كنت فاعلا قال نعم، والذي أكرمك قال يا ابن الأكوع ملكت، فأسجح[1] إن القوم الآن ليقرون في قومهم أو قال في غطفان»[2].

وفي رواية[3] أنه قال له «يا رسول الله: لو سرحتني في مائة رجل لاستنفذت بقية السرح[4]، وأخذت بأعناق القوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم الآن ليغبقون[5] في غطفان» قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزورا فلما كشطوا جلدها رأوا غبارا[6] فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم، وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد[7].

زاد في رواية: «فاستنفذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشر»، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف، وأقام صلى الله عليه وسلم عليه يوما وليلة زاد ابن سعد[8] بتجسس الخبر، وقسم في أصحابه من كل مائة رجل جزورا ينحرونها[9] وكانوا خمسمائة[10] ويقال سبعمائة، فأقاموا عليها.

---

(1) سجح: السجح: لين الخد، وخلق سجيح: لين سهل، وكذلك المشية.
— اللسان: 1939/3 مادة سجح.
(2) أخرج هذه الرواية البخاري في الصحيح: كتاب المغازي باب غزوة ذي قرد: 240/5 الحديث: 664.
— وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها: 1142/3 الحديث 131.
وأخرجه ابن سعد في الطبقات: 84/2.
(3) أخرج هذه الرواية بلفظها ابن هشام في السيرة: 285/3.
(4) المقصود به الإبل التي ترعى.
(5) الغبوق والغبوقة: الناقة التي تحلب بعد المغرب، الغبوق شرب العشي.
— اللسان: 3210/5 مادة غبق.
(6) في ح (غبرة) وكذلك في الطبقات.
(7) رواه ابن سعد في الطبقات: 84/2.
(8) الطبقات: 82/2.
(9) رواه ابن هشام في السيرة: 285/3. قال: فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزور.
(10) «خمسمائة» رواه ابن سعد في الطبقات: 83/2. =

ومر في هذه الغزوة على ماء فسأل عنه فقيل اسمه يا رسول الله بيسان[1] وهو ملح، فقال صلى الله عليه وسلم : «لا بل اسمه نعمان وهو طيب»[2] فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسم : وغير الله تعالى الماء. فاشتراه طلحة بن عبيد الله[3] ثم تصدق به، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له صلى الله عليه وسلم : «ما أنت يا طلحة إلا فياض»، فسمي طلحة الفياض، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الإثنين، وقد غاب خمس ليال.

شرح ألفاظ وقعت في هذه الغزوة : ذو قرد : بفتحتين، وحكى ضمهما وضم الأول، وفتح الثاني، وقوله/ «يا صباحاه» هي كلمة تقال لاستنفار من كان غافلا (92أ) عن عدوه، كأنه يقول : يا قوم أنذركم الغارة فاحذروها، ثم قيل : هي من باب الندبة، وقيل من باب الاستغاثة كأنه نادى الناس استغاثة بهم في وقت الصباح، وكانت عادتهم يغيرون في وقت الصباح، فإنه قال تأهبوا لما دهمكم صباحا.

وقوله : خذها وأنا ابن الأكوع : يعني الرمية، وهي كلمة تقال عند الفرح، والرضع : اللئام. أي اليوم : يوم حينهم وهلاكهم، أو اليوم يعرف من أرضعته الحرب، وتدرب بها، ومرن عليها من صغره من غيره، أو اليوم : يعرف من ارتضع كريمة فأنجبته أو لئيمة فهجنته[4]، وقيل غير ذلك.

=وقال ابن سيد الناس : وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة ويقال سبعمائة.
- عيون الأثر : 117/2.

(1) بيسان : بالفتح ثم السكون : هي مدينة بالأردن بالغور الشامي ويقال هي لسان الأرض : وبها عين فيها ملوحة وتوصف بكثرة النخل.
- معجم البلدان : 527/1.

(2) وأخرج هذا الخبر الحموي في معجم البلدان عن أبي منصور بنفس اللفظ.
- معجم البلدان : 527/1.
- وأشار إليه ابن سعد في الطبقات : 83/2.

(3) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التميمي وأمه الحضرمية اسمها الصعبة، يعرف بطلحة الفياض شهد أحدا والحديبية وهو أحد المشهود لهم بالجنة.
- الاستيعاب : 316/2 رقم الترجمة : 1289.
- الأسد : 479/2 رقم الترجمة : 2626.

(4) هو من هجن والهجين : اللئيم، وتهجين الأمر : تقبيحه.
- اللسان : 4627/6 مادة هجن.

وقوله : فجلاهم عنه : يصح أن يكون بالجيم، وأن يكون بالحاء المهملة والهمزة، ومعناهما واحد أي طردهم ونفاهم عنه.

وقوله : وأرادوا فرسين -هو بفتح الهمزة وإسكان الراء، وبالدال المهملة- ومعناه أهلكوهما واتبعوهما حتى أسقطوهما وتركوهما.

وقوله : فأسجح : هو بهمزة قطع، ثم سين مهملة، ثم جيم مكسورة، ثم حاء مهملة من السجاحة، وهي السهولة واللين : أي قدرت فسهل، وأرفق وأحسن العفو. ولا يأخذ بالشدة، فقد حصلت النكاية من العدو والحمد لله.

ويقرون : مبني للمفعول من القرى وهي الضيافة. وقوله : فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشرة نحوه : قول سلمة السابق : يا رسول الله : «فلو بعثتني» من أنهم استنقذوا منهم اللقاح كلها. و«بيسان» بموحدة مفتوحة وتحتية ساكنة. ونعمان بفتح النون وسكون المهملة.

- سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر[1] من بلاد بني أسد :

وسماه ابن سعد[2] غمر مرزوق، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول في أربعين رجلا، فخرج سريعا، فنذر به القوم فهربوا، فنزلوا علياء بلادهم، ووجد ديارهم خلوفا[3] فأغار عكاشة وأصحابه على نعم لهم، فاستاقوا مائتي بعير، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يلقوا كيدا كذا عند ابن سعد[4].

---

(1) الغمر في اللغة الماء الكثير المغرق، والغمر بئر قديمة بمكة، قال ابن سعد ماء لبني أسد على ليلتين من فيد طريق الأول إلى المدينة.
- معجم البلدان : 211/4.
- الطبقات : 84/2.

(2) الطبقات : 84/2.

(3) الخلوف : الحضر والغيب. ويقال الحي خلوف أي غيب، والخلوف : الحضور والمتخلفون.
- اللسان : 237/2 مادة خلف.

(4) الطبقات : 84/2-85.

وقال ابن عائذ[1] أميرهم ثابت بن أقرم[2] فأصيب فيها، وهذا مخالف لما عند غيره من أن ثابت بن أقرم شهد غزوة مؤتة من السنة الثامنة، وقيل سنة إحدى عشرة في الردة قتله طليحة وأخوه.

وذكر ابن عبد البر[3] وغيره عن جمهور أهل السير أنهم قالوا في أخبار الردة : أن عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم البلوي حليفي الأنصار، واستقدما جيش خالد طليعتين للمسلمين فوقعا في طلائع أهل الردة، وفيهم طلحة وأخوه فقتلاهما معا هو وأخوه اشتركا في قتلهما، وذلك في يوم بزاخة[4] إلا سليمان التيمي، فإنه زعم أن عكاشة قتل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني أسد بن خزيمة و لم يتابع التيمي على هذا القول، وقصة عكاشة مشهورة في الردة.

- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة[5] :

بفتح القاف تلقاء نجد بعثه صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، ومعه رجال إلى بني ثعلبة وبني غوال[6] -بضم المهملة وتخفيف الوا-، فورد عليهم ليلا، فأخذق بهم القوم، وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح، فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة، فوقع جريحا، وجردوهم من ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة، فحمله حتى ورد به المدينة[7].

(1) قول ابن عائذ : أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر 137/2.
(2) قال ابن سيد الناس قال الواقدي : فيما حكاه عنه الحاكم أبو عبد الله : فيهم ثابت بن أقرم، وسباع ابن وهب.
– عيون الأثر : 137/2.
(3) الاستيعاب لابن عبد البر : 189/3.
(4) بزاخة : بضم الباء : قال الأصمعي : بزاخة ماء لطيء بأرض وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة ابن خويلد الأسدي.
– معجم البلدان : 408/1.
(5) قال ابن سعد : ذي القصة قال ابن سعد : بينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا طريق الربذة.
– الطبقات : 85/2.
وقال ابن سعد : كانت في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(6) بني عوال : بطن من سعد بن ثعلبة بن ذبيان من قيس بن عيلان من العدنانية.
– معجم القبائل : 852/2. – الاشتقاق لابن دريد : 174.
(7) أخرجها ابن سعد في الطبقات : 85/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 138/2.
وقال ابن سيد الناس : وذكر الحاكم عن الواقدي نحوه في كتاب الإكليل.

- سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى ذي القصة أيضا. / (93ب)

لما أصيب أصحاب محمد بن مسلمة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في ربيع الآخر[1] في أربعين رجلا إلى مصارعهم، وخرجوا حين صلوا المغرب، فساروا ليلتهم حتى وافوهم في الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هربا في الجبال وأصاب رجلا واحدا منهم فأسلم، وأخذ نعما من نعمهم، ورثة[2] من متاعهم، فقدم به المدينة، فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقسم ما بقي بينهم، وقيل إن بني ثعلبة ومحارب وأنمار[3] أجدبت بلادهم، ووقعت سحابة بالمراض[4] -موضع بناحية الطرف-[5] على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، فساروا إلى تلك السحابة، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفاء[6] على سبعة أميال من المدينة بالطريق النجدي. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح البعث المذكور[7] .

---

(1) قال ابن سعد : سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الطبقات : 86/2.

(2) السقط من متاع البيت.

(3) بطن من العرب كانت منازلهم ما بين حد أرض مضر إلى حد نجران وما ولاها من البلاد.
وهم أيضا بطن من لكيز بن قصي من العدنانية.
- نهاية الإرب : 327/2.

(4) موضع على طريق الحجاز من ناحية الكوفة :
- معجم البلدان : 93/5.

(5) قال الواقدي: الطرف ماء قريب من المرقى دون النخيل وهو على ستة وثلاثين ميلا من المدينة.
معجم البلدان : 31/4.

(6) في ع (بهيفا) بدون همز وكذلك في الطبقات.

(7) أخرج هذه السرية ابن سعد في الطبقات : 86/2.
- وابن سيد الناس عن ابن عائذ عن أبي الأسود عن عروة.
- عيون الأثر : 139/2.

- سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم[1] :

بفتح الجيم من أرضهم على نحو يومين من المدينة بعثه صلى الله عليه وسلم في ربيع الآخر، فأصابوا امرأة من مزينة، فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا نعما وشاء وأسرى، وكان فيهم زوج المرأة، فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة وزوجها[2].

- سرية زيد بن حارثة أيضا إلى العيص[3] :

موضع على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام على أربع ليال من المدينة بعثه صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى، ومعه سبعون ومائة راكب متعرضا لعير قريش، قد أقبلت من الشام، فأخذها وما فيها، وفيها فضة كثيرة، وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص ابن الربيع فأجارته زوجته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاره صلى الله عليه وسلم، ورد عليه ما أخذه منه، وقيل : إنه لم يؤسر وإنما أصابوا ماله، وأعجزهم هربا ثم أقبل تحت الليل في طلب ماله بعد أن قدمت السرية به حتى دخل على زينب، فاستجار بها، فأجارته، فأجاره صلى الله عليه وسلم، ورد عليه الذي له.

وذكر ابن عقبة أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية، وكانت زينب هاجرت قبله بعد وقعة بدر، وتركته على شركه، ثم ذهب إلى مكة بعد أسره هذا فرد على الناس أموالهم، ثم أتى فأسلم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم إليه زوجته.

- سرية زيد أيضا إلى الطرف :

بفتح المهملة وكسر الراء، وقيل بفتحها، وهو ماء قريب من المراض– بوزن سحاب– دون النخيل –بوزن هذيل –بطريق العراق بين المدينة، وبطن نخل. بعثه

---

(1) الجموم : قيل هو أرض لبني سليم وبها كانت إحدى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إليها زيد بن حارثة غازيا.
– معجم البلدان : 163/2.

(2) أخرج هذه الرواية ابن سعد في الطبقات : 86/2.
– وابن سيد الناس عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب. – عيون الأثر : 139/2.

(3) قال ابن سعد : بينها وبين المدينة أربع ليال وبينها وبين ذي المروة ليلة، في جمادى الأولى سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– الطبقات : 87/2.

صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا، فأصاب شاء ونعما. وهي عشرون بعيرا أصبح بها في المدينة، وهربت الأعراب، و لم يلق كيدا وغاب أربع ليال، وكان شعارهم في هذا البعث «أمت أمت»[1].

- سرية زيد أيضا إلى حسمى[2] وخشين[3] من أرض جذام :

وحسمى -بوزن ذكرى-، وخشين-بضم المعجمة الأولى وفتح الثانية-وراء وادي القرى، بعثه صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة.

وذكر ابن إسحاق أن رفاعة بن زيد[4] قدم في هدنة الحديبية، لكتب صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه، وكان من حديثها[5] : «أن رفاعة بن زيد الجذامي، -وقيل زيد بن رفاعة، والصحيح الأول-، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، فلم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي عند قيصر، وقد أجازه وكساه، ومعه تجارة حتى إذا كان بحسمى أغار[6] عليه الهنيد بن عرض، -ويقال عارض-، ويقال عوض أيضا الطعي- بطن

(1) أخرج هذه السرية ابن سعد في الطبقات : 87/2. - وابن سيد الناس في عيون الأثر : 140/2.
- وزاد ابن سيد الناس : «وقال الواقدي فيما ذكر عنه الحاكم : وخافوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سار إليهم».

(2) بالكسر والسكون والقصر : وهو أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وبين وادي القرى والمدينة ست ليال.
- معجم البلدان : 258/2.

(3) هما جبلان أحدهما أصغر من الآخر.
- معجم البلدان : 374/2.

(4) رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي ثم الضبيبي من بني الضبيب قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية من قومه فأسلموا.
- الاستيعاب : 79/2 رقم الترجمة 778. - الأسد : 80/2 رقم الترجمة : 1689.

(5) وحديثها هذا أو سببها رواه ابن إسحاق : قال : «وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم، هم رجال من جذام كانوا علماء بها» وروى القصة.
- انظر سيرة ابن هشام : 612/4.

(6) قال ابن إسحاق : أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوض وابنه عوض بن الهنيد الضلعيان والضليع بطن من جذام.
- سيرة ابن هشام : 612/4 عنده «الهنيد بن عوص» وخالف فيه ابن سعد الذي عنده الهنيد بن عارض وعليه يكون قد وافق ما جاء في النص.
- انظر الطبقات : 88/2.

منهم-، وابنه عرض. ويقال عارض، وعرض أيضا ناس من جذام، فأخذوا كل شيء كان معه، فبلغ ذلك قوما من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إليهم، واستنقذوا لدحية متاعه. وقدم/ دحية على رسول الله صلى (94أ) الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، ورد معه دحية، فكان زيد يسير الليل، ويكمن النهار، حتى هجم على القوم مع الصبح، فأغار عليهم، فقتلوا الهنيد وابنه ورجلين آخرين، وأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومائة من النساء والصبيان، فرحل رفاعة بن زيد في نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفع عليه كتابه الذي كان كتب له، فبعث معهم عليا يأمر زيدا أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، وأعطاه سيفه أمارة، فرد عليهم ما أخذ لهم، وسبحوا في الدماء[1].

- سرية زيد أيضا إلى وادي القرى :

على سبع ليال[2] من المدينة النبوية ،بعثه صلى الله عليه وسلم في رجب، فلقي به فزارة، فقتل من أصحابه قتلى، وارتث زيد من بين القتلى أي : حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق[3].

- سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل[4] :

وكانت في شعبان[5] ومعه مائة رجل : «قالوا دعاه رسول الله صلى الله عليه

(1) وخبر هذه السرية أخرجه ابن هشام في سيرته : 612/4.
- وابن سعد في الطبقات : 88/2. - وابن سيد الناس في عيون الأثر : 140/2.
(2) وفي معجم البلدان : 258/2 على ست ليال من المدينة.
(3) أخرجها ابن سعد في الطبقات : 89/2.
- وابن سيد الناس أخرجها عن ابن عائذ بن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة. ثم رواها عن ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير.
- انظر عيون الأثر : 142/2.
(4) دومة الجندل. جاء في حديث الواقدي دو ماء الجندل، وعدها ابن الفقيه من أعمال المدينة، سميت بدوم بن اسماعيل بن إبراهيم وهي على سبع مراحل من دمشق.
- معجم البلدان : 487/2.
(5) قال ابن سعد : كانت في شعبان سنة ست من مهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الطبقات : 89/2.

وسلم. وقد اعتم بعمامة سوداء من خز[1] وقيل من كرابيس[2]، فأدناه صلى الله عليه وسلم من نفسه، ثم نقضها ثم عممه بها بيده، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك ثم قال : هكذا يا ابن عوف، فاعتم فإنه أحسن وأعرب، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه عليه فحمد الله النبي صلى الله عليه وسلم، وصلى على نفسه ثم قال : خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا باسم الله وفي سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم»[3] وبعثه إلى كعب بدومة الجندل، وقال له : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فسار فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية، فتزوج ابنة الأصبغ هذا واسمها تماضر[4] وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن. وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى دومة الجندل في سرية[5].

- سرية زيد بن حارثة إلى مدين[6] :

وهي قرية شعيب النبي عليه السلام، هذه السرية ذكرها ابن إسحاق[7] قال : بعثه

---

(1) قال ابن الأثير : الخز المعروف أولا ثياب تنسج من صوف وإبريسم.
– اللسان : 1149/2 مادة خزز.

(2) الكرباس ثوب فارسية والجمع كرابيس والكرباس ك هو القطن.
– اللسان : 3848/5 مادة كربس.

(3) هذا اللفظ لابن إسحاق أخرجه ابن هشام في السيرة : 632/4.

(4) تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة، وقيل هي تماضر بنت رباب بن الأصبغ كانت تقول للنساء إذا تزوجت إحداكن فلا يغرنك السبع بعدما صنع بي الزبير.
– الإصابة : 33/8 رقم الترجمة : 199.

(5) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 143/2.

(6) مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، وهي مدينة قوم شعيب سميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام.
– معجم البلدان : 77/5.

(7) قال ابن هشام يعدد سرايا النبي صلى الله عليه وسلم، وسرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سبيا من أهل ميناء وهي السواحل وهي من أوائل نواحي مصر.
– معجم البلدان : 246/5.

صلى الله عليه وسلم إلى مدين، فأصاب سبيا من أهل ميناء[1]، وهي السواحل، وفيها جموع من الناس، فبيعوا ففرق بين الأمهات والأولاد، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقال مالهم فقيل : يا رسول الله فرق بينهم، فقال : «لا تبيعوهم إلا جميعا».

- سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر :

بعثه صلى الله عليه وسلم في شعبان[2]، ومعه مائة رجل لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فسار الليل، وكمن النهار حتى انتهى إليهم، فأغار عليهم بين فدك[3] وخيبر فأخذ لهم خمسمائة بعير. وألفي شاة وهربت بنو سعد، فرجع و لم يلق كيدا[4].

- سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة[5] :

فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية زوجة مالك بن حذيفة بن بدر عم عيينة بن حصن بن حذيفة، وقيل زوجة مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر كنيت بابنها قرفة، قتله النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر الواقدي[6] وقال / ابن سعد : قتله (95ب) المقداد بن عمرو يوم ذي قرد.

---

(1) سيرة ابن هشام : 635/4.
– وفي هذه السرية قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين، ذكر ذلك عبد الله بن حسن ابن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم وأخ له.
– روى هذه السرية أيضا ابن سيد الناس عن ابن إسحاق في عيون الأثر : 144/2.

(2) قال ابن سعد : سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك في شعبان سنة ست من مهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم.
– الطبقات : 89/2.

(3) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسول صلحا سنة سبع.
– معجم البلدان : 238/4.

(4) أخرجها ابن سعد في الطبقات : 89/2.
– ورواها عن ابن سعد أيضا ابن سيد الناس في عيون الأثر : 144/2.

(5) قال ابن سعد : سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بناحية بوادي القرى على سبع ليال من المدينة في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– الطبقات : 90/2.

(6) مغازي الواقدي : 564/2.

وكانت هذه الغزوة بناحية وادي القرى في رمضان، وكان ناس من فزارة لقوه تاجرا إلى الشام، فضربوه وضربوا أصحابه، وأخذوا ما كان معهم، فلما قدم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم، فكمن هو وأصحابه بالنهار، وساروا بالليل، ثم صبحوهم، فأصابوا فيهم، وقتلوا منهم، وفيمن قتلوا مسعدة بن حكمة، وأخذوا أم قرفة، وكانت ملكة رئيسة، وكانت العرب تقول : عز من أم قرفة لأنها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم محرم لها وهي عجوز كبيرة فقتلوها قتلا عنيفا لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن ربطوها بين بعيرين ثم أرسلوهما حتى شقاها باثنين وقدموا عليه صلى الله عليه وسلم بابن أم قرفة عبد الله بن مسعدة وابنتها أسيرين، فصارت البنت لسلمة بن الأكوع[1] وكان هو الذي أصابها، فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها له. فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب هكذا عند ابن إسحاق[2] من رواية يونس بن بكير.

وحزن بن أبي وهب هو جد سعيد بن المسيب، وليس بخال للنبي صلى الله عليه وسلم. لأنه من بني مخزوم إلا أن يكون خاله من الرضاعة، أو يكون أبي مزيدا، فيكون حزن أخا ثالثا لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم فالله أعلم.

والذي عند مسلم[3] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى بابنتها أسيرا كان في قريش من المسلمين. وكان الذي قتل مسعدة بن حكمة وأخذ أم قرفة وتولى

---

(1) سلمة بن الأكوع نسبه من أهل الحديث إلى جده وهو سلمة بن عمرو بن الأكوع، والأكوع هو سنان بن عبد الله يكنى أبا مسلم روى عنه جماعة من تابعي أهل المدينة.
- الاستيعاب : 198/2 رقم الترجمة : 1021.
- الأسد : 289/2 رقم الترجمة : 2154.
- البداية والنهاية : 6/9.
- سير أعلام النبلاء : 326/3.

(2) والرواية أيضا عند ابن إسحاق من طريق ابن هشام.
- سيرة ابن هشام : 617/4.
- وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات : 90/2.

(3) رواية مسلم هذه رواها ابن سيد الناس في عيون الأثر : 145/2.

قتلها قيس بن المسحر بن النعمان[1]، والمسحر عند الطبري[2] بتقديم السين وعند غيره بتقديم الحاء مع السين المشددة وكسرها.

وذكر الواقدي[3] أن أم قرفة وسائر بنيها، -وهم تسعة سماهم-، قتلوا مع طليحة يوم بزاخة[4] في الردة. وذكر أن عبد الله بن جعفر أنكر ذلك.

قال السهيلي: وهو الصحيح كما عند ابن إسحاق. وفي عيون الأثر، والواقدي يذكر أنها قتلت يوم بزاخة. وإنما المقتول يوم بزاخة بنوها التسعة.

ولما قفل زيد قام إليه النبي صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما أظفره الله به، هكذا ذكر ابن سعد[5] أن سريته هذه بسبب ما شربوه وأخذوا ماله في سفرته التي كان فيها تاجرا إلى الشام. وذكر مع ذلك أن لزيد سريتين لوادي القرى إحداهما في رجب والثانية في رمضان.

والذي عند ابن إسحاق[6] وغيره أنه لما أصيب أصحابه في سريته الأولى وانفلت هو من بين القتلى كما تقدم إلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة، فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وأخذ أم قرفة وقتلها.

واتفق ابن إسحاق[7] وابن سعد[8] أن أمير هذه السرية زيد بن حارثة، وفي

(1) قيس بن المسحر كان خرج مع زيد بن حارثة في السرية التي قدم فيها إلى أم قرفة فأخذها وهو الذي قتلها وقتل الفزاريين وذلك في رمضان في سنة ست من الهجرة.
- الاستيعاب: 358/3 رقم الترجمة: 2175.
- الأسد: 139/4 رقم الترجمة: 4397.

(2) ما قاله الطبري رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر: 145/2.

(3) مغازي الواقدي: 564/2.

(4) بزاخة: ماء لطيء بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشباني ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة ابن خويلد الأسدي.
- معجم البلدان: 408/2.

(5) الطبقات: 90/2-91.

(6) سيرة ابن هشام: 617/4.

(7) سيرة ابن هشام: 617/4.

(8) الطبقات: 90/2.

صحيح مسلم[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر رضي الله عنه إلى بني فزارة فكان أمير هذه السرية.

- سرية عبد الله بن رواحة :

وقيل عبد الله بن عتيك إلى (يسير)[2] بن رزام. ويقال : رازم اليهودي وابن سعد[3] يقول : أسير بالهمزة أوله بدل المثناة التحتية. وكلاهما بوزن زبير.

وكان أسير لما قتل أبو رافع بن أبي الحقيق أمرته اليهود عليها، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه نفرا سرا في شهر رمضان، فسألوا عن ذلك فوجدوه قد كان. فندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس فانتدب ثلاثون رجلا فبعثهم، وأمر عليهم عبد الله ابن رواحة[4] أو ابن عتيك كما تقدم[5]، فذلك في شوال فقدموا/ عليه وقالوا له : (96أ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه، فيستعملك على خيبر، ويكرمك ويحسن إليك، فطمع في ذلك، فخرج معهم في ثلاثين من اليهود مع كل يهودي رديف من المسلمين حتى إذا كانوا بقرقرة ثبار[6] على ستة أميال من خيبر ندم على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففطن له عبد الله بن أنيس حليف بني سلمة وهو يريد السيف. وكان هو رديفه، فقحمه ثم ضربه بالسيف،

(1) رواه عنه ابن سيد الناس قال : وقد روينا في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى نفر فزارة.
– عيون الأثر : 143/2.

(2) في : ع (بسير) بالباء.

(3) الطبقات : 92/2. قال «أسير بن زارم».
– وعند ابن هشام : «اليسير بن رزام» 618/4.
– وعند ابن سيد الناس : «أسير بن رزام» 145/2.

(4) ما عند ابن إسحاق وابن سعد عبد الله بن رواحة.

(5) أخرج هذه الرواية موسى بن عقبة في المغازي ص : 259.
– وأبو نعيم في الدلائل : 663/2.

(6) في : ع (نيار) وهو تصحيف والصواب ثبار وقد ذكره ابن سعد والحموي في معجم البلدان : 72/2.

فقطع رجله وضربه اليسير بمخراش في يده –عود الشوحط –فشجه مأمومة[1]، ومالوا على أصحابه من اليهود فقتلوهم إلا يهوديا واحدا أفلت، و لم يصب من المسلمين أحد، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين، ثم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح و لم تؤذه[2].

وقال ابن إسحاق[3] إن ابن رواحة غزا خيبر مرتين إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام.

- سرية كرز بن جابر الفهري[4] إلى نفر ثمانية من عكل وعرينة :

وكان الرهط المذكورون قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكلموا بالإسلام فاستوبأوا المدينة واستوخموها[5] وأصابهم داء الاستسقاء[6] وقيل وجع الطحال وعظمه، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت له لقاح خمس عشرة، وفي رواية أنها إبل الصدقة كانت ترعى وراعيها واحد، فأخبر مرة عن إبله ومرة عن إبل الصدقة، وكانت ترعى بذي الجدر على ستة أميال من المدينة بناحية قباء.

وفي رواية بالجمّاوات من وادي العقيق يرعاها عبد له يقال له : يسار– تقدم ذكره في غزوة قرقرة–، فقال صلى الله عليه وسلم لهم :«لو خرجتم إلى اللقاح،

---

(1) أي مقصودة.
– اللسان : 132/1 مادة أم.
(2) أخرج هذه السرية بهذه الرواية ابن هشام في السيرة : 618/4.
– وابن سعد في الطبقات : 92/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 145/2.
(3) سيرة ابن هشام : 618/4.
(4) كرز بن جابر بن حسيل ويقال ابن حسل بن حبيب القرشي الفهري أسلم بعد الهجرة قتل يوم الفتح.
– الاستيعاب : 370/3 رقم الترجمة : 2211.
– الأسد : 159/4 رقم الترجمة : 4443.
(5) شيء وخيم أي وبيء وبلدة وخمة ووخيمة إذا لم يوافق سكنها، وقد استوخمتها.
وفي حديث العرنيين : واستوخموا المدينة أي استثقلوها و لم يوافق هواؤها أبدانهم.
– اللسان : 4791/6 مادة وخم.
(6) استسقى بطنه استسقاء : أي اجتمع فيه ماء أصفر.
– اللسان : 2044/3 مادة سقى.

فشربتم من ألبانها وأبوالها»، فخرجوا إليها، فلما صحوا عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار فقتلوه، وسملوا عينيه.

وفي رواية : غرزوا الشوك فيهما. وعند ابن سعد[1] أنهم قطعوا يد الراعي ورجله، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، واستاقوا الإبل، وحاربوا الله ورسوله، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث في آثارهم عشرين فارسا من الأنصار أميرهم : كرز بن جابر الفهري، وقيل سعيد بن زيد القرشي العدوي وقيل سعد بن زيد الأشهلي[2]. وأما رواية أنه جرير بن عبد الله البجلي[3] فلا تصح لأن السرية كانت سنة ست[4] وجرير إنما أسلم بعد ذلك بنحو أربع سنين سنة عشر، والحديث بها غريب ضعيف، فلحقوهم فجاءوا بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم زاد الترمذي من خلاف، و لم يحسمهم وسمل أعينهم[5] وفي رواية سمر أعينهم وألقاهم في الشمس في ناحية الحرة ستسقون فلا يسقون حتى ماتوا على حالهم، وردوا اللقاح إلى المدينة إلا واحدة تدعى زالحناس نحرها العرنيون هكذا عن ابن إسحاق، أن ذلك كان مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من ذي قرد ،وذكرها البخاري[6] بعد الحديبية ،إلا أن زذا قردسعنده متأخرة أيضا عن الحديبية، وعند الواقدي وتبعه ابن سعد وابن حبان أنها في شوال سنة ست.

---

(1) طبقات ابن سعد : 93/2.

(2) سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري قال ابن إسحاق هو سعد بن زيد بن مالك بن عبيد شهد بدرا وما بعدها، وهو الذي هدم المنار الذي كان بالمشلل للأوس والخزرج.
- الاستيعاب : 158/2 رقم الترجمة : 940.
- الأسد : 217/2 رقم الترجمة : 2000.
- الوافي بالوفيات : 206/15.

(3) جرير بن عبد الله بن جابر بن نصر بن ثعلبة بن جشم يكنى أبا عمرو.
- الاستيعاب : 308/1 رقم الترجمة : 326.
- الأسد : 380/1 رقم الترجمة : 730.
- طبقات ابن سعد : 22/6.

(4) كانت في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- انظر الطبقات : 93/2.

(5) رواه ابن هشام في السيرة : 641/4.

(6) وحديثها رواه البخاري من طريق عبد الأعلى بن حماد عن أنس رضي الله عنه أخرجه في كتاب المغازي باب قصة عكل وعرينة : 239/5 الحديث 266.

- سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان بن حرب :

ومعه سلمة بن حريش[1] وقال ابن سعد[2] سلمة بن أسلم بن حريش وعند ابن إسحاق[3] جبار بن صخر[4] بدل سلمة بن حريش، والجمهور على أنه سلمة.

وذكرها ابن سعد. وعند غيره أنها بعد مقتل خبيب وأصحابه، وأنه وجد جسد خبيب على خشبة يحرس، فشد عليها، فاحتملها وذهب بها.

وذلك أن أبا سفيان أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا[5] فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر/ معه فسقط في يده، فقال له النبي صلى (97ب) الله عليه وسلم : «اصدقني من أنت قال : وأنا آمن قال : فأخبره بخبره، فخلى[6] صلى الله عليه وسلم عنه، فأسلم»، وبعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه الرجل الأنصاري يطلبان غرة أبي سفيان فيقبلانه فدخلا مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا، فرآه معاوية بن أبي سفيان. فأخبر قريشا بمكانه، فخافوه، وطلبوه، وكان فاتكا في الجاهلية، فحشدوا له، وتجمعوا، وقالوا : لم يأت عمرو لخير، فهرب هو وصاحبه فلقي عمرو رجلا منهم قريبا من مكة فقتله ثم آخر بضجنان[7]، سمعه

(1) ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر : 147/2.
وقال سلمة بن حريش : بالسين المعجمة.
(2) الطبقات لابن سعد : 93/2.
(3) سيرة ابن هشام : 633/4.
(4) جبار بن صخر الأنصاري بن أمية بن خنساء بن سنان السلمي الأنصاري شهد بدرا وأحدا توفي بالمدينة سنة ثلاث.
- الاستيعاب : 301/1 رقم الترجمة : 310.
- الأسد : 361/1 رقم الترجمة : 670.
- الوافي بالوفيات : 42/11.
(5) سقط كلام من النسخة الأصل وثبت في النسخة (ع) وهو : «فأقبل الرجل المرسل لذلك ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا ليريد غدرا».
(6) في ع (فخلى عنه).
(7) قال أبو منصور : لم أسمع فيه شيئا مستعملا غير جبل بناحية تهامة يقال له ضجنان. رواه ابن دريد وقيل هو ضجنان : جبيل في بريد من مكة.
- معجم البلدان : 453/3

عمرو يقول بيتا[1] يذم الإسلام، ويتبرأ منه، فقتله ثم لقي بالبقيع جاسوسين لأهل مكة، فقتل أحدهما، وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منه في طريقه وهو صلى الله عليه وسلم يضحك[2].

- عمرة الحديبية :

وسماها بعضهم غزوة، وقيل ليس في غزواته صلى الله عليه وسلم ما يعدل ببدر في الفضل، أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية. حيث كانت بيعة الرضوان.

وحديبية[3] بئر سمي به المكان. وقيل شجرة حدباء كانت هنالك، وقيل : قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة مرحلة واحدة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ،نقله البكري في معجمه[4] عن عرام.

ولفظ الحديبية[5] مخفف، وقد يشدد، وخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة[6] معتمرا لا يريد حربا[7] واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب، ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت.

(1) وهذا البيت رواه ابن هشام في سيرته : 634/4.
– وابن سعد في الطبقات : 94/2
قال : لست بمسلم ما دمت حيا ولا دان لدين المسلمينا
(2) أخرج هذه الرواية ابن هشام في السيرة : 633/4.
– وابن سعد في الطبقات : 93/2.
– وابن سيد الناس في عين الأثر : 147.
(3) هذه التعريفات للحديبية نقلها الحموي في معجم البلدان : 229/2.
(4) معجم ما استعجم : 430/1.
(5) والحديبية : اسم بئر سمي المكان بها وقيل شجرة حدباء صغرت وسمي المكان بها. وقيل هي قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرام.
– انظر معجم البلدان : 229/2.
– والفتح : 334/5.
(6) قال ابن عقبة : غزوة الحديبية في ذي القعدة سنة ست.
– المغازي لابن عقبة : ص 233. ورواه أيضا ابن سعد في الطبقات : 95/2.
– وابن كثير في السيرة : 313/3.
(7) قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا وخرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا.
– سيرة ابن هشام : 308/3.

وأخرج معه أم سلمة[1] زوجته في بضع عشرة مائة. وقيل ألف وثلاثمائة، وقيل ألف وأربعمائة. وقيل وخمسمائة. وقيل ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون. وقيل: ألف وستمائة[2]. وقيل ألف وسبعمائة.

وقال ابن عقبة : واستخلف على المدينة : نميلة بن عبد الله الليثي[3] وقيل : ابن أم مكتوم.

وقال خليفة بن خياط في تاريخه : استخلف : عوف بن الأضبط الديلي[4] وقيل فيه : عويف –بوزن زبير–. وقيل : غويث بالمعجمة والمثلثة، وبوزن زبير وعويف بالمهملة والفاء مصغرا أكثر و لم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب، وساق معه الهدي. وكان سبعين بدنة[5] فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي، وأشعر وأحرم منها بعمرة. كل ذلك ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائرا للبيت، ومعظما له.

وبعث عينا له من خزاعة وهو: بسر بن سفيان الكعبي[6] وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بعسفان على ما عند ابن إسحاق[7] وابن عقبة[8] أتاه عينه، وهو

---

(1) حديث أم سلمة أخرجه ابن سعد في الطبقات : 95/2.

(2) زألف وستمائةس رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 234.
– وابن حجر عن ابن عقبة في الفتح : 440/7.

(3) ورواه ابن هشام في السيرة : 308/3.

(4) وقيل عويف بن الأضبط الديلي، ويقال : عويث والأكثر عويف بن الأضبط بن ربيع بن أبير. أسلم عام الحديبية.
– الاستيعاب : 315/3 رقم الترجمة : 2074.
– الأسد : 14/4 رقم الترجمة 4130.

(5) يروي محمد بن جرير الطبري عن ابن حميد من طريق ابن إسحاق قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا، وساق معه سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كانت كل بدنة عن عشرة نفر.
– انظر تاريخ الأمم والملوك : 72/3. – والسيرة لابن كثير : 313/3.

(6) بسر بن سفيان بن عمرو الخزاعي أسلم سنة ست من الهجرة، وبعثه صلى الله عليه وسلم عينا إلى قريش إلى مكة وشهد الحديبية.
– الاستيعاب : 246/1 رقم الترجمة : 176. – الوافي بالوفيات : 133/10.
– الأسد : 251/1 رقم الترجمة : 411.

(7) سيرة ابن هشام : 308/3.

(8) مغازي ابن عقبة : ص : 234.

على نحو يومين من مكة. وقال[1] غيرهما : إنه أتاه بغدير الأشطاط[2] بعده بثلاثة أميال مما يلي مكة. فقال : إن قريشا جمعوا لك جموعا. وقد جمعوا لك الأحابيش. وقد نزلوا بذي طوى[3] واد بقرب مكة، به يغتسل داخلها، وهم مقاتلوك وصادونك عن البيت ومانعوك. فقال صلى الله عليه وسلم : «أشيروا علي أيها الناس : أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذي يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله قد قطع عينا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين»[4].

وفي رواية أحمد[5] : «أترون أن نميل إلى دراري هؤلاء الذين أعانوهم، فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين. وإن يجيبوا يكن عنقا قطعها الله»[6].

ونحوه لابن إسحاق في روايته في المغازي عن الزهري. فقال أبو بكر: «يا رسول الله : خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال : امضوا على اسم الله»[7].

وعند ابن عقبة عن ابن شهاب[8] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس حين بلغه أن قريشا تجمع له/ فقال : «أترون أن نغير على ما جمعوا لنا على (98أ)

(1) ممن قال ذلك ابن سعد في الطبقات : 95/2.
(2) غدير الأشطاط قريب من عسفان.
– معجم البلدان : 198/1.
(3) موضع عند مكة أو واد بمكة.
– معجم البلدان : 35/4.
(4) أخرج هذه الرواية البخاري عن عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتمام الرواية :
قال أبو بكر يا رسول الله : «خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله».
– أخرجه في كتاب المغازي باب غزوة الحديبية : 236/5 الحديث رقم 652 وهو حديث طويل.
(5) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد في المسند : 328/4.
(6) وأخرجها أيضا ابن عقبة عن ابن شهاب في المغازي ص : 234.
(7) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة الحديبية :236/5 وقد أشرت إليه في الهامش رقم (4) عند تمام الحديث رقم 652.
(8) روى الخبر ابن عقبة عن ابن شهاب وعن ابن إسحاق :
– المغازي : ص : 234.

جل أموالهم، فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا مغيظين موتورين، وإن تبق منهم عنق نقطعها، أم ترون أن نؤم البيت الحرام، فمن صدنا عنه قاتلناه قال أبو بكر الصديق الله ورسوله أعلم». جئنا لأمر فنرى أن نؤمه، فمن صدنا عنه قاتلناه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فنعم». فمضوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن خالد بن الوليد[1] بالغميم[2] في خيل قريش طليعة، فخذوا ذات اليمين». أي اخرجوا عن طريقهم، واقصدوا يمنا يعني ليفجأ أهل مكة بالجيش فما أشعر بهم خالد حتى أذاهم بقترة[3] الجيش قد خالفوا عن طريقهم، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها. وهي ثنية المرار[4] بركت ناقته. فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا خلأت[5] القصواء.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»[6] زاد ابن إسحاق عن مكة ثم قال صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى»[7].

وفي رواية[8] : يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم جرها فوثبت،

---

(1) وفي رواية ابن عقبة أن القول لبسر بن سفيان الكعبي حيث قال : «إن قريشا قد نزلت بذي طوى يعاهدون الله لا لا يدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم» وهو قول ابن حير الطبري عن الزهري.
– انظر مغازي ابن عقبة ص : 234. – وتاريخ الأمم والملوك لابن جرير : 62/3.
– والسيرة لابن هشام : 313/3.

(2) موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال.
– معجم البلدان : 443/4.

(3) قترة الجيش : غبراه.
– اللسان : 71/5 مادة قتر. – مقاييس اللغة : 55/5 مادة قتر.

(4) ثنية المرار : مهبط الحديبية.

(5) خلأت الناقة تخلأ خلأ وخلاء وخلوءا : بركت و لم تبرح مكانها.
– اللسان : 1219/2 مادة خلأ. – مقاييس اللغة : 204/2 مادة خلو.

(6) والحديث أخرجه ابن عقبة في المغازي ص : 235.
– وابن كثير في السيرة : 315/3. – والطبري في تاريخ الأمم والملوك : 73/3.

(7) سيرة ابن هشام : 310/3.

(8) هذه الرواية أخرجها ابن عقبة في المغازي ص : 235.
– وابن كثير في السيرة : 314/3. – والطبري في التاريخ : 73/3.
– وابن هشام : 310/3. – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 151/2.

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربصه الناس تربصا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول لله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانة، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فمازال يجيش بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي[1] في نفر من قومه عيبة[2] نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعدادا مياه الحديبية معهم العود والمطافيل[3] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين وأن قريشا قد أنهكتهم الحرب، وأضرت بهم. فإن شاءوا ماددتهم مدة. ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهروا، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلواس وإلا فقد جموا[4] وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي. أو لينفذن الله». فقال بديل : «سأبلغهم ما تقول»، فانطلق حتى أتى قريشا فبلغهم[5] ثم جعلوا يبعثون إليه صلى الله عليه وسلم بذلك خراش بن أمية الكعبي الخزاعي على بعير له صلى الله عليه وسلم يقال له «الثعلب»، فعقروا به الجمل وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش، ثم بعث عثمان بن عفان، وكان أعز رجل ممن معه في قريش، فبلغهم، فلما فرغ من حديثه

(1) بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي من خزاعة، أسلم يوم الفتح بمر الظهران، شهد حنينا والطائف وتبوك.
- الاستيعاب : 235/1 رقم الترجمة 168.
- الوافي بالوفيات : 102/10.
- الأسد : 236/1 رقم الترجمة : 383.

(2) العبب : ضرب من النبات والعباب كثرة الماء.
- اللسان : 2774/4 مادة عبب.

(3) المطافيل : الإبل مع أولادها.
- اللسان : 2682/4 مادة طفل.
- مقاييس اللغة : 413/3 مادة طفل.

(4) جم الشيء واستجم كثر.
- اللسان :686/1 مادة جمم.
- مقاييس اللغة : 419/1 مادة جم.

(5) أخرج هذه الرواية بلفظها ابن جرير من طريق الزهري 347 وبلفظ قريب من هذا ابن عقبة في المغازي ص : 236، وابن كثير في السيرة : 315/3.
- وابن هشام في السيرة : 311/3.

قالوا له: «إن شئت أن تطوف بالبيت فطف قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1] وكان الذي أجاره منهم أبان بن سعيد بن العاص[2]، وحمله على فرس حتى دخل مكة، ثم احتبسوه عندهم، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد قتلوه، فقال حين بلغه ذاك لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا الناس إلى البيعة، فثرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه[3]، فذلك قول الله تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ الآية 18 سورة الفتح.

قال ابن عقبة[4] والشجرة «سمرة» بايعهم على الموت، وقيل : على أن لا يفروا[5]. ويحتمل أن يكون ذلك في مقامين، أو أحدهما يستلزم الآخر.

وقال الترمذي : كلا الحديثين صحيح لأن بعضهم بايع على أن لا يفر، و لم يذكر الموت. وبعضهم قال : أبايعك على الموت[6] ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر.

أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل، ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا/ بعثمان وجماعة من المسلمين. (99ب)

---

(1) أخرج هذه الرواية الطبري في كتابه التاريخ : 77/3.

(2) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي قال الزبير تأخر إسلامه بعد إسلام أخويه خالد وعمرو.
– الاستيعاب : 159/1 رقم الترجمة : 4.

(3) وعدة المبايعين ،عن جابر بن عبد الله كان يقول : «كانوا أربع عشرة مائة».
– أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة الحديبية رقم : 631.

(4) مغازي ابن عقبة ص : 239، وقال ابن جرير الطبري أيضا : «وهو تحت شجرة سمرة».
– التاريخ : 78.

(5) وفي كون البيعة كانت على عدم الفرار ما رواه الطبري عن جابر : قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر و لم نبايعه على الموت :
– انظر : التاريخ للطبري : 78/3 وحديث جابر رواه أيضا ابن عقبة في المغازي ص : 239.
– وابن كثير في السيرة : 319/3.

(6) قال ابن إسحاق : «فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت».
– سيرة ابن هشام : 315/3.
وهو رواه ابن كثير في السيرة : 319/3. – وابن سيد الناس عن ابن إسحاق : 155/2.

وقد كان صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان[1]، «ضرب بإحدى يديه على الأخرى. وقال : هذه لعثمان». ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلح فجرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب عن الناس عشر سنين[2] ويكف بعضهم عن بعض، وقيل أربع سنين. وقيل سنتين اثنين والأول أشهر، وعلى أنه من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش يعير إذن وليه رده عليهم، ومن كان على دينه، ومن جاء قريش ممن مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه. وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه. ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فتواثبت خزاعة[3] فقالوا : «نحن في عقد محمد وعهده». وتواثبت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقالوا : «نحن في عقد قريش وعهدهم». وأنه يرجع عنهم عامهم ذلك. فلا يدخل مكة. وأنه إذا[4] عام قابل خرجوا عنها، فدخلها بأصحابه، فأقام بها ثلاثا معه سلاح الراكبس السيوف في القربسلا يدخلها بغيرها. ثم كتبوا بما تعاقدوا عليه، من ذلك كتابا. فبينما هم يكتبون الكتاب. إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو[5] واسمه العاص يرسف[6] في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أن يتركه، فرده النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) وحديث بيعة عثمان أخرجه ابن كثير في السيرة : 319/3.

(2) وهو ما رواه ابن كثير في السيرة : 321/3.

(3) أخرجه ابن هشام في السيرة : 318/3.

– ورواه أيضا ابن كثير في السيرة : 321/3.

– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 156/2.

(4) في ع : «إذا كان عام» وكذلك في سيرة ابن هشام.

(5) أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي واسمه العاص العامري، أسلم بمكة وشهد بدرا مات في خلافة عمر.

– الاستيعاب : 187/4 رقم الترجمة : 2928.

– الأسد : 54/5 رقم الترجمة : 5768.

(6) الرسف : مشي المقيد. رسف في القيد : يرسفرسفا : مشى مشي المقيد.

– اللسان : 1643/3 مادة رسف.

– مقاييس اللغة : 392/2 مادة رسف.

قال ابن إسحاق[1] : «وقال له، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا وإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر».

وقيل : إنما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان بعد كتابة الصلح بعثه إليهم بالكتاب. وأمسك سهيل بن عمرو عنده. فأمسك المشركون عثمان فغضب المسلمون.

وعند ابن عقبة[2] أن رجلا من أحد الفريقين رمى رجلا من الفريق الآخر بعد كتابتهم الصحيفة بالصلح ؛ وهم ينتظرون (نفاذه) وإمضاءه، فكان بينهم شيء من قتال يترامون بالنبل والحجارة، فصلح الفريقان كلاهما. وارتهن كل واحد من الفريقين ما كان عنده من الآخرين، فارتهن المشركون عثمان بن عفان ومن كان معه. وارتهن المسلمون سهيل بن عمرو، ومن معه من المشركين. فعند ذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة. وأراد القتال فبايعوه. فلما (رأت)[3] قريش ذلك أرعبهم الله وأرسلوا من كانوا ارتهنوا من المسلمين، فدعوا إلى الموادعة والصلح والمسلمون لهم عالون، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

وذكر أبو الأسود عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس نحو هذا الذي عند ابن عقبة وذكر ابن إسحاق[5] : أن ناسا أربعين أو خمسين من قريش بعثوهم ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا، فأخذوا أخذا فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل، وكان

---

(1) سيرة ابن هشام : 318/3.
(2) مغازي ابن عقبة : ص : 238.
(3) في ع : أرادت.
(4) هذه الرواية رواها ابن جرير الطبري في التاريخ : 81/3.
– وابن كثير في السيرة : 322/3.
(5) سيرة ابن هشام : 317/3.

الكاتب للصلح علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم : سهيل بن عمرو : أما الرحمن فوالله ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فساعفه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد ابن عبد الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، ثم قال لعلي : امحه، فأبى أن يمحوه أدبا معه صلى الله عليه وسلم، فقال له : أرني مكانها فأراه فمحاه صلى الله عليه وسلم، وكتب محمد بن عبد الله هكذا وقع في صحيح البخاري وفيه أيضا : فأخذ / الكتاب وهو لا يحسن أن يكتب، (100أ) فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»[1] .

فتعلق بذلك القاضي أبو الوليد الباجي[1] في أنه كتب يومئذ فنودي عليه بالنكير حتى كفر لقوله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾[3] فاستنجد لذلك العلماء من الآفاق فتابعه عليه شيخه أبو ذر

(1) أخرج هذا الحديث : الطبري في تاريخ الأمم والملوك : 80/3.
- وابن كثير في السيرة : 321/3.
- وابن هشام في السيرة : 317/3.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 156/2.
- وأخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب عمرة القضاء ذكره أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : 254/5، الحديث رقم : 711 والحديث رواه البخاري عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه.

(2) القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التميمي الفقيه الحافظ المؤلف المتقن من مؤلفاته : «التسديد إلى معرفة التوحيد» : و«أحكام الفصول إلى أحكام الأصول».
- شجرة النور الزكية : 120 رقم الترجمة : 341.

(3) الآية : 48 من السورة 29 العنكبوت. وفي معنى هذه الآية قال ابن كثير :
«أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي هذا القرآن لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة».
ثم رد قول الباجي فقال : «ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية : وهذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فإنما حمله على ذلك =

الهروي وغيره وأبى ذلك الجمهور وقالوا : علة الأمية باقية وموجب الارتياب حينئذ قائم، فلو كنت يومئذ لوقع الارتياب. وقال المبطلون كنت تحسن الكتابة وتكتم ذلك.

وارتضى مذهب الباجي وموافقيه بعض من تأخر عنهم، وقالوا إن كتابته غير قادحة في المعجزة، لأنها إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع العرب، ولا قوانين الخط ولا أشكالها بقيت الأمية على ما كانت عليه. وكانت هذه الكتابة الخاصة إحدى المعجزات.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في قول الباجي ومن وافقه، -وفيما تعلقوا به مما في البخاري- : «هذا عندي بعيد، فإنه لو كان ذلك لبادر الخلق إلى نقله، وكان من أعظم دليل ومعجزة للمؤمنين، وأعظم فتنة للجاحدين. ولكن الراوي روى، فمحى فكتب يريد محا محمد، فكتب علي، فظن هو أنه فمحا محمد فكتب أي الكاتب هو الماحي، فلما اعتقد ذلك رواه على التفسير» انتهى.

وذكر هذا بعد أن قال : لم يختلف الخلق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب قبل البعث. ومن قال أنه كتب فقد كفر.

واختلفوا هل كتب يوم الحديبية، فالكفر عنده منتف عمن قال كتب يومئذ كما هو مقتضى كلام ابن عطية وغيره، وإنما مرجع ذلك إلى النقل. فمن رأى صحة

=رواية في صحيح البخاري : «ثم أخذ فكتب» وهذه محمولة على الرواية الأخرى، «ثم أمر فكتب». ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرأ منه، وانشدوا في ذلك أقوالا... وإنما أراد الرجل -أعني الباجي- فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة... وما أورده بعضهم من الحديث : أنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له.

- انظر تفسير ابن كثير : 418/3.

- ورد عليه أيضا علماء الأندلس ونقل ذلك ابن سيد الناس في عيون الأثر : 165/2 قال : وذكر الإمام أبو الوليد الباجي أنه كتب، فأنكر ذلك علماء الأندلس فبعث إلى الآفاق يستفتي بمصر والشام والعراق وغير ذلك، فجلهم قال لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم بيده قط، ورأوا ذلك محمولا على المجاز، وأن معنى كتب أمر بالكتابة، وقالت طائفة يسيرة منهم : كتب وجرت هذه المسألة يوما بحضرة شيخنا الإمام ابن الفتح القشيري -رحمه الله- فلم يعبأ بقول من قال كتب، وقال عن الباجي : هو قول أحوجه إلى أن يستنجد بالعلماء من الآفاق» وهو من المعجزات.

الرواية بالكتابة، قال كتب يومئذ كما هو مقتضى كلام ابن عطية وغيره. وإنما مرجع ذلك إلى النقل، فمن رأى صحة الرواية بالكتابة قال كتب، ومن رأى عدم صحتها، وأن هذا مما تتوفر الدواعي على نقله.

قال : إن ما في الرواية من قول الراوي وتفسير على حسب فهمه. وربما يشعر بعدم معرفته صلى الله عليه وسلم للكتابة حينئذ قوله «أرني مكانها»، إذ لو أحسنها لم يحتج إلى أن يريه مكانها. وإنما الضمير في «كتب» لعلي أو للنبي صلى الله عليه وسلم على حسب المجاز أي أمره أن يكتب والله أعلم. ثم لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح وكتابة الكتاب قام إلى هديه فنحره[1] . وكان سبعين بدنة، ثم حلق رأسه، وتبعه على ذلك المسلمون، فنحروا وحلقوا، وقد كان بعضهم يقتل بعضا غما، وأرسل الله ريحا حملت شعورهم، فألقتها في الحرم واستبشروا بقبول الله عمرتهم هكذا نقل عن ابن سعد[2] وابن عبد البر[3].

وقد اختلف في الحديبية فقيل هي قرية من الحرم وليست فيه، وقيل هي فيه، وقيل: بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أكثرها.

وأقام صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما.

وقال ابن عائذ : إنه أقام في غزوته شهرا ونصف ثم قفل. وفي نفوس بعضهم شيء فلما كان بضجنان[4] -جبل بناحية مكة -أنزل الله تعالى عليه سورة الفتح يسليهم

---

(1) وفي ذلك يروي ابن إسحاق : «وكان رسول الله مضطربا في الحل، وكان يصلي في الحرم، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه فيما بلغني في ذلك اليوم خراش بن أمية ابن الفضل الخزاعي فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون».
- رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 319/3، ورواه أيضا بلفظه ابن كثير في السيرة.
- وحديث أم سلمة يوضح ملابسات هذا الحلق والنحر والحديث أخرجه ابن جرير في كتاب التاريخ : 80/3.

(2) طبقات ابن سعد : 103/2.

(3) الاستيعاب لابن عبد البر : 117/1.

(4) قال أبو منصور : لم أسمع فيه شيئا مستعملا غير جبل بناحية تهامة يقال له ضجنان... وقيل : ضجنان جبيل على بريد من مكة وهناك الغميم في أسفله مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- معجم البلدان : 453/3.

بها ويذكرهم نعمه فقال تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[1] يعني فتح الحديبية ووقوع الصلح، وهو المراد أيضا بقوله تعالى : ﴿فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾[2].

وقال الزهري[3] : «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، وإنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس كلم بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه فلقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر».

قال ابن هشام[4] : «والدليل على ما قال الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله[5] ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف».

ووقع في تفسير ابن عطية / في عشرة آلاف فارس. (101ب)

وأما قوله تعالى ﴿وأثابهم فتحا قريبا»﴾[6]. فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وأما قوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[7] وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا هجرة بعد الفتح»[8] ففتح مكة على الصحيح.

---

(1) الآية : 1 من السورة 48 الفتح.

(2) جزء من الآية 27 من السورة 48 الفتح.

(3) حديث الزهري رواه ابن جرير الطبري في كتابه التاريخ : 81/3.

(4) سيرة ابن هشام : 322/3.

(5) وقول جابر رواه البخاري في الصحيح بكتاب المغازي باب غزوة الحديبية : 231/5 الحديث رقم : 632.

(6) وللمفسرين في هذه الآية أقوال من ذلك ما قاله ابن كثير :
«فجعل من دون ذلك فتحا قريبا» أي فعلم الله عز وجل من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم هذا ما لم تعلموا أنتم.
– انظر التفسير : 204/4.

(7) الآية : 1 من السورة 110 النصر.

(8) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها : 804/2 الحديث رقم : 1355. =

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير بن أسيد بن جارية[1] الثقفي. واسمه عتبة. وقيل عبيد. وكان ممن حبس بمكة، فكتبوا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثوا رجلين بالكتاب فرده إليهم حتى كان بالطريق قتل أحد الرجلين وفر منه الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسل حين رآه، «لقد رأى هذا ذعرا». فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قتل والله صاحبي، وإني لمقتول فجاء أبو بصير، فقال : يا نبي الله قد أوفي الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ويْلُ أمِهِ مسْعرُ حرب، لو كان له أحد»[2].

وعند ابن إسحاق[3] «محش حرب لو كان معه رجال»، فلما سمع ذلك عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم سيرده إليهم، فخرج حتى أتى العيص[4] موضعا بساحل البحر على طريق قريش إلى الشام ثم انفلت منهم أبو جندل[5]، فلحق بأبي بصير في سبعين رجلا من المسلمين، ثم اجتمع إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف العرب، حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل، فجعلوا لا تمر (بهم)[6] عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا أصحابها حتى قطعوا مادتهم من الشام، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه وينشدونه الله

=وأخرجه الترمذي في كتاب السير باب ما جاء في الهجرة : 217/3 الحديث رقم : 1596. والحديث قاله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وتمامه : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإن استنفرتم انفروا».

(1) أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة حليف بني زهرة.
– الاستيعاب : 176/4 رقم الترجمة : 2904.
– الأسد : 35/5 رقم الترجمة : 5727.

(2) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصلحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: 382/4 والحديث رقم 932 وهو حديث طويل ساقه البخاري تاما.
وأخرجه الطبري في التاريخ : 81/3.
– وابن عقبة في المغازي : ص : 242.

(3) سيرة ابن هشام : 324/3.

(4) قال الطبري : العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام.
– تاريخ الأمم والملوك : 81/3.

(5) أبو جندل اسمه عبد الله، وكان من السابقين إلى الإسلام، وعذب بسبب إسلامه.
– الإصابة : 69/7.

(6) في ح : (عليهم).

والرحم لما أرسل إليهم، فيقدمون عليه، ومن أتاه فهو آمن فأرسل إليهم، فقدموا عليه صلى الله عليه وسلم إلا أبا بصير، فإنه وحده كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزع فمات، وكتابه صلى الله عليه وسلم في يده وعلى صدره يقترئه ويسر به، وبني عليه هناك مسجد رضوان الله عليه[1].

شرح بعض غريب هذه الغزوة : العين في قوله : «بعث عينا» : هو الجاسوس وفي قوله : «كان الله قد قطع عينا من المشركين» : يحتمل أن يراد بها أهل البلد أو خيارهم.

وغدير الأشطاط : بشين معجمة وطاءين مهملتين. وقيل بمعجمات على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة.

والأحابيش : قال ابن إسحاق[2] : «هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة. وبنو المصطلق[3] من خزاعة.

قال ابن هشام : تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش. قيل والتحبش : التجمع، وقيل حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبيشا، وقيل غير ذلك».

وذو طوى : بضم الطاء والفتح أشهر وأصوب. والعنق : في قوله: يكن عنقا قطعه الله: المراد به الجماعة من الناس. والطليعة : مقدمة الجيش تبعث للاطلاع على أحوال العدو. وقترة الجيش : بفتح القاف والمثناه : هو الغبار الذي تثيره الحوافر[4].

والثنية في الجبل : طريق العقبة فيه. والمرار : بضم الميم، وتكسر، وحكى فتحها وتخفيف الراء. وحل حل يقال : بسكون اللامين وتنوينهما. وتنوين الأول

(1) أخرج هذه الرواية : ابن عقبة في المغازي ص : 243.
– وابن جرير الطبري في التاريخ : 82/3.
(2) سيرة ابن هشام : 373/1.
(3) بنو المصطلق : بطن من خزاعة من القحطانية وهم بنو المصطلق، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك سنة خمس. واشتهرت بغزوة بني المصطلق.
– معجم القبائل : 1104/3.
– العمدة لابن رشيق : 159/2.
– العقد الفريد : 76/2.
(4) الحوافر تكون للبغال والحمير والخيل. وهي أقدامها.
– اللسان : 925/2 مادة حفر.

وسكون. «خلأت القصواء» أي : حرنت. والخلو بضم المعجمة واللام وتسكن العادة. والخطة : الخصلة، فوثبت أي قامت. والثمد بفتح المثلثة والميم : حفرة فيها ماء قليل. يتربضه الناس تربضا : أي يأخذونه قليلا. «فلم يلبثه الناس» أي يتركه الناس : يلبث أي يقيم حتى نزحوه أي انفذوه. يجيش بفتح التحتية الأولى : يفور. والري بكسر الراء ويجوز فتحها. والعيبة وعاء من جلد يشبه الغرارة / يصان فيه (102ب) الثياب والمتاع، ويطلق على محل سير أي : أن خزاعة موضع النضح له صلى الله عليه وسلم. والأمانة على سره. أعداد مياه الحديبية : بفتح الهمزة في أعداد وبمهملات بعدها، وعين ساكنة جمع «عد» بكسر المهملة الأولى وشد الثانية وهو : الماء الذي لا انقطاع لمادته مثل الآبار والعيون. والعوذ : بضم المهملة وسكون الواو وإعجام الذال جمع عائذ : هي الناقة ذات اللبن.

والمطافيل : الأمهات التي معها أطفالها، فيحتمل أن يراد بذلك : النوق وأولادها حقيقة، فيكونون خرجوا بذلك ليرووا بألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه. ويحتمل أنه كنى بذلك عن النساء معهم أطفالهن (وأنهم)[1] خرجوا بهم لإراده طول المقام، ليكون أدعى إلى عدم الفرار. ويحتمل إرادة المعنى الأعم.

ووقع عند ابن سعد[2] : «معهم العود والمطافيل والنساء والصبيان» وأن قريشا قد نهكتهم الحرب : أي أضعفتهم، وأضرت بهم. ويقال : نهك : كسمع ونصر، فإن شاءوا ماددتهم مدة أي جعلت بيني وبينهم مدة تترك الحرب فيها، ويخلوا بيني وبين الناس. وإلا فقد جمعوا : أي وإن لم يشاءوا، فلا تنقضي مدة الصلح. قد جموا : يعني استراحوا. وقاتلوا، أو بهم قوة حتى تنفرد سالفتي : أي صفحة العنق، وانفرادها : عبارة عن الذبح والقتل، أو لينفذن الله أمره بالذال المعجمة من الإنفاذ والتنفيذ، وهو الإمضاء، أي ليمضين الله أمره في نصر دينه.

وقوله : ويل أمه : الويل يطلق على العذاب والفضيحة، وحلول الشر، والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها، ولا تقصد بها شرا، أو تريد معناها من الذم والدعاء بالمكروه. وإنما تجريها مجرى اللغو الذي لا يعتد به. وقد تجريها مجرى المدح عند استعظام الأمر، وقد تجريها مجرى الحض والندب إلى الفعل والقول.

---

(1) في ع : (بهن).
(2) طبقات ابن سعد : 96/2.

ومن نظائرها قولهم : إذا استحسنوا فعل رجل أو قوله : «ماله قاتله الله»، «وماله، هوت أمه» «وماله أخزاه الله».

وقولهم : «لا أب لفلان» : إذا استعظموا ما يكون منه، «وتربت يمينه» في الأمر إذا أهم، وقد نطق النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله لعائشة رضي الله عنها : «تربت يداك»[1] وقوله لصفية رضي الله عنها : «عقرى حلقى»[2].

وقوله : «هنا ويل أمه» : وهي كلمة للمدح والإعظام : قيل وأصلها «وي لأمه»، ووي كلمة تعجب. تقول : «ويك» و«وي لزيد» ويكنى بها عن الويل.

وقال الفراء[3] : أصل قولهم : «ويل فلان»، «وي لفلان» : أي حزن. فكثر الاستعمال، فألحقوا بها اللام، فصارت كأنها منها، وأعربوها. وتبعه ابن مالك[4] إلا أنه قال تبعا للخليل[5] : «وي» كلمة تعجب وهي من أسماء الأفعال واللام بعدها مكسورة. ويجوز ضمها اتباعا للهمزة وتوصل الهمزة أو تحذف تخفيفا.

«ومسعر حرب» على وزن منبر منصوب على التمييز. وأصله من مسعر حرب أو مسعر نارها وموقدها ،كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والمبالغة والنجدة فيها والتسعير لنارها. وقيل هو منصوب على التمييز أو الحال مثل «له ذره فراسا».

(1) أخرجه الترمذي في سننه النكاح باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال.
- 345/2 الحديث رقم : 1088.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج باب إحرام النفساء واستحباب اغتسالها للإحرام وكذا الحائض.
- 718/2.

(3) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور أبو زكرياء الأسلمي المعروف بالفراء شيخ النحاة روى عن أبي بكر بن عياش توفي سنة 207 هـ.
- إنباه الرواة: 6/4.
- غاية النهاية : 371/2.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الشافعي النحوي نزيل دمشق كان إماما في القراءات والعربية، له كتاب «تسهيل الفوائد» ت 246هـ.
- فوات الوفيات : 407/3.

(5) أبو عبد الرحمن بن أحمد الخليل الفراهيدي إمام اللغة والعروض والنحو له كتاب العين. وكتاب النقط والشكل. ت: 170 هـ.
- وفيات الأعيان : 244/2.
- أدباء العرب : 164/2.
- شذرات الذهب : 275/1.

وفي هذه السنة التي هي السادسة كسفت الشمس على ما جزم به النووي وجمهور أهل السير على أنه في السنة العاشرة قيل: في ربيع الأول وقيل في غيره. والأكثر على أنه في عاشر الشهر. وقيل غير ذلك على الخلاف في وفاة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لأنها يوم موته كسفت.

وفيها أيضا استسقي[1] في رمضان بالمصلى، ومطر الناس[2]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبح الناس مؤمنا بالله، وكافرا بالكوكب» الحديث[3].

وفيها ظاهر أوس بن خولي[4] وقيل أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت من امرأته خولة بنت ثعلبة (فوطأها قبل أن يكفر)[5] فنزلت (فيه)[6] آية الظهار وقيل: إنّ سلمة بن صخر البياضي[7] ظاهر من امرأته ثم وقع عليها، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفر، قيل: وفيها سابق النبي صلى الله عليه وسلم بين الرواحل، فسبق قعود الأعرابي/ ناقته صلى الله عليه وسلم العصباء[8] ولم تكن تسبق على (103ب) المسلمين، فقال: «إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه».

---

(1) وفي الاستسقاء من هذه السنة قال ابن جرير الطبري: «وفيها أجذب الناس جذبا شديدا فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم».
– تاريخ الأمم والملوك: 83/3.

(2) وقال ابن سعد: «أصابنا يوم الحديبية مطر لم يبل أسافل نعالنا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلوا في رجالكم».
– الطبقات: 105/2.

(3) أخرجه النسائي في سننه كتاب الكسوف باب كراهية الاستمطار بالكوكب: 162/3 الحديث رقم: 1521.
– وأخرجه أبو في سننه كتاب الطب باب في النجوم: 399/3 الحديث رقم: 3905.

(4) أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم الأنصاري شهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد.
– الاستيعاب: 207/1 رقم الترجمة: 105. – أسد الغابة: 202/1.
– الوافي بالوفيات: 447/9.

(5) ما بين قوسين سقط من: ح.

(6) في: ح: (فيها).

(7) سلمة بن صخر البياضي بن سلمان بن حارثة الأنصاري مدني وهو الذي ظاهر من امرأته وكان أحد البكائين.
– الاستيعاب: 201/2 رقم الترجمة 1028. – الأسد: 297/2 رقم الترجمة: 2176.
– الوافي بالوفيات: 447/15.

(8) العصباء: الناقة التي لا تذر حتى تعصب أداني منحزيها بخيط ثم تثور ولا تحل حتى تحلب. وقال العصوب: الناقة التي لا تذر حتى يعصب فخذاها أي تشدا بالعصابة.
– اللسان: 2964/4 مادة عصب. – مقاييس اللغة: 339/4 مادة عصب.

وفيها في آخرها بعد رجوعه من الحديبية، وقيل في محرم سنة سبع بعث الرسل[1] إلى الملوك، واتخذ الخاتم[2] لختم الكتب. وذلك أنه لما أراد أن يكتب على الروم وغيرهم قيل له إنهم لا يقرأون كتابا إلا أن يكون مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، ونقش محمد رسول الله وختم به الكتب. وإنما كانوا لا يقرأون كتابا إلا مختوما خوفا من كشف أسرارهم. وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليه ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم هكذا عللوه، ولذلك كان بعث الكتاب غير مختوم استهانة بالمكتوب إليه.

ويصح أن يزاد مع ذلك أنه بالختم يحصل الوثوق بما لديه، وإنه لم يقع فيه تبديل ولا تغيير، فصورة ختمه صلى الله عليه وسلم الكتب على هذا هو وضع خاتمه المنقوش على ظهر الكتاب بعد طيه وعقده عليه بسير أو كاغد أو نحوهما. ووضع طين أو نحوه عليه، فيتأثر الخاتم، ويرتسم نقشه فيه، فيتعذر فكه على غير من أرسل إليه ويكبر ذلك على فاعله، فلا يجد سبيلا إلى الاطلاع على ما فيه، ولا إلى الزيادة فيه أو النقص منه. فيحصل الوثوق بما فيه أنه من عند مرسله من غير تبديل ولا تغيير، ويومن من اطلاع حامله عليه.

---

(1) وهو ما رواه ابن جرير الطبري قال: «وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل، فبعث في ذي الحجة ستة نفر، ثلاثة مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة من لخم حليف بني أسد بن عبد العزى إلى المقوقس وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة حليفا لحرب بن أمية... إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني. ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصرن وبعث سليط بن عمرو العامري، عامر ابن لؤي إلى هوذة بن علي الحنفي، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي».
– تاريخ الأمم والملوك: 84/3.

(2) وفي خاتمه صلى الله عليه وسلم رويت أحاديث كثيرة تشير إلى ذلك: نذكر منها ما رواه الترمذي عن إسحاق بن منصور قال حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة عن أنس بن مالك قال: «أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى العجم قيل له إن العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما فكأني أنظر إلى بياضه في كفه».
– وفي حديث آخر عن الترمذي عن أنس بن مالك: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل له إنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم، فصاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما حلقته فضة ونقش فيه محمد رسول الله».
– الحديثان أخرجهما الترمذي في سننه كتاب الشمائل باب ما جاء في ذكر خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم: 518/5. رقم 98-91.

هذا المتحصل من كلامهم، وقد صرحوا بأن كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مكتوب العنوان لأنه كان مختوما بختمه. وختمه «محمد رسول الله».

وذكر ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم القرشي الزهري[1] فكان يجيب عنه الملوك. وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويأمره أن يطينه ويختمه، وما يقرأ لأمانته عنده.

وروى ابن منده بسنده عن أبي وهب الكلبي[2] قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس قال: فلما نظر إلى الكتاب فضه وقرأه. والفض: فك ختم الكتاب.

وعن أبي هند الداري[3] في الكتاب الذي أقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أقطعهم قال: «ثم دخل بالكتاب إلى منزله في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف. وعقد من خارج الرقعة بسير. وخرج به مطويا».

وفي هذه السنة كان فرض الحج[4] على ما عند الشافعية[5] ومن قال بقولهم. وقال جماعة منهم: أنه الصحيح المشهور ومذهب الجمهور. وقيل كان سنة خمس أو قبلها، ونقله ابن الجوزي عن ابن عباس. وبه جزم الرافعي في شرح الوجيز وعليه مغلطاي[6].

---

(1) عبد لله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أسلم عام الفتح وولي على بيت المال في خلافة عمر.
- الاستيعاب: 3/3 رقم الترجمة: 1477.
- الأسد: 67/3 رقم الترجمة: 2809.

(2) أبو وهب الكلبي قال أبو نعيم: اسمه عبد الملك وهو صاحب دومة الجندل أخرجه منده وابو نعيم.
- الأسد: 332/5 رقم الترجمة: 6339.

(3) أبو هند الداري من بني الدار بن هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم واسمه برير يعد في أهل الشام.
- الاستيعاب: 336/4 رقم الترجمة: 3246.
- الأسد: 325/5 رقم الترجمة: 6323.

(4) رواه ابن القيم في زاد المعاد: 300/3.

(5) وهو ما رواه ابن كثير في السيرة: 342/3.

(6) مغلطاي بن قليج بن عبد الله المصري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين من حفاظ الحديث عارف بالأنساب من مؤلفاته، «شرح سنن ابن ماجة» «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» والإشارة في السيرة النبوية. توفي: 762 هـ.
- الدرر الكامنة: 352/4. - لسان الميزان: 72/6.

وقيل سنة سبع. وقيل ثمان، ورجحه جمع كثير. وقيل سنة تسع، وصححه عياض في الإكمال وحكاه الماوردي والنووي ورجحه الحنابلة، واعتمده الدمياطي. وقيل سنة عشر واقتصر عليه بعضهم وقيل غير ذلك.

«السنة السابعة»

- غزوة خيبر :

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، وقيل اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير، بينها وبين المدينة ثمانية برد مشي ثلاثة أيام إلى جهة الشام على يسار حاجه.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في بقية المحرم فاتح سنة سبع في قول ابن إسحاق[1].

وقال ابن حجر[2] وهو الراجح. وقيل : كانت/ في صفر، وقيل في ربيع الأول (104أ) وقيل في جمادى الأولى[3] وصحح، وقيل : في آخر سنة ست. وهو منقول عن مالك[4] وبه جزم ابن حزم[5] وابن عبد البر. وهو مبني على أن ابتداء السنة من شهر

(1) سيرة ابن هشام : 328/4. وهو ما رواه ابن كثير في السيرة : 344/3.
– وابن سعد في الطبقات 106/2.
– ورواه ابن جرير الطبري : 91/3.
– وخالفهم موسى بن عقبة بأنها كانت سنة ست قال : «ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة أو قريبا منها، ثم خرج غازيا إلى خيبر وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية».
– مغازي ابن عقبة : ص : 247.

(2) انظر : الفتح : 464/7.

(3) قال ابن سعد : «خيبر في جمادة الأولى سنة سبع من مهاجره».
–الطبقات : 106/2.

(4) وقال مالك : «كان فتح خيبر في السنة السادسة».
زاد المعاد لابن القيم : 316/3.

(5) وقول أبو محمد بن حزم أن كونها كانت في السنة السادسة.
– رواه ابن القيم في زاد المعاد : 316/3.

الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول[1].

واستخلف على المدينة (نميلة)[2] بن عبد الله الليثي فيما قاله ابن هشام[3] وقيل : سباع بن عرفطة وعليه عول أبو عمر في الاستيعاب[4].

قال ابن حجر : «وهو أصح»، وكان الله سبحانه وعده إياها وهو بالحديبية. بقوله تعالى : ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾[5] يعني فتح خيبر «فعجل لكم هذه» يعني صلح الحديبية. فخرج إليها صلى الله عليه وسلم مستنجزا لميعاد ربه وواثقا بغايته ونصره، ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع[6] فنزل به أهل خيبر وبني غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين عليه صلى الله عليه وسلم، وكان يراوح لقتال خيبر منه، وكان دليله إلى خيبر عبد الله ابن نعيم[7] وحسيل بن نويرة[8] الأشجعيان.

(1) ونقل ابن القيم الخلاف في ذلك : ولعل الخلاف مبني على أول التاريخ هل هو شهر ربيع الأول شهر مقدمه المدينة، أو من المحرم في أول السنة ؟ وللناس في هذا طريقان. فالجمهور على أن التاريخ وقع من المحرم. وأبو محمد بن حزم: يرى أنه من شهر ربيع الأول حين قدم وكان أول من أرخ بالهجرة يعلى بن أمية كما رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح.
- انظر : زاد المعاد : 316/3.

(2) في : ح : ثميلة.

(3) سيرة ابن هشام : 328/3.

(4) قال ابن عبد البر : سباع بن عرفطة استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل وهو من كبار الصحابة.
- الاستيعاب : 241/2.

(5) جزء من الآية 20 من السورة 48 الفتح.

(6) قال ابن القيم الرجيع : واد بين خيبر وغطفان.
- زاد المعاد : 317/3.

(7) عبد الله بن نعيم الأنصاري أخو عاتكة بنت نعيم له صحبة.
- الاستيعاب : 121/3 رقم الترجمة : 1693.
- الأسد : 301/3 رقم الترجمة : 3217.

(8) حسيل بن نويرة الأشجعي، وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر.
- الاستيعاب : 408/1 رقم الترجمة : 529.
- الأسد : 564/1 رقم الترجمة : 1186.
- الطبقات : 280/4.

ولما أتى خيبر نزلها ليلا فبات لم يقربهم حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا، وكان إذا أتى قوما بليل لم يغر عليهم حتى يصبح. فإن سمع أذانا أمسك. وإلا أغار فركب وركب أصحابه، وكانوا ألفا وأربعمائة رجل، ومعهم مائتا فرس، وقيل كانوا ألفا وثمانمائة. وكانت معه أم سلمة زوجه. وفرق الرايات، وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة. فاستقبله اليهود غادين بمساحيهم ومكالتهم[1].

فلما رأوه قالوا : محمد والله، محمد والخميس : أي الجيش. فقال : صلى الله عليه وسلم : «الله أكبر خربت خيبر : إنا[2] نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[3]. وتدنى الأموال يأخذها مالا مالا يفتتحها حصنا حصنا. وأول دار فتحت بخيبر دار بني قمة، وهي بنطاة[4] وهي منزل الياسر أخي مرحب، وهي التي قالت فيها عائشة «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بني قمة»[5] .

وقال ابن إسحاق[6] «فكان أول حصن افتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) والحديث رواه البخاري في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا وكان إذا أتى قوما ليلا لم يغر بهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكالتهم فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح لمنذرين».
– أخرجه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر : 155/5 الحديث رقم : 667.

(2) في ع وح : «إنا إذا» وهو الصواب.

(3) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر 155/5 الحديث رقم 667.
– وأخرجه أيضا في باب الجهاد : باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة.
– وأخرجه الترمذي في سننه كتاب السير باب في البيات والغارات: 195/3 الحديث رقم 1555.
– ورواه ابن القيم في زاد المعاد : 319/3..
– وابن هشام في السيرة : 330/3.

(4) هو اسم لأرض خيبر وقال الزمخشري : نطاة حصن بخيبر.
– معجم البلدان : 291/5.

(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه –مع اختلاف بسيط في اللفظ– عن عائشة في كتاب المغازي باب غزوة خيبر: 253/5 الحديث رقم : 705.

(6) سيرة ابن هشام : 331/3.

حصن ناعم ثم القموص حصن بن أبي الحقيق». ثم الشق ونطاة والكتيبة، ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون[1] والأموال، «ففتح الله عليه حصن الصعب بن معاذ. وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه»[2].

فلما افتتح من حصونهم[3] ما افتتح، وحاز من أموالهم ما حاز انتهوا إلى حصنيهم «الوطيح» و«السلالم» وكانا آخر حصون خيبر افتتاحا.

وقال الواقدي: - «بعد فتح «الشق» و«نطاة»» - تحول النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكتيبة والوطيح وسلالم حصن بني أبي الحقيق فتحصنوا أشد التحصن، وجاءهم فل الشق ونطاة، فتحصنوا معهم في القموص، وهم في الكتيبة، وكان حصنا منيعا في الوطيح والسلالم»[4].

وقال السيد السمهودي: «السلالم آخر حصون خيبر فتحا فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة.

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فيما قاله ابن هشام[5] «أمِت أمِت» فلما باتوا الليلة التي فتحوا في غدها. قال صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»[6]. فلما كان الغد أتى علي رضي الله عنه وكرم وجهه من المدينة، وكان

(1) وحديث فتح هذه الحصون أخرجه ابن القيم في زاد المعاد: 325/3.
- وابن سعد في الطبقات: 106/2.

(2) حديث حصن الصعب بن معاذ أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك: 92/3.
- وأخرجه أيضا ابن سعد في الطبقات: 92/2.

(3) ومن الحصون التي افتتحت في خيبر أيضا حصن قلعة الزبير، وحصن أبي، وحصن النزار.
- ذكرها ابن سعد في الطبقات: 106/2.

(4) مغازي الواقدي: 670/2.

(5) سيرة ابن هشام: 333/3 وعند ابن سعد كان شعارهم: يا منصور أمت.
- الطبقات: 106/2.

(6) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح عن سلمة في كتاب المغازي باب غزوة خيبر: 245/5 الحديث رقم: 678.
- وأخرجه أيضا في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي.
- وأخرجه أيضا ابن القيم في زاد المعاد: 320/3.

تخلف لرمد به. فبصق في عينيه[1] ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع ثم أعطاه الراية، فسار إليهم فقاتلهم، وقاتلوه أشد القتال حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين الوطيح والسلالم. وقد نازل صلى الله عليه وسلم خيبر[2] قريبا من خيبر حتى / افتتحها كلها[3] وقيل : أقام بها أربعين يوما. وقيل (105ب) ستة أشهر. ولما نزل أهل خيبر سألوه أن يعاملهم في الأموال على النصف. وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها. ففعل على أنه إذا شاء أن يجليهم أجلاهم[4].

وضبط ما تقدم من الحصون : بنو قمة : بكسر القاف، وتشديد الميم. والقموص : بفتح القاف، وتخفيف الميم، وآخره صاد مهملة، وقيل إنه بضم الغين المعجمة، وبضاد معجمة. وقيل : إن الأول جبل والثاني حصن عليه. والشق : بالفتح. وقيل بالكسر. ونطاة : بفتح النون وتخفيف الطاء. والكتيبة : بفتح الكاف، وكسر المثناة الفوقية. والوطيح : بفتح الواو وكسر المهملة الأولى. والسلالم : بضم السين وقيل بفتحها.

ولما سمع بهم أهل فدك[5] قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ويخلوا له الأموال، ففعل وصالحهم في الأموال على مثل ما فعل مع أهل خيبر، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين[6]. وكان الذي طار لهم في

---

(1) وحديث علي حين بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة خيبر : 246/5. الحديث رقم : 679.
– وأخرجه أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 320/3.
– وأخرجه ابن جرير الطبري في : 93/3.

(2) في النسخة : ع : أهل خيبر.

(3) رواه ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ : 94/3.

(4) ومن معاملته صلى الله عليه وسلم لهم أنه صالحهم على أن لا يحقن دماءهم و لم ما حملت ركابهم وللنبي صلى الله عليه وسلم، الصفراء والبيضاء والحلقة وهو السلاح، ويخرجهم، وشرطوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عند...
– رواه ابن سعد في الطبقات : 110/2.

(5) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحا.
– معجم البلدان : 238/4.

(6) وهو ما رواه ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ : 95/3.

القسمة الشق ونطاة، فقسمها[1] على أهل الحديبية من شهد خيبر. ومن غاب عنها. وذلك لأن الله أعطاهم ذلك في سفر الحديبية. و لم يغب إلا جابر بن عبد الله. فقسم له صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها.

وزاد الواقدي مري بن سنان[2] عم أبي سعيد الخدري قال : «شهد الحديبية، وغاب عن خيبر، فأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم منها»[3] وأعطى منها أهل السفيتين والدوسيين[4] والأشعريين[5]، إلا أنه لا يُدرى هل أخذوا مع الناس من أصل الغنيمة أو أعطاهم مما اصطفاه لما يتوب المسلمين، وتكون مشاورته صلى الله عليه وسلم أهل الحديبية على هذا ليس استتارا لهم عن شيء من حقهم. وإنما هي المشورة العامة، وشاورهم في الأمر، و لم يسهم لأحد لم يشهد فتحها غير من ذكر بين هذه سهمان : الخيل والرحال. وعرب العربي من الخيل، وهجن الهجين.

وكانت الكتيبة وهي أرض خيبر ،وهي أربعون ألف عذق[6] وخمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وطعم رجال مشوا بين النبي صلى الله عليه وسلم، وبين أهل فدك بالصلح.

---

(1) وفي ذلك يروي موسى بن عقبة عن الزهري قال : بلغني أن الخمس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم غنمه المسلمون شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لا يقسم لغائب من مغنم إلا يوم خيبر، قسم لغيب الحديبية، ومن أجل أنه أعطى خيبر المسلمين من أهل الحديبية... فكانت لأهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب، و لم يشهدها من الناس معهم غيرهم.
– مغازي ابن عقبة : ص : 252، وأخرج هذه الرواية ابن شبة في تاريخ المدينة : 183/1.

(2) مري بن سنان بن ثعلبة شهد أحدا والمشاهد بعدها، وذكر العدوي والواقدي أن مري بن سنان ربيب سمرة بن جندب.
– الاستيعاب : 33/4 رقم الترجمة : 2573.

(3) مغازي الواقدي : 684/2.

(4) هم بطون منها : بطن من زهران إحدى قبائل عسير الكبيرة، وبطن من الأزد وهم بنو دوس بن عدنان.
– معجم القبائل : 394/1.
– العقد الفريد :923/1.

(5) من قبائل كهلان من القحطانية، وهم بنو الأشعر بن أدد بن زيد، وكانت ديارهم من حدود بني مجيد بأرض الشقاق.
– معجم القبائل : 30/1.
– نهاية الأرب : 309/3.
– الاشتقاق : 218.

(6) العذق : هو النخلة.

وقال ابن سيد الناس[1] وقول ابن إسحاق[2] «إن المقاسم كانت على أموال خيبر على الشق ونطاة والكتيبة، فكان الشق ونطاة في سهم المسلمين». وكانت الكتيبة خمس الله أشبه من قول أبي عمر[3]، إن أرض خيبر قسمت كلها، فإن هذه المواضع الثلاث مفتوحة بالسيف عنوة من غير صلح.

وأما الوطيح والسلالم، فقد يكون هو الذي اصطفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ينوب المسلمين انتهى.

وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب[4].

وقد اختلف في فتح خيبر هل كان عنوة، وبه جزم ابن عبد البر، أو صلحا أو بعضه عنوة، وبعضه صلحا وهو المروي عن ابن شهاب[5]، أو فتح صلحا، ثم نقضوا، فصارت عنوة، وهو الذي في حديث أبي داود والبيهقي[6] وغيرهما عن ابن عمر. وفيما أخرجه أبو الأسود في مغازيه عن عروة.

---

(1) عيون الأثر : 177/2.

(2) سيرة ابن هشام : 349/3.

(3) انظر الدرر لابن عبد البر : ص : 237 في تقسيم خيبر.

(4) رواه ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ : 95/3.

(5) عن ابن شهاب : أن خيبر كان بعضها عنوة، وبعضها صلحا، والكتيبة أكثرها عنوة، وفيها صلح.
– انظر عيون الأثر : 178/2.
– ولابن القيم في ذلك رأي قال : وبناء منه على أصل الشافعي، أنه يجب قسم الأرض المفتتحة عنوة كما تقسم سائر الغنائم، فلما لم يجده قسم النصف من خيبر، قال : أنه فتح صلحا.
ومن تأمر السير والمغازي حق التأمل، تبين له أن خيبر إنما فتحت عنوة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة، ولو فتح شيء منها صلحا، و لم يجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منها...
– زاد المعاد : 329/3.
– وهو ما رواه ابن جرير الطبري في التاريخ : 94/3.

(6) ويروي ابن القيم عن البيهقي القولين قال : قال البيهقي : وهذا لأن خيبر فتح شطرها عنوة، وشطرها صلحا، فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغانمين، وعزل ما فتح صلحا لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين.
– زاد المعاد : 328/3.

واستشهد من المسلمين بخيبر نحو من عشرين رجلا. وقيل خمسة عشر منهم محمود بن مسلمة (أخو)[1] محمد بن مسلمة الأنصاري.

وذكر موسى بن عقبة[2] عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ فيما زعموا «له أجر شهيدين». وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون[3]، وضرب سلمة بن الأكوع يومئذ ضربة في ساقه. فقال الناس: «أصيب سلمة» فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكاها بعد.

ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له امرأة من اليهود بإذنهم شاة فيها سم. فانتهش[4] منها مرة. فأخبرته الدراع بأنها مسمومة، فطرحها، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور[5] فمات منه بعد اعتلال حول/. (106أ)

وقيل: إنه لم يبرح مكانه حتى مات. واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم كاهله من أجل ذلك. وقيل: إنه قتلها[6]، وقيل: عفا عنها وقيل: إنها سلمت فتركها. وجمع بأنه عفا عنها أولا لأنه كان لا ينتقم لنفسه. ثم لما مات بشر قتلها به، وبأنه

---

(1) في ح: (أخذ) وهو تصحيف.

(2) مغازي ابن عقبة: 258 وروايته: وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمحمد بن مسلمة أخوك له أجر شهيدين.
- وذكره الطبراني في المعجم الكبير: 304/19.
- وابن عبد البر في الاستيعاب: 436/3.

(3) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر: 183/2.

(4) النهش: القبض على اللحم ونتره. ونهش الطعام: تناول منه.
- اللسان: 4558/6 مادة نهش.
- مقاييس اللغة: 663/5 مادة نهش.

(5) بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بني سلمة.
- الاستيعاب: 247/1 رقم الترجمة: 179.
- الأسد: 253/1 رقم الترجمة: 471.

(6) قال ابن القيم واختلف في قتل المرأة، فقال الزهري: أسلمت، فتركها ذكره عبد الرزاق عن معمر، عنه، ثم قال معمر: والناس تقول قتلها النبي صلى الله عليه وسلم.
- والمرأة هي زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم. وقصتها طويلة ذكرها:
- ابن القيم في زاد المعاد: 335/3.
- وابن عقبة في المغازي: ص: 254.

تركها لما أسلمت، ثم لما مات بشر تحقق وجوب القصاص بشرطه فقتلها[1] وجاء الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه في هـذه الشاة «أن اذكـروا اسم الله، وكلـوا» فـأكلوا ولـم يصب أحـد منهم شيء.

وفي هذه الغزوة قدم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة[2]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية بكتابه إلى النجاشي في تزويجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وبعثها إليها، وأن يحمل من عنده من المسلمين ففعل ما أمره به، وقدم مع جعفر اثنان وثلاثون من الحبشة، وقيل اثنان وستون معهم ثمانية شاميون. وهم الذي عنى الله تعالى بقوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون﴾[3].

وقيل : إنه قرأ عليهم سورة «يس» فبكوا حين سمعوا القرآن، فآمنوا، فقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى على محمد عليه الصلاة والسلام، فنزل فيهم : «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا» الآيات[4].

وقيل : كان قدومهم بعد جعفر والله أعلم. وقدم أبو موسى الأشعري ومن معه وكان قدم مكة، وحالف بها سعيد بن العاص[5] أبا أحيحة، قاله الواقدي.

وقال ابن إسحاق[6] «وهو حليف آل عتبة بن ربيعة»، ثم أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة، وقيل : بل رجع بعد إسلامه إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم مع إخوته

(1) وخبر قتلها رواه أبو داود في سننه عن جابر، في كتاب الديات باب فيمن سقى رجلا سما. الحديث : 4511.

(2) وروى ذلك ابن كثير في سيرته في فصل سماه : «ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين، ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بخيبر».
– سيرة ابن كثير : 389/3.

(3) الآية : 52 من السورة 82 القصص.

(4) الآية : 82 من السورة : 5 المائدة.

(5) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة، أحد أشراف قريش، استعمله عثمان على الكوفة وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان.
– الاستيعاب : 183/2 رقم الترجمة : 992. – الأسد : 257/2.
– البداية والنهاية : 83/8. – طبقات ابن سعد : 30/5.

(6) سيرة ابن هشام : 361/4.

وغيرهم من الأشعريين في نحو خمسين رجلا في سفينة فألقتهم الريح إلى أرض الحبشة، فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها، فأتوا معهم. وهذا هو الصحيح عند أبي عمر. قال : وقد قيل : «إن الأشعريين لما رمتهم الريح إلى النجاشي أقاموا به مدة، ثم خرجوا مع جعفر فلهذا ذكر ابن إسحاق[1] أبا موسى فيمن هاجر إلى أرض الحبشة والله أعلم»[2].

وكان جعفر وأصحابه في سفينة والأشعريون في سفينة أخرى. وقدم أبو هريرة فيمن وفد من قومه صحبة الطفيل بن عمرو الدوسي[3].

وفيها قصة النوم عن صلاة الصبح، على الأصح في رجوعه من وادي القرى بعد خيبر. ورويت فيها روايات أخرى، (وهكذا)[4] ذهب جماعة إلى التعدد جمعا بين الروايات.

وفيها نهي عن لحوم الحمر الأهلية[5] ورخص في لحوم الخيل، ونهي عن أكل ذي ناب من السباع[6] وعن لحوم الجلالة[7] وركوبها، ولا يركب دابة من فيء المسلمين

---

(1) سيرة ابن هشام : 361/4. قال ابن إسحاق : «وأبو موسى عبد الله بن قيس».

(2) الاستيعاب : 327/4.

(3) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العباس الدوسي، أسلم بمكة، ثم رجع إلى بلاده دوس، قتل باليمامة شهيدا.
- الاستيعاب : 311/2 رقم الترجمة : 1282.
- الأسد : 468/2 رقم الترجمة : 2611.

(4) في : ع (ومثل هذا).

(5) وفي هذا النهي وردت روايات كثيرة عن البخاري نذكر منها ما رواه : «عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل».
- أخرجه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر : 248/5. الحديث رقم : 688.
- ورواه أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 344/3.
- وابن كثير في السيرة : 364/3. - وابن عقبة في المغازي : ص : 248.

(6) كل ذي ناب من السباع : هو ما يفترس الحيوان ويأكله قهرا وقسرا كالأسد والنمر والذئب ونحوها. وسباع الطير التي تصيد.
- اللسان : 1926/3 مادة سبع.

(7) إبل جلالة : تأكل العذرة، وقد نهى عن لحومها وألبانها. والجلالة البقرة التي تتبع النجاسات. والجلالة من الحيوان التي تأكل الجلة والعذرة. والجلة : البعر.
- اللسان : 664/1 مادة جلل. - مقاييس اللغة : 417/1 مادة جل.

حتى إذا أعجفها ردها فيه، ويلبس ثوبها من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه ورده فيه. ونهي عن أكل الثوم، وعن بيع تبر[1] الذهب بالذهب العين. وتبر الفضة بالفضة العين. وقال : «ابتاعوا تبر الذهب بالورق والعين، وتبر الورق بالذهب العين».

ونهى عن بيع الغنائم حتى تقسم. وعن إتيان الحبالى من النساء. وأن توطأ من السبي حتى تستبرأ، وعن متعة النساء، وهو أن يتزوج المرأة في أجل، وتحصل الفرقة بانقضاء الأجل بغير طلاق. وقد اختلف في زمن تحريمها على أقوال. وأصحها من حيث الرواية «خيبر» و«الفتح». والثاني أصح وهو المشهور[2].

وقيل : إنها تعدد تحليلها وتحريمها، ولهذا، قال في المرة الأخيرة إلى يوم القيامة فيما أخرجه مسلم.

قال ابن حجر : هو المعتمد ثم قيل إنها أبيحت مرتين، وحرمت مرتين، وقيل، أبيحت ثلاثا وحرمت ثلاثا، وقال ابن بزيزة : هو أغرب ما وقع في الشريعة، فلم يعهد ذلك في غيره.

وكان فيما أصاب صلى الله عليه وسلم يوم خيبر / من السبايا صفية بنت حيي[3] (107ب) رضي الله عنها، فاصطفاها لنفسه. فلما بلغت شد الصهباء حلت فبنى بها ثم صنع

---

(1) التبر : الذهب كله، وقل : هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض ... وغير ذلك مما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل.

(2) والنهي عن مجموع هذه الأمور المذكورة فصل فيها القول ابن القيم في :
- زاد المعاد : 339/3 إلى ص : 354.
- وابن كثير في السيرة : 363/3 إلى ص : 370.

(3) قصة صفية بنت حيي رضي الله عنها ساقها بتفصيل :
- ابن عقبة في المغازي : ص : 250.
- وابن شبة في تاريخ المدينة : 466/2.
- وأخرجها البيهقي في الدلائل : 233/2.
- وابن كثير في السيرة : 363/3.
- وأخرجها ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ: 92/3.
- وأخرج حديثها البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر : 246/5 الحديث رقم 086 عن أنس بن مالك.

حيسا[1] فأطعم الناس طعام الوليمة. وشد الصهباء :[2] موضع على روحة أو على بريد من خيبر. وعلى مرحلتين من المدينة.

- غـزوة وادي القـرى[3] :

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فدعا أهلها – وهم يهود– إلى الإسلام، فامتنعوا من ذلك، وقاتلوا، فحاصرهم ليالي، يقال أربعا ويقال أكثر من ذلك. وأصيب غلام له صلى الله عليه وسلم اسمه مدعم، وقيل : كركرة أصابه سهم غرب، فقتله، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة.

وذكر أبو بكر البلاذري بأسانيده، ونحوه لابن عبد البر : أنه فتحها الله عليه عنوة في جمادى الآخرة وغنمه أموال أهلها. وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا.

فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وترك الأرض والنخيل في أيدي يهود. وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، «سهم غرب»[4] بتنوين سهم وسكون الراء من غرب بعد فتح المعجمة على الثابت المشهور، وقيل بالإضافة وفتح الراء : لا يدرى راميه.

ولما بلغ يهود تيماء[5] ما وطئ به النبي صلى الله عليه وسلم أهل وادي القرى صالحوه على الجزية، وأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم.

«وتيماء» : موضع على البحر في أول طريق الشام من المدينة، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. ولأجل اتصال غزوة وادي القرى بغزوة خيبر، جعلها بعضهم غزوة واحدة.

---

(1) الحيس : هو الطعام المتخذ من التمر والسمن.
– اللسان : 1069/2 مادة : حيس. – مقاييس اللغة : 124/2 مادة حيس.
(2) الصهبة : الشقرة في شعر الرأس. وناقة صهباء : ظاهر لونها أحمر وباطنه أسود.
– اللسان : 2513/4 مادة صهب. – مقاييس اللغة : 316/3 مادة صهب.
(3) وأخرج هذه الغزوة ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ : 96/3.
– وابن كثير في السيرة :401/3. – وابن القيم في زاد المعاد : 354/3.
(4) سهم غرب : أي سهم لا يعرف راميها. وفي النسخة ع : (غارب) وأيضا في سيرة ابن كثير.
(5) تيماء : بلد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق.
– معجم البلدان : 67/2.

- سرية أبان بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي إلى نجد :

عد هذه السرية بعضهم. وذكر المناوي في شرح ألفية العراقي[1] أنها كانت في جمادى الآخرة.

وذكرها البخاري[2] فقال : «عن أبي هريرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد بن العاص على سرية من المدينة قبل نجد، فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعدما افتتحها. وإن حزم خيلهم لليف» وقال ابن حجر لا أعرفها.

- سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى هوازن بتربة[3] :

بضم التاء وفتح الراء، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في شعبان ومعه ثلاثون رجلا.

قال ابن سعد[4] : «وتربة» بناحية العبلاء[5] على أربع ليال من مكة بطريق صنعاء ونجران، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب[6] محالهم، فلم يلق أحدا منهم فانصرف راجعا إلى المدينة[7].

---

(1) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم أبو الفضل المعروف بالحافظ العراقي من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد. له : الألفية في مصطلح الحديث، توفي سنة (806هـ).
– الضوء اللامع : 171/4.
– غاية النهاية : 382/1.

(2) أخرجها البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة خيبر: 251/5. الحديث رقم : 702.

(3) تربة : واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها يصب في بستان ابن عامر، يسكنه بنو هلال.
– معجم البلدان : 21/2.

(4) الطبقات : 117/2.

(5) العبلاء : اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ.
– معجم البلدان : 80/2.

(6) في النسخة : ح : عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(7) وعند ابن كثير من رواية البيهقي : «وكر عمر راجعا إلى المدينة، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم».
– سيرة ابن كثير : 418/3.

- سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب :

بناحية ضرية[1] -بفتح المعجمة- وهي قرية بطريق حاج البصرة إلى مكة على نحو سبع مراحل من المدينة بعثه صلى الله عليه وسلم في شعبان[2] وكان شعارهم «أمت أمت» ويقال بعثه إلى بني مرة فسبى منهم جماعة، وقيل آخرين.

وفي صحيح مسلم إلى فزارة كما تقدم في السرية إلى أم قرفة وهو الصواب وعد ابن حجر سريته إلى بني فزارة التي عند مسلم وسريته إلى بني كلاب الذي ذكرها ابن سعد سريتين اثنتين ولعله أصوب.

- سرية بشير بن سعد الأنصاري[3] والد النعمان بن بشير إلى بني مرة بفدك :

بعثه صلى الله عليه وسلم في شعبان، ومعه ثلاثون رجلا، فلم يجد في محالهم أحدا، فاستاق النعم والشاء، وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ، فأخبرهم، فأدركه الدهم[4] منهم عند الليل، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب/ (108أ) بشير فقتلوهم - أي الكفار- قتلوا أصحاب بشير. وقاتل بشير حتى ارتث

---

(1) ضرية : قرية لبني كلاب على طريق البصرة وهي إلى مكة أقرب.
- معجم البلدان : 457/3.

(2) قال ابن سعد كانت في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وذكرها ابن سعد في الطبقات : بسرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب.
- الطبقات : 177/2.
- وابن كثير في السيرة : سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة.
- السيرة : 417/3 ولعلهما غزوة واحدة لتشابه الروايتين.

(3) بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأنصاري يكنى أبا النعمان، شهد العقبة، ثم شهد بدرا وأحدا والمشاهد بعدها، قتل بعين التمر في خلافة أبي بكر.
- الاستيعاب : 252 رقم الترجمة : 194.
- الأسد : 269/1 رقم الترجمة : 459.

(4) الدهمة : السواد، والدهم : ثلاث ليال من الشهر.
- اللسان : 1443/2 . مادة دهم.
- مقاييس اللغة : 307/2 مادة درهم.

وضرب كعبه، وقيل قد مات. ورجعوا بنعمهم وشائهم، وتحامل بشير حتى أتى «فدك» فأقام عنده يهود أياما حتى اشتد فقدم المدينة[1].

- سرية غالب بن عبد الله الليثي[2] إلى الميفعة :

بكسر الميم، وقيل بفتحها : بطن نخل بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة وهي أرض بني مرة. ومرداس بن نهيك[3] حليف لهم وهو من الحرقة[4] من جهينة، والحرقة بضم الحاء وفتح الراء وسكونها، وبالقاف والفاء المدوسة بدلها.

ويقال : إن السرية كانت إلى بني عوال[5] بني عبد بن ثعلبة وهم بالميفعة.

وبعثه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في مائة وثلاثين رجلا، فهجموا عليهم في وسط محالهم، فقتلوا من أشرف عليهم، واستاقوا نعما وشاء إلى المدينة. ولم يأسروا أحدا.

قالوا : «وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس[6] بعدما قال : لا إله إلا الله متأولا أنه إنما قالها متعوذا»[7].

---

(1) أخرج هذه الرواية ابن سعد في الطبقات : 118/2.
– وابن كثير في السيرة : 419/3. – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 190/2.

(2) غالب بن عبد الله الليثي، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ليسهل له الطريق. روى عنه قطر بن عبيد الله.
– الاستيعاب : 318/3 رقم الترجمة 2080. – الأسد : 34/4 رقم الترجمة : 4165.

(3) مرداس بن نهيك الفزاري هو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا﴾ النساء : 93.
– الاستيعاب : 443/3 رقم الترجمة : 2398. – الأسد : 350/4 رقم الترجمة : 4836.

(4) الحرقة : ناحية بعمان. – معجم البلدان : 243/2.

(5) رواه ابن سعد في الطبقات : 119/2، قال والميفعة : وراء بطن نخل إلى النقرة قليلا بناحية نجد، بينها وبين المدينة ثمانية برد.

(6) نهيك بن مرداس استدركه ابن فتحون، وذكره في مغازي الواقدي عن أفلح بن سعيد.
– الإصابة : 274/6 رقم الترجمة : 8909.

(7) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 191/2. – وابن هشام في السيرة : 623/4.

وفي جامع الصحابة للحافظ الرعيني عن ابن فتحون : نهيك بن مرداس هو الذي قتله خطأ أسامة بن زيد في سرية بشير بن سعد إلى فدك بعد أن أسلم، فلامه بشير لوما شديدا، ثم لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قدم -الحديث المشهور- قاله الواقدي.

وقيل : إن المقتول مرداس بن نهيك، وقد ذكره أبو عمر[1]، واختلف في المقتول والقاتل وأمير السرية[2] اختلافا انتهى. فعلى أن القاتل أسامة في سرية بشير بن سعد إلى فدك يكون ذلك في السرية التي قبل هذه والله أعلم.

وفي الإكليل للحاكم : «فعل ذلك أسامة في سرية كان هو أمير عليها سنة ثمان».

وفي البخاري ترجمة «بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة»[3].

- سرية بشير بن سعد الأنصاري أيضا إلى يمن[4] وجبار[5] :

وكانت في شوال، قال ابن سعد[6] : «قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان بالجناب[7] قد واعدهم عيينة بن حسن الفزاري ليكون معهم

(1) الاستيعاب لابن عبد البر : 443/3.

(2) ويروي البخاري أن أمير السرية هو أسامة بن زيد . قال حدثني عمرو بن محمد حدثنا هشيم أخبرنا حصين أخبرنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول :
«بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله قلت : كان متعوذا فمازال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.
- أخرجه في كتاب المغازي : باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة : 259/5 رقم الحديث : 727.

(3) باب ذكره في كتاب المغازي من كتابه الصحيح : 259/5.

(4) يمن : بالفتح ويروى بالضم ثم السكون : ماء لغطفان على الطريق بين تيماء وفيد.
- معجم البلدان : 449/5.

(5) جبار : بالفتح وتشديد الباء : من قرى اليمن.
- معجم البلدان : 99/2.

(6) الطبقات : 120/2.

(7) الجناب : بكسر الجيم : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى.
- معجم البلدان : 146/2.

ليزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير ابن سعد فعقد له لواء، وبعث معه ثلاثمائة رجل، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا «يمن» و«جبار». وهما نحو الجناب. والجناب معارض «سلاح»، وخيبر، ووادي القرى. فنزلوا «بسلاح» وهو أسفل خيبر ثم دنوا من القوم، فأصابوا لهم نعما كثيرا، وتفرق الرعاء، فحذروا الجمع فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم.

وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالهم، فيجدها وليس فيها أحد، فرجع بالنعم. وأصاب منهم رجلين، فأسرهما وقدم بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأسلما فأرسلهما»[1].

يمن : بفتح المثناة التحتية. وقيل بضمها. وقيل بالهمز مفتوحة ساكن الميم. وجبار : بجيم وموحدة بوزن سحاب، وقيل بوزن غراب .والجناب : بجيم فنون على ما في معجم البكري[2] وغيره ككتاب. وسلاح : بوزن سحاب أو قطام[3] وقيل ككتاب وعارضت فلانا في السير أي سرت حياله.

- عمرة القضاء[4] :

وتسمى عمرة القضية[5] وعمرة الأمن وعمرة الصلح، وعمرة القصاص قالوا (وهذه)[6] التسمية أولى بها لقوله تعالى : ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾[7].

---

(1) أخرج هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد : 364/3.
— وابن سعد في الطبقات : 120/2.
(2) معجم ما استعجم للبكري : 363/1.
(3) القطم : العض بأطراف الأسنان، وقطام : من أسماء النساء.
— اللسان : 3682/5 مادة قطم. — مقاييس اللغة : 4011/5 مادة قطم.
(4) هكذا سماها البخاري في الصحيح قال باب عمرة القضاء.
— ذكره انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب المغازي : 254/5.
(5) هكذا أطلق عليها ابن القيم في زاد المعاد : 370/3.
— وابن سعد في الطبقات : 120/2. — وابن عقبة في المغازي : ص : 260.
(6) في ع : (وفي هذه).
(7) جزء من الآية : 149 من السورة : 2 : البقرة.

وعدها بعضهم في الغزوات وخرج صلى الله عليه وسلم إليها لهلال ذي القعدة[1] معتمرا في ألفين من أصحابه سوى النساء والصبيان من أهل الحديبية، ومن انضاف إليهم/.

وأمرهم أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم أحد إلا من استشهد بخيبر أو مات. وقيل إنه قد تخلف عن عمرة القضية بعض من شهد الحديبية.

وعند الفقهاء من المالكية أن الذين صدوا معه صلى الله عليه وسلم في الحديبية كانوا ألفا وأربعمائة. والذين اعتمروا معه كانوا نفرا يسيرا.

واستعمل على المدينة أبا رهم الغفاري[2] وقيل غيره، وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة هديا، وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح، واقتاد مائة فرس. فلما انتهى إلى ذي الحليفة أحرم ولبى والمسلمون معه، فلما قرب من مكة سمع به أهلها، ففزعوا، ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن «ياجج» : وهو واد ينصب من مطلع الشمس إلى مكة قريبا منها حيث ينظر أنصاب الحرم. وقدم الهدي أمامه، فحبس بذي طوى، وهو المعروف بمكة بين الثنيتين.

وخرجت أكابر قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وإلى البوادي كراهية أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا، ونفسا وحسدا. ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون محذقون متوشحون السيوف يلبون من الثنية التي تطلعه على الحجون[3] وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مومن بقيله ... أعرف حق الله في قبوله
نحن قاتلناكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

---

(1) كانت لهلال ذي القعدة سنة سبع : رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 260.
– وابن سعد في الطبقات : 120/2. – وابن القيم في زاد المعاد : 370/3.
(2) رواه ابن سيد الناس في الطبقات : 120/2.
(3) جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.
– معجم البلدان : 225/2.

ضـربا يزيل الهـام عن مقيلـه ويذهـل الخليـل عن خليلـه[1]

وتحدثت قريش فيما بينها أنه يقدم عليكم محمد وأصحابه، وقد وهنتهم حمى يترب، فصفوا له عند دار الندوة، لينظروا إليه وإلى أصحابه.

وروى أنهم جلسوا مما يلي الحجر. وفي البخاري[2] : والمشركون من قبل قعيقعان وهو جبل بمكة يشرف على الركنين الشاميين. فلما دخل صلى الله عليه وسلم اضطبع بردائه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال : «رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن، وذهب يهرول، ويهرول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت منهم مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها. ولما قضى نسكه ونحر هديه بعث ناسا من أصحابه إلى الذين ببطن يأجج منهم فيقيمون على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضون نسكهم.

ولما مضى الأجل الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش، الذي وقع الشرط عليه يوم الحديبية، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليوم الرابع، قالوا له صلى الله عليه وسلم : اخرج عنا، فقد مضى الأجل، فقال لهم : «إن شئتم أقمت عندكم ثلاثا أخر، وأعرست بأهلي، وأولمت لكم». وكان تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية[3] قبل عمرته، ولم يدخل بها[4]، فقالوا : «لا حاجة لنا في وليمتك اخرج عنا».

---

(1) هذه الأبيات رواها ابن سعد في الطبقات :121/2. – وابن عقبة في المغازي : ص : 261.
– وابن القيم في زاد المعاد : 371/3. – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 194/2.
مع وجود اختلاف في ترتيب الأبيات بل حتى في موضع الكلمات من البيت.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب عمرة القضاء.
– رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : 254/5. الحديث رقم : 711 وهو حديث طويل.
– وأخرجه أيضا ابن سعد في الطبقات : 120/2.

(3) ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أمها هند بنت عوف.
– الاستيعاب : 467/4 رقم الترجمة : 3533. – الأسد : 275/6 رقم الترجمة : 7297.

(4) وحديث زواجه بها صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال.
– أخرجه في كتاب المغازي باب عمرة القضاء : 256/5 الحديث رقم : 717.

فأمر صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل. ورحل صلى الله عليه وسلم في أول اليوم الرابع. وقيل خرج آخر اليوم الثالث حتى أتى سرف[1] : وهو على عشرة أميال من مكة، فأعرس بأهله، وأقام هناك ثلاثا ثم سار إلى المدينة.

- سرية أبي العوجاء[2] :

وقيل الأخرم بن أبي العوجاء[3] إلى بني سليم، بعثه صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة في خمسين رجلا. فوجدهم قد بلغهم الخبر بمسيرهم، وقد استعدوا للحرب فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ثم تراموا بالنبل ساعة. وجعلت الأعوان تأتي المشركين حتى أحدقوا بهم من كل ناحية فقاتلهم أبو العوجاء. والأخرم بن أبي العوجاء ومن معه قتلا شديدا حتى قتل هو وعامة أصحابه أو كلهم. وقيل: إنه أصيب جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم / في أول يوم من صفر[4]. (110أ)

وفي هذه السنة في محرم من منصرفه صلى الله عليه وسلم من الحديبية سحر النبي صلى الله عليه وسلم، سحره لبيد بن الأعصم الساحر من بني زريق[5] من الخزرج وكان حليفا لليهود، وكان منافقا، وقيل فيه غير ذلك، حتى إن كان النبي صلى الله

(1) هو موضع على ستة أميال من مكة، وقيل سبعة وتسعة... وتزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهناك بنى بها وهناك توفيت.
– معجم البلدان : 212/3.

(2) قال الزهري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها أبو العوجاء السلمي إلى بني سليم، فقتلوا جميعا. وقال ابن إسحاق ابن أبي العوجاء السلمي أخرجه أبو موسى.
– الأسد : 236/5 رقم الترجمة : 6134.

(3) الأخرم بن أبي العوجاء الأسدي واسمه محرز بن نضلة، وكان يقال له فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل شهيدا في غارة عبد الرحمن بن عيينة.
– الاستيعاب : 167/1 رقم الترجمة : 14. – الأسد : 79/1 رقم الترجمة : 54.

(4) وأخرج هذه السرية ابن كثير في السيرة : 444/3. – وابن عقبة في المغازي : ص: 262.
– والواقدي في المغازي : 741/2. – وابن سعد في الطبقات : 123/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 194/2.

(5) بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية وهم : بنو زريق بن عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج.
– معجم المؤلفين : 471/2. – نهاية الأرب : 316/2.
– معجم ما استعجم : 611/2.

عليه وسلم ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وذلك في أمر النساء خاصة، إذ كان قد أخذ عنهن بالسحر[1] دون ما سواه من أمر الدين. والمراد بالتخيل المذكور أن يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر ذلك ما هو شأن المعقود، فمكث على ذلك سنة. ويروى شهرين، وروي ستة أشهر، وروي أربعين يوما.

ثم أذن الله بشفائه، فبعث إليه ملكين فأعلماه بسحره، ومن سحره، وفيم سحره، وأين جعله. فاستخرجه، وأنزل عليه المعوذتان فقرأهما فشفي وبطل السحر، فأمر به فدفن، وفيها سمي لما تقدم.

وفيها زاد النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده لما كثر الناس وفتح الله عليه خيبر، طلبوا منه أن يزيد فيه فزاد، وجعله مائة ذراع في مائة مربعا وأربع أساطين عن شرقي المنبر وأربعا عن غربيه.

«السنة الثامنة»

- سرية غالب بن عبد الله الليثي:

أحد بني كلب بن عوف[2] إلى بني الملوح[3] من كلب ليث من كنانة بالكديد من قديد وعسفان، بعثه صلى الله عليه وسلم في صفر في بضعة عشر رجلا. وأمره أن يشن الغارة، أي يفرقها من كل الجهات، فلقوا الحارث بن مالك الليثي[4] وهو ابن البرصاء، فأخذوه فربطوه، ثم أتوا القوم فبيتوهم فقتلوا، واستاقوا النعم، فخرج

(1) وحديث سحره صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الطب باب السحر : 257/5 والحديث روته عائشة رضي الله عنها بروايتين. الأحاديث رقم : 661 و662.
– وأخرجه ابن كثير في تفسير سورة الفلق : 575/4.

(2) بطن من قضاعة من القحطانية كانوا ينزلون دومة الجندل، وأطراف الشام.
– العقد الفريد : 71/2. – نهاية الإرب : 295/2.

(3) الملوح : بطن من بني ليث بن يعمر، بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية على رأسها غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد سنة ثمان.
– معجم القبائل العربية : 1137/3.

(4) الحارث بن مالك بن البرصاء أمه بنت ربيعة بن رباح، روى عنه عبيد بن جريج والشعبي.
– الاستيعاب : 354/1 رقم الترجمة : 418.
– الأسد : 470/1 رقم الترجمة : 956.

صريخ القوم، فجاءهم دهم[1] لا قبل لهم به، ومضى الصحابة بالنعم وبابن البرصاء، وأدركهم القوم، فلما قربوا منهم حتى ما بينهم، وبينهم إلا وادي قديد، أرسل الله الوادي بسيل عظيم من حيث شاء لا يقدر أحد أن يحيزه من غير سحابة يرونها ولا مطر، فحال بينهم فذهب الصحابة بنعمهم وهم ينظرون، وما يقدر أحد منهم أن يحيز إليهم، فقدموا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

الملوح : بتشديد الواو مفتوحة ومكسورة. والكديد : بوزن حديد. وقديد : بوزن دريد. والدهم : بضم الدال وسكون الهاء وهم الجمع الكثير.

- سرية غالب أيضا إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك[3] :

بعثه صلى الله عليه وسلم في صفر[4] ومعه مائتا رجل واثنتان، فأغارا على بني مرة مع الصبح، فقتلوا منهم قتلى، وأصابوا نعما.

وفي الاستيعاب[5] : غالب بن عبد الله بن (مسفر)[6] الليثي صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا إلى بني الملوح بالكديد، وكانوا قد قتلوا أصحاب بشير بن سعد[7] وأمره أن يغير عليهم، فخرج. قال جندب بن مكيث[8] كنت في سريته، فقتلنا

(1) الدهم في اللغة : ثلاث ليال من الشهر، لأنها دهم، وقال الليث : الدهم بالفتح : الجماعة الكثيرة.
 – اللسان : 1444/2 مادة دهم.

(2) وأخرج هذه السرية بهذه الرواية ابن جرير الطبري في كتابه : تاريخ الأمم والملوك: 101/3.
 – وابن سعد في الطبقات : 124/2. – وابن سيد الناس في عيون الأثر :194/2.

(3) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدنية يومان. – معجم البلدان : 238/4.

(4) قال ابن سعد : في صفر سنة ثمان من مهاجر سول الله صلى الله عليه وسلم.
 – الطبقات : 126/2.

(5) الاستيعاب : 318/3.

(6) في ع مسعر. وكذلك في الاستيعاب.

(7) في الاستيعاب : بشير بن سويد.

(8) جندب بن مكيث الجهني أخو رافع بن مكيث يعد في أهل المدينة روى عنه مسلم بن عبد الله بن حبيب له ولأخته صحبة ورواية.
 – الاستيعاب : 325/1 رقم الترجمة : 345.
 – الوافي بالوفيات : 194/11.
 – وابن سعد في الطبقات : 126/2.

واستقنا النعم وذلك عند أهل السير في سنة خمس، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ليسهل لهم الطريق[1].

- سرية شجاع بن وهب الأسدي[2] إلى بني عامر بالسيئ[3] :

على خمس مراحل من المدينة إلى البصرة ناحية ذات عرق وبعثه صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، ومعه أربعة وعشرون رجلا إلى جمع من هوازن فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى صبحهم وهم غارون. فأصابوا / نعما كثيرا وشاء (111ب) وقدموا، وقد غابوا خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا في كل سهم، وعدلوا البعير بعشرة من الغنم[4].

والسيء : بسين مهملة مكسورة، فمثناه تحتية مشددة، وقيل فتحتية ساكنة فهمزة.

- سرية كعب بن عمير الغفاري[5] إلى ذات أطلاح[6] :

-بفتح الهمزة وسكون المهملة- وراء وادي القرى. بعثه صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول في خمسة عشر رجلا، فساروا حتى انتهوا إلى «ذات أطلاح» من

(1) وأخرج هذه السرية ابن جرير الطبري في التاريخ : 103/3.
- وابن سعد في الطبقات : 126/2.

(2) شجاع بن أبي وهب ويقال ابن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب الأسدي يكنى أبا وهب، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الاستيعاب : 246/2 رقم الترجمة : 1199. - الأسد : 370/2 رقم الترجمة : 2387.

(3) السيء : ما بين ذات عرق إلى وجرة ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة.
- معجم البلدان : 301/3.

(4) أخرج هذه الرواية ابن كثير في السيرة : 453/3 عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن إسحاق عن عمر ابن الحكم وساق الرواية واللفظ لعمر بن الحكم.
- وأخرجها ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمي. - الطبقات : 127/2.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر عن محمد بن عمر الأسلمي أيضا : 197/2.

(5) كعب بن عمير الغفاري من كبار الصحابة، كان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على السرايا، وبعثه إلى ذي أطلاح.
- الاستيعاب : 380/3 رقم الترجمة : 2229. - الأسد : 175/4 رقم الترجمة : 4472.

(6) ذات أطلاح : موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة، أغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب ابن عمير الغفاري. =

أرض الشام فوجدوا جمعا كثيرا من قضاعة فدعوهم إلى الإسلام، فأبوا، فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا جميعا[1] وقيل : إنه أفلت منهم جريح في القتلى (قيل)[2] هو الأمير. فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم هكذا سمى أبو عمر «أمير هذه السرية. وقال هو من كبار الصحابة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد مرة أميرا على سرايا منها هذه»[3].

وسماه ابن فتحون عن الطبري والواقدي عمرو بن كعب بن عمرو[4] الغفاري، والله أعلم بالصواب. واتفقوا على أن الذي أفلت جريجا هو الأمير.

وقال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أصيب بها هو وأصحابه والله أعلم.

- غـزوة مؤتـة :

وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام دون دمشق على مرحلتين من بيت المقدس، وكانت في جمادى الأولى. و لم يختلف أهل المغازي أنها كانت سنة ثمان[5]. إلا ما ذكره خليفة ابن خياط في تاريخه أنها كانت سنة سبع. وهي أعظم السرايا. وذلك

= – معجم البلدان : 218/1.
– قال الواقدي : ذات أطلاح من ناحية الشام، وكانوا من قضاعة ورأسهم رجل يقال له : سدوس.
– رواه ابن جرير الطبري في التاريخ : 103/3.
(1) أخرج هذه الرواية ابن جرير الطبري في التاريخ : 100/3.
(2) في ع : وقيل.
(3) الاستيعاب : 380/3.
(4) كعب بن عمرو الغفاري جد طلحة بن مصرف روى ليث بن أبي سليم عن طلحة بن مصرف عن أبيه، عن جده قال : «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح رأسه هكذا مرة واحدة...».
– الأسد : 761/3 رقم الترجمة : 4008.
– الإصابة : 12/5 رقم الترجمة : 5938.
(5) غزوة مؤتة في جمادى سنة ثمان رواه ابن عقبة في المغازي : ص : 263.
– وابن كثير في السيرة : 455/3.
– وابن جرير الطبري في التاريخ : 107/3.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمرو الأزدي[1] أحد بني لهب[2] بكتابه إلى ملك الروم وقيل إلى ملك بصرى. فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني[3] وهو من أمراء قيصر على الشام فقتله. و لم يقتل له صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فأمر صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة على ثلاثة آلاف. وقال : إن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم وعقد له لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هنالك إلى الإسلام، فإن أجابوا، وإلا استعانوا عليهم بالله، وقاتلوهم، وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع، -وهي شامي المدينة قرب سلع- فوقف وودعهم وساروا فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجعلوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو، فجمع خمسين ألفا، وقيل أكثر من مائة ألف من لخم وبلي وبلقين وبهراء وقدم الطلائع أمامه[4].

ثم مضى المسلمون حتى نزلوا معانا[5] من أرض الشام، وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم. وأن هرقل قد نزل مآب بمعان من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم[6]

---

(1) الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم.
- الاستيعاب : 361/1 رقم الترجمة : 439.
- الأسد : 464/1 رقم الترجمة : 939.
- طبقات ابن سعد : 255/4.

(2) بني لهب : بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو لهب بن احجن بن كعب بن الحارث كانوا يعرفون بالقيافة والزجر.
- معجم المؤلفين : 1015/3.
- العقد الفريد : 77/2.

(3) شرحبيل بن عمرو بن غالب من حمير، ملك يماني، كان من كبار قومه في عهد ذي الأذعار (عمرو ابن ابرهة).
- الأعلام : 234/3.

(4) وأخرج هذه الرواية ابن عقبة في المغازي : ص : 263.
- وابن كثير في السيرة : 455/3.

(5) معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.
- معجم البلدان : 153/5.

(6) وفي رواية يونس عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة.
- سيرة ابن كثير : 458/3.

وقيل مائتي ألف، فأقاموا على «معان» ليلتين لينظروا في أمرهم، «فقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنخبره الخبر، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له، فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون وهي الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة»[1] فقال الناس «قد والله صدق ابن رواحة»، فمضى النسا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف[2]، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فاقتتلوا، وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ الراية زيد ابن حارثة فقاتل، وقاتل المسلمون معه/ على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح، ثم (112أ) أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقرا فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل، فوجدوا في جسده بضعا وتسعين بين ضربة وطعنة ورمية ليس منها شيء في دبره[3].

وقطعت يداه جميعا. ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل. ثم أخذ الراية خالد بن الوليد عن غير إمرة، وقيل بل أخذها ثابت بن أقرم[4] ويقال أقرن العجلاني فقال : «يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال : ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية فدافع القوم وخاشى[5] بهم

(1) أخرج هذه الرواية ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك : 107/3.
- وابن كثير في السيرة :458/3.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 197/2.

(2) مشارف : قرى من أرض العرب تدنو من الريف.
- معجم البلدان : 131/5.

(3) أخرج هذه الرواية البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة مؤتة من أرض الشام: 257/5 الحديث : 718 عن ابن عمر.

(4) ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي الأنصاري شهد بدرا والمشاهد ثم شهد غزوة مؤتة، قتل سنة إحدى عشرة في الردة.
- الاستيعاب : 275/1 رقم الترجمة : 250.
- الأسد : 303/1 رقم الترجمة : 539.

(5) في ح : فتحاشى.

ثم انحازوا فحيز عنه، و لم تقع هزيمة لواحد من الفريقين فانصرف الناس هذا قول ابن إسحاق[1] قيل وهو المختار.»

وخاشى بهم : هو بالخاء المعجمة من المخاشات وهي المحاجزة، أو هي مفاعلة من الخشية لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم، فأبقى عليهم. وقيل هو بالحاء المهملة من الحشا : وهي الناحية : أي انحاز بهم ناحية.

وعن ابن سعيد بن أبي هلال فيما بلغه نحو ما لابن إسحاق وفي مغازي ابن عائذ[2] : أن خالد لما أخذ الراية قاتلهم قتالا شديدا حتى انحاز الفريقان عن غير هزيمة.

وفي مغازي أبي الأسود[3] عن عروة أن خالدا حمل على الروم فهزمهم. وعند الواقدي[4] أن خالدا جعل الجيش خمس فرق، فأنكر العدو حالهم، وقالوا جاءهم مدد فرعبوا، وانكشفوا منهزمين. وعنده أيضا من حديث آخر قال : «أصيب بمؤتة ناس من المسلمين، وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين»[5] وقال موسى بن عقبة[6] أنه إنما اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد : «هزم الله الطاغية وأظهر المسلمين».

وقال الحاكم : «قاتلهم خالد بن الوليد، فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم» ونعى صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال : «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، أو قال : خالد بن الوليد عن غير إمرة. ففتح الله عليهم»[7] فيومئذ سمي خالد سيف

(1) سيرة ابن هشام : 380/4.
(2) رواية ابن عائذ أخرجها موسى بن عقبة في المغازي ص : 146.
– وابن حجر في الفتح : 513/7.
(3) رواية أبي الأسود عن عروة أخرجها ابن كثير في سيرته : 468/3.
(4) مغازي الواقدي : 764/2.
(5) مغازي الواقدي : 768/2.
(6) مغازي ابن عقبة : ص : 264.
(7) أخرج هذه الرواية البخاري من طريق أحمد بن واقد قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد ابن هلال عن أنس رضي الله عنه.
– كتاب المغازي باب غزوة مؤتة من أرض الشام : 257/5 الحديث رقم : 720.

الله. وقال خالد بن الوليد : «اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما صبرت في يدي إلى صفيحة يمانية»[1].

والفتح في الحديث إن كان المسلمون هزموا المشركين كما مال إليه البيهقي ورجحه في دلائل النبوة[2]، واستدل بالحديث وقال غيره هو الأقرب والأظهر فهو ظاهر ودليله ما تقدم.

وفي مسند أحمد بإسناد رجاله ثقات عن أبي قتادة الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر بأخذ خالد بن الوليد اللواء دعا له بالنصر.

وفي حديث مسلم عن أبي داود وغيرهما عن عوف بن مالك الأشجعي[3] التصريح بأن الله فتح للمسلمين وإن كان انحاز الفريقان عن غير هزيمة. فالفتح : هو انحياز خالد بالمسلمين : حتى رجعوا سالمين مع موت أمرائهم وكثرة العدو[4].

وأما ما نقل عن ابن سعد[5] وغيره من أن المسلمين هم المنهزمون فمعارض لما في الصحيح من أن الله فتح عليهم، على أن الذي نقل ابن حجر[6] عن ابن سعد : أن المسلمين انهزموا لما قتل ابن رواحة، ثم اجتمعوا على خالد. وذكر غيره أنه حكى أن الهزيمة كانت على المسلمين، وأنه حكى أيضا أنها كانت على الروم.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري «عن أبي نعيم قال حدثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول» ثم ساق الحديث .
– في كتاب المغازي باب غزوة مؤتة من أرض الشام : 258/5 الحديث رقم : 723.

(2) دلائل النبوة للبيهقي : 385/4.

(3) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد خيبر، سكن الشام وعمر مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين.
– الاستيعاب : 297/3 رقم الترجمة : 2026.
– الأسد : 12/4 رقم الترجمة : 2124.

(4) وهو ما رواه أيضا ابن كثير في سيرته : 469/3.

(5) وقال في هزيمتهم : «... فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، وانكشف الناس فكانت الهزيمة..».
– الطبقات : 129/2.

(6) انظر فتح الباري : 513/7.

واستشهد من المسلمين سوى الأمراء الثلاثة رضي الله عن جميعهم تسعة رجال[1].

وضبط ألفاظ مواضع هذه الغزوة : مؤتة : بضم الميم وبالهمزة وتركه. ومعان: بضم الميم وقيل بفتحها. ومآب : بفتح الميم بعدها همزة ممدودة. و«عمان» بفتح العين وتشديد الميم ويقال بتخفيفها، والأول أشهر. وهذا بخلاف «عمان الصقع» الذي عند البحرين، فإنه بضم العين وتخفيف الميم. ومشارف بفتح الميم/. (113ب)

- سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل[2] :

وهي غزوة لخم وجذام، وقال ابن إسحاق[3] عن يزيد بن رومان[4] عن عروة بن الزبير، وهي بلاد بلي[5] وعذرة[6] وبني القين[7] وهم ثلاثة بطون من قضاعة. وسميت بذات السلاسل : لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض ليلا يفروا، وقيل لأنه فيها ماء أو مياه بأرض جذام يقال لها السلاسل، وقيل سمي المكان بذلك لأنه

(1) رواه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 200/2.
(2) قال ابن القيم هي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام.
– زاد المعاد : 386/3.
– وقال الحافظ في الفتح : قيل : سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا.
– الفتح : 74/8.
(3) سيرة ابن هشام : 623/4.
(4) يزيد بن رومان الأسدي أبو روح مولى آل الزبير بن العوام، عالم بالمغازي ثقة من أهل المدينة. وتوفي بها سنة : 130، حديثه في الكتب الستة.
– التهذيب : 325/11. – غاية النهاية : 381/2.
(5) بلى : قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية تنتسب إلى بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة مساكنها بين المدينة ووادي القرى.
– معجم المؤلفين : 104/1. – معجم البلدان : 957/4.
– معجم ما استعجم : 90/1.
(6) بني عذرة : وفيها بطون من قضاعة من القحطانية ينتسب إلى عذرة بن زيد اللات بن زهدة.
– معجم القبائل : 768/2. – نهاية الإرب : 297/2.
(7) بني القين : بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو القين واسمه النعمان بن خسر بن شيع من منازلهم حفير.
– معجم البلدان : 49/4

كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة وهي خلف وادي القرى على عشرة أيام من المدينة، وكانت في جمادى الآخرة من السنة[1] وقيل سنة سبع.

وسببها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة للإغارة، فبعث عمرو ليستنفر العرب بالشام، لأنه كان ذا رحم، وذلك أن أم أبيه العاص بن وائل كانت امرأة من بلي فبعثه صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم بذلك ويدعوهم إلى الإسلام، ويستنفرهم إلى الجهاد، فأمره أن يستعين بمن مر به من بلي وعذرة وبني القين وعقد له لواء أبيض، وجعل له راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسا، فسار الليل، وكمن النهار.

فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء أبيض، وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فسار عمر حتى وطىء بلاد «بلي»، ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم، وبلاد عذرة والقين، ولقي في آخر ذلك جمعا، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد، وتفرقوا، ولم تكن هناك غنائم[2].

- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر :

على خمس ليال من المدينة، وتعرف بسرية الخبط[3]، بعثه صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار : فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه الشيخان[4] وعند مسلم أيضا إلى أرض جهينة.

(1) قال ابن القيم : كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان.
– زاد المعاد : 386/3.
(2) وخبر هذه الغزوة رواه موسى بن عقبة في المغازي : ص : 267.
– والبيهقي في الدلائل : 399/4. – وابن كثير في السيرة : 516/3.
– وابن سعد في الطبقات : 131/2. – وابن القيم في زاد المعاد : 386/3.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 204/2.
(3) هكذا أطلق عليها ابن القيم في زاد المعاد : 389/3.
(4) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي. باب غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيرا لقريش، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
– 287/5 الحديث رقم : 805.

وعند ابن سعد[1] وغيره أنه بعثه إلى حي من جهينة «بالقبلية» مما يلي ساحل البحر على خمس ليال من المدينة.

قال ابن حجر : وهذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح، لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرا لقريش، ويقصدون حيا من جهينة.

قال : لكن تلقي عير قريش لا يتصور أن يكون في الوقت الذي ذكره ابن سعد «في رجب سنة ثمان»[2] لأنهم كانوا حينئذ في الهدنة. بل مقتضى ما في الصحيح أن تكون هذه السرية في سنة ست أو قبلها قبل هدنة الحديبية انتهى.

ويمكن أن تكون في شعبان سنة ثمان، فإن الشهر قد يغلط فيه مع مجاوزة لاتصال أيامها.

وقول ولي الدين العراقي : أنها كانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد، وقبل الفتح مخالف لما عند غيره من أنه صلى الله عليه وسلم أقام بعد بعثه إلى مؤنة جمادى الآخرة ورجب، ثم عدت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة على خزاعة، وأعانتهم قريش فوقع النكث، وأقام أبو عبيدة وأصحابه بالساحل نصف شهر، ففنيت أزوادهم. و لم يكن إلا جراب تمر زودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه، فلما فني أصابهم جوع شديد فأكلوا الخبط، وهو ورق السلم، فسمي ذلك الجيش «جيش الخبط»، ثم أخرج الله لهم دابة[3] من البحر تسمى «العنبر» فأكلوا منها نصف شهر أو ثمان عشرة ليلة أو شهرا حتى صلحت أجسامهم، وتزودوا ورجعوا، و لم يلقوا كيدا[4].

---

(1) وفي ذلك يقول ابن سعد : «سرية الخبط : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار وفيهم عمر بن الخطاب إلى حي من جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال».
– الطبقات : 132/2.

(2) طبقات ابن سعد : 132/2.

(3) وفي شأن هذه الدابة يروي البخاري عن مسدد قال حدثنا يحيى عن ابن جريج قال أخبرني عمرو أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول غزونا جيش الخبط وأمر أبو عبيدة، فجعنا جوعا شديدا فألقى البحر حوتا ميتا لم نر مثله يقال له العنبر فأكلنا منه نصف شهر ...»
– أخرجه في كتاب المغازي باب غزوة سيف البحر : 288/5 الحديث رقم : 807.
– وأخرجه البخاري أيضا في الباب نفسه بطرق أخرى.

(4) أخرج هذه الرواية ابن كثير في السيرة : 521/3 – وابن القيم في زاد المعاد : 389/3.
– وابن سعد في الطبقات : 132/2. – وابن جرير الطبري في التاريخ : 105/3.

القبلية المذكورة : بفتح القاف والموحدة، وبكسر القاف وسكون الموحدة.

(114أ)

- سرية أبي قتادة الأنصاري السلمي إلى خضرة[1] /

بفتح المعجمة الأولى وكسر الثانية. وقيل بضم المعجمة الأولى وسكون الثانية أرض بمحارب بنجد.

قال ابن سعد[2] : «كانت في شعبان»، وذكره غيره أنه كان قبل مؤتة[3].

وبعث صلى الله عليه وسلم معه خمسة عشر رجلا، وقيل خمسة وعشرين إلى غطفان فسار الليل وكمن النهار، فهجم على حاضر منهم عظيم فقاتل منهم رجال فقتل من أشرف منهم، وسبى سبيا كثيرا، و استاق النعم. فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة، وأصاب كل رجل اثنى عشر بعيرا، وعدل البعير بعشر من الغنم وقد أخرجوا الخمس، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة[4].

- سرية أبي قتادة أيضا إلى بطن (ضم)[5] :

بكسر ففتح ما بين ذي خشب[6] وذي المروة، على ثلاثة برد من المدينة، وكانت في أول شهر رمضان[7] وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزوا أهل مكة

(1) خضرة : أرض محارب بنجد، وقيل هي بتهامة من أعمال المدينة.
– معجم البلدان : 377/2.

(2) قال ابن سعد : كانت في شعبان سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– الطبقات : 132/2.

(3) وممن ذكرها قبل غزوة مؤتة ابن جرير الطبري في تاريخ : 106/3.

(4) أخرج هذه الرواية ابن جرير الطبري في التاريخ : 106/3.
– وابن سعد في الطبقات : 132/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 209/2.

(5) في ح : إظم.

(6) ذي خشب : من مخاليف اليمن. – معجم البلدان : 373/2.

(7) رواه ابن سعد في الطبقات : 133/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 210/2.
– ونجد أن ابن كثير في السيرة : 423/3، وابن جرير الطبري في كتابه التاريخ قد ذكرها قبل غزوة مؤتة.

لنكثهم العهد بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم ليظن ظان أنه صلى الله عليه وسلم متوجه إلى تلك الجهة، ولأن تذهب بذلك الأخبار فلقوا عامر بن الأضبط الأشجعي[1] فسلم عليهم بتحية الإسلام، فحمل عليه محلّم بن جثامة الليثي[2] أخو الصعب بن جثامة[3] فقتله وأخذ بعيره وما كان معه فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مومنا تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾[4] فمضوا و لم يلقوا جمعا فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خشب على ليلتين من المدينة على طريق الشام، فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إلى مكة فقصدوا قصده حتى لقوه بالسقيا على نحو أربع مراحل من المدينة، ثم جاء عيينة بن حصن الفزاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين بطلب محلم بن جثامة بدم عامر بن الأضبط فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام محلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فرفع يديه ثم قال : «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة»[5] ثلاثا فقام يتلقى دموعه بفضل ردائه. قال الراوي : فأما نحن فنقول فيما بيننا إنا لنرجوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له. وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ثم ما أتت عليه سابعة حتى مات فلفظته الأرض ثم عادوا له

(1) عامر بن الأضبط الأشجعي هو الذي قتلته سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم بظنونه متعودا بقول لا إله إلا الله، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقاتله قولا عظيما : فقال له : «فهلا شققت عن قلبه».
– الاستيعاب : 335/2. رقم الترجمة : 1324.
– الأسد : 11/3 رقم الترجمة : 2677.

(2) محلم بن جثامة، أخو الصعب بن جثامة بن قيس الليثي. وهو الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتهم في سبيل الله فتبينوا﴾
– الاستيعاب : 23/4 رقم الترجمة : 2552.
– الأسد : 282/4 رقم الترجمة : 4691.

(3) الصعب بن جثامة الليثي بن قيس من بني عامر بن ليث، مات في خلافة أبي بكر الصديق، روى عنه عبد الله ابن عباس، وشريح بن عبيد الحضرمي.
– الاستيعاب : 291/2 رقم الترجمة : 1246.
– الوافي بالوفيات : 310/16.
– الأسد : 417/2 رقم : 2501.

(4) جزء من الآية : 93 من السورة : 4 النساء.

(5) رواه ابن كثير في السيرة : 424/3.
– وابن هشام في السيرة : 628/4.

فلفظته، ثم عادوا له فلفظته، فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين[1] فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه[2] فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله يريد أن يعظمكم»[3].

قال السهيلي : وفي غير رواية ابن إسحاق : أن محلم بن جثامة مات بحمص[4] في إمارة ابن الزبير.

وأما الذي نزلت فيه الآية ﴿لمن ألقى إليكم السلم﴾ فالاختلاف فيه شديد فقد قيل اسمه قليب، وقيل هو محلم كما تقدم. وقيل نزلت في المقداد بن عمرو، وقيل في أسامة. وقيل في أبي الدرداء[5].

واختلف أيضا في المقتول فقيل هو مرداس بن نهيك، وقيل عامر بن الأضبط فالله أعلم، كل هذا مذكور في التفاسير والمسندات انتهى.

وقيل : عن المقتول هو قذاذ بن الجدرجان بن مالك. وقال ابن ماكولاء : ابن الحدرد قتل وهو وافد إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وإسلام قومه، فقدم أخوه جزء بن الجدرجان[6] على النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ثأر أخيه، وفي قتله نزلت الآية والله أعلم.

وقال ابن فتحون : أوفده أبوه مهاجرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيته سرية النبي صلى الله عليه وسلم بالليل، فأخبرهم بإيمانه، فلم يصدقوه وقتلوه فقدم أبوه على النبي صلى الله عليه وسلم . فسأله القود، فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم، فأمره بإرضائه/ بديتين[7] انتهى. (115ب)

---

(1) في : ع : (سدين) وهو تصحيف، لأن المقصود بالصدين : جبلين.
(2) أخرجه ابن كثير في السيرة : 425/3 عن الحسن.
– وابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 628/4.
(3) أخرج هذا الخبر ابن كثير في السيرة : 426/3.
(4) حمص : بلد مشهور بين دمشق وحلب.
– معجم البلدان : 302/2.
(5) والاختلاف فيمن نزلت فيه الآية رواه ابن كثير في السيرة : 540/1.
(6) جزء بن الجدرجان بن مالك اليماني، كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غزا طيء.
– الإصابة : 244/1 رقم الترجمة : 1139.
(7) وحديث طلب الدية أخرجه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 627/4.
– وابن كثير في السيرة : 425/3.

وقليب المذكور هو قليب الليثي قيل : إنه كان على تلك السرية، وأن فيه نزلت الآية. ومرداس المذكور قيل : هو مرداس بن عمرو الفدكي. وقيل مرداس بن نهيك الفزاري. وأمير السرية هو قليب كما تقدم، وقيل أسامة بن زيد، وقيل سلمة بن الأكوع.

وقال أبو عمر : اختلف في القاتل، وفي أمير السرية اختلافا كثيرا والله أعلم.

ونسب ابن إسحاق[1] هذه السرية لعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، ونقل عن ابن إسحاق أنه روى عن يزيد بن عبد الله بن قسيط[2] عن أبي حدرد الأسلمي[3] عن أبيه قال : «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها أبو قتادة، فقتل محلم ابن جثامة وسلبه»[4] وذكر نزول قوله تعالى : ﴿إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ الآية، وسمى غيره والد أبي حدرد عمير بن سلامة، وقيل ابن أبي سلامة.

- سرية عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي[5] إلى الغابة[6] :

هذه سرية أخرى له ذكرها ابن إسحاق أيضا، وأنه سار معه رجلان إلى رجل من بني جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة. نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث صلى

(1) وفي هذه السرية قال ابن إسحاق : «غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم، وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي»
– سيرة ابن هشام : 626/6.

(2) يزيد بن عبد الله البجلي روى عنه ابنه حميد بن يزيد في فضل جرير بن عبد الله.
– الاستيعاب : 139/4 رقم الترجمة : 2815.
– الأسد : 696/4.

(3) أبو حدرد الأسلمي سلامة بن عمير بن سلامة، قال يحيى بن مغني له صحبة يعد في أهل الحجاز.
– الاستيعاب : 196/4 رقم الترجمة : 2942.
– الأسد : 69/5 رقم الترجمة : 5797.

(4) سيرة ابن هشام : 626/4.

(5) عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي يكنى أبا محمد، واسم أبي حدرد سلامة بن عمير بن أبي سلامة، شهد الحديبية وخيبر مات ي زمن مصعب بن الزبير.
– الاستيعاب : 23/3 رقم : 1525. – الأسد : 105/3 رقم الترجمة : 2888.
– طبقات ابن سعد : 309/4.

(6) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.
– معجم البلدان : 182/4.
– سيرة ابن هشام : 629/4.

الله عليه وسلم ابن أبي حدرد وصاحبيه إليه ليستيقنوا الخبر فبيته ليلا فقتله واحتز رأسه وشد هو وصاحباه على العسكر ليلا، وكبروا فهربوا وتركوا أموالهم فاستاقوا إبلا عظيمة وغنما كثيرة، وحملوا رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

- سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الحرقات[2] :

وفيها قتل نهيك بن مرداس بعدما قال لا إله إلا الله، فأنكر ذلك عليه النبي صلى الله عليه وسلم. وتقدم ما في هذا من الخلاف، وهل كان أسامة أميرا أو مأمورا.

واختلف هل كانت سريته في هذه السنة ورجح في التي قبلها. وفي جامع الرعيني عن ابن منده وأبي نعيم وأبي عمر : مرداس بن عمرو الفدكي قتله أسامة ابن زيد خطئا.

قال أبو نعيم : وقال الكلبي مرداس الفزاري. وقال أبو عمر زفي نقله عن الكلبي مرداس بن نهيك الفزاري. وفيه نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ الآية. كان يرعى غنما فهجمت عليه سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها أسامة بن زيد وأميرها سلمة بن الأكوع، فلقيه أسامة، فألقى إليه السلام وقال : السلام عليكم أنا مومن.[3] والقصة مشهورة.

- فتح مكة زادها الله شرفا :

وهو كما قال ابن القيم حسبما في المواهب عند الفتح الأعظم المبين «الذي أعز الله به دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وجنده وحرمه الأمين، واستنفذ به بلده وبيته الذي جعله الله هدى العالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس

(1) أخرج هذه السرية ابن هشام في السيرة : 629/4.
– وابن كثير في السيرة : 422/3.
(2) ناحية بعمان . – معجم البلدان : 243/2.
– وأخرج هذه السرية البخاري في صحيحه في باب سماه : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة.
– والرواية أخرجها البخاري من طريق عمرو بن محمد في كتاب المغازي :259/5 الحديث رقم : 727.
(3) الاستيعاب لابن عبد البر : 343/3.

في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا[1]، خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمان»[2] لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية، فإنه قد كان وقع الشرط كما تقدم على أن من شاء أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل، فانحازت خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنو بكر إلى قريش، وكان بين خزاعة وبني بكر عداوة وحروب وقتلى في الجاهلية[3] فلما جاء الإسلام حجر بينهم وتشاغل الناس به، فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل[4] وهم من بني بكر، فخرجوا حتى بيتوا خزاعة على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير[5] فأصابوا منهم رجلا. واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا على أن دخلوا الحرم/ و لم (116أ) يتركوا القتال، وأمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية. فلما رأت خزاعة تظاهر بني بكر وقريش عليهم، ونقضهم ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعين راكبا يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه، وكان قبل قدومهم سمعته ميمونة يقول في متوضئه ليلا : «لبيك ثلاثا : نصرت نصرت ثلاثا» فلما خرج سألته عما سمعته يقول : فقال هذا رجل من بني كعب يستصرخ بي ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بني بكر، فلما قدموا عليه قام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه، ويقول : «لا نصرتم إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي»[6] وقال يخاطب رئيسهم «نصرت يا عمرو بن سالم»[7] ثم قدم أبو سفيان بن حرب على

(1) في النسخة الأصل : «انتهاجا» فاستصوبته من النسخة «ع» كذلك من زاد المعاد.
(2) رواه ابن القيم في زاد المعاد : 394/3.
(3) رواه ابن كثير في السيرة في ذكر سبب الفتح الأعظم.
- السيرة : 537/3.
(4) بنو الديل : بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو الديل بن هداد بن زيد بن مناة.
- معجم البلدان : 400/1.
(5) الوتير : ما بين عرفة إلى أدام. وهو اسم ماء بأسفل مكة الخزاعة. - معجم البلدان : 360/5.
(6) أخرجه ابن سعد في الطبقات : 134/2.
(7) أخرجه ابن القيم في زاد المعاد : 396/3.
- وابن هشام في السيرة . وابن جرير الطبري في التاريخ : 112/3.
- وقال ابن حجر في تمام الخبر : «... ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء، فقال إن هذه السحابة لتسهل بنصر بني كعب...».

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يسأله أن يحدد العهد وأن يزيد في المدة فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلمن فذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطوته عنه، «فقال يا بنية ما أدري أرغبت عن هذا الفراش أم رغبت به عني، قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس عليه قال : يا بنية والله لقد أصابك شر»[1] ثم خرج فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته، فأبى عليه فانصرف.

وعند ابن عائذ ومسدد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغز قريشا حتى بعث إليهم يخبرهم بين إحدى ثلاث أن يدوا[2] قتيل خزاعة، أو يبرأوا من حلف بني بكر أو ينبذ إليهم على سواء، فقال قائلهم : لا ندي ولا نبرأ، ولكن ننبذ إليه على سواء، فأرسلت قريش أبا سفيان يسأله صلى الله عليه وسلم في تجديد العهد[3] وأنكر ذلك الواقدي. وزعم أن أبا سفيان إنما تواجد مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر فالله أعلم.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله أن يجهزوه ولا يعلموا أحدا، وقيل أمر الناس أيضا بالجهاز، و لم يعلمهم بوجهه الذي يريد، ثم أنه أعلمهم بذلك وأمرهم بالجد والتهيء، وبعث إلى من حوله من العرب، فجلبهم أسلم وغفار[4]، ومزينة[5]

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في التاريخ : 112/3.
- وابن القيم في زاد المعاد : 397/3.

(2) أي يعطوا الدية.

(3) وفي ذلك العهد والعقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كأنكم بأبي سفيان، وقد جاء ليشد العقد ويزيده في المدة».
- زاد المعاد : 396/3.

(4) غفار : بطن من كنانة من العدنانية، وهم بنو عفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف.
- معجم القبائل : 890/3.
- نهاية الأرب : 351/2.

(5) مزينة : بطن من مضر، وهم بنو عثمان، وأوس وبنو عمرو وأمهما مزينة بنت كلب بن وبرة.
- معجم القبائل : 1083.

وجهينة[1] وأشجع[2] وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق وقال : «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها»[3]. ثم خرج صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان لليلتين خلتا منه على الأصح[4]. وقيل في غير ذلك منه. والمسلمون عشرة آلاف وقيل اثنا عشر ألف.

وجمع ابن حجر بينهما بأن عشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة، ثم تلاحق به الألفان.

وقال الحافظ أبو عبد الله الحاكم في المدخل : وقف النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح بمكة، وبين يديه خمسة عشر ألف عنان. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وقيل : أبا رهم الغفاري .ثم سار صلى الله عليه وسلم، فلما كان بالجحفة وقيل بذي الحليفة قبلها لقيه عمه العباس بأهله وعياله مسلما مهاجرا، وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته[5] ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض.

وقال الحافظ ابن حجر[6] : «والصحيح أن العباس هاجر عام الفتح في أول السنة، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فشهد الفتح» والله أعلم.

والمشهور أنه أسلم قبل فتح خيبر انتهى. وقال أبو عمر[7] : «أسلم العباس من قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه» انتهى.

---

(1) جهينة : من قبائل الحجاز العظيمة، تنقسم إلى بطنين كبيرين.
– معجم القبائل : 214/1.
(2) أشجع : قبيلة من غطفان، من قيس بن غيلان من العدنانية، وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان .
– معجم القبائل : 29/1.
– معجم البلدان : 57/2.
(3) أخرجه ابن جرير الطبري في كتابه التاريخ : 113/3.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 216/2.
(4) وهو ما رواه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة الفتح : 260/5.
(5) رواه ابن هشام في السيرة : 400/4.
(6) فتح الباري : 12/8.
– وروى هجرته أيضا عام الفتح ابن هشام : 400/4
(7) الاستيعاب : 358/2.

وكان ممن لقيه في الطريق أيضا ابن عمه أبو سفيان بن الحارث معه ابنه جعفر وابن عمته عبد الله بن أبي أمية المخزومي[1] فأسلموا[2]، وكان لقاؤهم له صلى الله عليه وسلم بالأبواء. وقيل بين السقيا والعرج. والعرج أول تهامة. وقيل : بني العقاب قرب الجحفة. ثم سار صلى الله عليه وسلم، فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل، ثم نزل مر الظهران من أعمال مكة عشاء فأمر أصحابه، فأوقدوا عشرة آلاف نار[3] وعميت/ أخبار رسول الله صلى الله عليه (117ب) وسلم على قريش فلا يأتيهم عنه خبر، ولا يدرون ما هو فاعل، وهم متخوفون من غزوه إياهم ومغتمون لذلك فخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا من الأنصار، وكان عمر بن الخطاب عليهم تلك الليلة.

وفي رواية ابن عائذ. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا لقبض العيون. وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي[4].

وعند ابن إسحاق[5] : أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لأهل مكة، فخرج ليلا راكبا بغلته صلى الله عليه وسلم البيضاء لعله يجد أحدا فيعلم أهل مكة بمكان رسول الله صل الله عليه وسلم ليخرجوا إليه

---

(1) هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلمن شهد فتح مكة وحنين والطائف وقتل بها شهيدا.
- الاستيعاب : 5/3 رقم الترجمة : 1482.
- الأسد : 71/3 رقم الترجمة : 2818.

(2) وروى إسلامه ابن إسحاق.
- انظر سيرة ابن هشام : 400/4.
- وابن القيم في زاد المعاد : 400/3.

(3) وفي هذه النار قال أبو سفيان : «ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا».
- وأخرج هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد : 401/3.

(4) وأخرج هذا الخبر :
- ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : 400/4.
- وابن القيم في زاد المعاد : 401/3.

(5) سيرة ابن هشام : 402/4.

(فيستأمنوه)[1] فسمع صوت أبي سفيان وصاحبيه، فعرفهم وعرفوه، فأمر أبا سفيان، فركب خلفه حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة. قال في المواهب : ويمكن الجمع بأن الحرس لما أخذوه استنفذه العباس ثم قال العباس «يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر والذكر، فاجعل له شيئا قال نعم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن»[2].

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : «احبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم[3] الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها»[4] فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر به على رايتها كتيبة كتيبة كلما مرت قبيلة تسأله عنها، فإذا أخبره عنهم قال مالي ولبني فلان حتى إذا رأى ما بهره واستعظمه. وقال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة قال له العباس النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : «يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما قيل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن. ومن دخل المسجد فهو آمن»[5] فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى ذي طوى عند آبار الزاهر وهو المسمى عند أهل مكة بين الحجون[6] فوقف على راحلته معتجرا

---

(1) في ع : ليستأمنوه.
(2) أخرجه ابن شهاب الزهري في المغازي ص : 89 .
- وابن عقبة في المغازي : ص: 273.
- وابن هشام في السيرة : 403/4.
(3) الخطم من كل طائر : منقاره. والخطم من كل دابة : مقدم أنفها وفمها وخطم الجبل : رعنه.
- اللسان : 1203/2 مادة خطم.
(4) رواه ابن هشام في سيرته : 403/4.
(5) رواه ابن هشام في سيرته : 404/4.
- وابن القيم في زاد المعاد : 403/3.
- وابن سعد في الطبقات : 135/2.
- وابن عقبة في المغازي : ص. 372.
- وابن كثير في السيرة : 548/3.
- وأخرجه البخاري في كتاب المغازي : 262/5 . الحديث رقم 736.
(6) والحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.
- معجم البلدان: 225/2.

بشقه برد (حبرة)[1] حمراء، وأنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عثنونه[2] ليكاد يمس واسطة رحله ثم فرق جيشه من ذي طوى فأمر الزبير بن العوام، وكان على المهاجرين.وخيلهم في المجنة اليسرى ومعه رايته صلى الله عليه وسلم أن يدخل أعلى مكة من كداء، وأن يركز رايته بالحجون[3]، ولا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد وكان على المجنة اليسرى في قبائل قضاعة وأسلم وسليم.

وعند ابن عقبة[4] وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودخل صلى الله عليه وسلم من أذاخر موضع قرب مكة في كتيبة الخضراء، وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير، ومعه المهاجرون الأولون حتى نزل بأعلى مكة/ وهو يومئذ غير محرم، وضربت هناك قبته. وقد سار (118أ) الزبير بالناس حتى وقف بالحجون وغرز به راية رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].

وفي صحيح مسلم[6] : وغيره أن أبا عبيدة بن الجراح كان على الحسر[7] وهم الذين لا دروع عليهم ولا «معافر» قيل ولا «حنه» وقيل هم الذين لا سلاح لهم،

(1) سقط من : ع.
- والحبرة والحيرة : ضرب من برود اليمن منمر.
- اللسان : 749/2 مادة : حبر.

(2) العثنون : ما ينبت من الذقن وتحته سفلا. وقيل العثنون : اللحية كلها.
- والعثنون : شعيرات عند مذبح البعير والتيس.
- اللسان : 2810/4 مادة : عثن.

(3) وفي صحيح البخاري : «... وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة : وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية ...».
- أخرجه من طريق عبيد بن إسماعيل في كتاب المغازي باب غزوة الفتح ك 263/5 الحديث رقم 736.

(4) المغازي لابن عقبة : ص : 273.

(5) وهو ما رواه ابن القيم في زاد المعاد : 406/3.

(6) أخرجه مسلم في صحيح عن أبي هريرة في كتاب الجهاد والسير باب فتح مكة الحديث رقم : 1780. 1125/3.

(7) الحسر : الذين لا دروع عليهم ولا بيض. والحاسر : خلاف الدارع.
- اللسان : 868/2 مادة حسر.

وأنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا قد جمعوا لقتاله. ووبشوا أوباشا[1] لهم قال للأنصار : «أنزور إلى أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال : بإحدى يديه على الأخرى : احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا». قال أبو هريرة راوي الحديث : «فانطلقنا مما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه»، فقال أبو سفيان بن حرب : «يا رسول الله أبيحت خضراء قريش. لا قريش بعد اليوم». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[2] فأغلق الناس أبوابهم.

وقال موسى بن عقبة في مغازيه[3] : «قال أبو سفيان وحكيم بن حزام أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آآمنون هم، قال من كف يده وأغلق بابه فهو آمن. ومن دخل دار حكيم فهو آمن، ودار أبي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بأسفلها. فلما توجها قال : العباس يا رسول الله إني آمن أبا سفيان أن يرتد فرده حتى نريه جنود الله قال : افعل» فذكر القصة.

قال ابن عقبة[4] «واندفع خالد حتى دخل من أسفل مكة على موضع يقال له الليط[5] وقد تجمع بالخندمة[6] -جبل بأسفل مكة قرب شعب أبي طالب- بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة، وناس من هذيل ومن الأبيش الذين استنصرت بهم

---

(1) قال ابن سيدة : أوباش الناس الضروب المتفرقون واحدهم وبش.
- وفي الحديث : أن قريشا وبشت لحرب النبي صلى الله عليه وسلم : أي : جمعت له جموعا من قبائل شتى.
- اللسان : 4753/6 مادة وبش.

(2) وهذه الرواية أخرجها أيضا ابن القيم في زاد المعاد: 406/3.
- وأحمد في مسنده : 538/2.

(3) مغازي ابن عقبة : ص : 272.
- وأخرجه أيضا ابن حجر في الفتح : 12/8.

(4) مغازي ابن عقبة : ص : 274.

(5) الليط : موضع من أسفل مكة.
- معجم البلدان: 28/5.

(6) جبل بمكة.
- معجم البلدان : 392/2.

قريش فيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل[1] وسهيل بن عمرو، فقاتلوا خالدا فقاتلهم، فانهزموا، وقتل من المشركين فيما قاله ابن إسحاق[2] اثنا عشر وثلاثة عشر رجلا.

وقال ابن سعد[3] : «قيل أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل».

وقال ابن عقبة[4] : «قتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا. ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة[5] إلى باب المسجد، وهربت قريش، ومن معهم من أحابيشهم وغيرهم حتى دخلوا الدور، وارتفعت طائفة منهم على الجبال، واتبعهم المسلمون بالسيوف، وصالح أبو سفيان : من أغلق بابه، وكف يده فهو آمن».

ولما علا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية كداء[6] نظر إلى البارقة على الجبل وهي السيوف، فقال ما هذا، وقد نهيت عن القتال فقالوا : نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال، فلم يكن له بد من أن يقاتل من قاتله[7].

ولما اطمأن صلى الله عليه وسلم قال لخالد « لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال : هم بدأونا بالقتال، وقد كففت يدي ما استطعت فقال : قضاء الله خير».

واستشهد[8] يومئذ من خيل خالد رجلان أو ثلاثة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم عهد في نفر سماهم أن

---

(1) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي يكنى أبا الحكم قتل يوم اليرموك في خلافة عمر.
– الاستيعاب : 190/3 رقم الترجمة : 1857. – الأسد : 566/3.
– طبقات ابن سعد : 329/5. – سير أعلام النبلاء : 323/1.

(2) سيرة ابن هشام : 408/4.

(3) الطبقات : 136/2.

(4) مغازي ابن عقبة : ص : 274.

(5) الحزورة : سوق مكة ن وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه.
– معجم البلدان : 255/2.

(6) كداء : بأعلى مكة عن المحصب دار النبي صلى الله عليه وسلم من ذي طوى إليها.
– معجم البلدان : 439/4.

(7) أخرج هذه الرواية ابن عقبة في المغازي : ص : 275.

(8) وفي رواية البخاري : «فقتل من خيل خال يومئذ رجلان. حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري.»
– صحيح البخاري كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح : 263/5 الحديث رقم : 736.

يقتلوا وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم عشرة أنفس. ستة رجال وأربع نسوة وقيل أربعة عشر ثمانية رجال وست نسوة، ثم قتل بعضهم وأسلم بعضهم واستؤمن له.

ولما نزل صلى الله عليه وسلم مكة وطمأن الناس خرج إلى البيت، فطاف به وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان[1]، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما ملصقة بالحديد والنحاس والرصاص، فجعل يشير إليها بقضيب في يده ويقول : «جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد، جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا، فكلما أشار لصنم وقع لوجهه دون أن يمسه»[2] وقال فضالة بن عمير ابن الملوح الليثي[3] في ذلك :/ (119ب)

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والإسلام
لو (ما شهدت)[4] محمدا أو قبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت (نور الله أضحى ساطعا)[5] والشرك يغشى وجهه الإظلام[6]

وقيل : إنها لراشد بن عبد ربه[7] ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالآلهة والصور والأزلام فأخرجت من البيت وكسرت كلها وبالتماثيل فمحيت ثم دخل البيت الحرام، وهي أن تكون مفاتيحه عند الحجبي وهو الذي يتولى فتح بابه وإغلاقه، ولا يدخله أحد إلا بإذنه، هي أيضا السدانة : وهي خدمة البيت وتولي أمره وفتح بابه وإغلاقه.

---

(1) وهو ما رواه ابن جرير الطبري في كتابه التاريخ : 165/3.
– وابن سعد في الطبقات : 137/2.
(2) أخرجه ابن كثير في السيرة : 582/3.
– وابن سعد في الطبقات : 136/2.
(3) فضالة بن عمير بن الملوح الليثي ذكره ابن عبد البر في كتابه «الدرر» وقال ابن أبي حاتم أدرك الجاهلية.
– الإصابة : 210/5 رقم الترجمة : 6988.
(4) في سيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير : (لو ما رأيت)
(5) في سيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير : (دين الله أضحى بينا).
(6) والأبيات رواها :
– ابن الأثير في أسد الغابة : 61/4. – ابن هشام في السيرة : 417/2.
– ابن كثير في السيرة : 584/3. – وابن القيم في زاد المعاد : 413/3.
(7) راشد بن عبد ربه السلمي يكنى أبا أثيلة كان اسمه في الجاهلية ظالما فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم راشد.
– الاستيعاب : 83/2 رقم الترجمة : 792. – الأسد : 33/2 رقم الترجمة : 1569.

وأقر العباس على سقايته وهي سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شرابا في الموسم للحاج الذي يوافي في مكة ويمزجونه تارة بعسل وتارة بلبن وتارة بنبيذ وتارة بسويق يتطوعون بذلك من عند أنفسهم، ثم كان العباس وولده يسقون الناس النبيذ لا غيره لأمره صلى الله عليه وسلم إياهم بذلك، وذلك أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم من البيت وقف على بابه فقال «لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»[1] «ألا إن مأثرة كانت في الجاهلية أو دما أو مالا يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، إلا قتيل الخطإ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء، والناس من آدم وآدم من تراب»[2] ثم تلا هذه الآية : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية[3].

وسأله العباس أو هو وعلي في رجال من بني هاشم أن يجمع لهم الحجابة مع السقاية فرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة. وقال : «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها عنكم إلا ظالم»[4] فهي في أيديهم إلى الآن وإلى قيام الساعة ثم وقف على من في المسجد من قريش فقال لهم «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيرا : أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء»[5]. وفي رواية أنه قال لهم «أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء» وحانت الظهر فأذن بلال فوق ظهر الكعبة.

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة»[6] يعني على الكفر.

---

(1) أخرج ابن سيد الناس في عيون الأثر : 230/2.
(2) أخرج هذه الرواية ابن هشام في سيرته : 412/4.
 – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 230/2.
(3) جزء من الآية 13 من السورة 49 : الحجرات.
(4) أخرج هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد : 409/3.
(5) أخرجه ابن هشام في السيرة : 412/4.
 – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 230/2.
(6) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب : لا يقتل قرشي صبرا بعد الفتح: 1126/5 الحديث رقم : 1782.
 – رواه عبد الله بن مطيع عن أبيه.

ولما كان الغد من يوم الفتح اعتدت خزاعة على رجل من هذيل مشرك فقتلوه برجل منهم، فخطب[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وعرفهم حرمة مكة وأن الله حرمها يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لأحد أن يسفك بها دما ولا أن يعضد بها شجرة وإنها لم تحل لأحد إلا له ساعة من نهار، فقيل إن تلك الساعة ما بين أول النهار ودخول وقت العصر، وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها بضع عشرة ليلة يقصر الصلاة وكان فتحها فيما قال الزهري[2] «لثلاث عشرة خلت من رمضان» وهذا أصح ما قيل في ذلك.

واختلف هل فتحت عنوة أو صلحا. والأكثر[3] على أنها فتحت عنوة. وقال الشافعي[4] رحمه الله في جماعة من أهل العلم «عن مكة مؤمنة وليست عنوة» لقوله صلى الله عليه وسلم : «من أغلق عليه بابه فهو آمن» إلى آخره. فهو أمان منه صلى الله عليه وسلم لكل من لم يقاتل من أهل مكة إلا الذين استثناهم وأمر بقتلهم، وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة. والأمان كالصلح[5].

ورأى الشافعي أن أهلها مالكون رباعهم، فلذلك كان يجيز كراءها لأربابها وبيعها وشرائها .لأن من أمن/ فقد حزم دمه وماله وذريته وعياله، فأموالهم تبع لهم. (120أ)

وصحح هذا المذهب أبو عمر بن عبد البر. والخلاف بين العلماء[6] في جواز أخذ أجر المساكين بمكة أو المنع منه مشهور معروف، وعلى أنها فتحت عنوة، فقيل :

---

(1) وخطبته صلى الله عليه وسلم في حرمة مكة أخرجها البخاري في الصحيح كتاب المغازي : 266/5 الحديث رقم : 750.
– وابن القيم في زاد المعاد : 412/3.
(2) المغازي النبوية لابن شهاب : ص : 86.
(3) وفي ذلك قال ابن القيم : وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه الجمهور.
– زاد المعاد : 429/3.
(4) وروى قول الإمام الشافعي أبو الوليد بن رشد القرطبي : انظر البيان والتحصيل : 406.
(5) قال أبو الوليد بن رشد : ومن ذهب إلى أنها مومنة والأمان كالصلح، وأن أهلها مالكون لرباعها أجاز لهم بيعها وكراءها وهو قول الشافعي :
– البيان والتحصيل : ص : 406.
(6) وفصل ابن القيم في ذكر الخلاف بين العلماء في ذلك في كلام طويل له.
– انظر في زاد المعاد : 429/3، 433.
– وكذلك ابن رشد في البيان والتحصيل وركز فيه القول على رأي الإمام مالك وأصحابه وروى عنه ثلاثة أقوال.
– البيان والتحصيل : ص : 406.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم من عليهم بأنفسهم وأموالهم ودورهم. وقيل بل أقر دورها للمسلمين.

وقد جاء في الحديث : «أن مكة مناخ، من سبق ابتاع رباعها ولا يؤاجر ليونها»[1] ولا خلاف أنه لم يجر فيها قسم ولا غنيمة ولا سبي من أهلها ممن باشر القتال أحد لما عظم الله من حرمتها. ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم «مكة حرام ومحرم لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي. وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم هي حرام إلى يوم القيامة»[2].

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته بالحزورة من سوق مكة، فقال : «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله. ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[3].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم نحوه أيضا في توديع مكة حين أخرج منها.

وضبط ألفاظ تقدمت وشرح بعضها : الوتير : -بمثناة فوقية بعد الواو بوزن أمير- ما بين أدام[4] إلى عرفة. والسقيا : -بضم السين وسكون القاف- قرية جامعة من عمل الفرع[5] بينها وبين المدينة نحو ثلاث مراحل، وسميت سقيا لما بها من الماء وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك. والعرج : -بفتح العين وسكون الراء- : قرية جامعة من عمل الفرع على نحو سبعين ميلا من المدينة. ونيق العقاب : -بكسر النون وسكون المثناة التحتية وضم العين- : موضع قرب الجحفة. ومر الظهران

---

(1) الحديث أخرجه ابن القيم في زاد المعاد : 435/3.
- وأبو الوليد في البيان والتحصيل : ص : 406.

(2) الحديث أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج باب تحريم القتال فيه : 212/5 الحديث رقم : 2872.

(3) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب في فضل مكة : 486/5 الحديث رقم : 3951.
- وأخرجه ابن ماجة : كتاب المناسك باب فضل مكة : 518/3 الحديث رقم : 3108.

(4) أدام : بالفتح : هو من أشهر أودية مكة.
- معجم البلدان : 125/1.

(5) الفرع : قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة، وهي لقريش الأنصار ومزينة.
- معجم البلدان : 252/4.

-بفتح الميم وشد الراء وفتح الظاء المشالة المنقوطة، وسكون الهاء- : واد على مرحلة أو أقل من مكة بينها وبين عسفان، ويقال لها بطن مر. والحجون -بوزن صيون- : بمكة الجبل المشرف حذاء مسجد العقبة عند المحصب وهو مقبرة أهل مكة المسماة بالمعلاة ينزل من كداء -الممدودة الدال- إليها. أو هو جبل بالمعلاة أو مكان قريب منها. وأذاخر : -بفتح الهمزة والذال المعجمة بعدها ألف ساكنة، ثم خاء معجمة مكسورة -موضع قرب مكة. والكتيبة الخضراء : سميت بذلك لما غلب عليها لبس الحديد شبه سوداء بالخضرة، والعرب تطلق الخضرة على السواد. وخضراء قريش دهماؤهم وسوادهم. ووبشوا أوباشا لهم أي : جمعوا جموعا من قبائل شتى. وقيل الأوباش : هم الأخلاط من الناس والسفلة. وقيل هم الضعفاء اللاصقون بالقوم التابعون لهم والداخلون فيهم وليسوا منهم. والليط : -بكسر اللام، وطاؤه مهملة - موضع بأسفل مكة. والخندمة : -بخاء معجمة بوزن مخرمة- مكان أسفل مكة، وقيل : هو جبل قرب شعب أبي طالب. والحزورة : بوزن قسورة[1] على الصحيح : موضع مكة يلي البيت داخل بعضه بعد ذلك في المسجد لما زيد فيه.

وبعث صلى الله عليه وسلم تميم بن (أسد)[2] الخزاعي[3] فجدد أنصاب[4] الحرام[5] وبث صلى الله عليه وسلم السرايا إلى الأصنام التي حول مكة، فكسرها. ونادى مناديه قد اتخذت أصناما تعبدها، واتخذت مع الكعبة بيوتا تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة[6] وحجاب، وتهدي كما تهدي للكعبة وتطوف بها

(1) قال ابن الأعرابي: قسورة : الرماة. وردت في قوله تعالى : ﴿فرت من قسورة﴾ وقال الكلبي بإسناده هو الأسد.
- اللسان : 3624/5 مادة قسر.

(2) في ع : أسيد.

(3) تميم بن أسيد قيل : أسد بن عبد العزى بن جعونة بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد الخزاعي، أسلم وولاه النبي صلى الله عليه وسلم تجديد أنصاب الحرم.
- أسد الغابة : 293/1 رقم الترجمة : 513.

(4) حجارة تجعل علامات وحدود بين الحل والحرم.

(5) وحديثه أخرجه ابن الأثير في الأسد : 293/1.
- وابن القيم في زاد المعاد : 413/3.

(6) من سدن السادن : خادم الكعبة، والجمع ك سدنة، وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار في الجاهلية، فأقرها صلى الله عليه وسلم لهم في الإسلام.
- اللسان : 1977/3 مادة سدن.

كطوافها بها وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها قد عرفت أنها بيت إبراهيم ومسجده.

فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق أبطل ذلك كله. فلما فتح الله عليه مكة هدم جميع ذلك وكسره وبعث إليه السرايا.

- سرية خالد بن الوليد عقب فتح مكة إلى العزى[1] بنخلة / (121ب)

-وكان بيتا فيه صنم لقريش وكنانة ومضر كلها. وكان أعظم أصنامهم، وكانت لخمس ليال بقين من رمضان-و معه ثلاثون فارسا فهدمه، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال: «هل رأيت شيئا» قال : لا قال «فإنك لم تهدمها» وكان ترك جذمها أي أصلها وأساسها، فأمره أن يرجع، ويستأصل بقيتها بالهدم، فرجع فأخرج أساسها فخرجت منها امرأة عجوز سوداء عريانة ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها. فجعل السادن يصيح فيه فضربها خالد بالسيف وهو يقول : «كفرانك عزة لا سبحانك : إني رأيت الله قد أهانك فجدلها باثنتين ثم رجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : نعم تلك العزى، وقد أيست أن تعبد ببلادكم أبدا»[2].

- سرية عمرو بن العاص إلى سواع :

صنم هذيل برهاط[3] بعثه صلى الله عليه وسلم إليه في شهر رمضان فكسره[4].

---

(1) قال ابن سعد : كانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت أعظم أصنامهم وكان سدنتها بنوا شيان من بني سليم.
- الطبقات : 146/2.

(2) وأخرج هذه السرية بلفظها ابن جرير الطبري في التاريخ : 123/3.
- وابن القيم في زاد المعاد : 413/3 - وابن سعد في الطبقات : 146/2.

(3) رهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة. وقال ابن الكلبي : اتخذت هذيل سواعا ربا برهاط من أرض ينبع عرض من أعراض المدينة.
- معجم البلدان : 107/3.

(4) وأخرج هذه السرية ابن جرير الطبري في التاريخ : 123/3 عن الواقدي وقال : «وكان سواع حجرا».
- وأخرجها أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 413/3.
- وابن سعد في الطبقات : 146/2.

- سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة :

وقيل : هو سعد بن عبد الأشهل، ومناة : صنم الأوس والخزرج والأزد وغسان بالمشلل[1] على ساحل البحر مما يلي قديدا. وكانت في شهر رمضان.

وبعثه صلى الله عليه وسلم في عشرين فارسا، فلما وصلها خرجت امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها. فقال السادن : مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد بسيفه فقتلها ثم هدم الصنم وكسره وانصرف راجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لست بقين من رمضان[2].

وقال ابن هشام بعث إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها.

- سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة[3] :

قبيلة من كنانة كانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يلملم[4]، كانت هذه السرية في شوال وهو يوم الغميصاء[5] بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة قبل خروجه إلى حنين عند جميع أهل المغازي ما عدا ابن إسحاق[6]، فإنها عنده قبل سريته لهدم العزى. وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا، فلما انتهى إليهم قال (ما أنتم)[7] قالوا : «مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنا فيها».

---

(1) المشلل : هو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.
- معجم البلدان : 136/5.

(2) وأخرج هذه السرية : ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ : 123/3.
- وابن سعد في الطبقات : 146/2. - وابن القيم في زاد المعاد : 413/3.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 238/2.

(3) بنو جذيمة : بطون كثيرة : بطن من الأزد من القحطانية وهم بنو جذيمة بن زهير. وبطن من النخع من القحطانية : وهم بنو جذيمة بن سعد.
- معجم القبائل : 175/1. - العقد الفريد : 64/2.

(4) يلملم : ويقال ألملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد معاذ بن جبل.
- معجم البلدان : 441/5.

(5) الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة.
- معجم البلدان : 214/4.

(6) انظر سيرة ابن هشام : 428/2 و436.

(7) في ح : (من أنتم).

وفي صحيح البخاري : «لم يحسنوا أن يقولوا ذلك فقالوا صبأنا. فقال : فما بال السلاح عليكم، قالوا : بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا منهم قال : فضعوا السلاح فوضعوه قال : فاستأسروا»، فأمر بعضهم أن يلتف بعضا، وفرقهم في أصحابه، ثم لما كان السحر أمر بقتلهم، فقتل بعض أصحابه أسراهم وأمسك بعضهم عن القتل، وكان اسم موضع إيقاعه بالقوم الغميصاء بضم المعجمة. فسمي ذلك اليوم يوم الغميصاء. وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. مرتين أو ثلاثا»[1] وبعث عليا فودى لهم قتلاهم.

وفي الروض الأنف للسهيلي : وجه النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في سرية إلى خثعم، وفيهم ناس مسلمون فاعتصموا بالسجود فقتلهم خالد فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الدية. وقال أنا بريء من مسلم بين مشركين.

- غـزوة حنيـن[2] :

وهو موضع بأوطاس[3] قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال من جهة عرفات وتسمى أيضا غزوة أوطاس / وغزوة هوازن[4]. (122أ)

(1) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة : 280/5 الحديث رقم 787.
– وأخرجه النسائي في كتاب آداب القضاة. باب ذكر ما ينبغي للحاكم أن يجتنبه : 249/8 الحديث رقم 5145.
– وأخرجه ابن هشام في السيرة : 428/4.
– وابن القيم في زاد المعاد : 415/3.
– وابن سيد الناس في الطبقات : 174/2.
– وأخرجه ابن جرير الطبري في كتاب التاريخ : 124/3.

(2) حنين : قريب من مكة، وقيل : هو واد قبل الطائف، وقيل واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي : بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا.
– معجم البلدان : 313/2.

(3) أوطاس : واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي صلى الله عليه وسلم ببني هوازن.
– معجم البلدان : 281/1.

(4) قال ابن القيم : «وهما موضعان بين مكة والطائف، فسميت الغزوة باسم مكانها، وتسمى غزوة هوازن، لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم».
– زاد المعاد : 465/3.

وسببها[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها. وأسلم عامة أهلها مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين. ورئيسهم مالك بن عوف النصري[2] وإليه جماع أمرهم.

واجتمعت ثقيف كلها ونصر[3] وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل. و لم يشهد من مكة في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم من أهل مكة وهم الطلقاء.

وتقدم قول الحاكم : أنه صلى الله عليه وسلم وقف عام الفتح بمكة في خمس عشرة ألف عنان. وكان خروجه يوم السبت لست خلون من شوال[4] وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بينهما بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال ووصلها في عاشره.

واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد[5]، وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم : صفوان بن أمية. وكان صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع بأداتها. وأعانه صلى الله عليه وسلم ابن عمه نوفل بن الحارث[6] بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يومئذ بثلاثة آلاف رمح،

---

(1) وذكر سبب هذه الغزوة بهذه الرواية .
- أخرجه ابن هشام في السيرة : 437/4 .
- وابن سعد في الطبقات : 149/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 465/3.

(2) هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة النصري، وانهزم يوم حنين كافرا. واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ومن قبائل قريش.
- الاستيعاب : 412/3 رقم الترجمة : 2318. - الأسد : 248/4 رقم الترجمة : 4628.

(3) نصر : بطون كثيرة منها : بطن من قريش من العدنانية، بطن من قيس عيلان، وبطن من لخم من القحطانية وهم بنو نصر بن ربيعة.
- معجم القبائل : 1180/3. - نهاية الإرب : 350/2.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 149/2.

(5) رواه ابن القيم في زاد المعاد : 468/3.

(6) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي يكنى أبا الحارث أسلم وهاجر أيام الخندق، شهد حنينا، توفي في المدينة في خلافة عمر.
- الاستيعاب : 75/4 رقم الترجمة : 2671. - الأسد : 572/4 رقم الترجمة : 5310.

فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال ثم ركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء.

وعند مسلم[1] والحاكم[2] أنها التي أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي[3] وهو الصحيح، ولبس صلى الله درعين والمغفر والبيضة، ثم لما استقبلوا وادي حنين انحدروا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط[4] ينحدرون فيه انحدارا، وكانوا في غبش الصبح وعمايته، وكان العدو قد سبقهم إليه فكمنوا لهم في شعابه وأنحائه ومضايقه. قد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا.

وكان المسلمون كما قال الله تعالى : ﴿أعجبتكم كثرتكم﴾[5] فقالوا لن نغلب اليوم من قلة. فلم تغن عنهم شيئا، فما راعهم وهم منحطون، إلا الكتائب خارجة من مضايق الوادي ومكامنه وحلوقه، فشدوا على المسلمين شدة رجل واحد، واستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وكانوا عشرة آلاف، وقيل إن العدو كانوا ثلاثين ألفا فانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس، وشمروا راجعين لا يلوي أحد على أحد.

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أيها الناس هلم أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. فلا شيء حملت الابل بعضها على بعض»[6] فانطلق الناس إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من أهل بيته وأصحابه، وهم العباس وعمر وعلي أبو سفيان بن الحارث.

---

(1) ولفظ الحديث الذي أخرجه مسلم : ...« ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي».
– أخرجه في كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين : 1119/3 الحديث رقم : 1775.

(2) وأخرجه الحاكم في المستدرك : 493/3. – وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري.
– انظر : المغازي النبوية للزهري ص : 2.

(3) فروة بن نفاثة وقيل فروة بن عمرو النفاثي الجذامي أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء سكن عمان الشام .
– الأسد : 53/4 رقم الترجمة : 4212.

(4) الحطوط : الحدر من علو.

(5) جزء من الآية : 25 من السورة : 9 التوبة.

(6) أخرجه ابن كثير في السيرة : 618/3.
– وابن القيم في زاد المعاد : 468/3. – وابن سيد الناس في عيون الأثر : 245/2.

وقال ابن إسحاق[1] : «وهم سبعة : وهم علي والعباس، والفضل بن عباس[2]، وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر وربيعة بن الحارث[3] وأسامة بن زيد، والثامن أيمن بن عبيد»[4] وجعل غير ابن إسحاق في موضع أبي سفيان عمر بن الخطاب.

والصحيح أن أبا سفيان بن الحارث كان يومئذ معه لم يختلف فيه، واختلف في عمر. وذكر فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أيضا عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. وقيل إن الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعلي وعقيل والعباس، وابناه الفضل وقثم وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر وأخوه ربيعة ابن الحارث وعتبة[5] ومعتب[6] ابنا أبي لهب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وأسامة بن زيد، وأخوه لأمه أيمن بن عبيدوقتل يومئذ، وعبد الله بن مسعود وشيبة بن عثمان الحجبي.

وكان العباس آخذا بلجام بغلته صلى الله عليه وسلم يكفها مخافة أن تصل إلى العدو، لأنه صلى الله عليه وسلم / كان يتقدم في نحر العدو، وأبو سفيان بن (123ب) الحارث آخذ بركابه، وليس يقبل نحوه صلى الله عليه وسلم أحد إلا قتل، وقيل لم يبق معه غير العباس وابن سفيان بن الحارث أخذ بركابه.

(1) سيرة ابن هشام : 443/4.

(2) الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يكنى أبا عبد الله، عزا حنينا وحجة الوداع قتل يوم مرج الصفر.
– الاستيعاب : 333/3 رقم الترجمة : 2117.
– الأسد : 62/4 سيرة أعلام النبلاء : 444/3.

(3) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يكنى أبا أروى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في الصدقة وفي الصلاة توفي سنة ثلاثا وعشرين في خلافة عمر.
– الاستيعاب : 69/2 رقم الترجمة : 757.
– الأسد : 59/2 رقم الترجمة : 1635.

(4) أيمن بن عبيد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس بن مالك بن سالم بن غنم، وابن أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم استشهد يوم حنين.
– الأسد : 223/1 رقم الترجمة : 353.

(5) عتبة بن أبي لهب عبد العزى بن المطلب، أسلم يوم الفتح شهد حنينا والطائف.
– الاستيعاب : 149/3 رقم الترجمة 1785. – الأسد : 463/3.

(6) معتب بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم له صحبة أسلم عام الفتح قتل يوم قديد.
– الاستيعاب : 483/3 رقم الترجمة : 2488.

وفي حديث عن أبي فريعة السلمي[1] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حين افترق يوم حنين وصبرت معه بنو سليم «لا نسي الله لكم يا بني سليم هذا اليوم».

وفي الصحيح[2] عن البراء بن عازب[3] «وقيل له : أفررتم يوم حنين فقال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة. وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبينا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء. وإن أبا سفيان بن حارث آخذ بزمامها وهو يقول :

أنا النبـــي لا كـــــذب أنا ابن عبـــد المطلـــب»

وفي آخر عنه أيضا «أنه عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن»[4] وفي آخر عنه أيضا : «خرج شبان أصحابه وأخفافهم حسرا ليس عليهم سلاح، فأتوا قوما رماة فرشقوهم رشقا فأقبلوا هنالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته البيضاء وابن عمه أبو سفيان بن الحارث يقوذ به فنزل واستنصر ثم قال :

أنا النبـــي لا كـــــذب أنا ابن عبـــد المطلـــب

ثم صف أصحابه.

---

(1) أبو فريعة السلمي له صحبة شهد حنينا قال ابن عبد البر : لا أعلم له رواية.
– الاستيعاب : 292/4 رقم الترجمة : 3154.
– الأسد : 247/5 رقم الترجمة : 1657.

(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل : 1121/3.
– وأخرجه أيضا البخاري عن البراء بن عازب في كتاب المغازي باب قول الله تعالى : ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ :5/271 . الحديث رقم : 768.

(3) البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة الأنصاري الحارثي الخزرجي يكنى أبا عمارة، شهد الخندق والجمل وصفين.
– الاستيعاب : 239/1 رقم الترجمة : 174.
– الأسد : 238/1.
– الوافي بالوفيات : 104/10.
– البداية والنهاية : 328/8.

(4) أخرج هذه الرواية البخاري في الصحيح في كتاب المغازي باب قول الله تعالى : ﴿ويوم حنين﴾ : 271/5 الحديث رقم : 766.

وعند ابن عقبة[1] : ويقولون نزل فرفع يديه إلى السماء يدعو يقول : «اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا»[2] وقيل : إنه صلى الله عليه وسلم نادى عن يمينه وعن يساره : يا معشر الأنصار : قالوا لبيك يا رسول الله وسعديك نحن بين يديك، فنزل عن بغلته، فقال : «أنا عبد الله روسوله»، وقال للعباس : ناد يا معشر الأنصار : يا أصحاب الشجرة، فجعل ينادي تارة يا أصحاب الشجرة وتارة يا أصحاب سورة البقرة. وكان العباس رجلا صيتا، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون لبيك يا لبيك[3].

فتراجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله، وأم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم أن يصدقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى قتالهم فقال «الآن حمي الوطيس»[4] وهو –التنور يخبز فيه– يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره وهذا من فصيح الكلام الذي لم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

وتناول صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب وحصاء فحصب وجوه المشركين ونواحيهم كلها وقال : «شاهت الوجوه حم لا ينصرون»[5] وكان شعارهم يومئذ : «حم لا ينصرون» ثم قال : «انهزموا ورب الكعبة، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه وفمه من تلك القبضة»[6]. وسمعوا صلصلة من السماء، كإمرار الحديد

---

(1) مغازي ابن عقبة : ص : 285.

(2) أخرجه ابن كثير في السيرة :3/627.

(3) أخرج هذه الرواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري : انظر المغازي النبوية لابن شهاب الزهري : ص : 92.
– وأخرجها أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 3/471.
– وابن جزير الطبري في كتاب التاريخ : 3/129.

(4) أخرجه ابن هشام في السيرة : 4/445.
– وابن القيم في زاد المعاد : 3/471.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 2/248.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين : 3/1122. الحديث رقم : 1777.
– وأخرجه أيضا ابن القيم : 3/472.

(6) أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر : 2/248.

على الطست الجديدة. فهزم الله المشركين من كل ناحية حصبهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وإبلهم.

وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه وأفضى المسلمون في القتل إلى الذرية فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

وقال صلى الله عليه وسلم : «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه»[1] وحضرت الملائكة مددا. واختلف في قتالهم مع المسلمين.

واستشهد من المسلمين أربعة[2] وقتل من المشركين أكثر من سبعين وأثقل خالد ابن الوليد بالجراح يومئذ فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث على جراحه فبرىء.

شرح ألفاظ من / الغريب في هذه الغزوة : قوله : في وصف الوادي أجوف : (124أ) معناه متسع. وحطوط : أي منحدر. وغبش الصبح وعمايته : ظلامه قبل أن يتبين. وكمنوا لهم استخفوا في شعابه : أي طرقه الخفية، وأنحائه : أي جوانبه. ومكامنه : المواضع الخفية منه. وحلوقه : مجاريه ومضايقه. والسواد : هنا العدد الكثير. وانشمروا راجعين : أي انقبضوا وانهزموا. وسرعان القوم : –بفتح السين والراء وتسكن– أوائلهم ومتقدموهم الذين يسارعون إلى الشيء، ويقبلون عليه بسرعة. والرشق : الرمي بالسهام كلها. والحملة : الجري والاشتداد. وصدقها أن لا ينصرف عنها شجاعة والآن حمي الوطيس : في أصل اللغة التنور. وأراد به هنا القتال حيث استحرت الحرب واشتدت.

(1) الحديث أخرجه البخاري عن أبي قتادة في كتاب المغازي باب قوله تعالى : ﴿ويوم حنين﴾ : 273/5 الحديث 177.
– وأخرجه ابن القيم في زاد المعاد : 490/3.

(1) وهؤلاء الأربعة سماهم ابن إسحاق وهم : أيمن بن عبيد، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وسراقة بن الحارث، وأبو عامر الأشعري.
– سيرة ابن هشام : 459/4.
– وأخرجهم أيضا ابن جرير في التاريخ : 132/3.

وأمر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى إلى الطائف وبعضهم نحو نخلة، وقوم إلى أوطاس، وأمر صلى الله عليه وسلم بجمع السبايا والأموال فحبست بالجعرانة، وهي ما بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أدنى حتى أدركها هنالك منصرفه من الطائف وهم في حظائر لهم يستظلون بها من الشمس والجعرانة بكسر الجيم وسكون العين، وقد تكسر وتشدد الراء.

- سرية أبي عامر الأشعري في طلب الفارين إلى أوطاس :

وبعث صلى اله عليه وسل عسكرا يقدمهم أبو عامر الأشعري في طلب الفارين من هوازن يوم حنين إلى أوطاس، وكان معه سلمة بن الأكوع، وأبو موسى الأشعري. وأبو عامر[1] عم أبي موسى على الأشهر.

وقال ابن إسحاق : «ابن عمته فانتهى إليهم أبو عامر فإذا هم متمنعون فقتل تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال اللهم اشهد عليه، فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم فحسن إسلامه».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : «هذا شريد أبي عامر»[2] ثم رمي أبو عامر فمات فخلفه أبو موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه.

وكان السبي في الشيماء[3] بنت الحارث بن عبد العزى أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة. فقالت لهم : «أنا أخت صاحبكم» فلما قدموا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا محمد : أنا أختك وعرفته بعلامة عرفها فرحب بها وأكرمها، وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، ودمعت عيناه. وخيرها بين

---

(1) أبو عامر الأشعري عم موسى الأشعري اسمه عبيد بن سليم بن حضار بن حرب شهد حنين.
– الاستيعاب : 266/4. – الأسد : 188/5 رقم الترجمة : 6036.
(2) سيرة ابن هشام : 457/4. وأخرج هذه الرواية أيضا ابن كثير في السيرة : 641/3.
(3) وخبر الشيماء أخت الرسول صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن إسحاق في السيرة : 458/4.
– وابن جرير الطبري في التاريخ : 131/3. – وابن عبد البر في الاستيعاب : 425/4.

أن تمكث عنده محببة مكرمة أو يمتعها وترجع إلى قومها. فاختارت الرجوع إلى قومها، فمتعها وردها إليهم.

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية، فزوجت أحدهما الآخر، فلم يزل فيهم من نسلها بقية.

وقال أبو عمر بن عبد البر : «فأسلمت وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء»[1].

وقال أيضا «روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم جاءته يوم حنين، فقام إليها، وبسط لها رداءه، فجلست عليه قال : وأسلمت»[2].

وذكر السهيلي : إنها جاءته مرة أخرى قبل ذلك بعد تزوجه خديجة تشكو إليه السنة، وأن قومها قد اسنتوا، فكلم خديجة فأعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات، وكان ربيعة بن أهبان السلمي[3] في الخيل الذين تبعوا من فر إلى نخلة فقيل هناك دريد بن الصمة الجشمي ويقال لربيعة بن رفيع هذا ابن لذعة بمعجمة ثم مهملة/ وبمهملة ثم معجمة، ويقال له أيضا ابن الدغنة وليس هو ابن الدغنة المذكور (125ب) في قصة أبي بكر في الهجرة وقيل إن قاتل دريد بن الصمة هو عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة[4] والله أعلم[5].

(1) الاستيعاب : 425/4.

(2) الاستيعاب : 374/4.

(3) هو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة السلمي، كان يقال له ابن الدغنة وهي أمه، شهد حنينا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم.
– الاستيعاب : 70/2 رقم الترجمة : 758. – الأسد : 61/2 رقم الترجمة : 1639.

(4) عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة، كان اسمه عبد عمرو فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو قاتل دريد بن الصمة.
– الأسد : 361/3 رقم الترجمة : 3129. – الإصابة : 119/4 رقم الترجمة : 4886.

(5) وأخرج هذه السرية ابن هشام في السيرة : 457/4.
– وابن كثير في السيرة : 640/3. – وابن جرير في التاريخ :131/3.
وأخرجها البخاري أيضا في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة أوطاس : 274/5 الحديث : 772 .

- سرية[1] الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذي الكفين[2] :

بتشديد الفاء المفتوحة وخفف في الشعر الآتي للوزن، وقيل : هي مخففة مفتوحة أو مكسورة. وهو صنم من خشب، كان لعمرو بن حممة الدوسي[3] .

ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم المسير إلى الطائف لطلب الفارين يوم حنين من ثقيف بعث الطفيل بن عمرو ليهدم ذا الكفين، وأمره أن يستمد قومه، ويوافيه بالطائف، وذلك في شوال، فخرج سريعا إلى قومه، فهدم ذا الكفين وجعل يحش النار في (وجهه)[4] ويحرقه ويقول[5] :

يا ذا الكفين لست من عبادكا　　　ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حششت النار في فؤادكا

ثم رجع وانحدر معه من قومه أربعمائة رجل سراعا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام.

قال في المواهب اللدنية : وعند مغلطاي : وقدم معه أربعة مسلمون، وقدم معه بدبابة ومنجنيق من آلات الحرب. والدبابة : -مشددة- آلة من خشب مغشاة بجلود يدخل فيه الرجال فيبدون بها إلى الأسوار وحيطان الحصون فينقبونها على أهلها.

والمنجنيق : - بكسر الميم وفتحها وسكون النون الأولى وتخفيف الثانيةهي آلة ترمى بها الحجارة، وهي أعجمية عربتها العرب[6].

---

(1) في ع : سرية عمير الطفيل.
(2) قال ابن سعد ذي الكفين : صنم عمرو بن حممة الدوسي.
- الطبقات : 157/2.
(3) عمرو بن حممة الدوسي، ذكر أبو بكر بن دريد أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم.
- الإصابة : 295/4 رقم الترجمة : 5814.
(4) في ع : في جوفه.
(5) هذا النظم أخرجه ابن سعد في الطبقات : 258/2.
- ابن القيم في زاد المعاد : 495/3.
(6) أخرج هذه السرية ابن سعد في الطبقات : 157/2. - وابن سيد الناس في عيون الأثر : 259/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 495/3.

- غـزوة الطـائـف[1] :

وهو بلد كبير مشهور كثير الأعناب والنخيل والفواكه على مرحلتين أو ثلاث من مكة من جهة المشرق ويعرف الآن بوادي العباس.

وسار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال حين خرج من حنين، وحبس الغنائم بالجعرانة، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته.

وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم سنة، وتهيأوا للقتال.

ولما وصل صلى الله عليه وسلم إليهم نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين، فارتفع صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم.

وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين، وكان يصلي بين القبتين مدة حصار الطائف، فحاصرهم بضعة عشر يوما[2] وقيل : بضعة وعشرين يوما، وقيل : شهرا، ونصب عليهم المنجنيق التي قدم بها الطفيل بن عمرو الدوسي، وهي أول منجنيق رمي بها في الإسلام فيما ذكره ابن هشام[3] .

وذكر ابن سعد[4] : «بإسناده إلى مكحول : أنه صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوما».

وقال ابن إسحاق[5] : «ودخل قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف لينقبوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك

---

(1) الطائف : عرضها إحدى وعشرون درجة وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة.
– معجم البلدان : 8/4.

(2) قال ابن إسحاق «فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة» وقال ابن هشام «ويقال : سبع عشرة ليلة».
– انظر سيرة ابن هشام : 482.
– وقال ابن القيم : «فحاصرهم ثمانية عشر يوما» رواه عن ابن سعد.
– زاد المعاد : 496/3. – الطبقات : 158/2.

(3) سيرة ابن هشام : 483/4.
– وما رواه أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 496/3.

(4) طبقات ابن سعد : 159/2.

(5) سيرة ابن هشام : :483/4.

الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها ورمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال. «فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها»، فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم فودعها لله وللرحم.

ونادى مناديه صلى الله عليه وسلم أيما : أحد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون وهو الذي في البخاري فأسلموا، فأعتقهم، ودفع كل رجل منهم إلى / رجل من المسلمين (يمونه). (126أ)

ولما أسلم سادتهم، جعل ولاءهم لهم فشق ذلك كله على أهل الطائف مشقة شديدة. و لم يوذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف يومه ذلك، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك، وقالوا : «نرحل و لم يفتح علينا الطائف»، فقال صلى الله عليه وسلم : «فاغدوا على القتال» فغدوا، فأصاب المسلمين جراحات.

فقال صلى الله عليه وسلم : «إنا قافلون غدا إن شاء الله تعالى»[1] فسروا بذلك، وأذعنوا وجعلوا يرحلون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك من ذلك. وقال له رجل من أصحابه : «يا رسول الله ادع على ثقيف. فقال : اللهم اهد ثقيفا وآت بهم»[2].

واستشهد من المسلمين بالطائف اثنا عشر رجلا سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، وواحد من بني ليث[3] ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

---

(1) أخرج هذه الرواية البخاري في الصحيح عن عبد الله بن عمر في كتاب المغازي باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان قاله موسى بن عقبة : 275/5، الحديث : 774.
- وأخرج مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب غزوة الطائف : 1122/3 الحديث : 1778 من حديث عبد الله بن عمر.
- وأخرجه ابن القيم في زاد المعاد : 497/3.

(2) أخرجه أحمد في المسند : 343/3 وفي الترمذي عن أبي الزبير عن جابر قال : قالوا يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال : «اللهم اهد ثقيفا».
- أخرجه الترمذي في سننه وقال حديث حسن صحيح غريب رواه في كتاب المناقب: باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة : 492/5 الحديث رمق : 3968.
- رواه أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 497/3.

(3) بني ليث : بطن من كنانة بن خزيمة من العدنانية وهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة، كانوا يقيمون حول مكة.
- معجم القبائل : 1019/3.
- معجم ما استعجم : 315/1.

الطائف في شوال في قول موسى بن عقبة[1] ومحمد بن سعد[2] كاتب الواقدي حتى أتى الجعرانة، حيث حبس سبي هوازن وغنائمهم فنزلها.

وقال ابن سيد الناس : «المعروف عند أهل السير أنه انتهى إليها ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي العقدة»[3].

وكان السبي ستة آلاف رأس بين الذراري والنساء. والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة[4].

وانتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بضع عشرة ليلة حين قدم من الطائف أن يقدموا إليه مسلمين، ثم بدأ فقسم الأموال، فطفق يعطي رجلا من المؤلفة قلوبهم المائة من الإبل والخمسين بعيرا، وكانوا أشرافا في قومهم يتألفهم ويتألف بهم قومهم، وهم أناس من قريش أسلموا يوم الفتح ومن غيرهم ممن كان حديث عهد بكفر، وأسلموا إسلاما ضعيفا، وقيل كان فيهم من لم يسلم بعد، كصفوان بن أمية[5] فإنه أعطاه وهو يومئذ مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة[6].

وفي مغازي الواقدي أنه أعطاه يومئذ واديا مملوءا إبلا ونعما، فقال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي.

وفي كتاب القوت للشيخ أبي طالب المكي[7] : «وكان رسول الله صلى الله عليه

---

(1) وهو ما رواه البخاري في ترجمة الباب الذي سماه «غزوة الطائف في شوال سنة ثمان قاله موسى ابن عقبة».
- صحيح البخاري كتاب المغازي : 275/5.
- وانظر مغازي ابن عقبة : 287.

(2) الطبقات لابن سعد : 158/2.

(3) لم أقف على هذا القول في عيون الأثر لابن سيد الناس.

(4) رواه ابن كثير في السيرة : 667/3.

(5) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمع القرشي الجمحي يكنى أبا وهب، شهد حنينا والطائف.
- الاستيعاب : 274/2 رقم الترجمة : 1219.
- الأسد : 420/2 رقم الترجمة : 2508.
- طبقات ابن سعد : 449/5.
- وفيات الأعيان : 9/3.

(6) رواه ابن إسحاق : سيرة ابن هشام : 493/4.
- وابن جرير الطبري في كتابه التاريخ : 136/3.

(7) قوت القلوب : 194/3 باب ذكر اتصال الإيمان بالإسلام في المعنى والحكم.

وسلم إنما يعطي من المؤلفة الرؤساء[1]، ومن لا تومن عاديته، وجمعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحريضه المشركين، كما أكرم الرجل بعد أن تكلم فيه فقيل له في ذلك، فقال : هذا أحمق مطاع، أو من تكثر عشيرته، وأتباعه فيكون ظهيرا على المؤمنين، أو من فيه غناء للمسلمين ومنفعة وعدة.

فأما الأتباع والسفلة من المؤلفة، فلم يكن يؤثرهم بالعطاء، بل كان يوثر المؤمنين، ويقدمهم على أراذل المؤلفة، وضعفائهم، كما فعل بالقسم الذي قسمه بين المؤمنين، فأعطاهم إلا رجلا من القراء له سجادة محلوق الرأس، فإنه لم يعطه. فقال : إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فأعدل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «إن لم أعدل فمن يعدل»[2] وكان أول قرن نبغ من الخوارج أفلا تراه لم يعط شيئا، و لم يباله لأنه لم يكن من خصوص المومنين، ولا ممن يتقى بأسه، أو يظهر في الإسلام غناؤه، فيتألف بالعطاء انتهى».

وقد سموا من المؤلفة نحو الخمسين رجلا. واختلف في هذا العطاء، الذي أعطي المؤلفة، فقيل هو من الخمس، وقيل من خمس الخمس، وقيل من رأس الغنيمة، والأول أثبت الأقاويل.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الإبل، أو عدلها من الغنم أربعون شاة، فإن كان فارسا أخذ اثني عشر من الإبل، أو عشرين ومائة شاة[3].

وقيل : إنه لم يعط الأنصار من الغنيمة شيئا لا من أصلها ولا من خمسها، بل تألف بها غيرهم ووكلهم إلى إيمانهم/ وإن ذلك خاص بهذه الواقعة، والمختار ما (127ب) تقدم. وإن الذي تألف به و لم يعط منه الأنصار هو الخمس.

وقال ابن حجر[4] : والمعتمد أن ذلك كله كان من جميع الغنيمة. ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة من الغنيمة، قال من قال من الأنصار : «يغفر

(1) وهو ما رواه ابن إسحاق قال : «وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم...».
– انظر سيرة ابن هشام : 492/4.
– وهو ما رواه عنه ابن جرير الطبري في التاريخ : 136/3 قال : واللفظ لعبد الله بن أبي بكر.

(2) أخرجه ابن حجر في فتح الباري : 47/8. – وابن كثير في السيرة : 687/3.

(3) وتفصيل ذلك رواه ابن هشام في السيرة : 492/4. – وابن كثير في السيرة : 674/3.
– ومغازي ابن عقبة : ص. 288. – وابن جرير الطبري في التاريخ : 139/3.

(4) فتح الباري : 47/8.

الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»[1].

فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدم، و لم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا أقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حديث بلغني عنكم» فقال فقهاء الأنصار: «أما رؤساؤنا يا رسول الله، فلم يقولوا شيئا. وأما ناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم».

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا يا رسول الله قد رضينا»[2].

ولما قفل صلى الله عليه وسلم من حنين علقت به الأعراب حتى اضطروه إلى سمره، فخطفت رداءه، فوقف صلى الله عليه وسلم فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا»[3].

ثم أتاه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن بالجعرانة مسلمين، وكلموه في رد ما أصيبوا. فقال: «قد استأنيت حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد وقعت المقاسم، فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي، وإما المال، فاختاروا سبيهم، فكلم الناس فردوه عليهم، ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة على الصحيح المشهور»[4] وقد أقام بها ثلاث عشر ليلة بقيت من ذي القعدة. فأحرم منها بعمرة ليلا، ودخل مكة وبين الجعرانة ومكة بريد. وقيل: ثمانية عشر ميلا. ثم خرج من ليلته إلى الجعرانة، فأصبح فيها كبائت، فلما زالت الشمس من الغد يوم الخميس خرج من بطن سرف[5] حتى جاء مع الطريق.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيح كتاب المغازي باب غزوة الطائف: 277/5. الحديث رقم: 779.
– وأخرجه ابن كثير في السيرة: 674/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان: 275/5 الحديث رقم 977.
– أخرجه ابن كثير في السيرة: 674/3.

(3) رواه ابن هشام في السيرة: 492/4. – وابن كثير في السيرة: 669/3.

(4) أخرجه ابن عقبة في المغازي: ص: 290. – وابن حجر في الفتح: 33/8.

(5) سرف: موضع على ستة أميال من مكة. – معجم البلدان: 212/3.

واستعمل على الحج عتاب بن أسيد[1] فأفرد على ما كانت العرب عليه، ثم انصرف إلى المدينة، فدخلها في بقية ذي القعدة، أو في أول ذي الحجة[2] وقيل : قدمها وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوما[3].

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة بعث بعوثا إلى اليمن وهيأ بعثا استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة[4] وعقد له لواء أبيض، ودفع إليه راية سوداء، وعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن، كان فيها صداء قبيلة من مذجح، فقدم زياد بن الحارث[5] الصدائي، وعلم بالجيش فقال : «يا رسول الله : أنا وافدهم فاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فردهم النبي صلى الله عليه وسلم من قناة، ثم خرج زياد إلى قومه، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خمسة عشر يوما معه خمسة عشر رجلا منهم، فأسلموا، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك» فقال «بل الله هداهم»[6] أو قال : «بل منّ الله عز وجل، ومنّ رسوله» ثم وافاه في حجة الوداع بمائة رجل منهم.

وفي هذه السنة : أقاد النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من هذيل برجل من بني ليث.

---

(1) عتاب بن أسيد بن العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي يكنى أبا عبد الرحمن أسلم يوم الفتح.
– الاستيعاب : 143/3 رقم الترجمة : 1575.
– الأسد : 451/3 رقم الترجمة : 3532.
– البداية والنهاية : 304/7.

(2) وروى الخلاف في ذلك ابن إسحاق : سيرة ابن هشام : 500/4.

(3) أخرج هذه الرواية ابن هشام : 500/4.

(4) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي بن دليم بن حارثة الأنصاري يكنى أبا الفضل، صحب علي رضي الله عنه وشهد معه الجمل وصفين.
– الاستيعاب : 350/3.
– البداية والنهاية : 99/8.

(5) زياد بن الحارث الصدائي، وصداء حي من اليمن، ويعد في المصريين وأهل المغرب، وهو حليف لبني الحارث، بايع النبي صلى الله عليه وسلم وأذن بين يديه.
– الاستيعاب : 105/2 رقم الترجمة : 830.
– الوافي بالوفيات : 9/15.

(6) أخرج رواية ابن الحارث الصدائي ابن عبد البر رواية عن الإفريقي عن زياد بن نعيم.
– الاستيعاب : 105/2.

وفيها في صفر : كان إسلام[1] عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة على الصحيح. ومذهب الأكثر. وقيل : بين الحديبية وخيبر. وقيل قبيل عمرة القصاص. وقيل : غير ذلك.

ولما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «رمتكم مكة بأفلاد كبدها»/ (128أ) يقول : إنهم وجوه أهل مكة، وصميم قريش وأشرافها، لأن الكبد من أشرف الأعضاء وأفلادها، وقطعها، وهو : جمع فلدة. أو جمع : فلد، وفلد : جمع فلدة : وهي القطعة المقطوعة طولا.

وفيها : وهبت سودة يومها لعائشة رضي الله عنهما، حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها، أو حين كبرت وخافت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيها : بعد رجوعه من حنين كما أوضحه ابن حجر حرم صلى الله عليه وسلم شجر المدينة وصيدها.

وفيها : غلا السعر، وكانت سنة جذب، فقالوا: «سعر لنا فقال : سلوا الله عز وجل»[2] وفي رواية : إن الله هو القابض الباسط والمغلي المرخص، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد منكم عندي مظلمة[3].

«السنة التاسعة»

قال ابن سعد[4] : «قالوا : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون العرب، فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم،

---

(1) وروى إسلامهم جميعا ابن إسحاق قال حدثني عمرو بن العاص... قال : «ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة فقلت أين يا أبا سليمان قال : والله لقد استقام المنسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى قال قلت : والله ما جئت إلا لأسلم...» «قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما حين أسلما».
– انظر سيرة ابن هشام : 278/4.

(2) سبق تخريج هذه الرواية.

(3) وزاد عليها ابن كثير حوادث كثيرة ذكرها في فصل سماه : «فيما كان من الحوادث المشهورة سنة ثمان والوفيات».
– سيرة ابن كثير : 710/3.

(4) طبقات ابن سعد: 160/2.

وبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي إلى أسلم، وغفار «ويقال : بعث إليهم كعب بن مالك. وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة. وبعث رافع بن مكيث[1] إلى جهينة. وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة، وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي[2] إلى بني كلاب. وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، ويقال : بعث إليهم النحام العدوى[3]. وبعث عبد الله بن اللتبية الأزدي[4] إلى بني ذبيان[5] وبعث رجلا من بني سعد هذيم على صدقاتهم، وأمر صلى الله عليه وسلم مصدقيه أن يأخذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم.

- بعث بني عبس[6] من غطفان :

ذكر ابن سعد في الوفود : أن بني عبس كانوا وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم، فبايعوهن وهم تسعة[7] فبعثهم سرية إلى عير قريش، فأسلموا.

---

(1) رافع بن كعب الجهني أخو جندب بن مكيث شهد الحديبية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤوم».
– الاستيعاب : 65/2 رقم الترجمة : 741. – الأسد : 49/2.

(2) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلبي يكنى أبا سعيد بن المسيب والحسن البصري.
– الاستيعاب : 295/2 رقم الترجمة : 1255. – الأسد : 441/2 رقم الترجمة : 2553.

(3) وهو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف القرشي العدوي المعروف بالنحام استشهد بأجنادين في خلافة عمر.
– الإصابة : 248/6 رقم الترجمة : 8777.

(4) عبد الله بن اللتبية الأزدي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات.
– الأسد : 269/3 رقم الترجمة : 3154. – الإصابة : 123/4.

(5) بني ذبيان : بطون كثيرة: بطن من الأزد من القحطانية وهم بنو ذبيان بن ثعلبة وبطن من أرهبن وبطن من ربيعة.
– معجم القبائل : 403/1

(6) بني عبس : بطن عظيم من غطفان من قيس بن عيلان من العدنانية.
– معجم القبائل : 738/2. – نهاية الإرب : 341/2.

(7) وهؤلاء التسعة الذين ذكرهم ابن سعد كانوا من المهاجرين وهم ميسرة بن مسروق، والحارث بن الربيع وقنان بن دارم، وبشر بن الحارث بن عبادة، وهدم بن مسعدة، وسباع بن زيد، وأبو الحصن ابن لقمان، وعبد الله بن مالك، وفروة بن الحصين.
– ذكره ابن سعد في طبقاته : 295/1.

ولا أدري متى قدم هذا الوفد، وإنما رتبته هنا على التقريب، على احتمال أن هذه العير خرجت من مكة بعد نقض قريش العهد، وقبل الفتح. ثم لما أقبلوا راجعين وافق ذلك وفود هذا الوفد من عبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثهم صلى الله عليه وسلم لتلقيهم، فأسلموا حين لقوهم أو وجدوهم قد أسلموا لما بلغهم إسلام أهلهم بمكة والله أعلم.

- سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من بني تميم :

ذكر ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر[1] من تميم بالسقيا -وهي أرض بني تميم- في المحرم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء، فأخذ منهم أحد عشر أو ثلاثة عشر رجلا وإحدى عشرة. وقيل إحدى عشرة امرأة. وثلاثين صبيا، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فركب فيهم وفد من قومهم وهم عشرة من رؤسائهم، فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فردهم عليهم، وقيل : أعتق بعضا، وأفدى بعضا قالوا : وكان سبب بعث عيينة هذا بما أنهم منعوا مصدّق النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ الزكاة[2].

وذكر الواقدي أن سبب بعثه أن بني تميم أغاروا على أناس من خزاعة، فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(1) بنو العنبر : بطن من تميم من العدنانية وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة.
- معجم القبائل : 845/2.
- نهاية الارب : 345/2؟

(2) أخرج هذه الرواية ابن سعد في الطبقات : 160/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 510/3.
- وأخرجها البخاري في كتاب المغازي في باب سماه «قال ابن إسحاق غزوة عيينة بن حصن بن حديفة بن بدر بني العنبر ثم بني تميم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فأغار وأصاب منهم ناسا وسبي منهم نساء».
صحيح البخاري : 289/5.

وفي معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري: وروى الحربي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا إلى بني العنبر، فوجدوهم بركبة من ناحية الطائف. قال وفي رواية: بذات الشقوق[1] فوق النباج/ و لم يسمعوا لهم أذنا عند الصبح، فساقوهم إلى (129ب) رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر باقي الحديث خبرا فيه طول انتهى.

وذكره في الاستيعاب[2] : عن زنيب بن ثعلبة بن عمرو العنبري[3]. ثم قال : «قال : الزنيب، فركبت بكرة من إبلي، فسبقتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فقلت السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته أتانا جندك، فأخذونا، وقد كنا أسلمنا، وحضر ما آذان النعم». يعني قطعوا أطراف آذانها علامة على أنها للصدقة والله علم.

وذكر تمام الخبر. وفيه أنه شهد له شاهدا واحدا على إسلامهم، فأحلفه مع شاهده، وردا إليهم ذراريهم ونصف أموالهم.

وزنيب : بوزن زبير. يقال: بالباء الموحدة بعد الزاي. ويقال: بالنون بدل الموحدة.

وركبة المذكور في رواية الحربي: بضم الراء على لفظ ركبة الساق: منزل بين مكة والطائف، ومحاذ لذات عرق، متصل بعكاظ، والنباج: بكسر النون وتخفيف الموحدة، والجيم آخره: موضع بالبادية.

- بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من بني خزاعة يصدقهم :

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، وكانوا قد أسلموا، وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون

(1) ذات الشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقعة من الكوفة.
– معجم البلدان : 356/3.
(2) الاستيعاب لابن عبد البر : 131/2 وقال : حديث حسن.
(3) زنيب بن ثعلبة بن عمرو العنبري من بني العنبر، و لم يرو عنه غير ابنه عبد الله بن زنيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى باليمين مع الشاهد.
– الاستيعاب : 130/2 رقم الترجمة : 871.
– الأسد : 100/2 رقم الترجمة : 1729.

رجلا يتلقونه بالجزر[1] والغنم، فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل أن يصلوا إليه. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهمّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ ذلك القوم، فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه، فنزلت هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾[2] إلى آخر الآية.

وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم القرآن[3].

وقيل : إنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكر بعث إليهم خالد بن الوليد، وأمره أن يثبت فيهم، فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام، ولم ير فيهم إلا الطاعة والخير، ونزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ﴾ الآية.

قال أبو عمر بن عبد البر[4] «لا خلاف بين أهل العلم بتأويل فيما علمت أن قوله عز وجل: «إن جاءكم فاسق بنبإ» نزلت في الوليد بن عقبة[5] حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقا، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، وأبوا من أداء الصدقة» والله أعلم.

---

(1) في النسخة : ع : (الجزور) وكذلك في طبقات ابن سعد.

(2) جزء من الآية : 6 من السورة 49 الحجرات.

(3) أخرج هذه السرية بهذه الرواية ابن سعد في الطبقات : 162/2.

(4) الاستيعاب لابن عبد البر: 114/4.

(5) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو، أمه أروى بنت كريز، أسلم يوم الفتح، ولاه عثمان الكوفة، وكان شاعرا.

– الاستيعاب : 114/4 رقم الترجمة : 2750.

– الأسد : 650/4 رقم الترجمة : 5468.

- بعث عبد الله بن عوسجة العرني[1] من بجيلة[2] إلى بني حارثة بن عمرو بن قريط :

ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم بكتابه في مستهل صفر يدعوهم إلى الإسلام. فأبوا أن يجيبوا، واستخفوا بالصحيفة، فغسلوها، ورقعوا بها أسفل دلوهم، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل، فهم إلى اليوم أهل رعدة وعجلة، وسفه، وكلام مختلط[3].

- سرية قطبة بن عامر بن حديدة[4] إلى خثعم[5] بناحية تبالة[6] :

-بفتح التاء وتخفيف الموحدة من اليمن- كانت هذه السرية[4] في صفر، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم معه عشرين رجلا، وأمره أن يشن الغارة عليهم من كل جهة، فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى كثرت الجرحى في الفريقين جميعا، وقتل قطبة من قتل، وساقوا النعم والشاء، والنساء إلى المدينة، وجاء سيل لا يعرف/ (130أ)

---

(1) عبد الله بن عوسجة البجلي ثم العرني، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه على بني حارثة بن عمرو يدعوهم إلى الإسلام.
- الأسد : 253/3 رقم الترجمة : 3107.
- الإصابة : 115/4 رقم الترجمة : 6840.

(2) بجيلة : بطن عظيم ينتسب إلى أمهم بجيلة، وهم بنو أنمار بن أراش بن كهلان من القحطانية.
- معجم القبائل : 63/1.
- معجم ما استعجم : 58/1.

(3) أخرج هذا البعث بهذه الرواية وبلفظها ابن الأثير في أسد الغابة : 253/3.

(4) قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري يكنى أبا زيد، شهد العقبة الأولى والثانية والمشاهد كلها، توفي زمن عثمان رضي الله عنهما.
- الاستيعاب : 344/3 رقم الترجمة : 2140.
- الأسد : 100/4.

(5) خثعم : قبيلة من القحطانية، تنتسب إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث كانت منازلهم بجبال السراة وما والاها.
- معجم القبائل : 331/1.
- معجم ما استعجم : 63/1.

(6) تبالة : (بالفتح) موضع ببلاد اليمن.
معجم البلدان : 9/2.

(7) وفي شأن هذه السرية قال ابن سعد : زثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم بناحية بيشة قريبا من تربة في صفر سنة تسع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الطبقات : 162/2.

منشأه، فحال بينهم، وبينه، فما يجدون إليه سبيلا، وكانت سهامهم بعد أن أخرج الخمس أربعة أبعرة في السهم، والبعير، يعدل بعشرة من الغنم[1].

- سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرط[2] من بني كلاب :

بعثه صلى الله عليه وسلم إليهم في ربيع الأول فلقيهم بالزج بناحية ضرية[3] من نجد، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلهم، فهزمهم وغنمهم. والزج: بضم الزاي، وبالجيم المشددة، وقيل بالخاء المعجمة[4].

- سرية علقمة بن مجزز[5] المدلجي إلى الحبشة :

كانت هذه السرية في ربيع الآخر. وقال الحاكم : في صفر. وذكر ابن سعد[6] أن سببها : أنه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراهم أهل جدة : بلدة شهيرة بساحل مكة، حاضرة البحر بينها وبين مكة أربعة برد. فبعث إليهم علقمةبن مجزز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر.

فلما خاض إليهم البحر هربوا، فلما رجع، تعجل بعض القوم إلى أهليهم، فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة[7] السهمي فيهم، فأمره على من تعجل، وكانت فيه

---

(1) وأخرج هذه السرية بهذه الرواية : ابن سعد في الطبقات : 162/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 514/3.

(2) القرط : بطن من بني كلاب من العدنانية وهم بنو قرط بن عبيد بن أبي بكر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.
- معجم القبائل : 945/3.

(3) ضرية : قرية عامرة قديمة من طريق مكة.
- معجم البلدان : 457/3.

(4) أخرج هذه السرية : ابن سعد في الطبقات : 162/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 514/3. - وابن سيدى الناس في عيون الأثر : 265/2.

(5) علقمة بن مجززبن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج الكناني المدلجي، قتل بالحبشة.
- الأسد : 583/3 رقم الترجمة : 3774. - الإصابة : 267/4 رقم الترجمة : 5671.

(6) الطبقات : 163/2

(7) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سهم القرشي السهمي يكنى أبا حذافة شهد بدرا، وتوفي بمصر ودفن بها.
- الاستيعاب : 24/3 رقم الترجمة : 1526. - البداية والنهاية : 220/7.

دعابة، فنزلوا ببعض الطريق، وأوقدوا نارا يصطلون عليها. ويصطنعون. فقال : عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا : إنما كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال : «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه» هكذا عند ابن سعد[1] في سبب هذه السرية.

وعند ابن إسحاق[2] : في نقل أبي الربيع بن سالم الكلاعي[3] وغيره عنه : أنه لما قتل وقاص بن مجزز[4] يوم ذي قرد، سأل أخوه علقمة بن مجزز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ليدرك ثأره فيهم، فبعثه في نفر من المسلمين. قال : أبو سعيد الخدري : «وأنا فيهم حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أوقد نارا، ثم قال للقوم أليس عليكم السمع والطاعة»، ثم ذكر حيث أمره إياهم بدخول النار، ثم قوله : اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم. وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه»[5].

وهذا مخالف لما تقدم عن ابن سعد في سبب هذه السرية. وقال ابن حجر : إلا أن يجمع بأن يكون أمر بالأمرين فالله أعلم انتهى.

ثم قيل : إن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه و لم يلق كيدا. وتقدم قول ابن سعد[6] «إن الحبشة لما خاض إليهم البحر هربوا». وحديث أبي سعيد الخدري

---

(1) الطبقات لابن سعد : 163/2.
– ورواه بلفظه أيضا ابن القيم في زاد المعاد : 515/3.

(2) سيرة ابن هشام : 640/4.

(3) هو أبو الربيع بن سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري محدث الأندلس من أهل بلنسية من كتبه «الاكتفا سيرة المصطفى» توفي : 634 هـ.
– الأعلام : 199/3.

(4) وقاص بن مجزز المدلجي ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قتل في غزوة ذي قرد مع محرز بن نضلة قاله ابن هشام.
– الاستيعاب : 128/4 رقم الترجمة 2775. – الأسد : 649/4 رقم الترجمة : 5463.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية : 702/9.
– ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية الحديث : 1840.

(6) الطبقات : 163/2.

المذكور رواه أحمد[1] وابن ماجة، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم. وبوب البخاري لذلك فقال: «سرية عبد الله بن حذافة السهمي»، وعلقمة بن مجزز المدلجي، ويقال: إنها سرية الأنصار»[2].

ثم روى عن علي رضي الله عنه قال: «بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، واستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب. قال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني قالوا: بلى. قال: فأجمعوا حطبا، فجمعوا فقال: أوقدوا فأوقدوها فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فمازالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»[3].

وفسر الأنصاري في قوله: واستعمل رجلا من الأنصار بعبد الله بن حذافة السهمي المهاجري، وفيه بعد.

وقال ابن حجر في قوله: ويقال: «إنها سرية الأنصاري»[4] إشارة إلى احتمال تعدد الواقعة، وهو الظاهر لاختلاف سياقهما، واسم أميرهما، والسبب في أمره بدخولهم النار. قال: وإلى التعدد جنح ابن القيم[5]/. (131ب)

(1) رواه أحمد في المسند، الحديث: 3124.
(2) صحيح البخاري كتاب المغازي: 280/5.
(3) حديث علي أخرجه البخاري في كتاب المغازي من طريق مسدد باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي. 280/5 الحديث رقم 788.
– وأخرجه البخاري أيضا في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: 702/9 الحديث رقم: 1964.
– وأخرجه ابن حنبل في المسند: 82/1.
(4) صحيح البخاري كتاب المغازي: 280/5.
(5) ولفظ ابن القيم في ذلك قال: وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ النساء: 99.
قال نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي بن قيس بن عدي، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فإما أن يكون واقعتين، أو يكون حديث علي هو المذكور.
فابن القيم لم يجزم بتعدد الواقعتين في ذلك كما أشار إليه ابن حجر. وإنما أورد الخلاف.
– انظر: زاد المعاد: 516/3.

- سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلس -صنم طيء-[1] :

قال في السيرة : وكانت فلس لطيء ومن يليها بجبلي طيء بني سلمى وأجاء. -وهو بتثليث الفاء المروسة، وسكون اللام، وبضم الفاء واللام-.

بعثه صلى الله عليه وسلم ليهدمه في ربيع الآخر. وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا[2].

وعند ابن سعد[3] : مائتي رجل ومعه راية سوداء، ولواء أبيض، فأصابوا عبد الطيء : اسمه أسلم. وقيل : إنه كان لرجل من نبهان[4] منهم، فعرض عليه الإسلام، فأبى ثم دله على عوراتهم، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلس وحرقوه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وسبوا آل عدي بن حاتم، ثم عرض عليٌّ الإسلام على العبد بعد ذلك فأسلم وأطلقه، وكان في السبي سفانة بنت حاتم أخت عدي بن حاتم. وهرب عدي إلى الشام، فاستأمنت النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقها. فأسلمت وسارت إلى الشام إلى أخيها، فأشارت عليه بالقدوم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم وأسلم، فكان ذلك سبب إسلامه[5].

وعند ابن سعد[6] : أن المبعوث في السرية المذكورة الذي سبا سفانة إنما هو خالد

---

(1) طيء : قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية تنتسب إلى طيء بن أحدد بن زيد... كانت منازلهم باليمن.
- معجم القبائل : 688/2.

(2) رواه ابن القيم في زاد المعاد : 517/3.

(3) ما وقعت عليه عند ابن سعد خلاف ذلك حيث قال : «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فارسا».
- انظر الطبقات : 164/2.

(4) نبهان : بطن من طيء من كهلان من القحطانية، وهم بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد.
- معجم القبائل : 1170/3.

(5) أخرج هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد: 517/3.
- وابن سيد الناس في عيون الأثر : 266/2.

(6) ما وقفت عليه عند ابن إسحاق خلاف ذلك، و لم يوجد ذكر لخالد بن الوليد في السرية المذكورة قال ابن سعد : «سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس صنم طيء ليهدمه في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم» ثم ذكر أحداث السرية.
- انظر الطبقات : 164/2.

ابن الوليد. ووجد في خزانة الفلس ثلاثة أسياف رسوب[1] والمخذم[2] وسيف يقال له اليماني، وثلاث أدراع. فعزل النبي صلى الله عليه وسلم صفيا رسوبا والمخذم. ثم صار له السيف الآخر بعد.

و لم يذكر ابن هشام أنه وجد إلا الرسوب والمخذم قال : قال فوهبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي، فهما سيفا علي.

وقسم السبي وعزل الخمس، و لم يقسم آل حاتم بل عزلهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

- سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب[3] بالحجاز :

وهو بكسر الجيم، ونون مخففة، وهي أرض لفزارة[4] وقضاعة، وكانت هذه السرية[5] في ربيع الآخر.

وكان إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى[6] وامتداحه النبي صلى الله عليه وسلم

(1) سيف رسب ورسوب : ماض، يغيب في الضريبة.
– اللسان : 1640/3 مادة رسب.

(2) المخذم : السيف القاطع، وخذم، وخذوم.
– اللسان : 119/2 مادة

(3) الجناب : بكسر الجيم : موضع بعراض خبر وسلاح ووادي القرى. وقال نصر الجناب: من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد.
– معجم البلدان : 164/2.

(4) فزارة بطن عظيم من غطفان من العدنانية وهم بنو فزارة بن ذبيان، وهم خمسة أفخاذ : عدي، سعدن شمخ، مازن، ظالم. منازلهم بنجد ووادي القرى.
– معجم القبائل : 918/3. – نهاية الأرب : 342/2.

(5) قال ابن سعد : سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب، أرض عذرة وبلي في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– الطبقات: 164/2.
– وأخرج هذه السرية أيضا ابن سيد الناس في عيون الأثر : 267/2.

(6) كعب بن زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني وكانت محلتهم في بلاد غطفان وهو شاعر.
– الاستيعاب : 373/3 رقم الترجمة: 2218 .
– الأسد : 165/4.

=

بقصيدته المشهورة: «بانت سعاد»، فيما بين منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وغزوة تبوك[1].

- غـزوة تبـوك :

وهو مكان معروف بين وادي القرى والشام على أربع عشرة مرحلة من المدينة نصف طريق المدينة إلى دمشق[2]، وهي غزوة العسكر سميت بذلك لما كانوا فيه من قلة الماء والطهر والنفقة، وتعرف «بالفاضحة» لافتضاح المنافقين فيها.

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم إليها يوم الخميس، وكان يجب أن يخرج يوم الخميس، ولقلما كان يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس. وكان ذلك في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم.

وسببها : أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة : أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، وجمعوا من عندهم من منتصرة العرب من لخم وجذام، وغيرهم. وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء. وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة[3].

وروى الطبراني : من حديث عمران بن حصين : «أن نصارى العرب كتبت إلى هرقل أن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوءة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فبعث رجلا من عظمائهم، وجهز معه أربعين ألفا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فنذب الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذي يريد».

وكان صلى الله عليه وسلم قل ما يريد غزوة إلا ورى[4] بغيرها، حتى كانت تلك

=-وقصة إسلامه وامتداحه للنبي صلى الله عليه وسل رواه ابن هشام في السيرة : 501/4.
- وابن القيم في زاد المعاد : 520/3. - وابن سيد الناس في عيون الأثر : 267/2.
- وابن عقبة في المغازي : ض : 293.

(1) وهو ما رواه ابن القيم في زاد المعاد : 520/3.

(2) انظر معجم البلدان : 14/2. - والفتح لابن حجر : 110/8.

(3) وأخرج هذه الرواية (في ذكر سببها) ابن سعد في الطبقات : 166/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 527/3.

(4) ورى عن فلان : نصره ودفع عنه.
- اللسان : 4821/6 مادة : ورى.

في شقة / بعدية وحر شديد، وجدب كثير مع كثرة العدو، وتوفر عدته، وحدة شوكته، (132أ) فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا أهبة ذلك، وكان الناس لا قوة لهم، فحض أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله، فحمل رجلان من أهل الغنى، واحتسبوا.

وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها، وحمل على ألف بعير وسبعين فرسا، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما ضر عثمان ما عمل بعدها أو بعد هذا اليوم»[1].

وفي رواية: أنه جعل يقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها»[2].

وفي أخرى: «اللهم لا تنس لعثمان هذا اليوم، ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم»[3].

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم. وكان صلى الله عليه وسلم لما خرج يوم الخميس ضرب معسكره على ثنية الوداع، وكان يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس.

واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كما استخلفه على عياله وأهل بيته. وقال: له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

(1) الحديث أخرجه الترمذي في سننه من حديث عبد الرحمان بن سمرة باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه: 392/5 . الحديث رقم: 3721.
- وعن ابن هشام: قال: حدثني من أثق به: أن عثمان عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ارض عن عثمان وإني عنه راض».
- سيرة ابن هشام: 518/4.
(2) أخرج هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد: 559/3.
(3) أخرجها ابن كثير في السيرة: 7/4.

بعدي»[1]. وهو في الصحيحين. ورجحه ابن عبد البر[2] وقال : محمد بن مسلمة ورجحه الدمياطي، وتلميذه اليعمري[3].

وقيل : سباع بن عرفطة ذكره ابن هشام[4] ويكون ما في الصحيحين من استخلافه صلى الله عليه وسلم لعلي في هذه الغزوة على هذين القولين خاصا بأهل بيته.

وعند الحاكم في الإكليل : من رواية عطاء بن أبي رباح مرسلا : «يا علي اخلفني في أهلي، واضرب وخذ واعط». ثم دعا نساءه فقال : «اسمعن لعلي وأطعن».

وعند ابن إسحاق[5] : «أنه خلفه على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون أنه ما خلفه إلا استثقالا له، وتخففا منه، فأخذ سلاحه، وخرج حتى أتاه وهو نازل بالجرف، فذكر ما قالوا : فقال : «كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون

(1) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه في كتاب المغازي باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة : 309/5. الحديث رقم : 858.
– وأخرجه أيضا مسلم في الصحيح في فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحديث: 2404 .1423/4.
– وابن شهاب في المغازي النبوية : ص : 111.

(2) الاستيعاب لابن عبد البر : 201/3.

(3) عيون الأثر لليعمري : 277/2.

(4) ما ذكره ابن هشام في السيرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فهيم. وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ما ورد في الصحيحين.
– انظر سيرة ابن هشام : 519/4.
– ولكن ما رواه ابن جرير الطبري في كتابه التاريخ : 143/3 يخالف ما جاء في سيرة ابن هشام.
وجاء فيه : «قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة أخا بني غفار».
– ولعل المقصود باستخلاف علي على أهل بيته، وسباع بن عرفطة على المدينة.
– وقال ابن سعد : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مسلمة ممن قال استخلف غيره.
– الطبقات : 165/2.

(5) سيرة ابن هشام : 519/4.

من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، ثم مضى صلى الله عليه وسلم، و لم يتخلف عنه أحد من أصحابه إلا المنافقين. ومن عذر الله من الضعفاء إلا نفرا من غير شك منهم ولا ارتياب، هم كعب بن مالك السلمي[1] ومرارة بن الربيع العمري[2] وهلال بن أمية الواقفي[3] وفيهم نزل : «وعلى الثلاثة الذين خلفوا»[4]. وأبو ذر الغفاري، وأبو خيثمة السالمي. ثم لحقاه بعد ذلك[5].

وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفا[6]، وقيل : أربعون ألفا، وقيل سبعون ألفا. وكانت الخيل عشرة آلاف فرس.

وأمر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الأنصار، والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية. ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته، ثم قال : «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم»[7] وقال : «لا تشربوا من مائها شيئا، ولا

(1) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله شهد العقبة، شهد أحدا، غلب عليه في الجاهلية الشعر.
- الاستيعاب : 381/3 رقم الترجمة : 2231. - الأسد : 177/4 رقم الترجمة 4478.

(2) مرارة بن الربيع ويقال ابن ربيعة العمري الأنصاري من بني عمرو بن عوف شهد بدرا وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم.
- الاستيعاب : 439/3 رقم الترجمة : 2390.
- الأسد : 341/4 رقم الترجمة : 4814.

(3) هلال بن أمية الأنصاري الواقفي من بني واقف شهد بدرا وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، فنزل فيهم القرآن.
- الاستيعاب : 103/4 رقم الترجمة : 2118. - الأسد : 608/4.

(4) جزء من الآية : 118 من السورة 9 التوبة.

(5) وقصة الذين تخلفوا رواها ابن سعد في الطبقات : 166/2.
- وابن القيم في زاد المعاد : 529.
- وقصة أبي خيثمة في تخلفه رواها ابن عقبة في المغازي ص : 259.
- وابن القيم في زاد المعاد : 530/3. - وابن جرير الطبري في كتابه التاريخ : 144/3.

(6) ثلاثون ألفا رواها ابن القيم في زاد المعاد : 529/3 قال : «والخيل عشرة آلاف فرس» وهو قول ابن سعد في الطبقات: 166/2.

(7) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا كذب أصحاب الحجر﴾ 6084. الحديث رقم : 1537.

تتوضأوا منها للصلاة وما كان من عجين عجنتموه، فأعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا»[1].

وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. وقال: «لا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له». ففعل الناس إلا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له.

فأما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه. وأما الذي خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء، وهما سلمى وأجأ. فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ألم أنهكم»، ثم دعا للذي خنق فشفي، وأما الآخر فأهدته طيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة[2].

وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال بتبوك «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله. فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء»[3]/. (133ب)

قال ابن إسحاق[4]: «ولما أصبح الناس ولا ماء لهم، شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا لهم، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء».

ولما قرب صلى الله عليه وسلم من تبوك قال لهم: «إنكم ستأتون إذا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي». قال معاذ: «فجئناها وقد سبق إليها رجال. والعين مثل الشراك[5]

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء: باب قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾: 608/4 الحديث رقم: 1535.
– وأخرجه بن جرير الطبري في التاريخ: 144/3.
– وابن القيم في زاد المعاد: 531/3.

(2) وأخرج هذه الرواية ابن كثير عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق.
– سيرة ابن كثير: 21/4. – وابن القيم في زاد المعاد: 531/3.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم: 1425/4 الحديث رقم: 1425.

(4) سيرة ابن هشام: 522/4

(5) الشراك: سير النعل، والجمع شرك.
– اللسان: 2250/4 مادة شرك.

تبض[1] بشيء من ماء. فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هل مسستم من مائها شيئا» قالوا نعم : وقال لهم ما شاء الله أن يقول : ثم غرفوا من الماء قليلا حتى اجتمع في شنن ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال صلى الله عليه وسلم : «يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ماء هاهنا قد ملأ جنانا وعمرانا»[2] كذا في موطإ مالك وصحيح مسلم عن معاذ.

وعند ابن إسحاق : «أن هذا ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في الطريق بعد انصرافه عن تبوك بواد يقال له وادي المشقق»[3].

وذكر بعضهم عن ابن إسحاق وبعضهم عن الواقدي : «أن الذي سبقوه إلى الماء نفر من المنافقين»[4].

وقال ابن إسحاق : «فانخرق من الماء ما له حسا كحس الصواعق»[5] ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه صاحب أيلة[6] وهو يحنة بن رؤبة، ويقال ابن العلماء، ولعلها أمه فصالحه وأعطاه الجزية[7].

---

(1) بض الشيء : وفي حديث تبوك : والعين تبض بشيء من ماء، وبضت العين تبض : دمعت.
– اللسان : 295/1 مادة بضض.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم : 1423/4.
– وأخرجه مالك في الموطأ: 143/1.

(3) سيرة ابن هشام : 527/4.

(4) سيرة ابن هشام : 527/4.

(5) سيرة ابن هشام : 527/4.

(6) أيلة : بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام.
– معجم البلدان : 292/1.

(7 أخرج هذا الخبر ابن هشام في السيرة : 525/4.
– وابن القيم في زاد المعاد : 537/3.
– ويرى ابن هشام أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب ليحنة بن رؤبة كتابا أعطاه فيه ذمة الله وذمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم.

وأتاه صلى الله عليه وسلم أهل جربا[1] وأذرح قريتان بالشام فأعطوه الجزية. وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا فهو عندهم.

وفي القاموس : أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح ملك أيلة المذكور على أهل البلدين المذكورين. ووجد هرقل بحمص. فأرسل صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني[2] ملك دومة الجندل في أربعمائة وعشرين فارسا سرية، وذلك في رجب. وقال له إنك ستجده ليلا يصيد البقر، فسار خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، هو في ليلة مقمرة صافية، وهو على سطح له، ومعه امرأته فأتت البقر تحك باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط. قال : لا والله قالت : فمن يترك هذه قال لا أحد، فنزل فركب فرسه، معه أخ له يقال له حسان، ونفر من أهل بيته، فلما خرجوا تلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر، وقتل أخوه حسان، وهرب من كان معهما، فدخلوا الحصن.

ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ثلاثمائة رقيق، وألفي بعير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، فصالحه على الجزية، وبلغت جزيتهم في العام ثلاثمائة دينار. وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة[3].

وكتب صلى الله عليه وسلم له كتابا بالأمان، وختمه وخلى سبيله فرجع إلى قريته. وقيل : أنه بقي على نصرانيته، وقيل : إنه أسلم وأهدى النبي صلى الله عليه

(1) جربا : موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز وهي قرية أذرح .
– معجم القبائل : 180/1.

(2) اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وذكر ابن منده وأبو نعيم أنه أسلم.
– الأسد : 158/1.
– الإصابة : 129/1.

(3) أخرج هذه الرواية ابن عقبة في المغازي : ص : 267.
– وابن هشام في السيرة : 526/4.
– وابن القيم في زاد المعاد: 538/3.
– وابن كثير في السيرة : 30/4.

وسلم حلة سيراء[1] فوهبها لعمر. وعده ابن مندة وأبو نعيم وابن فتحون في الصحابة[2].

ونقله عنهم الحافظ الرعيني في جامع الصحابة. ثم ذكر إسلامه من حديث حذيفة.

وقال ابن الأثير: «أن الهدية صحيحة. وأما إسلامه فغلط باتفاق أهل السير.

وقيل: إنه أسلم، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد فحاصره خالد ابن الوليد، ففر منه، فطلبه خالد فظفر به فضرب عنقه فمات نصرانيا. وعلى هذا لا يعد في الصحابة أيضا»[3].

وكتب[4] صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة، و لم يجب، وقد اختلف في إيمانه والأرجح بقاؤه على الكفر. في مسند أحمد أنه كتب من تبوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم/ أني مسلم. (134أ)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل هو على نصرانيته» وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا إليه غير الذي كتب إليه في زمن الهدنة سنة سبع، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة[5]. وقيل عشرين ليلة يصلي ركعتين، و لم يلق كيدا.

وفي هذه الغزوة قال صلى الله عليه وسلم: «إذا وقع الطاعون بأرض فلا تقدموا عليه»[6] الحديث.

---

(1) سيراء: برود يخالطها حرير.
– اللسان: 2170/3 مادة سير.
(2) رواه عنهم ابن الأثير في الأسد: 158/1.
(3) أسد الغابة: 158/1.
(4) وأخرج خبر هذا الكتاب مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: 1118/3 الحديث: 1773 والخبر رواه ابن عباس، وحكى فيه: ما أخبر به أبا سفيان مما جرى بينه وبين هرقل من حديث حول الرسول صلى الله عليه وسلم. وليس في الخبر ما يدل على إسلام هرقل.
(5) قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يتجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة.
– سيرة ابن هشام: 527/4.
(6) رواه الإمام أحمد في المسند: 178/1.

قالوا : يشبه أن الشام لم تزل معروفة بكثرة الطاعون، فلما قدم تبوك غازيا للشام لعله بلغه أن الطاعون في جهة مقصده، فكان ذلك سبب رجوعه. وبنى في طريقه مساجد نحو عشرين. وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان، وبينه وبين المدينة ساعة، جاءه خبر مسجد الضرار من السماء. ونزل قوله تعالى : ﴿الذين اتخذوا مسجدا ضرارا﴾[1]

وكان اتخذه عشرة من المنافقين، وقيل اثنا عشر بأمر أبي عامر الراهب مضارة لمسجد قباء، وتفريقا بينهم بصلاة بعضهم في مسجدهم[2]. وليكون معقلا لأبي عامر لمن يأتي من عنده. وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي صلى الله عليه وسلم. فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليه جماعة منهم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني[3] وأخوه عاصم بن عدي[4] وعامر بن قيس[5] وسويد بن عياش الأنصاري[6] فهدموه وحرقوه، وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف.

وكانت مساجد المدينة تسعة[7] سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو عاشرهم كلهم يصلون بأذان بلال.

---

(1) جزء من الآية : 107 من السورة : 9 التوبة.

(2) وخبر مسجد الضرار رواه ابن القيم في زاد المعاد: 549/3 مع إيراد الأحكام الفقهية في ذلك.

(3) معن بن عدي بن الجد بن عجلان بن ضبيعة البلوي حليف لبني عمرو الأنصاري شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد، قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر.
- الاستيعاب : 3/4 رقم الترجمة : 2500.
- الأسد : 445/4 رقم الترجمة : 5046.

(4) عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة العجلاني البلوي يكنى أبا عبد الله. شهد بدرا وأحدا والخندق.
- الاستيعاب : 332/2 رقم الترجمة : 1317.
- الوافي بالوفيات : 569/16.

(5) عامر بن قيس الأشعري أبو بردة أخو أبي موسى الأشعري من حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم اجعل فناء أمتي في سبيلك بالطعن والطاعون».
- الاستيعاب : 345/2 رقم الترجمة : 1347.

(6) سويد بن عياش الأنصاري أحد من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدم مسجد الضرار.
- الأسد : 359/2 رقم الترجمة : 2355.
- الإصابة : 152/3 رقم الترجمة : 3599.

(7) وذكر ابن هشام أكثر من تسعة مساجد قال : وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مدران، ومسجد بذات الزراب، ومسجد بالأخضر، ... إلى أن ذكر سبعة عشر مسجدا.
- انظر سيرة ابن هشام : 530/4.

ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه إلى ثنية الوداع، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وأنكر الداودي ثنية الوداع في غزوة تبوك. وقال : إنما هي من جهة مكة لا من جهة تبوك، بل هي مقابلها كالمشرق من المغرب. قال : إلا أن تكون هناك ثنية أخرى في تلك الجهة.

وأنكر ولي الدين بن العراقي تبعا لوالده زين الدين، ذكرها في حديث الهجرة مستدلا بما في صحيح البخاري[1]، وسنن أبي داود والترمذي : من أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال : وهذا صريح في أنها من جهة الشام. قال وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة، وهو راوي إنشاد الأنصار، والشعر المذكور عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا. وسبقه إلى إنكار ذكرها في حديث الهجرة ابن القيم[2] في الهدي النبوي، ثم انفصل ولي الدين عن ذلك بأنه يحتمل أن تكون الثنية التي من كل جانب يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع.

وقال السيد السمهودي[3] : «ثنية الوداع شامي المدينة خلف سوقها القديمة بين مسجد الراية الذي على ذباب[4] ومشهد النفس الزكية قرب سلع.»

(1) ويروي البخاري في صحيحه قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن الزهري عن السائب : «اذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك».
– أخرجه في كتاب المغازي باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر : 317/6 الحديث : 868.

(2) وأنكرها ابن القيم أيضا في زاد المعاد : 551/3 قال : وبعض الرواة يهم في هذا ويقول : «إنما كان عند مقدمه إلى المدينة من مكة، وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام...».

(3) وفاء الوفاء للسمهودي : 316/1.

(4) ذباب : جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار.
– معجم البلدان : 3/3.

وقال صلى الله عليه وسلم : لما دنا من المدينة : «إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر»[1].

ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال : «هذه طابة» «وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»[2] ثم دخل صلى الله عليه وسلم المدينة في رمضان فيما نقل عن ابن إسحاق. والواقدي، وقيل غير ذلك.

ولما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه من تخلف عنه من المنافقين يعتذرون ويحلفون، وجاءه كعب بن مالك وصاحباه مرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فأرجأ أمرهم وهجرهم، وأمر بهجرهم، فهجروا خمسين يوما[3].

ولما مرت أربعون يوما منها أرسل إليهم يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فلما مرت خمسون يوما، وكانوا على الحال التي قال الله : ﴿ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾[4] نزلت توبة الله عليهم في قوله تعالى : ﴿لقد تاب الله على النبيء/ والمهاجرين والأنصار﴾[5] إلى آخر (135ب) القصة. وهو قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[6].

وفي هذه الغزوة قدم الناس عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه ليصلي بهم صلاة الصبح، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأدرك معهم الركعة الثانية، ثم أتم صلاته رواه مسلم وأبو داود عن المغيرة بن شعبة[7] وهو راوي حديث «ما مات نبي حتى يؤمه رجل من أمته». فيحتمل أنه عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر : 315/5. الحديث 864. وهو من حديث أنس بن مالك.

(2) أخرجه البخاري أيضا في الكتاب نفسه باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر : 315/5 الحديث 368 وهو من حديث سهل بن سعد عن أبي حميد.
– ورواه ابن القيم في زاد المعاد : 551/3.

(3) وأخرج حديثهم البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة في حديث : كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ : 310/5 الحديث : 859. وهو حديث طويل يروي خبرهم.

(4) جزء من الآية : 119 من السورة : 9 : التوبة.

(5) جزء من الآية : 117 من السورة : 9 : التوبة.

(6) الآية 201 من السورة : 9 : التوبة.

(7) الخبر أخرجه ابن كثير في السيرة : 40/4.

لصلاته هذه. وأبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا صلى وراءه في مرض موته[1] حسبما يأتي في محله والله أعلم.

ولما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك، وجد عويمر العجلاني[2] امرأته حبلى، فرماها بشريك بن سمحاء، فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما في مسجده بعد صلاة العصر، وذلك في شعبان فيما قاله ابن جرير الطبري.

- حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس :

وذلك في ذي الحجة على قول الجمهور وهو المعتمد وقيل في ذي القعدة ورد. و لم يختلف أنه سنة تسع[3] وكان معه ثلاثمائة رجل من المدينة. وساق خمس بدنات. وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده، وعهد إلى أبي بكر أن يخالف المشركين، فيقف بعرفة، وكانوا يقفون بجمع، ولا يدفع من عرفة حتى تغيب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس ذكره الحاكم.

وأمره أن يؤذن في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[4] ثم أردفه النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره أن يؤذن ببراءة، فلحق به بالعرج وقيل : بضجنان.

وأفرد أبو بكر الحج على عادة العرب. وعن أبي هريرة قال : «أمرني علي أن أطوف في المنازل من منى ببراءة، فكنت أصيح حتى صحل حلقي، فقيل له : بم

---

(1) وحديث صلاته صلى الله عليه وسلم في مرض موته خلف أبي بكر الصديق أخرجه مسلم في الصحيح : الصلاة باب : استخلاف الإمام إذا عرض له عذر. 161/1 الحديث 418.

(2) عويمر بن أبيض العجلاني الأنصاري صاحب اللعان، وهو الذي رمى زوجته بشريك بن سمحاء.
– الاستيعاب : 298/3 رقم الترجمة : 2027.
– الأسد : 17/4 رقم الترجمة : 4133.

(3) قال البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. باب «حج أبي بكر في سنة تسع» : 288/5.

(4) وهو ما رواه البخاري عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمان عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمّره عليها النبي صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس «يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان».
– أخرجه في الصحيح كتاب المغازي : باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع : 289/5 الحديث رقم 808.

كنت تنادي فقال : بأربع : أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن. وأن لا يحج بعد العام مشرك. وأن لا يطوف بالبيت عريان. ومن كان له عهد فعهده إلى مدته»[1].

وفي لفظ : «فله أجل أربعة أشهر، ثم لا عهد له». وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا. فالخاص بينه صلى الله عليه وسلم. وبين قبائل من العرب إلى آجال مسماة. ولذلك قال : ﴿إلا الذين عاهدتهم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا﴾[2] الآية.

والعام : أن لا يصد أحدا عن البيت جاءه ولا يخاف أحدا في الأشهر الحرم، فانتقض ذلك بسورة براءة. إلا أنه أجل الناس عموما أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاءوا، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة. فمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته. ومن لم يكن بينه وبينه عهد خاص ومدته مضروبة فله أربعة أشهر[3] وقيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد المشركين إلى آجال محدودة. فمنهم من وفى فأمره الله أن يتم له عهده. ومنهم من نقض أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد. وقيل هم صنفان : صنف كان له عهد دون أربعة أشهر فأمهل عَمام[4] أربعة أشهر. وصنف كانت مدة عهده بغير أجل فتضرب على أربعة أشهر.

وعن ابن عباس أن أربعة الأشهر أجل من كان له عهد مؤقت بقدرها أو يزيد عليها. وأن من ليس له عهد فانقضاؤه إلى منسلخ المحرم لقوله تعالى : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾[5].

---

(1) حديث أبو هريرة أخرجه البخاري في كتاب الحج باب : لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك : 671/2 الحديث : 1514.
– أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الحج باب : لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عيان : 801/2. الحديث رقم 1347.
– وأخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب يوم الحج الأكبر : 146/2 الحديث : 1946.
– وأخرجه النسائي : في كتاب المناسك باب قوله عز وجل : ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ : 241/5 الحديث : 2955.

(2) الآية : 4 من السورة : 9 التوبة.

(3) أخرج هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد : 594/3.

(4) في ع : (تمام) وهو بمعنى واحد «فعمام» معناها : تمام.
– انظر اللسان : 3112/4 مادة عمم.

(5) جزء من الآية 5 من السورة : 9 : التوبة.

وعن الضحاك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم. فنزلت براءة، فنبذ إلى كل أحد عهده، وأجلهم أربعة أشهر، ومن لا عهد له، فأجله انقضاء الأشهر الحرم، وهو بمعنى الذي قبله. والذين لهم العهد الخاص أو الذين لم ينقضوا/ العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿إلا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام﴾[1] وقوله : ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا﴾[2] الآية. قيل : هم قريش. وقيل : قبائل بني بكر، أو بعضهم، وأربعة الأشهر المذكورة. قيل : هي شوال وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأنها حينئذ نزلت سورة براءة يعني في شوال، وقيل : هي من عيد الأضحى إلى عشر من ربيع الآخر لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ لما قرأها عليهم علي رضي الله عنه يوم عرفة، أو يوم النحر على الخلاف في ذلك[3]. (136أ)

وكان المشركون إذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي سترون بعد الأربعة الأشهر، فإنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك إلا الطعن والضرب، ثم إن الناس في تلك المدة رغبوا في الإسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها.

وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام (المقبل)[4] وحج المسلمون. وقد عاد الدين كله واحدا لله رب العالمين.

وفي الصحيحين[5] عن أبي هريرة : «أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول

---

(1) جزء من الآية : 7 من السورة 9 التوبة.

(2) جزء من الآية : 4 من السورة : 9 التوبة.

(3) والخلاف في ذلك رواه ابن كثير في التفسير : 336/2.

– وعند البخاري في الصحيح عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

– وأخرجه في كتاب التفسير باب قوله : «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا» 406/5 للحديث : 1086.

(4) في ح : (القابل).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الحج : باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وبيان الحج الأكبر : 801/2 الحديث : 1347. بألفاظ متقاربة.

– وأخرجه البخاري بروايات متعددة عن أبي هريرة من طرق ثلاثة في كتاب التفسير باب سورة براءة. الأحاديث : 1080 و1801 و2801 : 404/5.

الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط من الناس يوم النحر يؤذن أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

قال : فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام يعني طرح لهم عهدهم، وأعلمهم بانقضائه، فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك، فأنزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾[1].

وفي هذه السنة : آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا، وجحش[2] شقه، وجلس في مشربة له، فأتاه أصحابه يعودونه، فصلى بهم جالسا وهم قيام، فلما سلم قال : «إنما جعل الإمام ليؤتم به»[3] الحديث.

ونزل لتسع وعشرين «فقالوا : يا رسول الله : إنك آليت شهرا»[4] الحديث.

وفيها لما فتحت مكة، وجزيرة العرب قال : قوم من المسلمين : «ابهوا الخيل أي عطلوها من الغزو».

وفي رواية : «ابهوا الخيل والسلاح فقد وضعت الحرب أوزارها»، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : «لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقاياكم الدجال» الحديث.

---

(1) الآية : 28 من السورة : 9 التوبة.

(2) جحش عن القوم : تنحى عنهم. والجحيش : الفريد الذي لا يزحمه في داره مزاحم. والجحيش : الشق والناحية.
– اللسان : 550/1 مادة جحش.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان. باب : إنما جعل الإمام ليؤتم به. 334/1 الحديث : 649.
– وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ك ما جاء إذا صلى الإمام قاعدا فصلوا قعودا : 376/1. الحديث · 361 وتمام الحديث :
«إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعون».

(4) الحديث أخرجه النسائي في سننه كتاب الطلاق باب الايلاء : 167/6 الحديث : 3453 وهو حديث أنس.

وفي رواية النسائي[1] : فقال «كذبوا إلى أن جاء القتال. وأنه لا تزال أمة من أمتي يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم يزيغ الله بهم قلوب أقوام ليرزقهم منهم يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا يزال الخير معقودا في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج ياجوج وماجوج».

وفي رجب من هذه السنة على مذهب الأكثر مات أصحمة النجاشي[2] رضي الله عنه، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه، وقيل : مات قبل فتح مكة سنة ثمان.

وفيها : أعني التاسعة أخذ الجزية من مجوس هجر، ونصارى نجران وأهل أيلة، وجربا وأذرح، ودومة الجندل والبحرين، وقيل : إن الجزية شرعت في السنة قبلها. وفيها مات عدو الله رأس المنافقين ابن أبي بن سلول بعد أن مرض عشرين يوما. وذلك بعد قدومهم من تبوك.

وفيها قدمت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تسمى سنة الوفود[3].

« السنة العاشرة »

- بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري إلى اليمن :

وذلك قبل حجة الوداع[4] وبعث صلى الله عليه وسلم كل واحد منهما على

---

(1) أخرج هذا الحديث النسائي في سننه كتاب الخيل، باب (1) : 215/6 الحديث : 3560 وهو من حديث سلمة بن نفيل الكندي.

(2) أصحمة بن أبحر النجاشي، واسمه بالعربية عطية، ملك الحبشة، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم.
- الأسد : 139/1 رقم الترجمة : 188.
- الإصابة : 112/1 رقم الترجمة : 470.
- ويروي ابن كثير عن الواقدي قال : وفي رجب منها -أي من السنة التاسعة- مات النجاشي صاحب الحبشة ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(3) ووقوع هذه الأحداث في السنة التاسعة رواه ابن كثير في السيرة : 74/4.

(4) قال البخاري في باب سماه : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع: 279/5. كتاب المغازي.

مخلاف أي كورة وإقليم. قالوا : «واليمن مخلافان»[1] وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن. وكان من عمله الجَنَد[2] بوزن بلد، وله بها مسجد/ مشهور، وكانت (137ب) جهة أبي موسى السفلى، وكان كل قريب من صاحبه. ولما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم أوصاهما، فقال لهما : «[3] يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»[4].

وقال لمعاذ : «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم طاعوك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[5].

واختلف هل بعث صلى الله عليه وسلم معاذا واليا وقاضيا. وبعثه يعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام، جعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن[6].

وكان بعثه في ربيع الآخر من هذه السنة. وقيل : في آخر سنة تسع بعد تبوك. وقيل سنة ثمان و لم يزل باليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر رضي الله عنهما.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع : 281/5 الحديث: 789.

(2) الجند : موضع باليمن وهو أجود كورها.
– اللسان : 698/1 مادة جند.

(3) الحديث أخرجه البخاري في حديث طويل في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن : 281/5 الحديث 789 و791.
– وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير: 1093/3 الحديث : 1733.
– وأخرجه النسائي كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة : 4/5 الحديث 2431.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن : 283/5 الحديث 793 وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
أخرجه ابن كثير في السير : 192/4.

(5) أخرج ابن كثير في السيرة : 4/(191–200) كثير من الروايات بعضها يشير إلى كون معاذ بعث واليا وبعضها يشير إلى كونه قاضيا، وأخرى قارئا، وأخرى واليا على الصدقات.

- بعث خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب من مذحج بنجران[1] :

وبعثه صلى الله عليه وسلم إليهم قبل حجة الوداع في ربيع الأول، وقيل : الآخر وقيل : في جمادى الأولى.

وقال ابن إسحاق[2] : «بعثه في شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى إلى بني الحارث بن كعب من مذحج بنجران» ونجران : بلد كبير على تسع مراحل من مكة بين الحجاز والشام واليمن. وسادة بني الحارث بن كعب المبعوث إليهم، بنو عبد المدان[3] بن الريان. ومنهم العاقب[4] والسيد وغيرهما، ممن قدم معهما على النبي صلى الله عليه وسلم. فدعاهم للمباهلة[5] فاستعفوه منها.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالدا ألا يقاتلهم حتى يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات، فإن استجابوا قبل منهم، وإلا قاتلهم، فأتاهم ودعاهم إلى الإسلام، فأسلموا فأقام فيهم يعلمهم الإسلام. وكتب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه يأمره أن يقدم بوفدهم معه، فأقبل وأقبلوا معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وقيل أربعة وعشرين، فأقاموا عنده ثم رجعوا إلى قومهم في بقية من شوال في صدر ذي القعدة[6].

---

(1) وفيها قال ابن سعد : سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المدان بنجران في شهر ربيع الأول سنة عشر من مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم .
- الطبقات : 169/2.
- وأخرج هذه السرية ابن جرير في التاريخ : 156/3.

(2) سيرة ابن هشام : 592/4.

(3) عبد المدان بن الريان : بطن من بني الحارث بن كعب كانت لهم كعبة نجران يقال : أنهم بنوا هذه الكعبة مضاهاة للكعبة المشرفة، وأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر خالد بن الوليد فأسلموا.
- معجم القبائل : 734/2.

(4) العاقب: الذي دون السيد، وقيل الذي يخلفه.
- اللسان : 3024/1 مادة : عقب.

(5) المباهلة: الملاعنة. والمباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا.
- اللسان : 375/1 مادة : بهل.

(6) أخرج هذه الرواية ابن هشام في السيرة : 592/4.
وأخرج أيضا ابن هشام كتاب خالد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب النبي صلى الله عليه=

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن البراء بن عازب «أنهم أقاموا ستة أشهر يدعونهم إلى الإسلام فلم يجيبوا»[1] الحديث.

– بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أهل نجران واليمن أيضا :

قال ابن سعد[2] : ويقال : إنه غزاهم مرتين [إحداهما أنه غزاهم مرتين][3] إحداهما في شهر رمضان سنة عشر. وعقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء أبيض، وعممه بيده. وقال : «امض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك»، فخرج في ثلاثمائة فارس. وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد وهي بلاد مذجح، ففرق أصحابه، فأتوا بنهب غنائمهم من نساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك. وذلك قبل أن يلقاهم، ثم لما ألقى جمعهم دعاهم إلى الإسلام، فأبوا وأرموا بالنبل والحجارة، فلما رآهم لا يريدون إلا القتال صف أصحابه، ثم حمل عليهم، فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام مرة ثانية، فأجاب نفر من رؤسائهم وأسرعوا، وبايعوه على الإسلام. وقالوا : نحن على ما وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا، فخذ منها حق الله.

وجمع على الغنائم، وكان جعل عليها بريدة بن الحصيب فخمسها، ثم قسم بقيتها على أصحابه.

وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلام همدان[4] كلها في يوم واحد،

=وسلم إليه. وهذا نص كتابه صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن إسحاق : «بسم الله الرحمان الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد : فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث ابن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل، وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

(1) رواية البيهقي عن البراء أخرجها ابن كثير في التفسير : 203/4.

(2) طبقات ابن سعد : 169/2.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من ع وح وهو تكرار يخل بالمعنى.

(4) وفي إسلام همدان يروي ابن جرير الطبري عن البراء قال : «فكنت فيمن عقب معه فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى بنا علي الفجر، فلما فرغ صفنا صفا واحدا ثم=

فلما قرأ كتابه خرج لله ساجدا، ثم جلس، «فقال السلام على همدان»، وتتابع أهل اليمن على الإسلام، ثم قفل علي فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها/ (138أ) للحج سنة عشر.

وفي حديث البيهقي عن البراء[1] بعد أن ذكر أنهم لم يجيبوا خالدا. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالدا إلا رجلا ممن كان معه خالد أحب أن يعقب مع علي أن يرجع معه، فلما دنوا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي، ثم صفنا صفا واحدا، ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان جميعا، فكتب علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا، ثم رفع رأسه. وقال: «السلام على همدان». وأصل الحديث[2] في صحيح البخاري.

وذكر البراء: «أنه كان ممن عقب مع علي». وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي من حديث علي[3]، قال: «بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء قال: فوضع يده على صدري وقال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه» وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع الآخر» الحديث.

=تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد...».

– كتاب التاريخ: 159/3.

(1) حديث البيهقي عن البراء أخرجه ابن جرير الطبري في كتابه التاريخ: 159/3.

– وأخرجه ابن كثير في السيرة: 203/4.

(2) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع: 283/5 الحديث: 796.

(3) حديث علي أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الأحكام: باب ذكر القضاة: 90/3 الحديث: 90.

– وأخرجه أبو داود في كتاب الأقضية. باب كيف القضاء: 292/3 الحديث رقم: 3582.

– وأخرجه الترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في القاضي لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلاهما: 63/3 الحديث: 1336.

وفي البخاري[1] : عن بريدة بن الحصيب قال : «بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا إلى خالد ليقبض الخمس» الحديث.

وذكر أبو عمر بسنده عن الشافعي قال : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص[2] إلى اليمن قال : «إذا اجتمعتما، فعلي الأمير. وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير، فاجتمعا.» وذكره الكلاعي في الاكتفاء عن أبي عمرو المديني.

- حجة الوداع[3] :

وتسمى حجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة التمام، وكره ابن عباس أن يقال حجة الوداع، وكان صلى الله عليه وسلم قد أقام بالمدينة يضحي كل عام. ويغزو المغازي، فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة[4] اتفاقا أجمع على الخروج إلى الحج.

---

(1) وتمام الحديث الذي أخرجه البخاري : عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : «بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أبغض علي، وقد اغتسل، فقلت لخالد ألا ترى إلى هذا، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال : يا بريدة أتبغض عليا فقلت : نعم قال : لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك».
– أخرجه في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن : 283/5 الحديث : 795.

(2) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي يكنى أبا سعيد، أسلم قديما هاجر إلى أرض الحبشة. شهد عمرة القضاء وفتح مكة وتبوك والطائف.
– الاستيعاب : 7/2 رقم الترجمة : 617.
– الأسد : 654/1 رقم الترجمة : 1365.
– البداية والنهاية : 654/1.

(3) قال ابن كثير : «ويقال لها حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع، لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها.
وسميت حجة البلاغ : لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولا وفعلا ...».
– سيرة ابن كثير : 211/4.

(4) رواه ابن سعد في الطبقات : 172/2.
– وابن سيد الناس في عيون الأثر : 345/2.

قال ابن سعد[1] : «ولم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله تعالى» وفي البخاري[2] عن أبي إسحاق[3] يعني السبيعي أنه حج بمكة أخرى.

وقال جابر : «حج بمكة حجتين، هذا بعد النبوءة، وقبلها لا يعلمه إلا الله».

وعن ابن عباس : «حج صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر ثلاث حجج».

وقال سفيان الثوري : حج قبل أن يهاجر حججا.

وقال ابن حزم : حج النبي صلى الله عليه وسلم واعتمر قبل النبوءة وبعدها قبل الهجرة حججا وعمرا لا يعرف عددها.

وقال عبد الغني المقدسي : وأما ما حج بمكة واعتمر فلم يحفظ.

وقال ابن الأثير[4] : كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر.

وقال المحب الطبري : «في صفوة القرى»، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحج قبل البعث وبعده قبل نزول فرض الحج عليه مع قومه. وذكره أبو سعد في شرف النبوءة وغيره. ثم قال بعد ذلك أنه حج قبل الهجرة حجتين يعني بعد النبوءة فتجهز النبي صلى الله عليه وسلم للحج وأمر الناس بالجهاز له وقال له أبو بكر وهو بالمدينة : «إن عندي بعيرا نحمل عليه زادنا. فقال صلى الله عليه وسلم : فذلك إذا. فأمر صلى الله عليه وسلم بزاد دقيق وسويق فحمل على بعير أبي بكر، وكانت زِمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبي بكر واحدة»[5]. هكذا

(1) الطبقات : 173/2.

(2) ففي البخاري قال : حدثنا أبو إسحاق قال حدثني زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع. قال ابن إسحاق: وبمكة أخرى.

– صحيح البخاري : كتاب المغازي باب حجة الوداع : 306/5 الحديث : 306.

(3) هو عمرو بن عبد الله السبعي أبو إسحاق.

– قاله ابن كثير في السيرة : 213/4.

(4) أسد الغابة : 36/1.

(5) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه : كتاب المناسك، باب التوقي في الإحرام : 428/3، الحديث : 2933.

– وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند : 344/6.

أخرجه أبو حفص الملا عن أسماء بنت أبي بكر ووافق أحمد وأبو داوود وابن ماجة عنها على أن زمالتهما كانت واحدة.

والذي عند البخاري وابن حبان[1] عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم «حج على رحل وكانت زاملته»[2].

قال المحب الطبري : فيحتمل أنه كان بعض الزمالة عليها، وبعضها مع زمالة أبي بكر. انتهى.

وخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس ليال بقين من ذي القعدة[3] وقيل لست بقين منه. وجمع المحب الطبري بينهما بأن يكون خرج من المدينة يوم الخميس لست بقين وتوجه/ من ذي الحليفة بعد أن بات بها لخمس بقين وذلك يوم (139ب) الجمعة. وقال إن هذا الجمع متعين.

قال ابن هشام[4] : «واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي ويقال سباع بن عرفطة الغفاري» وقد كان أذن في الناس أنه حاج، وأمرهم بالخروج معه فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمسون أن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله.

وذكر جابر بن عبد الله[5] رضي الله عنهما «أنه لما استوت برسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته في البيداء[6] قال نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك».

وقيل حج معه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع أربعون ألف، وقيل نحو من سبعين ألفا، وقيل تسعون ألفا، وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك،

(1) حديث البخاري وابن حبان أخرجه ابن كثير في السيرة : 219/4.

(2) الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع.

الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج باب الحج على الرحل :638/2 الحديث : 1417.

(3) قال ابن سعد: وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

– الطبقات : 173/2.

– وقاله ابن عقبة في المغازي : ص : 315.

(4) سيرة ابن هشام : 601/4.

(5) حديث جابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب المناسك باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم: 495/3 الحديث : 3074.

(6) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب تعد من الشرق أمام ذي الحليفة.

– معجم البلدان : 523/1.

وبعضهم ذكر الزائد على مائة الألف عشرين ألفا، وكان أصاب الناس بالمدينة جدري أو حصبة فمنعت من شاء الله أن يمتنع من الحج معه صلى الله عليه وسلم، فأعلم أن عمرة في رمضان تعدل حجة[1] وأخذ صلى الله عليه وسلم على طريق الشجرة وهي على ستة أميال من المدينة وكان خروجه نهارا بعد ما ترجل وأدهن بأطيب دهن وجده حتى ريء وبيصه[2] في رأسه ولحيته. وبعد أن صلى الظهر بالمدينة أربعا، وصلى العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة[3] وهو من وادي العقيق ركعتين ثم بات بذي الحليفة ليجتمع الناس إليه، ثم لما أصبح من الغد قال لأصحابه «أتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة»[4] ثم لبد رأسه بالعسل، ولبس، ولبس إزارا ورداءا، وأشعر بدنته في جانب سنامها الأيمن، وسلت الدم عنها بيده وقلدها نعلين وكانت هدي تطوع.

وكان صلى الله عليه وسلم ساق الهدي معه، وهو ثلاث وستون بدنة، وخير أصحابه بين أنواع النسك الثلاثة : الإفراد، والقران والتمتع. فكانوا في أهلالهم على ثلاثة. وولدت أسماء بنت عميس[5] الخثعمية محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فأمرها أن تغتسل وترجل وتستذفر بثوب، ثم تهل بالحج، وتصنع ما يصنع الحاج إلا الطواف بالبيت. ثم صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتين وقد

---

(1) وهو ما رواه مسلم في الصحيح عن عطاء قال : سمعت ابن عباس يحدثنا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار : ما منعك أن تحجي معنا. قالت : لم يكن لنا إلا ناضحان. فحج أبو ولدها وابنها على ناضح. وترك لنا ناضحا ننضح عليه قال :
« فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة».
– أخرجه مسلم في كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان : 748/2. الحديث : 221.

(2) الوبيص : البريق. وبص الشيء : لمع. – اللسان : 4754/2.

(3) وحديث صلاته في مسجد ذي الحليفة أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج باب الصلاة في مسجد ذي الحليفة : 694/2 الحديث 1188.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج باب خروج النبي صلى الله عليه وسلم على طريق الشجرة : 642/2 الحديث 1432.
وأخرجه ابن كثير عن البخاري في السيرة : 222/4.

(5) أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب، وأمها هند بنت عوف وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أسماء من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب.
– الاستيعاب : 347/4 رقم الترجمة : 3264. – الأسد : 14/6 رقم الترجمة : 6706. =

اغتسل للإحرام بالمدينة فيما قيل. وأوجب في مجلسه حين فرغ من ركعتيه، ثم ركب ناقته فلما استقلت به أهل وأدرك ذلك منه أقوام وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته أهل. فقالوا إنما أهل حين استقلت به ناقته. ثم مضى صلى الله عليه وسلم، فلما علا على شرف البيداء أهل وأدرك ذلك منه أقوام، فقالوا إنما أهل حين علا على شرف البيداء[1].

وقال ابن عباس: «وأيم الله لقد أوجب في مصلاه وأهل حين استقلت به ناقته، وأهل حين علا على شرف البيداء»[2].

وقال أبو داوود المازني[3]: «وهو من أهل بدر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج، فلما كان بذي الحليفة صلى في المسجد أربع ركعات ثم لبى دبر الصلاة ثم خرج إلى باب المسجد فإذا راحلته قائمة، فلما انبعثت به أهل ثم مضى، فلما علا البيداء أهل، فسمعه الذين في المسجد، فقالوا أهل ولبى من المسجد، وسمعه الذين كانوا بالبيداء، فقالوا أهل من البيداء، وكان أهلا له صلى الله

=- الوافي بالوفيات: 53/9.
- حلية الأولياء: 74/2.
وحديث أسماء أخرجه مسلم في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر بالشجرة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر يأمرها أن تغتسل وتهل.
- أخرجه في الصحيح كتاب الحج باب إحرام النفساء واستحباب اغتسالها للإحرام: 712/2 الحديث: 1209.

(1) وفي حديث مسلم عن سالم بن عبد الله: أنه سمع أباه يقول: بيداؤكم هذه التي تكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند المسجد يعني الحليفة.
- أخرجه في كتاب الحج باب أمر أهل المدينة بالإحرام من عند مسجد ذي الحليفة: 692/2 الحديث 1186.
- وأخرجه أيضا ابن عقبة في المغازي ص: 316.

(2) حديث ابن عباس أخرجه أبو داود في سننه - كتاب المناسك باب في وقت الإحرام: 84/2 الحديث: 1770.

(3) أبو داوود المازني اختلف في اسمه قيل: عمرو وقيل: عمير بن عامر بن مالك بن خنساء شهد بدرا وأحدا.
- الاستيعاب: 209/4 رقم الترجمة: 2967.
- الأسد: 95/5 رقم الترجمة: 5855.

عليه وسلم بالقران بالحج والعمرة[1] وكان يلبي بهما تارة، وبالحج أخرى فمن ثم قيل أنه كان مجردا. وروي أنه صلى الله عليه وسلم تمتع. وذلك محمول على أمره به أن يكون لبى بالعمرة، كما لبى بالحج فظن سامعه أنه محرم بها وحدها، أو أطلق التمتع على القران، أو سمعه يلبي بالعمرة وحدها في أول الأمر فاعتمد ذلك. وهذا على رواية من روى أنه بدأ بالعمرة/ وكان إهلاله بعد صلاة الظهر. (140أ)

ففي حديث أنس عن أبي داوود «أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على شرف البيداء أهل»[2].

وعند النسائي[3] : عندما صلى الظهر بالبيداء وصعد جبل البيداء وأهل بالعمرة والحج.

وذكر ابن حزم : أنه أهل قبل الظهر بيسير وصلى الظهر بالبيداء، وأهل صلى الله عليه وسلم بالتوحيد، «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[4] وأتاه جبريل عليه السلام، فقال له : «يا محمد مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنه من شعائر الحج» وأمره أن يرفع صوته بها، ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بسرف خير الناس بين فسخ الحج إلى العمرة وبين البقاء على الحج وذلك في حق من ليس معه هدي، فمنهم من فعل هذا ومنهم من فعل هذا.

---

(1) وإهلاله صلى الله عليه وسلم بحج وعمرة من البيداء أخرجه البخاري في حديث أنس رضي الله عنه قال : «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبح وكبر، ثم أهل بحج وعمرة، وأهل الناس بهما فلما قدمنا أمر الناس فحلوا فكان يوم التروية أهلوا بالحج فقال : ونحر النبي صلى الله عليه وسلم بدنات بيده ...».

– أخرجه في كتاب الحج : باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال عند الركوب على الدابة.

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب في وقت الإحرام : 84/2 الحديث : 1770.

(3) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج باب العمل في الإهلال : 168/5 الحديث : 2751.

(4) أخرج هذه التلبية البخاري في كتاب الحج باب التلبية : 647/3 الحديث : 1445.

– وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب التلبية وصفتها ووقتها : 691/2 الحديث : 1185.

– وأخرجه الترمذي في كتاب الحج باب ما جاء في التلبية : 225/2 الحديث : 826.

وفي حديث آخر أنه أمرهم بالإهلال بالقران بين الحج والعمرة ويحتمل اتحاد الأمر، وأن ذلك إنما كان بسرف فقط. ويحتمل التكرار وأن ذلك كان بسرف وبغيره من الطريق، وحاضت عائشة رضي الله عنها بسرف فأمرها على سبيل الإباحة، إما لضرورة أو لغيرها أن تغتسل وتنقض رأسها وتمتشط وتترك العمرة[1].

وفي رواية «وأمسكي عن العمرة». أي تترك التحلل منها وتمسك عن أعمالها، ولعلها كانت أهلت بالحج أولا ثم أهلت بالعمرة حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بفسخ الحج عن العمرة. ثم حاضت فأمرها أن تترك العمرة أي تترك فعلها لا أن تسقطها جملة ،وأمرها أن تهل بالحج تدخله على العمرة، وتعمل جميع أعمال الحج إلا الطواف بالبيت حتى تطهر وصارت قارنة. ثم نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى فبات بين الثنيتين كداء وكدى ثم صلى الصبح هناك ثم اغتسل، ودخل مكة نهارا من أعلاها من كداء المفتوح الممدود من الثنية العليا التي بالبطحاء، واستقبله أغيلمة[2] بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وواحدا خلفهن وذلك صبح رابعة مضت من ذي الحجة وهو يوم الأحد لأن الهلال كان يوم الخميس، والوقفة بالجمعة على ما جاء في الصحيح.

وقال الواقدي : فيما نقل عنه : أن خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة، ودخوله مكة كان يوم الثلاثاء، ويوم التروية كان يوم الجمعة فتكون الوقفة السبت ويوافقه حديث منقطع عند الشافعي عن الحسن ابن مسلم أن يوم التروية عام إذن كان يوم الجمعة، والأول أصح. وقد صلى غير واحد عليه الإجماع، ثم أتى صلى الله عليه وسلم المسجد. وروى أنه دخل من باب بني شيبة المعروف اليوم بباب السلام، فاستلم الحجر الأسود ثم مشى على يمينه وجعل البيت على يساره وطاف بالكعبة سبعا وأهل ثلاث منها، ومشى أربعا يستلم الحجر الأسود والركن اليماني في كل طوفة ولا يمس الركنين الآخرين الذين

---

(1) وأخرج حديثها البخاري في كتاب الحج باب كيف تهل الحائض والنفساء : 649/2 الحديث : 1452.
– وأخرجه أبو داوود في سنة كتاب المناسك باب إفراد الحج: 89/2 الحديث : 1781.

(2) أغيلمة : الصبية. في حديث ابن عباس : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب من جمع بليل : هو تصغير أغلمة جمع غلام في القياس.
– 3289/5 مادة غلم.

في الحجر. ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[1] ثم جعل المقام بينه وبين الكعبة وصلى ركعتين قرأ فيهما مع أم القرآن : ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفي الركعة الأولى : و﴿قل هو الله أحد﴾ في الركعة الثانية ثم رجع إلى الحجر الأسود، فاستلمه ثم خرج إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ : ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[2] ثم قال : «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[3] ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا نصبت قدماه في بطن الوادي رمل/ حتى إذا (141ب) صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طواف على المروة، وهو سابع طواف بينهما، قال : «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتهما عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي، فليحل وليجعلها عمرة» ويحتمل هذا مع ما تقدم الاتحاد والتكرار أيضا، وأنه خيرهم فيما تقدم، وحتم عليهم الفسخ هنا. فقام سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي[4] فقال يا رسول الله : «ألعامنا هذا أم للأبد، فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال : «دخلت العمرة في الحج» مرتين «لا بل لأبد أبد»»[5] يعني بذلك العمرة في أشهر الحج.

---

(1) الآية : 125 من السورة 2 البقرة.

(2) جزء من الآية : 158 من السورة : 2 البقرة.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الحج : باب ما جاء أنه يبدأ بالصفا قبل المروة : 242/2 الحديث : 863.
– وأخرجه أبو داوود في كتاب المناسك : باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم : 130/2 الحديث : 1905.
– وأخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم : 495/3.

(4) سراقة بن مالك جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة الدلجي الكناني، يكنى أبا سفيان مات في خلافة عثمان.
– الاستيعاب : 148/2 رقم الترجمة : 921.
– الأسد : 197/2.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجج : باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم : 725/2 الحديث : 1218.

وقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن ببدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي سبع وثلاثون بدنة، فكان جماع الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة. فحل الناس كلهم وقصروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي، ثم ضرب صلى الله عليه وسلم قبته بأعلى مكة بالحجون[1] و لم يقرب للكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة و لم يدخل بيتا و لم يظله[2].

وفي بعض الأحاديث : أنه لما كان اليوم السابع ويسمى يوم الزينة، فيما قيل، وأنكر النووي هذه التسمية، وكان يوم الأربعاء خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وظهره إلى الملتزم وهو ما بين الباب والركن الأسود، وأمرهم بمناسكهم[3] وبالخروج إلى منى من الغد. فلما كان يوم التروية[4] وهو يوم منى، وهو اليوم الثامن، وكان يوم الخميس توجهوا إلى منى وأهلوا بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يظله به من الشمس.

وزاد أبو حفص الملا في روايته : أنه خرج بعدما طاف بالبيت أسبوعا. وهذا مغاير لما تقدم من أنه لم يقرب الكعبة بعد طواف القدوم حتى رجع من عرفة، وما تقدم أصح، ثم غدا أو راح إلى منى فصلى بها الظهر والعصرو المغرب والعشاء والصبح، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من تشعر، فضربت له بنمرة[5] فسار

---

(1) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.
– معجم البلدان : 225/2.

(2) أخرج هذه الرواية البخاري في الصحيح : كتاب الحج: باب ما يلبس المحرم من الثياب : 646/2 الحديث: 1441.
– رواه أيضا ابن كثير في السيرة : 234/4.

(3) وهو ما رواه موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يوم التروية خطب الناس فأخبرهم مناسكهم.
– مغازي ابن عقبة : ص : 322.

(4) قال ابن حجر : وسمي بالتروية : لأنهم كانوا يروون فيها إبلهم ويتروون من الماء لأن تلك الأماكن لم تكن إذ ذاك فيها آبار ولا عيون.
– الفتح : 507/3.

(5) نمرة : ناحية بعرفة نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم.
– معجم البلدان : 304/5.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، وذلك يوم الجمعة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت، فأتى بطن الوادي فخطب الناس على راحلته، فكان من جملة ما قاله[1] : «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد بن بكر بن هوازن فقتله هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم بكتاب الله عز وجل وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس، اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات» ثم أمر بلالا ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر جمع بينهما و لم يصل بينهما شيئا، وذلك في وقت الظهر ثم ركب صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف[2] فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفا للذكر والدعاء حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة/ قليلا حين غاب (142أ) القرص، وقال صلى الله عليه وسلم : «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف». وارتفعوا عن بطن عرفة وأرسلت إليه أم الفضل بنت الحارث الهلالية بقدح لبن

(1) أخرج هذا الحديث : البخاري في صحيحه مختصرا في كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : رب مبلغ أوعى من سامع : 99/1 الحديث : 66.
– وأخرجه أبو داود في السنن كتاب المناسك باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم : 132/2 الحديث : 1905.

(2) الموقف : قرية ذات نخل وزرع لجرم في أجإ أحد جبلي طيء.
– معجم البلدان : 226/5.

وهو واقف على بعيره فشربه فعلموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن صائما في يومه ذلك، وهناك وقع الرجل المحرم عن راحلته، وهو في جملة الحجيج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبدا، أو قال : ملبيا أو يلبي»[1] ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموقف ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[2] الآية. قيل وكان نزولها (فيه بعد)[3] العصر ثم أردف صلى الله عليه وسلم أسامة خلفه، ودفع وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجله، ويقول بيده اليمنى «أيها الناس : السكينة، السكينة» كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة.

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان يسير العنق[4] فإذا وجد فجوة نص حتى إذا كان بالشعب الأيسر الذي دون المزدلفة، ويقال له شعب الإذخر نزل فأناخ[5] ناقته ثم بال ثم دعا بالوضوء فتوضأ و لم يسبغ الوضوء، فقال له أسامة : «الصلاة، قال الصلاة أمامك فركب حتى أتى المزدلفة»[6] وهي جمع، وذلك ليلة السبت على الصبح العاشر من ذي الحج، فنزل فتوضأ وأسبغ الوضوء، ثم صلى المغرب والعشاء جمع بينهما في وقت العشاء الآخرة بآذان واحد وإقامتين و لم يصل

(1) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب ما يفعل بالمحرم إذا مات : 702/2.
– وأخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك باب المحرم يموت : 506/3 الحديث : 3084.
– وأخرجه الترمذي في كتاب الحج باب ما جاء في المحرم يموت في إحرامه: 282/2 الحديث : 952.

(2) جزء من الآية : 3 من السورة 5 المائدة.

(3) في ع : (بعد).

(4) العنق من السير : المنبسط. وسير عنق وعنيق: معروف وأعنق : إذا سارع وأسرع.
– اللسان : 3134/4 مادة عنق.

(5) الإناخة : الإبراك : قال الليث : النخنخة من قولك أنخت الإبل فاستناخت أي بركت.
– اللسان : 4375/6 مادة نخخ.

(6) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة واستحباب صلاتي المغرب والعشاء جمعا بالمزدلفة في هذه الليلة: 762/2.

بينهما شيئا على ما في حديث جابر[1]. ثم اضطجع صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر، فصلى الفجر، حين تبين له الصبح مغلسا[2] به بآذان وإقامة وأذن لسودة وأم سلمة وأم حبيبة والنساء والضعفة في الرفع من المزدلفة بليل بعد وقوفهم بالمزدلفة. وذكرهم الله تعالى بها، وكان ذلك اليوم يوم يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه عند أم سلمة، وأذن للنساء أن يرموا الجمرة بليل، و لم يأذن للرجال في ذلك لا لضعفة ولا لغيرهم ثم ركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء حتى أتى قزح وهو المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده و لم يزل واقفا حتى أسفر جدا. وقال صلى الله عليه وسلم. «هذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف»[3] وارتفعوا عن بطن محسر ثم دفع صلى الله عليه وسلم قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس، وكان صلى الله عليه وسلم كافا ناقته، وقال للناس : «عليكم بالسكينة».

حتى أتى بطن محسر بين المزدلفة ومنى فحرك ناقته قليلا، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرة الكبرى حتى أتى منى فأتى الجمرة التي عند الشجرة وهي الجمرة الكبرى وهي جمرة العقبة فرماها بعد طلوع الشمس بسبع حصيات مثل حصى الخذف[4] التقطها له الفضل بن عباس وقيل أخوه عبد الله بن عباس غداة يوم النحر. ونهى عن أكبر منها وعن الغلو في الدين وكبر مع كل حصاة

---

(1) وكذلك في حديث سعيد بن جبير قال «أفضنا مع ابن عمر حتى أتينا جمعا فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة ثم انصرف، هكذا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان».

– أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج باب الإفاضة من عرفات : 764/2.

(2) الغلس : أول الصبح حتى ينتشر في الأفاق.

– اللسان : 3281/5 مادة غلس.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج باب ما جاء في أن عرفة كلها موقف : 728/2.

– وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الحج باب ما جاء أن عرفة كلها موقف: 252/2 الحديث : 886.

– وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك باب الصلاة بجمع. الحديث : 1935.

(4) الخذف : رميك بحصاة أو نواة بأخذها بين سبابتيك، أو تجعل مخذفة من خشب ترمي بها بين الإبهام والسبابة.

– اللسان : 1117/2 ماد حذف.

ورمى من بطن الوادي وهو على راحلته، وليس تم ضرب ولا طرح ولا إليك وحينئذ قطع التلبية فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة ومعه أسامة وبلال وأحدهما يقود بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم، والآخر يرفع ثوبه على رأسه صلى الله عليه وسلم يقيه من حر الشمس حتى رمى الجمرة وهو يقول : «خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[1] ويقول : «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا ولا يحصب بعضكم بعضا إذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف»[2] وذلك يوم السبت وهو يوم النحر ويوم عيد الأضحى ويوم الحج الأكبر على الصحيح/. (143ب)

وقد وقف صلى الله عليه وسلم يومئذ بين الجمرات، وقال : «هذا يوم الحج الأكبر»، وقال صلى الله عليه وسلم «إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر»[3] وخطب صلى الله عليه وسلم الناس يومئذ بمنى خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض وحذرهم أن يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض[4] وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار والناس منازلهم.

وفي البخاري[5] : بعد ذكر الخطبة فودع الناس ثم قيل هذه حجة الوداع ثم انصرف حتى أتى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده، ثم أعطى عليا فنحر ما بقي منها وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقتها.

---

(1) أخرجه النسائي في سننه كتاب المناسك باب الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم : 277/56 الحديث : 3059.

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب في رمي الجمار : 152/2 الحديث : 1966.

(3) النفر : نفر الحاج من منى نفرا، ونفر الناس من منى: ينفرون نفرا ونفرا وفي حديث الحج : «يوم النفر الأول» : قال ابن الأثير : هو اليوم الثاني من أيام التشريق. والنفر الأخر اليوم الثالث.
– اللسان : 4498/6 مادة نفر.

(4) وهو قوله صلى الله عليه وسلم في آخر خطبته بمنى : «فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض».
– أخرجه البخاري في الصحيح باب الخطبة أيام منى 6/3 الحديث 6.

(5) في البخاري عند متم الخطبة قال صلى الله عليه وسلم : هذا يوم الحج الأكبر، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «اللهم أشهد» وودع الناس فقالوا : هذه حجة الوداع.
– أخرجه في الصحيح : كتاب الحج : باب الخطبة أيام منى : 8/3 الحديث : 9.

وقال صلى الله عليه وسلم : «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم وكل فجاج مكة طريق ومنحر». وأمر صلى الله عليه وسلم عليا بقسمة لحومها كلها وجلودها وجلالها، وأن لا يعطى الجازر منها شيئا على جزارتها، وقال : «نحن نعطيه من عندنا»[1] فأعطاه صلى الله عليه وسلم الأجرة على ذلك من عنده.

وأهدى صلى الله عليه وسلم عن نسائه بقرة[2] أو البقر وقرب إليه صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ فلما وجبت جنوبها، قال : «من شاء اقتطع» ثم حلق[3] صلى الله عليه وسلم رأسه المقدس وبدأ بشقه الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم أخذ شقه الأيسر، فقال هاهنا أبو طلحة فأعطاه إياه وفي رواية : أنه أعطاه لأم سليم، وفي رواية : أن خالد بن الوليد كلمه في ناصيته فدفعها إليه، وحلق طائفة من أصحابهن وقصر بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم : «رحم الله المحلقين» قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : رحم الله المحلقين. قالوا والمقصرين يا رسول الله. قال : رحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله. قال : والمقصرين[4] وهذا الصحيح المشهور الثابت في أكثر الأحاديث وأصحها إسنادا.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج : باب في الصدقة بلحوم الهدي وجلالها : 778/2. الحديث : 1317.

(2) عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه وفي حديث ابن بكر: عن عائشة : بقرة في حجته.
– أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدي وإجزاء البقرة والبدنة كل منهما عن سبعة : 780/2.
– وأخرجه البخاري برواية أخرى وبلفظ غير هذا اللفظ عن عائشة رضي الله عنها في كتاب الحج باب : ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن : 696/2 : الحديث 1593.

(3) وجميع هذه الروايات التي تشير إلى حلقه صلى الله عليه وسلم
– أخرجها مسلم في الصحيح في باب : بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق.
– وأخرجها أيضا أبو داود في كتاب المناسك باب : الحلق والتقصير : 156.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح : في كتاب الحج بالحلق والتقصير عند الإحلال : 702/2. الحديث 1611 و 1612. =

إن هذه الواقعة كانت في حجة الوداع، وقيل كانت بالحديبية وبه جزم إمام الحرمين في النهاية.

وقال الحافظ أبو عمر : «وهو المحفوظ» وقال النووي والمحب الطبري في القرى : ولا يبعد أن يكون وقع ذلك في الموضعين. وكذا قال ابن دقيق العيد : «أنه الأقرب».

وقال ابن حجر[1] : بل هو المتعين لتضافر الروايات بذلك في الموضعين إلا أن السبب في الموضعين مختلف، ثم ذكره.

وقال المحب الطبري في صفوة القرى في رواية : «رحم الله المحلقين» وفي رواية «اللهم اغفر للمحلقين» وكان أحد الدعائين في حجته والله أعلم، أيهما كان، سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عما تقدم بعضه على بعض من الرمي والنحر والحلق والإفاضة[2] فقال في كل ذلك «لا حرج» ثم تطيب صلى الله عليه وسلم قبل أن يفيض إلى البيت، ثم ركب فأتى مكة فطاف في يومه ذلك على الأصح، وهو يوم السبت طواف الإفاضة، ويسمى طواف الفرض، وطواف الزيارة، وكره مالك بن أنس هذه التسمية، وسماها بعضهم طواف الصدر والمشهور من مذهب الجمهور أن طواف الصدر هو طواف الوداع، وكان طوافه ذلك قبل الظهر و لم يرمل فيه.

= – وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج : تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير : 770/2 الأحاديث : 1301 و 1302.
– وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب المناسك باب الحلق : 481/3 الحديث : 3043.
– وأخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب الحلق والتقصير : 155/2 الحديث : 1979.

(1) الفتح : 550/3.

(2) والروايات في ذلك كثيرة أخرجها :
– البخاري في الصحيح في كتاب الحج : باب الذبح قبل الحلق. منه حديث ابن عباس : «قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم زرت قبل أن أرمي قال : لا حرج قال : حلقت قبل أن أذبح قال : لا حرج قال ذبحت قبل أن أرمي قال لا حرج» : 700/2 الحديث : 1606.
– وأخرجها مسلم في الصحيح في كتاب الحج باب : من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي : 773/2 ومن ذلك ما جاء في نهاية حديث عمرو بن العاص : «قال فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «افعلوا ذلك ولا حرج»» الحديث : 1306.
– وأخرى أخرجها أبو داود في سننه كتاب المناسك : باب الحلق والتقصير : 156/2 الحديث 1983.

وأتى صلى الله عليه وسلم سقاية بني عبد المطلب فاستقى، فقال العباس : «يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها، فقال : اسقني، فقال يا رسول الله : إنهم يجعلون أيديهم فيه، فقال : اسقني، فشرب منه»[1].

وفي رواية : «أن هذا شراب قد مغث ومرث أفلا نسقيك لبنا وعسلا، فقال : اسقوني مما تسقون منه المسلمين»[2] /. (144أ)

وفي رواية : قال : «اسقوني من النبيذ فقال العباس إن هذا شراب قد مغث ومرث وخالطته الأيدي ووقع في الذباب، وفي البيت شراب هو أصفى منه فقال : «منه اسقني». زاد في رواية : يقول ذلك في ثلاث مرات فسقاه آخر لأنهم يجعلون أيديهم فيه، فقال : «اسقني لأتبرك بأكف المسلمين».

وفي رواية : «أنه قدم على راحلته وخلفه أسامة بن زيد، فاستسقى فأتوه بإناء من نبيذ فشرب منه وسقى فضله أسامة فشرب منه، ثم قال صلى الله عليه وسلم : «أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا»[3] ثم أتى صلى الله عليه وسلم زمزم وهم يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب أو قال : «اعملوا فإنكم على عمل صالح، ثم قال فلولا أن تغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم أو قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه وأشار إلى عاتقه[4] فناولوه دلوا فشرب منه»[5].

وفي حديث آخر : «أنهم ناولوه دلوا فتوضأ منه بعد الشرب»[6].

---

(1) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب : سقاية الحاج : 674/2 الحديث : 1525 وهو من حديث عكرمة عن ابن عباس.

(2) رواه أحمد بن حنبل في المسند : 320/1.

(3) أخرج هذه الرواية مسلم في صحيحه كتاب الحج : باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق، والترخيص في تركه لأهل السقاية : 778/2 الحديث : 1316 وهو من حديث بكر بن عبد الله المزني.
– وأخرجه أبو داود في سننه : كتاب : المناسك باب في نبيذ السقاية : 168/2 الحديث : 2021.

(4) أخرج هذه الرواية البخاري في صحيحه كتاب الحج باب سقاية الحاج : 674/2 الحديث : 1525 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(5) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم : 134/2 الحديث : 1905 .

(6) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم : 727/2 الحديث : 1218.

وفي رواية : «أنه غسل منه وجهه وتمضمض فيه ثم أعادوه فيها».

وعند الواقدي : «أنه لما شرب صب على رأسه».

وصلى صلى الله عليه وسلم الظهر بمكة في قول جابر.

وقال : ابن عمر : «صلاها بمنى»[1] بعد رجوعه من مكة، وحديثه أصح.

وثبت : أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت وصلى فيه ركعتين[2] وجاء أيضا أنه دخل الكعبة و لم يصل فيها حتى خرج فصلى ركعتين مستقبلا وجه الكعبة فرجحوا رواية من روى أنه صلى لأنه مثبت فمعه زيادة علم.

وقال ابن حبان : الأشبه أن يحمل ذلك على دخولين متغايرين، أحدهما يوم الفتح وصلى فيه، والآخر في حجة الوداع، و لم يصل فيه.

وروى الدارقطني : عن ابن عمر بإسناد حسن : أنه صلى الله عليه وسلم داخل البيت في حجة الوداع يوم النحر فلم يصل ودخله من الغذ فصلى، ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى منى، فمكث بها باقي يوم النحر، وهو السبت والثلاثة بعده، وهي الأحد والاثنين والثلاثاء بلياليهن وهذه الأيام ما عدا الأول منها يقال لها أيام منى. وأيام التشريق والأيام المعدودات.

وقيل : إن أيام التشريق تشمل الأول أيضا، وكذا أيام منى، كره مالك تسميتها بأيام التشريق، والأيام الثلاثة (الأول)[3] وهي أيام النحر الثلاثة اليوم الأول وتالياه تسمى الأيام المعلومات.

---

(1) حديث ابن عمر أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : الحج. باب : الصلاة بمنى : 681/2.
– ومثله حديث أنس : «عن عبد العزيز بن رفيع قال سألت أنس ابن مالك رضي الله عنه قلت أخبرني بشيء عقلته عن النبي صلى الله عليه وسلم أين صلى الظهر والعصر يوم التروية قال : بمنى...».
– أخرجه البخاري أيضا في كتاب الحج باب : أين يصلي الظهر يوم التروية : 681/2 : الحديث 1541.

(2) وحديث صلاته صلى الله عليه وسلم داخل البيت رواه سالم عن أبيه قال «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين».
– أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج باب إغلاق البيت ويصلي في أي نواحي البيت شاء : 664/2 الحديث : 1493.

(3) في ع : (الأولى).

وأقام صلى الله عليه وسلم بها يأتي الجمرات الثلاث كل يوم من هذه الأيام الثلاثة ماشيا ذاهبا وراجعا، إذا زالت الشمس يرمي كل جمرة بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة[1] يبدأ بالجمرة الدنيا التي تلي المسجد الخيف[2] وتلي المنحر منحر منى، ثم يتقدم أمامها فينزل إلى السهل فيقوم مستقبلا القبلة قياما طويلا يدعو ويرفع يديه، ويتضرع قدر إسراع قراءة سورة البقرة، ثم يرمي الجمرة الوسطى وهي التي في السوق كذلك ثم ينحدر ذات الشمال فيقوم مستقبلا القبلة قياما طويلا مثل قيامه في الأولى أو أطول فيدعو ويرفع يديه، ويتضرع ثم يرمي الجمرة التي تلي مكة وهي الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، وكان يزور البيت في تلك الأيام على ما في حديث ابن عباس عند الطبري[3] وغيره واستأذنه صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضي الله عنه أن يبيت بمكة ليالي أيام منى من أجل سقايته فأذن له[4] وكذلك أرخص للرعاء في ترك المبيت بمنى فيجمعون رمي يومين بعد يوم النحر فيرمونه في إحداهما.

وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى[5] والناس آمن ما كانوا الظهر والعصر والعشاء ركعتين، وخطب صلى الله عليه وسلم يوم الأحد ثاني يوم النحر، وهو يوم الرؤوس ويوم القر.

وروي : أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس أيضا يوم الإثنين للوداع وهو يوم الأكارع ويوم النفر الأول، وفيه قال صلى الله عليه وسلم/ : «نحن نازلون غدا (145ب)

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب : يكبر مع كل حصاة قاله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : 10/3 الحديث : 16.

(2) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى. – معجم البلدان : 412/2.

(3) وأخرجه البخاري بلفظه عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما كتاب الحج باب : إذا رمى الجمرتين يقوم ويسهل مستقبل القبلة : 11/3 الحديث : 17.

(4) وحديث إذنه صلى الله عليه وسلم للعباس بمكة ليالي منى أخرجه البخاري في الصحيح من حديث ابن عمر في كتاب الحج باب : سقاية الحاج : 674/2 الحديث : 1524.

(5) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج : باب : الصلاة بمنى : 681/2 الحديث : 1543.

بخيف بني كنانة» يعني بذلك المحصب[1]. ثم نهض صلى الله عليه وسلم بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء وهو آخر أيام التشريق، وهو يوم النفر الأخر إلى المحصب وهو الأبطح، وضرب أبو رافع مولاه قبته به وكان على ثقله صلى الله عليه وسلم، «وحاضت صفية رضي الله عنها ليلة النفر، وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد منها بعض ما يريد الرجل من أهله فقالوا إنها حائض يا رسول الله، قال : وإنها لحابستنا. قالوا : يا رسول الله إنها قد أفاضت يوم النحر قال فتنفر معكم»[2] وصلى صلى الله عليه وسلم بالمحصب الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ورقد رقدة من ليلة الأربعاء رابع عشر ذي الحجة بائتا به، وكانت عائشة رضي الله عنها قد نسكت المناسك كلها إلا الطواف بالبيت حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وسعت بين الصفا والمروة.

وكان طهرها بعرفة أو يوم النحر، وطوافها يوم النحر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد حللت من حجك وعمرتك جميعا أو طوافك يسعك لحجتك وعمرتك، فقالت : «يا رسول الله إني أجد في نفسي إن لم أطف بالبيت ما حججت»، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا إذا هويت الشيء تابعها عليه، فأمر صلى الله عليه وسلم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر أن يردفها ويعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها»، وذلك ليلة الحصبة. وقعد صلى الله عليه وسلم ينتظرها بأعلى مكة بالمحصب حتى انصرفت من عمرتها تلك في جوف الليل، فقال : «فرغتما، قالت : نعم. فقال لها هذه مكان عمرتك»[3] فذكرت أنها لما اعتمرت لقيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وهي منهبطة عليها. أو هي مصعدة وهو منهبط.

---

(1) المحصب : هو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو أقرب إلى منى، وهو بطحاء مكة وهو خيف بني كنانة.
- معجم البلدان : 62/5.

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب حجة الوداع: 305/6 الحديث 843.
- وأخرجه أيضا في كتاب الحج باب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت: 13/3 الحديث : 23.
- وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب : وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض : 785/2 الحديث: 379.

(3) الحديث : أخرجه البخاري في كتاب الحج باب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت : 14/3 الحديث : 26. وهو حديث عائشة رضي الله عنه.

قال المحب الطبري في تلخيص صفة حجه صلى الله عليه وسلم : سيأتي أنه صلى الله عليه وسلم أذن بالرحيل بعد مجيئها وفراغها[1] وطاف للوداع بعد ذلك، ولعله صلى الله عليه وسلم طاف تلك الليلة مرتين مرة قبل أن (بعثها)[2] أو قبل فراغها، ومرة بعد فراغها للوداع. أو يكون هذا اللقاء حين انتقل من المحصب إلى ظهر العقبة خوف الاقتداء به في نزول البطحاء روى ذلك عبد الرزاق في مصنفه حكاه عنه عياض.

فاعتمرت عمرة مفردة مستقلة، وقد كانت وجدة نفسها أن يرجع الناس بحج وعمرة، وترجع هي بحجة أو أن يرجع صواحباتها بحج وعمرة مستقلتين فإنهن كن متمتعات لم يحضن و لم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها. وقد اختلف فيما أحرمت به عائشة[3] كما اختلف هل كانت متمتعة أو مفردة، وإذا كانت متمتعة هل كانت أحرمت بالحج أولا أو بالعمرة، واختلف في الجمع بين رواياتها ولعل ما ذكرناه أقرب ذلك وأصوبه والله أعلم.

ثم أذن صلى الله عليه وسلم في أصحابه بالرحيل ودخل مكة في الليل سحرا من ليلة الأربعاء المذكورة فطاف بالبيت طواف الوداع من غير رمل. وأمر الناس أن لا

---

(1) وفي حديث انفرد به أبو داود عن الكتب الستة عن عائشة رضي الله عنهما قالت : «أحرمت من التنعيم بعمرة، فدخلت فقضيت عمرتي، وانتظرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح حتى فرغت، وأمر الناس بالرحيل قالت : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف به ثم خرج».
وهو موافق لما رواه عبد الرزاق في المصنف.
– أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك، باب طواف الوداع : 163/2 الحديث : 2005.

(2) في النسخة : ح : (يبعثها).

(3) الروايات كثيرة ومختلفة فيما أحرمت به عائشة رضي الله عنها قالت : «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا حجا».
– في الحديث دلالة على أن عائشة أحرمت بالحج، وهذه الرواية أخرجها البخاري في الصحيح كتاب الحج: 14/3 الحديث 26.
– وفي رواية أخرى رواها البخاري أنها أحرمت بعمرة: «عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأهللنا بعمرة».
– رواه عن البخاري ابن كثير في السيرة : 273/4.
– وفي الروايتين معا إشارة إلى حيضتها رضي الله عنها.

ينصرفوا حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا الحائض التي قد أفاضت. ثم مضى من فوره ذلك راجعا إلى المدينة، وكانت مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة منذ دخلها إلى أن قضى مناسكه، وخرج منها راجعا إلى المدينة عشرة أيام أولها الأحد رابع ذي الحجة وآخرها الثلاثاء ثالث عشرة. وفي جميعها كان يقصر الصلاة كحاله في الطريق ثم لما أتى صلى الله عليه وسلم ذا الحليفة بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده/ ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»[1]. (146أ)

ثم دخل صلى الله عليه وسلم المدينة نهارا من طريق المعرس[2] على ستة أميال من المدينة وكان ذلك آخر أسفاره فأقام بالمدينة إلى أن قبضه الله تعالى لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[3] فكان بين خروجه من مكة ووفاته ثمانون ليلة، والله أعلم.

وقد سئل صلى الله عليه وسلم في حجه أسئلة كثيرة، واشتهر بعضها، منها اثنان وعشرون سؤالا ذكرها صاحب «كتاب القرى لقاصد أم القرى» تركناها فرارا من التطويل كما تركنا كثيرا من كلامه في خطبه وغيرها. وذكر المواضع التي سلك في طريقه وغير ذلك.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عمر كتاب الحج: باب ما جاء ما يقول عند القفول من الحج والعمرة: 282/2 الحديث: 952.
– وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب المناسك: باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم: 498/3 الحديث: 3074.

(2) المعرس: مسجد ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرس فيه ثم يرجع لغزاة أو غيرها.
والتعريس نومة المسافر بعد إدلاجه من الليل.
– معجم البلدان: 155/5.

(3) وهو ما رواه ابن عقبة في المغازي: ص: 328، والبيهقي في الدلائل: 201/7.
– والبلاذري في أنساب الأشراف: 569/1 في تاريخ وفاته صلى الله عليه وسلم.

شرح غريب ما تقدم ونحوه : الزِمالة بكسر الزاي هي أداة المسافر، وما يكون معه في السفر. والزمالة : البعير الذي يحمل عليه ذلك كأنها فاعلة. والبيداء بفتح الموحدة والمد الأرض القفراء التي تبيد أي تهلك من يدخل فيها. والبيداء المذكورة في إحرامه صلى الله عليه وسلم أيضا غربا منها على طريق مكة وشرف البيداء أعلاها. وكل مكان مرتفع يقال له شرف، وهو فوق علمي مخرج ذي الحليفة، إذا صعدت من الوادي. والجدري بضم الجيم وفتحها وفتح الدال المهملة قرحة معلومة، والحصبة بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة بثر يخرج بالجسد يسميه أهل هذه البلاد «أبو حمرون» وترجيل الشعر تسريحه ومشطه وتنظيفه وتحسينه، وقيل هو مشطه بالدهن والماء. والتلبيد ظفر الشعر بما يضمه (ويلزق)[1] بضعه ببعض ويمنعه من التمعط والتقمل من عسل أو صمغ[2] أو خطمي[3] وقوله لبد رأسه بالعسل هو بفتح المهملتين.

وقال ابن الصلاح : يحتمل أنه بكسر المعجمة وسكون المهملة ما يغسل به الرأس من خطمي أو غيرها. والأشعار : أن يشق أحد جنبي سنام البدنة أو البقرة، حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك علامة لكونه هديا كما في التقليد. والاستثفار بتثليث الثاء الثانية أن تشد فرجها بعصابة عريضة بعد أن (تحشو)[4] قطنا، وتوثق طرفي العصابة في شيء تشده على وسطها مأخوذة من ثفر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها. والإهلال : رفع الصوت بالتلبية، ومنه إهلال الصبي عند ولادته، وهو تصويته، وقوله بالتوحيد إشارة إلى قوله «لا شريك لك» مخالفة للمشركين في قولهم «لا شريك لك» لا شريكا هو لك تملكه، وما ملك وقوله لبيك : هو مصدر مثنى للتكبير والمبالغة على مذهب سيبويه[5] والأكثر معناها إجابة بعد إجابة ولزوما

---

(1) في ع : (يلصق).

(2) الصمغ : واحدته صمغة : وهو شيء ينضحه الشجر ويسيل منه.
- اللسان : 2498/4 مادة صمغ.

(3) الخطمي : ضرب من النبات يغسل به الرأس.
- اللسان : 1204/2 مادة خطم.

(4) في ح : (تحشوها).

(5) انظر الكتاب لسيبويه : 330/1 باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء.

للطاعة ودواما عليها، وإقامة مرة بعد أخرى، وتثنيته للتوكيد لا تثنية حقيقية، وقيل في معناها غير ذلك والتلبية من لبيك بمنزلة التهليل من لا إله إلا الله. وقوله «إن الحمد» روي بفتح الهمزة وكسرها والاختيار الكسر لما في الفتح من إبهام التعليل، والتخصيص في الكسر من التعميم والنعمة يجوز فيها النصب على العطف والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره لك.

ومكة لها أسماء كثيرة منها مكة وبكة[1] بالباء. وقيل أن بكة بالباء اسم للبقعة التي فيها الكعبة، وقيل اسم لها ولما حولها، ومكة بالميم اسم لما وراء ذلك، وقيل بكة بالباء المسجد والبيت ومكة بالميم اسم للمحرم كله ومن أسمائها البلد، والبلدة، والقرية، وأم القرى، وأم رحم بضم الراء وسكون الحاء أي أصل الرحمة. وأم الرحم بالتعريف أيضا والزحم بضم الزاي وسكون الحاء، وقيل أم الزحم، وأم صبح بالضم، سبوحة[2] والناسة بالنون، والباسة بالباء الموحدة/ وصلام كقطام (147ب) وقد تصرف. والنساسة بالنون. والحاطمة[3] وكوثا بضم الكاف، وبالمثلثة بقعة بها تسمى كوثى[4]، وهي محلة بني عبد الدار، والرأس على لفظ رأس الإنسان. والعرش بضم المهملة والراء وبسكون الراء مع ضم المهملة مع سكون الراء وقيل بالضم اسم بيوت مكة القديمة كالعروش، وبالفتح مكة كالعريس. ومن أسمائها أيضا السلام وناذر بالمعجمة، وكانت دور مكة تدعى السوائب، اسم للبيت الحرام، وقيل : القادسية وقيل المقدسة. ومن أسماء البيت أيضا الكعبة، والبيت الحرام والبيت العتيق والثنية بموحدة فنون كعطية، وذات الودع لأنه كان يعلق الودع في ستوره.

(1) وردت في قوله تعالى : ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾ الآية : 96 من السورة 3 : آل عمران.

(2) قال الحموي : سبوحة : من أسماء مكة.
– معجم البلدان : 186/3.

(3) الحاطمة من أسماء مكة سميت بذلك لأنها تحطم من استهان بها.
– معجم البلدان: 207/2.

(4) كوثى : في ثلاثة مواضع : بسواد العراق في أرض بابل، بمكة وهو منزل بني عبد الدار خاصة ثم غلب على الجميع.
– معجم البلدان : 487/4.

والحجر : بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم، هذا هو الصواب المعروف، وحكى بعضهم فتح الحاء، وهو الموضع المحوط خارج عن جدار الكعبة من جهة الشام ويقال له الجدر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة، وسمي حجرا لاستدارته وهو مدور على صورة نصف دائرة، والحجر هو الحطيم[1]، وكره ابن عباس أن يقال له الحطيم، وقيل الحطيم جداره، وقيل هو الشاذَرْوان بفتح الذال المعجمة. وفي لسان الفرس بكسرها وبسكون الراء، وهو بناء لطيف جدا ملصق بحائط الكعبة من جهاتها، وقيل المشهور : أن الحطيم ما بين الباب والركن وهو أي الركن، الحجر الأسود، وهذا الذي بين الباب والحجر الأسود هو الملتزم بفتح الزاي، وهو المدعى والمتعوذ بفتح الواو، وذرعه أربعة أذرع، وقيل الملتزم ظهر الكعبة، ويسمى ظهرها المتسجار، وقيل الحطيم ما بين الركن والمقام، وقيل ما بين الباب إلى المقام وذكر جوه تسميته وما فيه من الخلاف يطول وكذا بالفتح والمد والصرف وعدمه الثنية العليا مما يلي مقابر مكة عند الحجون وهي التي يستحب الدخول منها. وكدى -بالضم والقصر والتنوين-، والثنية السفلى مما يلي باب العمرة، ثم باب شبيكة[2] بقرب شعب الشاميين من باب قعيقعان منها خرج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع راجعا إلى المدينة.

وبمكة موضع آخر يقال له كدى[3] بالضم، وتشديد الباء مصغر بأسفل مكة يخرج منه من يخرج إلى اليمن. هذا هو الصواب في هذه المواضع الثلاثة والمروات[4] وغيرهم فيها اختلاف كثير، والرمل بفتح الراء والميم في الإسم والفعل الماضي الأسرع في المشي والهرولة. وقوله : فرقي عليه : هو بكسر القاف في اللغة الفصيحة العالية المشهورة، وبفتحها في لغة طيء وهي لغة لهم في فعل اليائي اللام كبقى وفنى ورضى.

---

(1) الحطيم : بمكة. قال مالك بن أنس : هو مابين المقام إلى الباب. وقال ابن جريج: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر.
– معجم البلدان :273/2.

(2) الشبيكة : بين مكة والزاهر على طريق التنعيم، ومنزل من المنازل حاج البصرة بينه وبين وجرة أميال.
– معجم البلدان : 324/3.

(3) كدى : موضع بمكة فيه اختلاف كثير.
– معجم البلدان : 441/4.

(4) المروات : من المروة، وفيها اختلاف كثير في التعريف بها.

ويوم التروية بتخفيف الياء. ومنى على أربعة أميال من مكة، وقيل ثلاثة وهو شعب طويل نحو ميلين وعرضه يسير، وعرفة على اثني عشر ميلا من مكة، ونصرة بفتح النون وكسر الميم وفتح الراء. موضع بعرنة بالنون، وضم العين وهو أعني نمرة الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمين الخارج من النازلين إلى الموقف، وقوله «دم ابن ربيعة» هو ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان صبيا يحبو بين البيت فأصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني ليث بن بكر تقاذفوا فيها بالحجارة، واسمه إياس وقيل تمام، وقيل حارثة. وقوله بكلمة الله قيل هي ﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[1] وقيل هي : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[2]، وقيل هي كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله». إذ لا يحل لمن كان كافرا أن يتزوج مسلمة ويحتمل أن يكون هي كلمة النكاح التي تستحل بها الفروج.

وقوله : «ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه»، يريد بذلك الخلوى والحديث مع الرجال. وكانت عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء غاب أزواجهن أو حضروا و لم يكن عندهم في ذلك عيب ولا يعدونه ريبة. فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك وصار النساء مقصورات، وليس المراد / بوطء (148أ) الفرش نفس الزنى لأن ذلك محرم على الوجوه كلها فلا معنى للتقييد بمن يكره وأيضا فإن الضرب الواجب فيه هو المبرح الشديد وهو الرجم، دون غيره، وقوله غير مبرح بكسر الراء المشددة أي غير شديد ولا شاق، بل ضرب لا يظهر أثره تأديبا لهن.

وقوله ينكتها بالباء الموحدة بمعنى يميلها إليهم، يشهد الله عليهم، وبالمثناة من فوق بمعنى يرددها ويقلبها إلى الناس يشير إليهم. وقوله فجعل بطن ناقته إلى الصخرات قال في كتاب القرى ظاهره يدل على أنه كان واقفا على الصخرات حتى يكون بطن الناقة إليها. ويؤيده ما رواه ابن إسحاق في سيرته : أنه صلى الله عليه وسلم قال : «هذا الموقف للجبل الذي كان واقفا عليه»[3] قال وقد روى أبو

(1) الآية : 229 من السورة : 2 : البقرة.

(2) جزء من الآية : 3 من السورة 4 النساء.

(3) سيرة ابن هشام : 605/4.

الوليد الأزرقي بأسناده عن ابن عباس : «أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم كان بين الأجبل الثلاثة[1] : النبعة والنبيعة والنابت، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النابت. قال : والنابت عند النشرة التي خلف موقف الإمام.

وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له إلال[2] وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلاة الصغار التي كأنها الروابي[3] عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده، ويسمونه جبل الرحمة، واسمه عند العرب «إلال» على وزن قبال، وذكره الجوهري[4] بفتح الهمزة والمخفوض خلافه، وهذا مما يرجح ضبط من ضبط قول جابر في حديثه الطويل، وجعل جبل المشاة بين يديه بالجيم فإن الواقف كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني «إلال» بين يديه وهو جبل المشاة وذكر ابن حبيب أن «إلالا» جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الإمام ثم قال : إذا تقرر هذا فمن كان راكبا ينبغي أن يلابس بدابته الصخرات المذكورة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم، ومن كان راجلا وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غير إيذاء أحد، ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر. انتهى.

في معجم البكري : «إلالا» كقبال، وقال هو جبل صغير من رمل عن يمين الإمام بعرفة. قال : وفي البارع إل : جبل رمل بعرفات هكذا ذكره بلفظ المفرد على وزن «فعل» انتهى يعني كضرس.

---

(1) قال ابن أبي نجيح : من عرفات النبعة، وذات النابت.
– معجم البلدان: 248/5 و852.

(2) ألال : بفتح الهمزة واللام بوزن حمام : اسم جبل بعرفات قال ابن دريد: جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام. وقد روى : إلال بوزن بلال.
– معجم البلدان : 242/1.

(3) الروابي : ما أشرف من الرمل.
– اللسان : 1573/3 مادة : ربا.

(4) انظر الصحاح : 1626/4 مادة ألل.

وقال عز الدين بن جماعة : قد اجتهد والذي تغمده الله برحمته في تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع فيه بين الروايات، فقال إنه الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف، وهي من وراء الموقف صاعدة في الرابية وهي التي عن يمينها وورائها صخر ناتئ متصل بصخر الجبل المسمى بجبل الرحمة. وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره، وهي إلى الجبل أقرب بقليل بحيث يكون الجبل قبالة الواقف يمينا إذا استقبل القبلة، ويكون طرف الجبل قبالة وجهه والبناء المربع عن يساره بقليل وراء. وقال أنه وافقه على ذلك من يعتمد عليه من محدثي مكة وعلمائها حتى حصل الظن بتعيينه. قال الحطاب : في شرح مختصر خليل[1] بعد حكايته له، وقوله عن يساره بقليل وراء أي عن يساره إلى جهة رواء. والبناء المربع الذي ذكره هو الذي يقال له قبة آدم.

قال الفاسي : وكان سقاية للحاج أمرت بعملها والدة المقتدر. انتهى.

قلت : والأئمة في هذا الزمان لا يقفون في هذا الموضع، وإنما يقفون على موضع مرتفع في الجبل، كما تقدم بيانه، وكأنهم فعلوا ذلك ليراهم الناس والله أعلم. انتهى.

وقوله : وجعل حبل المشاة بين يديه بالحاء المهملة وسكون الموحدة أي صفهم ومجتمعهم في مشيهم فأنه عبر بحبل المشاة عن المشاة أنفسهم / تشبيها لهم بحبل (149ب) الرمل وقيل حيث يسلك الرجالة أي طريق في رمل. ورجح كل من القولين، وقد ضبط بعضهم بالجيم وصحح عرنة المهملة وفتح الراء على الأصوب المعروف، وقد تضم وربما سكنت وبتخفيف النون. وادي عرفة بالفاء.

قوله : شنق «للقصواء الزمام» أي كفها وضم رأسها إليه، وبالغ في الضم، يقال : شنق لها وأشنق. قوله مورك رجله هو بفتح الميم وبكسر الراء وفتحها قطعة أدم[2] تجعل في مقدمة الرجل شبه المخدة الصغيرة، يتورك عليها الراكب ويضع رجله عليه ليستريح من وضع رجله في الركاب: أراد أنه قد بالغ في جذب رأسها إليه ليكفها عن السير.

(1) خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب ضياء الدين برع في العربية والأصول درس الفقه المالكي، ذكر الشيخ زروق أنه توفي سنة تسع وستين وسبعمائة بمصر.
– مختصر العلامة خليل : 6.

(2) أدم : الجلد.
– اللسان : 45/1 مادة أدم.

قوله : «كلما أتى حبلا من الحبال» هو بالحاء (المهملة)[1] ما ستطال من الرمل، وقيل ما ضخم وطال وهو دون الجبل في الارتقاء، قوله «حتى تصعد» بالفتح من صعد وروى بالضم من أصعد يقال : صعد صعودا : أي ارتقى وأصعد في الأرض أي ذهب وسار فيها. وقد يجعلان بمعنى الارتقاء وقيل صعد في السلم وصعد في الجبل وأصعد في الأرض وصعد بالتضعيف وأصعد في الواد انحدر وصعدت الناقة ذهبت وأصعدتها، وفي القاموس : «صعد في السلم كسمع صعودا وصعد في الجبل وعليه تصعيدا، و لم يسمع صعد فيه وأصعد : أتى مكة، وفي الأرض مضى، وفي الواد انحدر، كصعد تصعيدا. انتهى[2]. والعنق : بفتحتين سير رفيق وهو ضرب من سير الدابة، والإبل، وقيل سير بين الإبطاء والإسراع، وقيل سير سهل في سرعة ليس بالشديد والنص[3] سير فيه سرعة.

قال أبو عبيدة[4] : النص التحريك حتى يستخرج من الناقة أقصى (جريها)[5]، والفجوة : بفتح الفاء المكان المتسع، والمراد به الفسحة من الناس، والشعب : هو انفراق بين الجبلين من طريق أو نحوه، والشعب المذكور هو الشعب الكبير الذي من مأزمي[6] عرفة عن يسار المقبل من عرفة إلى مزدلفة في أقصى المأزم مما يلي نمرة[7] وفي هذا الشعب صخرة كبيرة زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم بال خلفها واستتر بها والمأزمان : موضع بين عرفة والمزدلفة، والمأزم : بالهمز

(1) سقط من : ع.
(2) القاموس المحيط : مادة صعد : 374.
(3) النص والنصيص : السير الشديد والحث. وأصل النص : أقصى الشيء وغايته.
– اللسان : 4441/6 مادة : نصص.
(4) قول أبو عبيد ذكره ابن منظور في اللسان : 4441/6 مادة نص.
(5) في ع : (سيرها)، وكذا في اللسان.
(6) في ع وح : مأزمان.
– والأزمان : تثنية المأزم والأزم : وهو موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعب بين جبلين.
– معجم البلدان : 40/5.
(7) نمرة : الجبل الذي عليه أنصاب الحرم إذا خرجت من المأزمين تريد الموقف.
– معجم البلدان : 305/5.

كمجلس وهو المضيق بين الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض، ويتسع ما وراءها وقدامها، ومأزما منى مضيق آخر بين مكة ومنى، والوضوء بفتح الواو اسم للماء، وبضمها فعل المتوضئ وحكي عكسه، وحكى أيضا الفتح فيهما، وأن الضم ليس من كلام العرب، وإنما هو قياس قاسه النحويون، وقوله لم يسبغ الوضوء مع قوله، فلما جاء المزدلفة أسبغ الوضوء قد يوهم أن الأول لم يكن وضوء الصلاة بل كان استنجاء ولا يقال في الاستنجاء وضوء حقيقة، و لم يسبغ الوضوء، وقد جاء في بعض الطرق «فصببت عليه الإداوة فتوضأ :[1] وذلك أدل دليل على أنه لم يكن استنجاء إذ لا يصب عليه في الاستنجاء، وإنما كان وضوء الصلاة إلا أنه مخفف بأدنى ما تجزئ به الصلاة دون تكرار، وذلك لاستعجاله والمبادرة به ليكون على طهارة، ثم أعاد وضوءه ليحصل فضيلة كماله بإسباغه. ويجوز أن يكون طرأ ما أوجب إعادته. «والمزدلفة» حدها من مأزمي عرفة إلى وادي معسر يمينا وشمالا من تلك المواطن القوابل والظواهر والشعاب كلها وليس المأزمان ولا وادي معسر من المزدلفة، ومن أسمائها جمع بفتح فسكون. المشعر الحرام قيل اسم لها كلها، وقيل هو قزح منها، وقزح بضم ففتح، وهو جبل صغير في آخر المزدلفة معروف بها أو موضع في وسطها، وعليه كان وقوفه صلى الله عليه وسلم، وقيل : قزح من أسماء المزدلفة. ومعسر بكسر السين (المشددة)[2] واد بين مزدلفة ومنى، وقيل هو من منى وقيل ما صب منه في المزدلفة فهو منها وما صب منه في منى فهو منها، وصوبه بعضهم «حصى

---

(1) وفي رواية مماثلة عن أسامة بن زيد قال : «ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات، فلما بلغ رسول الله الشعب الأيسر، الذي دون المزدلفة، أناخ فبال، ثم جاء فصببت عليه الوضوء فتوضأ وضوءا خفيفا، ثم قلت : الصلاة يا رسول الله فقال : «الصلاة أمامك» فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى ...».

– وتدل هذه الرواية على أن الوضوء كان خفيفا.

– أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر.

– 758/2 الحديث : 1280.

(2) في ع : (المشددة).

الخذف» : بفتح الخاء، وسكون الذال المعجمتين مثل النواة والباقلاء[1] وطرف الأصبع/ ونحو ذلك، والخذف : الرمي بحصى أو نوعه بين السبابتين أو بين (150أ) السبابة والإبهام : يضع الرامي حجرا على طرف الإبهام، وقد قوس السبابة وراءه ثم يثيرها بمرة فترمي الحجر بشدة : هو المقول فيه الخذف. وكانت عادة العرب يترامون بذلك إذا جاسوا. والبدنة : ما يهدى من الإبل إلى مكة ذكرا كان أو أنثى، وقد يطلق على ما يهدى من البقر وقيل هو إسم للإبل[2] مطلقا ويختص بها لعظم أبدانها[3] وسمنها، وقيل غير ذلك وهدي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من الصدقة، وإنما اشتراه من ذي الحليفة، أو من المدينة أو من قديد على حسب اختلاف الروايات[4]، وناقته اشتراها علي من اليمن أو من بعض الطريق، والبضعة : بفتح الموحدة، وقد تكسر وربما شمت قطعة لحم.

الإفاضة : الدفع في السير بكثرة، وقيل لا يكون إلا عن تفرق وجمع وأصله : أفاض نفسه أو راحلته فرفضوا ذكر المفعل حتى أشبه عير المتعدي. وسقاية العباس : بكسر السين حوض كان يجعله حول زمزم بينها وبين الركن يضع فيه الماء، وكان يسقي الناس النبيذ. وقوله «مغث ومرث» هما من المغث والمرث وكلاهما بمعنى المرس[5] والدلك والعرك هذا أصلهما، ثم اتسع فيهما حتى استعملا في الضرب

(1) الباقلاء : الفول.
– اللسان : 329/1 مادة بقل.

(2) ودليل إطلاق البدنة على الإبل حديث جابر بن عبد الله قال : «نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة».
– أخرجه مسلم في كتاب الحج باب الاشتراك في الهدي وإجزاء البقرة والبدنة عن كل سبعة : 779/2 الحديث: 1318.

(3) قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ سميت البدن لبدنها.
– صحيح البخاري كتاب الحج باب ركوب البدن: 691/2 الحديث : 1574.

(4) جاء في روايتين عن ابن عمر أنه اشترى هديه صلى الله عليه وسلم من ذي الحليفة وفي أخرى عنه رضي الله عنه «أنه اشتراها صلى الله عليه وسلم من قديد».
– انظر صحيح البخاري كتاب الحج «باب من ساق البدن معه» «وباب من اشترى الهدي من الطريق» الحديث : 1576 و1577 : 691/2، 692.

(5) المرس : قال ابن السكيت : المرس مصدر مرس التمر يمرسه، ومرثه يمرثه إذا دلكه في الماء.
– اللسان : 4179/6 مادة مرس.

ليس بالشديد، والمعنى أنهم قد وسخوه لما خالطته أيديهم. وزمزم : بئر بمكة معروفة، وفيها لغات : زمزم، وزمُزم بضم الزاي وفتح الميم وتشديده وكسر الزاي، وزمزم بالضبط المذكور مع تخفيف الميم ومنهم من ذكرها زمازم بمد الميم المخففة، ومن أسمائها طبيعة وبرة، والمضنونة ذكرت هذه الثلاثة في (مرائي)[1] عبد المطلب، وتسمى «تكتم» على ما لم يسم فاعله ومكتومة بالتاء المثناة فوق، والميم «ومكنونة» : بنونين «وهمزة جبريل» بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضا «هزمة جبريل» أي ضرب برجله فنبع الماء، والهزمة تطامن في الأرض، «وهزمت البئر» أي حفرتها، و«الهزائم» الآبار الكثيرة الماء. ويروى في الحديث أنها «هزمة جبريل» بتقديم الميم على الزاي كما أتى في حديث «مبتدأ الوضوء» أن «جبريل همز للنبي صلى الله عليه وسلم بعقبه في الوادي فنبع الماء» وهي الشباعة[2] بالموحدة، و«الشياعة» بتشديد المثناة التحتية، وهي ركضة[3] جبريل. و«حفير[4] عبد المطلب» بفتح الحاء المهملة، و«قيا الله إسماعيل»، و«بركة» وسيده، ونافعة وعونة، وصافية، وعصْمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، وطاهرة، وحرضية. و«الراء» كسماء، ومروية ومونسة، وطعام طعم، وشفاء سقم، فهذه ثلاثون اسما أو أكثر لزمزم[5] وبقيت أخر عند تقي الدين الفاسي لم تحضرني، وفي حديث أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة مرفوعا : «زمزم حنفة من جنان جبريل»، والجمار : قال ابن الكلبي «إنما سميت جمارا لأن آدم عليه السلام كان يرمي إبليس

---

(1) في ح و ع (مرائي).

(2) في الحديث : أن زمزم كان يقال لها في الجاهلية شباعة، لأن ماءها يروي العطشان، ويشبع الغرثان.
– اللسان : 2186/4 مادة شبع.

(3) قال ابن الأثير : أصل الركض : الضرب بالرجل والإصابة بها.
– اللسان : 1719/3 مادة ركض.

(4) الحفير : البئر الموسعة فوق قدرها.
– اللسان : مادة حفر.

(5) في اللغة ماء زمزم كثير. وزمزم بالفتح : بئر بمكة .قال ابن الأعرابي هي زمزم وزمّم، وزمزم، وهي الشباعة، هزمة جبريل، شفاء سقم، طعام طعم، حفيرة عبد المطلب.
– اللسان : 1867/3 مادة زمم.

فيجمرهن بين يديه»[1] والإجمار الإسراع، وقيل سميت جمرة لاجتماع الناس بها يقال تجمر بنو فلان إذا اجتمعوا، وقيل لا. والعرب تسمي الحصى الصغار جمار. قال في فتح الباري[2] : «والترشيم وجمرة العقبة وهي الكبرى ليست من منى بل هي حد منى من جهة مكة، وهي التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار عندها» انتهى.

والذي في «القرى»[3] أن جمرة العقبة من منى. و«الدين» بضم الدال، وكسرها، أي القرية إلى جهة مسجد الخيف. و«التنعيم» : واد بأدنى الجبل على نحو أربعة أميال من مكة.

والإفراد في الحج له ثلاث صور. الأول : أن يأتي بالحج ويفرغ منه ثم يعتمر بعد ذلك من أذى الحل/ أو من الميقات. الثانية : أن يحرم بالعمرة ويفرغ منها قبل أشهر (151ب) الحج، ثم يحج من عامه من مكة أو من الميقات. الثالثة : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج (ويفرغ منها ثم يحج من عامه من الميقات، وكيفية التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج)[4] من الميقات أو من مسافة القصر، ثم يفرغ منها ثم يحج في مكة أو من دون مسافة إحرامه، و لم ينته إلى ميقات ويجب عليه دم فإن لم يجد صام عشرة أيام، ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله. وإنما يجب عليه ذلك إذا لم يكن من حاشري المسجد الحرام.

والقران له ثلاث صور : الأولى أن يهل بهما جميعا. والثانية أن يهل بالعمرة، ثم يردف عليها الحج قبل الطواف الثالثة عكسه، وفي جواز هذه الصورة خلاف. وقد قيل بكل من صور القران الثلاث في حقه صلى الله عليه وسلم. وقد اختلف العلماء[5] في حجه صلى الله عليه وسلم وإحرامه اختلافا كثيرا. وأطنبوا في ذلك

---

(1) قول ابن الكلبي ساقه ابن منظور في لسان العرب : 676/1 مادة جمر.

(2) فتح الباري : 582/3.

(3) أي في كتاب «القرى» لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري. وقد مر ذكره.

(4) ما بين قوسين : سقط من : (ح).

(5) وممن أسهب وأطنب في الموضوع ابن كثير في سيرته : (234/4–337) في فصل سماه : بسط البيان لما أحرم به صلى الله عليه وسلم في حجته من الإفراد والتمتع أو القران. وذكر صور ذلك معززا أقواله بروايات وأحاديث كثيرة.

إطنابا طويلا، وفي المواهب : لما تكلم على ذلك، وقد أطنب أبو جعفر الطحاوي الحنفي[1] في الكلام على ذلك، فإنه تكلم عليه في زيارة على ألف ورقة كما ذكره عنه جماعة من العلماء، وبينه ابن حزم : في حجة الوداع بيانا شافيا. ومهد المحب الطبري تمهيدا بالغا، وأشار إليه القاضي عياض والنووي في شرحيهما لمسلم، ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه استيفاء كافيا. انتهى.

لكن الراجح عند حفاظ المذهب وجهابذتها ومحققيها أنه صلى الله عليه وسلم حج قارنا، وهو الحق الذي لا شك فيه لغير واحد من الأمور : منها أن من روى «القران» معه زيادة مع التساوي في الحصة. وزيادة العمل مقبولة يجب العمل بها، ثم يتأكد ذلك بأن راوي القران حكى أنه سمعه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحتمل التأويل، ولم يذكر مثل ذلك من روى سواه، والحجة في قوله صلى الله عليه وسلم لا في قول سواه، ومنها إن من روى الإفراد أو التمتع اضطربت الرواية عنه، واختلف عليه في ذلك بخلاف من روى القران وحده وهم جماعة من الصحابة، فإنهم لم تضطرب الرواية عنهم ولا اختلف عليهم فيه، فوجب العمل بروايتهم وترك من اضطربت الرواية عنه، واختلف عليه فيها أخذا بما اتفق عليه، وتركا لما اختلف فيه، ولا شك أن الاضطراب في الرواية مما يوهنها ويضعفها، والاتفاق عليها مما يقويها ويرجحها، ومنها الترجيح بكثرة العدد، ولا شك أن رواة القران أكثر عددا لاسيما إذا ضممنا إلى المنفردين به من روى القران وغيره وكثرة العدد توجب حجاب الرواية. وقد روى القران[2] سبعة عشر أو ثمانية عشر

(1) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي أبو جعفر توفي بالقاهرة سنة 321 هـ من مؤلفاته : «شرح معاني الآثار» «وأحكام القرآن».
- وفيات الأعيان : 19/1.
- البداية والنهاية : 174/11.
- لسان الميزان : 273.

(2) روى ابن كثير في سيرته أن من روى القران: سبعة عشر صحابيا. وأحصى جميع رواياتهم بأسانيدها. وكذلك أشار إلى روايات الإفراد. وعدد القائلين بالإفراد أربعة : وهم عائشة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر، وابن عباس.
- انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن كثير : 236/4.

صحابيا وهم عمر وعلي وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وأنس، وأبو طلحة، وأبو قتادة، والبراء بن عازب، وجابر بن عبد الله، وابن أبي أوفى، وسراقة بن مالك، وعمران بن الحصين والهرماس بن زياد الباهلي[1] وعائشة وحفصة ورواه الصبي بن معبد التغلبي عن أديم بن عبد الله رجل من قومه من الصحابة. وأحاديث هؤلاء كلهم صحيحة صريحة تزيد على العشرين ومنهم من روى خبره عن نفسه، وممن روى لفظ إحرامه أنس بن مالك، ففي صحيح مسلم عنه: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهما جميعا، عمرة وحجا»[2] ورواه عن أنس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن أنس أن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان «إهلالا بحج وعمرة معا» والثامن عشر أم سلمة روت أمره صلى الله عليه وسلم أزواجه بالقران، ومن هؤلاء من روى معه ما يدل على الإفراد/ دوما بدل (152أ) على التمتع، وهم عاشئة، وابن عمر، وابن عباس ومنهم من روى معه ما يدل على الإفراد دون التمتع وهو جابر، ومنهم من روى معه ما يدل على التمتع دون الإفراد، وهم عمر، وعلي، وعمران، وسراقة، ومنهم تسعة أو عشرة لم يرووا إلا القران وحده وهم من عدا هؤلاء الثمانية ممن يقول: «أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلي في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة أو عمرة وحجا، وقل لبيك بحجة وعمرة معا»[3] أخرجه البخاري ،وهذا لو لم يثبت في القران غيره لكان كافيا شافيا فأنه مما يرفع الإشكال، ويجمع به بين الأقوال ولا يبقى معه لتأويل القران مجال بوجه ولا بحال.

---

(1) الهرماس بن زياد الباهلي، يكنى أبا حدير، سكن البصرة روى عنه عكرمة بن عمار وغيره.
– الاستيعاب: 109/4 رقم الترجمة: 2736.
– الأسد: 595/4 رقم الترجمة: 5355.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المناسك باب من قرن الحج بالعمرة: 446/3 الحديث: 2968.
– وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك: باب في الإقران: 94/2 الحديث: 1795.

(3) حديث عمر بن الخطاب أخرجه البخاري في كتاب الحج باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: العقيق واد مبارك: 642/3.
– أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب المناسك باب التمتع بالعمرة إلى الحج: 449/3 الحديث: 2976.
– وأخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك: باب في الإقران: 96/2 الحديث: 1800.

فكيف وقد روى القران من الصحابة العدد المذكور ورواياتهم في الكتب الستة، ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وغيرها، ومنها أنه لم يقع في شيء من روايات الإفراد والتمتع عنه صلى الله عليه وسلم، ولفظه أنه قال: «أفردت ولا تمتعت ولا لبيت بحج بمفرد أو لبيت بعمرة مفردة» وقد وقع ذلك في روايات[1] القران كما يحدد ذلك من يقف عليه في (مجاله)[2] من المطولات. وقد أمرنا الله تعالى عند التنازع والاختلاف أن نرجع إليه وإلى رسوله، ولما اختلفت الرواية في النسك وجب القول بالقران ردا إلى ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا لا يحتمل غيره، ومنها أن من روى القران لا يحتمل حديثه التأويل إلا بتعسف، ولو احتمله بعض ما روي في القران أو تعارض مع غيره بقي ما عداه من الروايات سالما غير قابل للتأويل مع صحة تلك الروايات كلها، وتصديق بعضها بعضا من غير تعارض بينها، ولا كذلك من روى الإفراد. وقال أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن مراده لم يحج بعد نزول فرض الحج إلا حجة مفردة لم يثنها بأخرى، أو يقال كل من روى الإفراد اعتقده أولا فلما أثبت عنده القران رجع إليه ورواه، ويؤيد ذلك ما روى نافع أن ابن عمر تمتع وقرن بين الحج والعمرة في آخر عمره، وكان قبل ذلك يفرد الحج، وقد تغيب السنة عن الصحابي نسيانا أو لعدم علمه بها، فيرويها عن غيره أو أن ذلك محمول على أنه أهل بالحج مفردا في أول الحال ويؤده أن من جاء عنه الإفراد جاء عنه صورة القران، أو بعد سمعه بعد التوجه من مكة إلى منى، وقد انقضت أعمال العمرة، وبقي عمل الحج وحده فلبى به، أو لعله صلى الله عليه وسلم كان يلبي بالحج تارة وبالعمرة تارة، وبهما معا تارة وهو قارن ولا حرج في ذلك، فروى كل ما سمع ظانا أنه تنسك بذلك، وأما من روى أنه صلى الله عليه وسلم أهل بالحج و لم يقل أفرد الحج،

(1) ومن الروايات التي صرح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه قران الحج بالعمرة.
- رواية ثابت البناني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لبيك بعمرة وحجة معا».
- أخرجه ابن كثير في السير: 256/4.
- وكذلك رواية ابن أبي إسحاق عن أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فسمعته يقول: «لبيك عمرة وحجة» أخرجها ابن ماجة في سننه كتاب المناسك باب من قرن الحج والعمرة: 446/3 الحديث: 2968.

(2) في ع: (محاله): بالحاء المهملة.

فذلك لا يمنع إهلاله بالعمرة أيضا، فمن زاده العمرة إليه كان معه زيادة علم فكان أولى، ويقال في رواية من روى التمتع، والقول به لضعف الوجوه لأن الثابت في الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل من إحرامه إلى يوم النحر، وقال صاحب «الهدي النبوي» : «الأحاديث الصحيحة المستفيضة بقوله» «فلا أصل حتى أنحر»[1] وهو خبر لا يدخله الوهم بخلاف خبر غيره» انتهى فيقال الأول أنهم أرادوا بقولهم تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تمتع بالعمرة إلى الحج أي تمتع بالعمرة إلى الحج على وجه القران. وقول القائل تمتع بالعمرة إلى الحج أي تمتع بإدخال العمرة على الحج، وقد كان السلف يطلقون في عرفهم التمتع على القران وسمى ذلك تمتعا لأن العمرة كان ممنوعا منها في أشهر الحج، ثم أحلت لهم، وقد جاء في بعض الطرق/ «هذه عمرة استمتعنا بها» وهو محمول على ذلك (153ب) أو أراد التمتع اللغوي، وهو الانتفاع والارتفاق[2] وهو موجود في القران، وزيادة لما فيه من إسقاط أحد السفرين، صار على فعل واحد ويؤيده أن من جاء عنهم التمتع ما فسروا قولهم ذلك، أتوا بصفة القران لأنهم اتفقوا على أنه لم يصل من عمرته حتى أتم جميع أعمال الحج أو سمعوه يلبي بالعمرة وحدها في أول الأمر، فاعتمدوا ذلك، وهذا على رواية من روى أنه بدأ بالعمرة أو كان يلبي تارة بهذا وتارة (بهذا)[3] كما قدمنا فمن سمعه يلبي بالعمرة وحدها روى ما سمع أو أن من روى التمتع أراد به ما أمر به صلى الله عليه وسلم به غيره، فمعنى تمتع أمر بالتمتع[4]، كما قيل رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا، وإنما أمر برجمه،

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب : أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد: 735/2 الحديث 1229.
– ولفظ الحديث بتمامه عن عبد الله بن عمر أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : «يا رسول الله : ما شأن الناس حلوا و لم تحلل أنت من عمرتك قال : لبدت رأسي، وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر».

(2) الارتفاق : ما ارتفق وانتفعت به.
– اللسان : 1659/3 مادة رفق.

(3) في ع : (بذاك).

(4) وقريب من هذا ما قاله البوصيري : أن المحققين قالوا في نسكه أنه القران، فقد صح ذلك من رواية اثني عشر من الصحابة بحيث لا يحتمل التأويل، وقد جمع أحاديثهم ابن حزم الظاهري في حجة الوداع له، وذكرها حديثا حديثا قالوا: وبه يحصل الجمع بين أحاديث الباب. =

وهذا شائع في كلامهم وكذا يقال في قوله : «هذه عمرة تمتعنا بها» : أنه يحمل على تمتع أصحابه، فقد كان منهم المتمتع والقارن والمفرد كما يقول الرئيس : فعلنا كذا وصنعنا كذا و لم يباشر هذا بالفعل، وإنما فعله أصحابه عن رأيه وإشارته، وهكذا تتفق الأحاديث وتتألف وينتفي عنها الاضطراب والتناقض والتعارض ويصدق بعضها بعضا وهو أولى[1] من تكذيب بعضها ببعض، وذلك لا يجوز إذا صحت كلها، وأمكن العمل بها، والله الموفق منه للصواب. وبينما يبقى هل الأفضل في حقنا نحن الإفراد أو القران، وقد روي عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أنهم كانوا مواظبين على الإفراد مع أنهم الأئمة الأعلام وقادة الإسلام ومصابيح الظلام، ولا يظن بهم المواظبة على ترك الأفضل و لم ينقل عن أحد منهم كراهة الإفراد، وقد نقل عنهم كراهية التمتع والقران حتى فعله علي[2] رضي الله عنه لبيان الجواز. ويبعد أن يخفى عليهم قران النبي صلى الله عليه وسلم لو خفي على أحد منهم لأعلمه به غيره، كيف وعمر رضي الله عنه أحد الخلفاء قد روى القران كما تقدم، ثم كان مواظبا على الإفراد وينهى عن سؤاله فعنه : «إن الله عز وجل كان يحل لنبيه ما شاء بما شاء» وأن القران قد نزل منازله فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله عز وجل، وفي رواية : «فافصلوا حجكم من عمرتكم إنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم» وقال : «افصلوا بين حجكم وعمرتكم فإن ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحجس، وعنه أنه قال : «أن نأخذ بكتاب الله فإن كتاب الله يأمر بالإتمام وأن نأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل حتى بلغ الهدي محله»[3] وفي

=أما أحاديث الإفراد فمبنية على أن الراوي سمعه يلبي بالحج فزعم أنه مفرد بالحج، فأخبر على حسب ذلك، ويحتمل أن الإفراد بالحج أنه لم يحج بعد افتراض الحج عليه إلا حجة واحدة.

فأما أحاديث التمتع فمبنية على أنه سمعه يلبي بالعمرة، فزعم أنه متمتع، وهذا لا مانع منه، لأنه لا مانع من إفراد تشك بالذكر للقارن على أنه قد يختفي الصوت بالثاني. ويحتمل أن المراد بالتمتع القران لأنه من الإطلاقات القديمة وهم كانوا يسمونه تمتعا.

– انظر تعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة : 444/3.

(1) في ع : (أوكد).

(2) وحديث علي أخرجه ابن كثير في السيرة: 253/4 رواه عن البخاري.

(3) أخرج هذه الرواية البخاري في الصحيح كتاب الحج باب التمتع والإقران والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن كان معه هدي : 655/2، الحديث : 1464.

رواية أنه قال : «علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعل هو وأصحابه ولكن كرهت أن يظنوا معرسين بهن في الأراك ثم يروحوا إلى الحج تقطر رؤوسهم»، أخرج بعضها الشيخان وبعضها مالك وعثمان رضي الله عنه ثبت أنه أقر لعلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قارنا، ثم كان ينهى عن المتعة والقران وكونه لم يرجح لقول علي ولا سأل أحدا غيره دليل على علمه بما أخبره به، ولو لم يكن عاملا بذلك قبل، فقد صار عالما به بإخبار علي ثم أنه لم ير حج له وقال له «دعنا منك»[1] حتى خرج علي مغضبا يقول : «لبيك بحجة وعمرة معا»[2]. فالذي يظهر والله أعلم أنهم حملوا فعله صلى الله عليه وسلم بقران على أنه لمصلحة بيان جواز الاعتمار في أشهر الحج وكانت العرب تعتقده من أفجر الفجور في الأرض[3]. وأما نحن فالأفضل في حقنا الإفراد كما أشار إليه صاحب «المواهب» في توجيه نهي عثمان عن المتعة مع إقراره لعلي بها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم مرادا بها القران، وغنما كان الإفراد هو الأفضل في حقنا لأنه الأصل، ولا يحتاج إلى جبر بدم/ بالإجماع، بخلاف التمتع والقران، لقوله (154أ) تعالى : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[4] ولأنه صلى الله عليه وسلم اختاره أولا. وإنما أدخل عليه العمرة لبيان جواز العمرة في أشهر الحج، وكان منتقلا في فضل الإفراد إلى فضل التعليم ولتبليغ عن أمر من الله ثم لما رأى كراهة أصحابه لمخالفته بمنى أنه لم ينسوا الهدي فجمع بين فعل العمرة في أشهر الحج المقصود به بيان الجواز وبين موافقة أصحابه، وكان متمتعا، ويظهر من حديث جابر[5] الطويل أنه تمنى أن

---

(1) رواه ابن كثير في السيرة : 253/4. وقال هكذا رواه أحمد مختصرا.

(2) حديث عثمان وعلي أخرجه البخاري عن مروان بن الحكم في كتابه الحج باب : التمتع والإقران والإفراد بالحج... 652/2 الحديث : 1459.

(3) وهو من حديث ابن عباس حيث قال : «كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرا، ويقولون : إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر...».
– أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج باب : التمتع والإقران والإفراد ... 653/2 الحديث : 1460.

(4) جزء من الآية : 196 من السورة : 2 البقرة.

(5) حديث جابر أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الحج باب : التمتع والإقران والإفراد بالحج : 655/2 الحديث : 1464.

ينسوا الهدي ويصير متمتعا، مبالغة في إظهار جواز الاعتمار في أشهر الحج، ثم أمر من لم يسق الهدي من أصحابه بفعل ذلك، وإنما كان التمتع أبلغ في الأمر المراد من القران بما في التمتع من ظهور التحلل من العمرة بالتقصير ولبس الثياب الممنوعة قبل و(ملابسة)[1] النساء، وغير ذلك ولا كذلك القران فليس فيه أكثر من قوله : «لبيك بحجة وعمرة» إلا على من يقول أنه صلى الله عليه وسلم طاف لقرانه طوافين وسعا سعيين، والصحيح خلافه وقد أعمر[2] صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها بعد هذا كله لهذا الغرض مبالغة في تبليغه وإشهاره وقطع أمر الجاهلية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «والله ما أعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة في ذي الحجة إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون إذا عفا الوبر[3] وبرأ الدبر، ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر، فكانوا لا يحرمون بالعمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم»[4] أخرجه أبو داود وأخرجه الشيخان طرفا منه. ولعل من اختار الإفراد من أئمة المذاهب كمالك والشافعي إنما رأى في ذلك الاقتداء بالخلفاء واختيار ما اختاروا لظهور دلائله. لأنهم يقولون أنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا، والإفراد مع ذلك أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم اختار الإفراد أولا ثم أدخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في أشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من أفجر الفجور. ولهذا رجحه المالكية والشافعية يعني لكونه صلى الله عليه وسلم اختاره أولا، وإنما أدخل العمرة للعلة المذكورة، وقال ويؤيد قرانه صلى الله عليه وسلم أنه لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج، وقال ولا شك أن القران أفضل من

(1) في النسخة : ع (ملامسة).

(2) جعل صلى الله عليه وسلم حج عائشة رضي الله عنها عمرة حين قال لها : «فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلي بعمرة».
– أخرجه البخاري في الصحيح عن عائشة في كتاب الحج باب : التمتع والإقران : 652/2 الحديث : 1457.

(3) «عفا الوبر» معناه أث نباته وكثر ويقال عفا القوم إذا كثر عددهم.

(4) والحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب العمرة : 157/2 الحديث : 1987.
– وأخرج طرفا منه البخاري في الصحيح كتاب الحج باب : التمتع والإقران : 653/2 الحديث : 1460.

الإفراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا، ولم يقل أحد أن الحج وحده أفضل من القران. انتهى. وهذا المنصوص عن مالك[1] فإنه قال الإفراد أفضل إذا كان بعده عمرة، فأما إن لم يعتمر بعده فالقران أفضل وقد أخرج البخاري والترمذي عن ابن عمر والبخاري عن أنس وأبو داوود عن ابن عباس وعائشة: «أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر»[2] منها عمرة مع حجته. وقال الحافظ لم يقل أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة الأربعة أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر بعد حجته، فهذا دليل على أن مالك والشافعي يقولان أنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا في حجته كما يقول غيرهما. والله أعلم. لكن الذي رواه مالك في موطإه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتمر إلا ثلاث عمر، عمرة الحديبية، وعمرة القضية، وعمرة الجعرانة، وأنه حجه مفردا فانظر ذلك. وقول النووي: لم يقل أحد أن الحج وحده أفضل، تعقب بتصريح القاضي حسين والمتولي بترجيح الإفراد ولو لم يعتمر في تلك السنة، إلا أنهما في ذلك مخالفان لما عليه الجمهور والله أعلم/. (155ب)

---

(1) سئل مالك عمن أحرم في أشهر الحج بالعمرة، ثم حج أذلك أحب إليك أم إفراد الحج، والعمرة بعد الحج في ذي الحجة؟ قال: بل إفراد الحج، والعمرة في ذي الحجة بعد الحج أحب إلي ضرورة كان أو غير ضرورة.
– انظر البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي: 444/3.

(2) عن مجاهد قال: «دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جالس إلى حجرة عائشة، وإذا أناس يصلون في المسجد صلاة الضحى قال: فسألناه عن صلاتهم فقال بدعة. ثم قال له كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربع...».
– وفي حديث عن قتادة قال سألت أنسا رضي الله عنه فقال: «اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم حيث ردوه – ومن القابل عمرة الحديبية – وعمرة ذي القعدة – أو عمرة مع حجته».
– الحديثان أخرجهما البخاري في الصحيح: كتاب العمرة باب كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم: 19/3: الحديث: 39 و42.
– وعند الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية وعمرة الثانية من قابل. وعمرة القضاء في ذي القعدة. وعمرة الثالثة من الجعرانة، والرابعة مع حجته».
– أخرجه في سننه كتاب الحج باب: ما جاءكم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم: 221/2 الحديث: 817.

- سرية جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة[1] :

وهو بيت بالعبلاء[2] من اليمن فيه نصب تعبد كان يدعى الكعبة اليمانية، وقال ابن إسحاق : «وكان ذو الخلصة لأوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة»[3] انتهى. وتبالة بلدة باليمن، وقال السهيلي : بعثه قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بشهرين أو نحوهما انتهى. وكان جرير شهد حجة الوداع ثم بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن لهدم ذي الخلصة، ثم إلى ذي الكلاع[4] وذي أمر ويدعوهما إلى الإسلام، ولما رجع بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو بناحيتهم. وقال جرير حسبما في الصحيح[5] قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا تريحني من ذي الخلصة، فقلت بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس[6]، وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال : «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» قال فما وقعت عن فرس بعد، قال فأتاها فحرقها بالنار وكسرها ثم بعث رجلا من أحمس يكنى أبا أرطأة[7] إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بذلك، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله والذي

---

(1) ذي الخلصة : عشيرة من الوهوب من قبيلة حرب التي تقطن في نجد.
- معجم القبائل : 354/1.

(2) العبلاء : اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ. وقيل هي بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخصلة بيت صنم. وهي من أرض تبالة.
- معجم البلدان : 80/4.

(3) سيرة ابن هشام : 86/1.

(4) ذي الكلاع : بطن يعرف بذي الكلاع من حمير من القحطانية وهم بنو شرحبيل بن حمير.
- معجم القبائل : 990/3.

(5) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة ذي الخلصة : 285/5 الحديث 802.

(6) أحمس : بطن من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من العدنانية منه : نذير، وجلي ...
- معجم القبائل : 10/1.

(7) أبو أرطأة الأحمسي الحصين بن ربيعة بن عامر بن الأزور له صحبة.
- الاستيعاب : 158/4 رقم الترجمة : 2865.
- الأسد : 9/5.

بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبرك النبي صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات» وأحمس : أخو بجيلة، وقوله أجرب بالراء كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها، وقيل : المراد أنها صارت مثل الجمل المطلي بالقطران إشارة إلى أنها صارت سوداء لما وقع فيها من الحريق. وفي رواية أجوف بالواو والفاء المروسة هي أنها صارت صورة بغير معنى، والأجوف الخالي الجوف. وفي هذه السنة التي هي سنة عشر جاء جبريل عليه السلام يعلم الناس دينهم، وفيها ارتد الأسود بن كعب العنسي[1] وادعى النبوءة وفيها ادعى النبوة مسيلمة الكذاب وإنما كانت دعوى مسيلمة ومن ادعى من الكذابين النبوءة في مرضه صلى الله عليه وسلم الذي توفاه الله فيه. وفيها بعث صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء بصنعاء اليمن يدعوهم إلى الإسلام وهم من بقية جيش الفرس الذي دخل اليمن فأهلك الحبشة وأخرج جلهم وتملكه بعدهم سموا بذلك لأن أمهاتهم من عرب اليمن من غير جنس آبائهم، ومن الأبناء وهب بن منبه وقيس بن مكشوح[2] والمرادي حليف لهم، وهو قيس بن هبيرة، وذاذويه. وفيروز الديلمي. وهؤلاء الثلاثة قيس بن مكشوم واللذان بعدهم الذين قتلوا الأسود العنسي الكذاب، وكان بين خروجه وقتله نحو أربعة أشهر وفيها أسلم باذان بن سامان[3] باليمن[4].

---

(1) قال ابن كثير : كان لباذان الفارسي أثر كبير في قتل الأسود العنسي قد أتينا على خبره في الكامل في التاريخ.
– الأسد : 226/1.

(2) قيس بن مكشوح أبو شداد اسمه عبد يغوث بن هبيرة له صحبة، شهد فتح نها وند وكذلك القادسية، قتل بصفين مع علي.
– الاستيعاب : 359/3 رقم الترجمة : 2179.
– طبقات ابن سعد : 525/5.

(3) باذان بن سامان الفارسي من الأبناء وهم من أولاد الفرس، الذين سيرهم كسرى مع سيف ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة، وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .
– الأسد : 226/1 رقم الترجمة : 359.

(4) وأخرج هذه السرية بهذه الرواية البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب : غزوة ذي الخلصة.
– وابن هشام في سيرته : 86/1.